



١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥ م

المجلة العلمية

لجامعة الملك فيصل

مجلة علمية محكمة



Makkah Capital of
Islamic Culture
2005

مدينة المنورة كعاصمة
الثقافة الإسلامية
١٤٢٦ هـ

عدد خاص

المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل

مجلة علمية محكمة

عدد خاص

بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦ هـ (٢٠٠٥ م)

المجلة متوفرة على الموقع التالي

www.kfu.edu.sa/sjournal/ara/sja_index.asp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الأبحاث العلمية المنشورة في هذا العدد محكمة

جميع حقوق الطبع محفوظة. ولا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل والإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من رئيس هيئة التحرير. الآراء المضمنة في كتابات هذه المجلة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل.

هيئة التحرير الرئيسية

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عادل بن إبراهيم العفالق

الأعضاء

أ.د. عبدالله بن موسى القصبي

د. علي بن إبراهيم السلطان

د. أحمد بن عبدالعزيز الحليبي

هيئة التحرير الفرعية

د. أحمد بن عبدالعزيز الحليبي (رئيساً) أ.د. ظافر بن عبدالله الشهري (عضواً)

أ.د. إبراهيم بن سالم الصباطي (عضواً) د. عبدالحسن بن حسين العرفج (عضواً)

د. محمود عبدالفتاح إبراهيم رزق (عضواً)

التحرير الفني

د. أحمد عبدالله الذكوروي

فاضل محمد العامر

حسين معتوق الهدلق

خالد عبدالله السلطان

عنوان المراسلة

رئيس هيئة التحرير

المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل

ص.ب ٣٨٠ الأحياء ٣١٩٨٢

المملكة العربية السعودية

تليفون : ٥٨٠١٢٧٥ (٣) ٩٦٦ تحويلة ٢١٥

فاكس : ٥٨٠١٢٧٥ (٣) ٩٦٦ تحويلة ٣١٨

E.Mail : scijkfu@kfu.edu.sa

رقم الإيداع : ٢٣٠٣/١٨

الرقم الدولي المعياري : ردمد : ١٣١٩.٩٦٤٤

مطبعة جامعة الملك فيصل

الفهرس

- . مكة المكرمة إعجاز موقعها، وحرمتها ، ومنزلتها ، وتوسعتها
سليمان بن صالح القرعاوي ١
- . منافع الحج الثقافية
أحمد بن عبد العزيز الحليبي..... ٤١
- . الخصائص الكبرى لمكة المكرمة
عبد الله محمد نوري الديرشوي..... ٨٩
- . إصلاحات الملك عبد العزيز الدينية في مكة المكرمة
أميمة بنت أحمد الجلاهية..... ١٥٧
- . إعلان اتفاقيتي بحرة وحدّه وأبعاده السياسية في مبايعة الملك عبد العزيز
بالمُلك في مكة المكرمة (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)
سعيد بن عمر آل عمر..... ١٩٣
- . مكة المكرمة في العصر القديم قراءة في التاريخ والشعر
ظافر بن عبدالله الشهري..... ٢٢٩
- . مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى و الأضاحي إنجاز و تكافل
غسان بن فايز الطبري، صلاح بن عبد العزيز الشامي، عادل بن إبراهيم العفالق..... ٢٦١
- . مقومات وعوامل تنشيط السياحة في منطقة مكة المكرمة
عبدالمحسن بن حسين العرفج..... ٢٩٥
- . الاستثمار في قطاع السياحة وأهميته للاقتصاد السعودي مع إشارة لملامح النشاط
السياحي في منطقة مكة المكرمة
حسن بن رفدان المهجوج..... ٣٣٣
- . ملامح الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في الاقتصاد السعودي:
دراسة خاصة على المنشآت الصناعية بمنطقة مكة المكرمة
خالد بن عبدالعزيز السهلاوي ٣٩٣

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْأَمِينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .. وَبَعْدُ ..

من دواعي سروري أن أقدم هذا العدد الخاص من المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للاحتفاء بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية. إن القرار الحكيم الذي اتخذته منظمة المؤتمر الإسلامي في اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م تتبلور بين ثناياه أهداف وأبعاد جليلة. فإصداً ذلك القرار ومنافعه العظيمة تغطي جوانب دينية وثقافية وعلمية واجتماعية جدير بأبناء هذه الأمة الإسلامية ودول العالم أجمع التعرف عليها والوقوف عند دروسها ومواقفها للاستفادة منها والاعتبار بعبراتها. إن جامعة الملك فيصل كإحدى منارات العلم والمعرفة في هذا البلد الكريم إنما تقدم هذا الإصدار الخاص لإيمانها أن المساهمة في هذه المناسبة الهامة واجب عليها ويندرج تحت مظلة رسالتها المعرفية .

باسم جامعة الملك فيصل أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس اللجنة العليا للاحتفاء بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية على توجيهات سموه السديدة التي كانت نبزاساً لنا لتقديم هذا الإصدار كجزء من مساهمة الجامعة في هذا الاحتفاء. كما لا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أشكر أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الذين ساهموا بتقديم عصارة فكرهم وعلمهم من خلال بحوث هذا الإصدار. والشكر متواصلاً لهيئة تحرير المجلة العلمية والمحكمين وجميع من ساهم في إعداده وطبعه.

والحمد لله رب العالمين

مدير جامعة الملك فيصل

أ. د. يوسف بن محمد الجندان

كلمة التحرير

بعون وتوفيق من الله سبحانه وتعالى يسعد هيئة تحرير المجلة العلمية بجامعة الملك فيصل أن تقدم هذا الإصدار الخاص من المجلة العلمية احتفاءً بمناسبة اختصار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥ م. يأتي هذا الإصدار ليجسد وعي جامعة الملك فيصل لأهمية المساهمة في تلك المناسبة المباركة من خلال الرسالة الثقافية للمجلة العلمية.

بدأ الإعداد لهذا الإصدار قبل حوالي أكثر من عام بذلت فيه جهود بحثية وفكرية وفنية وإدارية كبيرة تكلمت ولله الحمد بالنجاح والتوفيق. حرصت هيئة تحرير المجلة العلمية منذ بداية الإعداد لهذا الإصدار أن تكون البحوث المنشورة فيه ذات قيمة علمية وثقافية عالية لها علاقة مباشرة بمكة المكرمة وتخضع إلى التحكيم العلمي الدقيق الذي تتبعه المجلة قبل نشر البحوث فيها. وقد تميزت البحوث العلمية المنشورة في هذا الإصدار بتنوع مجالات البحث التي تتعلق بمكة المكرمة. حيث شمل الإصدار البحث في المجالات الدينية والتاريخية والأدب وخدمات الحج والسياحة والاقتصاد توزعت على عشرة بحوث علمية قام بإجرائها نخبة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة بذلوا جهوداً طيبة لإظهارها بالصورة المشرفة.

ختاماً يسعدني أن أقدم الشكر والتقدير لمعالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد الجندان لدعمه المتواصل وسعادة الأستاذ الدكتور عبدالله بن إبراهيم السعادات وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي لمتابعته الدقيقة. الشكر موصول أيضاً إلى كل من أثرى هذا الإصدار بفكره وعلمه سواء كان مؤلفاً أو محكماً. الجهود المضنية التي بذلها الفريق الفني ومطبعة الجامعة لها منا الشكر والتقدير.

حسبنا أن يكتب الله سبحانه وتعالى في هذه الباكورة العلمية النفع للقراء والمهتمين وأن يكون الثواب جزاء كل من ساهم فيه .

والله الموفق ، ، ،

رئيس هيئة تحرير المجلة العلمية

لجامعة الملك فيصل

أ . د. عادل بن إبراهيم العفالق

كلمة

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي ورئيس المجلس العلمي

لقد شرف الله مكة المكرمة، بمكانة رفيعة على مر العصور. فمنذ أن رفع نبي الله إبراهيم عليه السلام البيت الحرام والناس يؤمنونه من كل فج عميق تتوق إليه نفوسهم وتهوي إليه أفئدتهم عاماً بعد عام. ثم جاء الإسلام ليرفع من قدسية هذا البيت المكين، إذ أصبحت مكة مهبط الوحي ومنشأ الرسالة المحمدية عليها وعلى صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ومنها شع نور الإسلام وانطلقت رسالته حتى عمّت أرجاء الأرض. رسالة أتم الله بها الدين وختم بها بعثة النبيين، رسالة بعث الله بها محمداً عليه السلام رحمة للعالمين، رسالة جاءت فيصلاً بين الحق والباطل إلى يوم الدين. فأبي مقام وأي مكانة أرادها الله سبحانه لمكة شرفها الله. فمكة بحق هي نبع الإسلام الخالد عقيدة وفكراً وسلوكاً وهي بحق مصدر الثقافة المتفردة لأمة الإسلام ورسالتها إلى الناس أجمعين. ثقافة تؤمن بالتوحيد الخالص لله رب كل شي ومليكه، كما تؤمن بنشر السلم والعدل ومكارم الأخلاق والمعاملات والمساواة بين الناس بمختلف أجناسهم وطبقاتهم وتحث على التفاضل بينهم بالتقوى. ثقافة تمجد العلم وتحث على العمل. ثقافة تدفع الإنسان إلى عمارة الأرض وتسخيرها لأخيه الإنسان. ثقافة تذكر العبد بعودته إلى خالقه ليزيد المحسن في إحسانه ويرتدع الظالم عن ظلامه. ثقافة صهرت أركانها في منظومة عقدية فكرية معيشية وسلوكية سلسة ومتناغمة ومتجانسة مبنية على الرفق والإحسان في كل شي والأخذ بأسباب السكينة والسلام ونبذ الطغيان.

لقد أختار الله لمكة هذه المكانة وشرفها بها على جميع القرى إلى يوم الدين. وهي مكانة لن تبرحها إلى غيرها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وما مناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠٠٦م إلا جهد بشري للتذكير والتأكيد على هذا الاختيار والتتويج الإلهي. والذي يأتي هذا العدد الخاص من المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل كمساهمة متواضعة من الجامعة في هذه الاحتفالية الكريمة ضمن سلسلة من النشاطات العلمية والثقافية التي نظمتها الجامعة احتفاءً بهذه المناسبة المجيدة. ولقد جاءت البحوث التي شملها هذا العدد على موضوعات متنوعة في الشأن المكي تاريخاً وعلماً وتراثاً وثقافة وأدباً. أسأل الله أن ينفع بهذا العمل ويجزي من شارك فيه وساهم في إصداره خير الجزاء. وأسأله تعالى أن يحفظ لمكة مكانتها وقدسيتها رمزاً لهذا الدين العظيم وأن يزيدنا عزاً ومجداً. كما أسأله جل وعلا أن يحفظ هذه البلاد الكريمة من كل مكروه ويعين حكومتها وولاة أمرها على خدمة بيت الله الحرام قبله المسلمين والمسجد النبوي الشريف على ساكنة أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وكيل الجامعة

لدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس المجلس العلمي

أ.د / عبدالله بن إبراهيم السعادات

مكة المكرمة

إِعْجَازُ مَوْقِعِهَا، وَحَرَمِهَا، وَمَنْزِلَتِهَا، وَتَوْسِعَتِهَا

سليمان بن صالح القرعاوي

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك فيصل
الأحساء - المملكة العربية السعودية

المُلخَص :

التعرف على مكة المكرمة واجب حتمي لأسباب كثيرة تتصل بفضلها ومكانتها عند الله تعالى، وحكمة الله بالغة في أن تكون مكة المكرمة بلد الله الحرام، وأن يكون بها بيت الله الحرام، وأن تكون الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وفي هذا البحث تم تقديم عرض موجز عن مكة المكرمة من حيث إعجاز موقعها، وحرمتها، ومنزلتها، وفضلها على سائر البلاد، مع التعرّيج على المراحل التي مرت بها توسعة المسجد الحرام، بدءاً وانتهاءً بما قدمته المملكة العربية السعودية من جهود عظيمة في التوسعة، وما بذلته من جهود في تطوير المشاعر المقدسة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الرحمة والهدى، محمد بن عبد الله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين، وبعد:

فإذا كان من واجب كل مسلم أن يتعرف على مدائن المعمورة - فإن التعرف على مكة المكرمة واجب ؛ لأسباب كثيرة تتصل بفضلها ومكانتها وحرمتها عند الله - عز و علا - وعند أنبيائه، وعند المؤمنين الموحدين، والمسلمين في كل بقاع الأرض.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ يَتَذَكَّرُ لِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَىٰ سَبِيلٍ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾^(١)

وعن عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة^(٢)، فقال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"^(٣)

إن حكمة الله بالغة في أن تكون مكة المكرمة بلد الله الحرام، وأن يكون بها بيت الله الحرام، وأن تكون الكعبة الشريفة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وزاد الله من شرف مكة بأن جعل الحج إلى مكة فرضاً على المسلم القادر، قال سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾^(٤) وجعل الحج ركناً من أركان الإسلام الخمسة، قال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"^(٥)

ويضاف إلى تلك الفضائل فضل آخر يتمثل في ذلك الاكتشاف الذي يمثل إعجازاً علمياً، حيث ثبت بالأدلة والبراهين العلمية أن الكعبة الشريفة هي مركز اليابسة مكاناً وزماناً.

إن فضل مكة عظيم، فهي رمز لوحدة محسوسة للمسلمين حين يتوجهون إليها في كل صلواتهم، ورمز لوحدة روحية وثقافية وعقلية تقوم على أساس الإيمان بوجود الله خالق الكون، وبوحدانيته، وبالرسول محمد ﷺ، وبالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وفضائل مكة كثيرة، فصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في غيره.

وقد لقيت مكة، والمسجد الحرام عنايةً كبيرةً من المسلمين عبر كل العصور، ولكنَّ الرعاية الكبرى تحققت عندما قامت الدولة السعودية منذ مائة عام حيث بدأت العناية والرعاية والتوسعات المتتالية من عهد المؤسس الملك عبد العزيز، ثم الملك سعود، ثم الملك فيصل ثم الملك خالد (رحمهم الله جميعاً) ثم زادت في عهد الملك فهد، الذي أبى إلا أن يتخذ من لقب خادم الحرمين الشريفين لقباً يتشرف به، ويحرص عليه، جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم وجزاهم خيراً عن الإسلام والمسلمين.

وهذا بحث موجز يتناول مكة المكرمة: إعجاز موقعها، ومنزلتها، وحرمتها، وفضلها على سائر البلاد، كما يتناول توسعة المسجد الحرام قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، وبعد تأسيسها.

ويتناول كذلك جهود المملكة في تعمير وتطوير المشاعر المقدسة، وهي جهود تفوق الخيال، وبها تتحقق آمال المؤمنين.
والله أسأل التوفيق والسداد.

خريطة مكة المكرمة



إعجاز الموقع :

تقع مدينة مكة المكرمة على السفوح الدنيا لجبال السروات، فهي تمثل نقطة التقاء بين تهامة وجبال السروات، وبذلك فهي تقع في غرب شبه الجزيرة العربية" غرب المملكة العربية السعودية" على بعد ٧٥ كم خمسة وسبعين كيلاً من مدينة جدة.

الموقع الفلكي: تقع مكة المكرمة على دائرة عرض ٩١، ٥٢، ١٢ شمالاً، وخط طول ٤٦، ٤٩، ٣٩ شرقاً، وترتفع على سطح الأرض بمقدار ٣٠٠ متر عن سطح البحر من الغرب إلى الشرق ما بين ٢٥٠ متراً مائتين وخمسين متراً إلى ٣٥٠ متراً ثلاثمائة وخمسين متراً.

تكونت المنطقة عموماً بما فيها مكة المكرمة ضمن تشكيلات الدرع العربي المكون من الصخور القديمة، التي تمثلها معظم جبال مكة المكرمة. أما الأودية فتغطيها ترسبات الحصى والرمل، ومعظم هذه الأودية التي تتشكل منها مكة المكرمة تتبع في تكوينها حركات الصدوع والانكسارات التي مرت بالدرع العربي خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة.^(٧)

وبوجه عام فإن البناء الجيولوجي لمكة المكرمة يعود إلى أزمنة جيولوجية قديمة فصخورها تعود إلى التكوينات الأركية التي تتمتع بمقاومة جيدة للعوامل الجيومورفولوجية الظاهرية والباطنية.

وتقع مكة المكرمة ضمن المنطقة الانتقالية بين تأثيرات مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي ويؤثر البحر الأحمر فيها بنسبة ضئيلة جداً.

وهي تقع ضمن المنطقة المدارية الشمالية؛ لذا فإن درجة حرارتها ترتفع في الصيف، ومناخها دافئ في الشتاء، وأمطارها قليلة وغير منتظمة، ورياحها في الشتاء شمالية غربية، وفي الصيف شمالية شرقية جافة.^(٨)

وقد اقترنت وسطية الأمة الإسلامية من حيث المنهج الرباني بموقع مكة الجغرافي، أي: بوسطية المكان، والزمان، وهذه الوسطية الأخيرة لم يستدل عليها العلماء بصورة واضحة إلا في مرحلة قريبة، واعتبروا ذلك من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من حيث تضمن القرآن لمعانٍ كان من الصعب على من قبلنا معرفة أسرارها وما تتضمنه من إعجاز، وقد جاءت المكتشفات العلمية الحديثة؛ لتؤكد الحقائق التي تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾

ويقول تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ
أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠)

والشطر: نصف الشيء، وشطر الشيء ناحيته، والشطر: النحو.

واللافت للنظر أن وسطية الأمة افتقرت بالقبلة التي يتوجه إليها المسلمون في كل
أنحاء العالم شماله وجنوبه وشرقه وغربه.

ولم يتبها الباحثون المحدثون إلى أن وسطية مكة للكعبة الأرضية قد ورد ما
يقررها من الأحاديث النبوية في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١١)

فقد أخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال: " قال رسول
الله ﷺ أول بقعة وضعت في الأرض موضع البيت، ثم مهدت منها الأرض، وأن أول جبل
وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال " (١٢)

كما أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول
الله (ص) إن الكعبة خلقت قبل الأرض بألفي سنة وهي من الأرض، إنما كانت حشفة
على الماء عليها ملكان من الملائكة يسبحان، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها
منها، فجعلها وسط الأرض. (١٣)

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: قال رسول الله (ص) أما أول بيت فإنه كانت
الأرض ماء زبدة على الأرض، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها، فهو أول بيت وضع
في الأرض. (١٤)

ويحسن بنا في هذا المقام أن نورد قول ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: (والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفعوا القواعد من البيت الحرام، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة، وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء مما أنشأها الله من زبد الماء، وجائز أن يكون كان ياقوته أو درة أهبطا من السماء، وجائز أن يكون كان آدم بناه، ثم انهدم، حتى رفع قواعد إبراهيم وإسماعيل، ولا علم عندنا بأي ذلك كان؛ لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة، فيجب التسليم لها، ولا هو إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل بغيره ويستتبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلناه)^(١٥).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله: (مَكَانَ الْبَيْتِ) فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم، وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة، وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوماً، أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل، وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب، فلا يحتج بها، فأما إن ردها الحق فهي مردودة)^(١٦) وقال: في موضع آخر (ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم، ولا يصح ذلك، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً

وأول من أسسه، وكانت بقعته قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١٧) وأخيراً، قال صاحب كتاب فضائل مكة الواردة بالسنة قلت: كلام الحافظ ابن كثير وجيه، إلا أن قوله إن مكان البيت معظم عند الأنبياء من لدن آدم إلى زمان إبراهيم، يردُّ عليه ما أورده بنفسه على بنائه قبل إبراهيم، فيقال: إن كان مصدر ذلك أخبار بني إسرائيل فلا عبرة بها، وإن كان ورد ذلك عن المعصوم ﷺ فأين وقع ذلك؟ وما مدى صحته؟ وأما كلام الإمام الطبري - السابق - وتسويته بين الاحتمالات فغير مناسب؛ لأنها غير متكافئة في ورودها، ولا عبرة بما لم يصح عن رسول الله ﷺ ولا بما نقل عن بني إسرائيل، وظاهر القرآن كما تقدم - يدل على أن الباني هو إبراهيم وابنه عليهما السلام وأشار تقي الدين الفاسي إلى عدم ثبوت بناء الملائكة وأدم للكعبة، وأنه على فرض صحة ذلك فالمراد به التأسيس. وأما الأحاديث المذكورة في هذا المبحث فتتقسم إلى قسمين: أحاديث مرفوعة وأخرى موقوفة، وقد ذكرت الموقوفة لاحتمال رفعها حكماً، وذلك لأنها تتعلق بالأخبار، وإن كان بعضها مما يمكن أن يكون مستتباً من القرآن، وصح من المرفوع حديث واحد، وهو حديث أبي ذر، وفيه أن أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام، وهذا مستلزم لبناء البيت قبلته، وأما الآثار فصح منها أثنان: أثر علي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... ﴾ الآية. ويفهم من هذا أن أول من بناه هو إبراهيم عليه السلام لأنه استدل بوجود الأمم قبل بنائه ولازم ذلك أن يكون لهم بناء.

الأثر الثاني: أثر ابن عباس المفسر لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ... ﴾^(١٨) ويمكن أن يكون ذلك استنباطاً منه رضي الله عنه فكأن القواعد كانت موجودة فرفعها إبراهيم وإسماعيل حتى تم البناء.^(١٩)

وقد توصل العلماء المعاصرون إلى حقيقة أن الكعبة تعد مركز العالم مما يؤكد الإعجاز القرآني حيث تيسر للدكتور حسين كمال اكتشاف أن الكعبة مركز العالم فقال: فكرت في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية، أجعل فيها مكة مركزاً للإسقاط ويكون الهدف من ذلك بيان اتجاهات القبلة للصلاة على هذه الخريطة...

ومما يجدر ذكره أنني بعدما وضعت الخطوط الأولى في هذا البحث ورسمت عليها القارات الأرضية - وجدت أن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة - توزيعاً منتظماً وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركزاً للأرض اليابسة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ ﴾ (٢٠)

وقد توصل الدكتور زغلول النجار إلى أن مكة تتوسط اليابسة زمائياً - مثلما تتوسطها مكائياً؛ حيث أن خط طول مكة يتوسط الزمن بالنسبة لخطوط الطول، وحاول تفسير شعيرة الطواف حول البيت الحرام حيث يطوف المسلم سبعة أشواط بدءاً من الحجر الأسود وانتهاءً به، وهذا الطواف يتم في عكس اتجاه عقارب الساعة، وهو اتجاه الدوران الذي تتم به حركة الكون من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، فالإلكترون يدور حول نفسه، ثم يدور في مدار حول نواة الذرة في نفس اتجاه الطواف عكس عقارب الساعة.

إن المعروف لنا أن كل دقيق في الكون يدور حول ما هو أكبر منه، فالإلكترون يدور حول نفسه، والأرض تدور حول الشمس، والشمس أكبر من الأرض، والمجموعة الشمسية تدور حول مركز المجرة، والمجرة تدور حول مركز التجمع المجري، وهو أكبر بملايين المرات من المجرة، ولكن المطاف حوله واحد، هو رمز وحدانية الله،

ورمز عبودية كافة الخلق لهذا الخالق. (٢١)

فطواف المسلم حول الكعبة يسير في نفس اتجاه دوران وطواف كل عناصر الكون حول مراكزها التي تنتمي إليها، وكأننا بالمسلم وهو يطوف بالكعبة يؤكد حقيقة الطواف الكونية، فالكعبة مركز العالم مكاناً وزماناً وهي مركز المسلمين ديناً وقبله، وارتباط المسلمين بمركزهم يعني توحيدهم وتوحيداً، يوجد في الشعور، والعقل والجسد، فالوحدة الدينية هي الوحدة الكبرى التي تنظم البشر جميعاً، تتجاوز المكان والزمان والجنس واللون والوطن...

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٢)

والطواف شعيرة من شعائر الحج والعمرة، يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ

وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢٣)

ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴾ (٢٤) فالبيت مثابة للناس وأمن، والوسطية الزمانية والمكانية والتشريعية

أساس؛ لأن يكون البيت مثابة وأمناً، ومركزاً لطواف المسلمين حول الكعبة، وطوافاً أكبر للأرض حول الشمس إلى ما نهاية.

مَنْزِلَةُ مَكَّةَ وَفَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ

لا توجد مدينة على وجه الأرض أعظم قدراً، وأعلى منزلة، وأكثر فضلاً، وأسمى

قداسة - من مكة المكرمة، قبلة المسلمين في كل صلاة.

فهي بلد الله الحرام، والبلد الأمين، وبها الكعبة المشرفة، وأول بيت وضع للناس جميعاً، وإليها يحج المسلمون كل عام فرضاً وركناً من أركان الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢٥)

ومن فضل مكة على سائر البلاد أن فيها أول بيت وضع للناس، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢٦)

كما قال تعالى مقسماً بالبلد الأمين مكة المكرمة: ﴿وَهَذَا الْبَلَدَ الْأَمِينِ﴾^(٢٧) وقوله سبحانه: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٢٨) وقوله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢٩)

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام).^(٣٠)

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر - رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام".^(٣١)

وأخرج الطيالسي وأحمد والبيهقي وابن حبان عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة

في مسجدي هذا"، قيل لعطاء هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم؟ قال: لا بل في الحرم، فإن الحرم كله مسجد).^(٣٢)

وأخرج أحمد وابن ماجه عن جابر - رضي الله عنه - : " أن رسول الله ﷺ قال: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة"^(٣٣)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك، فقال: "إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسالاني فعلت" فقالا: أخبرنا يا رسول الله!

فقال الثقفى للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال: "جئتي تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك وما لك فيه، مع الإفاضة".

فقال والذي بعثك بالحق! لعن هذا جئت أسألك.

قال: "فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام؛ لا تضع ناقتك خفاً، ولا ترفعه؛ إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة.

وأما ركعتك بعد الطواف؛ كعتق رقبة من بنى إسماعيل.

وأما طوافك بالصفا والمروة؛ كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة؛ فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة يقول عبادي جاؤني شعناً من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزيد البحر؛ لغفرتها، أفيضوا عبادي! مغفوراً لكم، ولئن شفعتم له.

وأما رميك الجمار؛ فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحرك؛ فمدخور لك عند ربك.

وأما حلاقك رأسك؛ فلك بكل شعرة حلقها حسنة، وتمحى عنك بها خطيئة.

وأما طوافك بالبيت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه

بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل؛ فقد غفر لك ما مضى" (٣٤)

واخرج ابن المنذر والأزرقي عن ابن جريج قال: "بلغنا أن اليهود قالت بيت المقدس

أعظم من الكعبة؛ لأنها مهاجر الأنبياء، ولأنه في الأرض المقدسة، فقال المسلمون: بل

الكعبة أعظم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فنزلت "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً"

إلى قوله: "فيه آيات بينات مقام إبراهيم" وليس ذلك في بيت المقدس "ومن دخله كان

آمناً" وليس ذلك في بيت المقدس "ولله على الناس حج البيت" وليس ذلك لبيت

المقدس. (٣٥)

واخرج الأزرقي والجندي عن عائشة - رضي الله عنهما - قالت: "ما رأيت السماء

في موضع أقرب منها إلى الأرض من مكة. (٣٦)

وأخرج الأزرقي عن عطاء بن كثير رفعه إلى النبي ﷺ "المقام بمكة سعادة،

وخروج منها شقوة". (٣٧)

وأخرج الأزرقي والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -

"أن رسول الله ﷺ قال: "هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج

أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر

أو غنيمة" (٣٨).

وأخرج البيهقي في الشعب عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال

رسول الله ﷺ: الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد

الحرام، وصلاة الجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد

الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف رمضان فيما سواه إلا البيت الحرام".^(٣٩)

وأخرج البزار وابن خزيمة والطبراني والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة".^(٤٠)

وأخرج ابن ماجه عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة".^(٤١)

وأخرج البزار عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "قال رسول الله ﷺ: أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار، وتشد إليه الرواحل، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، وصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام".^(٤٢)

فضل مكة على سائر البلاد:

فضّل الله سبحانه وتعالى مكة المكرمة على سائر البلاد، وأنزل ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عدة فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿٤٣﴾﴾^(٤٣) فهو بمثابة الأمن لكل خائف. وليس هذا لمكان آخر في الأرض، وقد بقي هكذا منذ بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وحتى في جاهلية العرب - وفي الفترة التي انحرفوا فيها عن دين إبراهيم، وعن التوحيد الخالص الذي يمثله هذا الدين - حتى في هذه الفترة - بقيت حرمة هذا البيت سارية. وكان الرجل يقتل غريمه. ويدخل الحرم فيلقاه

ابن المقتول فلا يهيجه أو يتعرض له. ^(٤٤)

والله سبحانه وتعالى يمتن على أمة العرب بهذا بقوله: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا

ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ^(٤٥)

قال القرطبي: (قال عبدالرحمن بن زيد: هي مكة وهم قريش آمنهم الله تعالى فيها. ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً. والخطف الأخذ بسرعة... فأذكرهم الله عز وجل هذه النعمة؛ ليدعونا له بالطاعة أي جعلت لهم حرماً آمناً آمنوا فيه من السبي والغارة والقتل، وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر، فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر. فهذا تعجب من تناقض أحوالهم. ^(٤٦)

أمّا الطاهر بن عاشور فقال في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الِشْتَاءِ

وَالصَّيْفِ﴾ ^(٤٧) ومعنى الآية تذكير قريش بنعمة الله عليهم إذ يسر لهم ما لم يتأت لغيرهم من العرب من الأمن من عدوان المعتدين وغارات المغيرين في السنة كلها بما يسر لهم من بناء الكعبة وشرعة الحج، وأن جعلهم عمارة المسجد الحرام وجعل لهم مهابة وحرمة في نفوس العرب كلهم في الأشهر الحرم وفي غيرها.

وعند القبائل التي تحرم الأشهر الحرم والقبائل التي لا تحرمها مثل طيئ وقضاعة وختعم، فتيسرت لهم الأسفار في بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها، ولأذ بهم أصحاب الحاجات يسافرون معهم، وأصحاب التجارات يحملونهم سلعهم، وصارت مكة وسطاً تجلب إليها السلع من جميع البلاد العربية، فتوزع إلى طالبيها في بقية البلاد، فاستغنى أهل مكة بالتجارة، إذ لم يكونوا أهل زرع ولا زرع، إذ كانوا بواد غير ذي زرع وكانوا يجلبون أقواتهم، فيجلبون من بلاد اليمن الحبوب من برّ وشعير وذرّة وزبيب

وأديم وثياب والسيوف اليمانية، ومن بلاد الشام الحبوب والتمر والزيت والزبيب والثياب والسيوف المشرقية، زيادة على ما جعل لهم مع معظم العرب من الأشهر الحرم، وما أقيم لهم من مواسم الحج وأسواقه كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٤٨)

فاذاً هذا هو البيت الذي اختاره الله للمسلمين قبلة، هو بيت الله الذي جعل له هذه الكرامة وهو أول بيت أقيم في الأرض للعبادة، وهو بيت أبيهم إبراهيم عليه السلام. وفيه شواهد على بناء إبراهيم عليه السلام له، والإسلام هو ملة إبراهيم حنيفاً. قال تعالى: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٤٩)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (٥٠) وبيته هو أولى بيت بأن يتجه إليه المسلمون، وهو بمثابة الأمان في الأرض، وفيه هدى للناس بما أنه مثابة هذا الدين.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥١)

وأحاديث الرسول ﷺ في تفضيل مكة أكثر من أن تحصى أو تعد، من ذلك أن الرسول ﷺ عندما خرج مهاجراً إلى المدينة قال وهو مستقبل الكعبة: (اللهم إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ، وأنت أحب أرض الله إلى الله عز وجل، وإنك خير بقعة على وجه الأرض، وأحبها إلى الله تعالى، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) (٥٢)

وما على وجه الأرض بلدة وفد إليها جميع النبيين والملائكة والمرسلين أجمعين وصالحي عباد الله من أهل السموات والأرض والجن إلا مكة.

روى مسلم واللفظ له وابن ماجه وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق، فقال: "أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: "كأنني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية" ثم أتى على ثنية هرش، فقال: "أي ثنية هذه؟" قالوا: ثنية هرش، قال: "كأنني أنظر إلى يونس ابن متى عليه السلام على ناقه حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خُلبَة وهو يلبي".^(٥٣)

ومن فضلها قول النبي ﷺ: "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"^(٥٤)

وقال: ﷺ "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة في غيره".^(٥٥)

وقال الحسن البصري - رحمه الله - (صوم يوم بمكة بمائة ألف، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف).^(٥٦)

وقال أيضاً: (وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلا مكة: أولها جوف الكعبة الدعاء فيها مستجاب، والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب، والدعاء عند الحجر مستجاب، والدعاء خلف زمزم مستجاب، والدعاء عند الملتزم مستجاب، والدعاء عند باب بئر زمزم مستجاب، والدعاء على الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الركن والمقام مستجاب، والدعاء بمنى مستجاب، والدعاء بعرفات مستجاب، والدعاء في المشعر مستجاب).^(٥٧)

هذا غيض من فيض في فضائل مكة شرفها الله تعالى.

الحدود الشرعية لحرم مكة والمشاعر المقدسة

يقترن تحديد المشاعر المقدسة بالحج والعمرة، والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة قال ﷺ: "بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" ^(٥٨) وقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥٩)

ويقترن الحج بالعمرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ^(٦٠)

ويخير المسلم أن يحرم بما شاء من الأنساك الثلاثة وهي التمتع والقران والإفراد، فالتمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ويفرغ منها، ثم يحرم بالحج في عامه، والقران أن يحرم بالعمرة والحج معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل شروعه في طوافها فينوي العمرة والحج من الميقات أو قبل الشروع في طواف العمرة، ويطوف لهما ويسعى والإفراد أن يحرم بالحج فقط من الميقات، ويبقى على إحرامه حتى يؤدي أعمال الحج. ^(٦١)

وهناك حدود للحرم المكي، وحدود للمشاعر المقدسة، وأول من نصب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام، فقد نصب إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم، يريه جبريل عليه السلام - ثم لم تحرك - حتى كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجدها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فبعث أربعة من قريش فجددوها. ^(٦٢)

- وقد نصبت أعلام على حدوده في الطرق الرئيسية المؤدية إلى مكة وهي:
- ١- في طريق جدة من الغرب: الشميسي (الحديبية) وتبعد اثنين وعشرين كيلو متراً.
 - ٢- الجنوب: إضاءة لبن في طريق اليمن الآتي من تهامة، وتبعد اثني عشر كيلو متراً.
 - ٣- الشرق: ضفة وادي عرنه الغربية، وتبعد خمسة عشر كيلو متراً.
 - ٤- الشمال الشرقي: طريق الجعرانة، بالقرب من قرية شرائع المجاهدين، وتبعد ستة عشر كيلو.
 - ٥- الشمال: حرة التتعيم، ويبعد سبعة كيلوا مترات.^(٦٣)

ومواقيت الإحرام المكانية خمسة هي:

- ١- ذو الحليفة، لأهل المدينة.
 - ٢- الجحفة، لأهل الشام، ويحرم الناس اليوم من رابغ.
 - ٣- قرن المنازل، ويسمى اليوم السيل لأهل نجد.
 - ٤- يلملم، لأهل اليمن.
 - ٥- ذات عرق، لأهل العراق.
- وقد أصبحت المداخل أكثر من ذلك وهي:
- مدخل مكة من طريق الحديبية.
 - ومدخلها من طريق جدة السريع.
 - ومدخلها من طريق الليث اليمن الجديد.
 - ومدخلها من طريق اليمن القديم.
 - ومدخلها من طريق الطائف الجديد قرب عارض الحصن.
 - ومدخلها من عرفات.
 - ومدخلها من طريق نجد والعراق على ثنية خل.
 - ومدخلها من الجعرانة ريع النقواء.
 - ومدخلها من التتعيم "^(٦٤)

ومن خلال العلمية الميدانية لهذه المواقع وطرقها في القديم والحديث يحدد بعدها من جدار المسجد الحرام في الجهة التي يقع فيها طريق المدخل (أعلام الحرم)، ومقاسات بعدها بالمتر.

"ثم بعد ذلك قمت بدراسة مداخل مكة المكرمة من واقع الطرق الموجودة الآن قديمها وحديثها:

فأما عن قديم الطرق فهي كما يلي:

- ١- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة التعميم بلغت (٦,١٥٠ كلم) ستة كيلو مترات ومائة وخمسين متراً.
 - ٢- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة ثنية النقوي الموصلة للجعرانة (١٨ كلم) ثمانية عشر كيلو متراً.
 - ٣- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام منطقة ثنية خل (أو جبل المقطع) طريق الطائف نجد العراق السريع (١٢,٨٥٠ كلم) اثنا عشر كيلو متراً وثمانمائة وخمسون متراً.
 - ٤- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام عرنة طريق الطائف القديم الملغى الآن (١٥,٤٠٠ كلم) خمسة عشر كيلو متراً وأربعمائة متر.
 - ٥- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق اليمن القديم (١٧ كلم) سبعة عشر كيلو متراً.
 - ٦- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام الحديدية (الشميسي) على طريق جدة القديم (٢٠ كلم) عشرون كيلو متراً.
- وأما الطرق الحديثة لمكة المكرمة فهي:
- ٧- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق جدة الذي يخترق حنك الغراب " على يسار الذهاب إلى جدة من الطريق القديم " (٢٢ كلم) اثنان وعشرون كيلو متراً.
 - ٨- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق الليث اليمن الجديد (١٧ كلم) سبعة عشر كيلو متراً.

٩- من جدار المسجد الحرام إلى أعلام طريق الطائف - الهدى الجديد المار قرب قرن العابدية (١٥,٥ كلم) خمسة عشر كيلو متراً ونصف الكيلو متر.^(٦٥)

والمشاعر المقدسة هي:

١- منى:

وتبلغ مساحتها ٨,١٦ ثمانية كيلو مترات وستة عشر متراً مربعاً، ومساحة الوادي أربعة كيلو مترات، والباقي سفوح جبلية.

وتقع شرق وجنوب شرق المسجد الحرام.

وذكر الفاكهي أن حد منى رأس العقبة مما يلي منى إلى المنحر.^(٦٦)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "ولا يبيت أحد من الحاج إلا بمنى، ومنى ما بين العقبة، وليست العقبة من منى إلى بطن محسر، وليس بطن محسر من منى، وسواء سهل ذلك أو جبله فيما أقبل على منى، فأماً ما أدبر من الجبال فليس من منى"^(٦٧)

وجاء في قرار اللجنة التي شكلت سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين للهجرة من العلماء والمتخصصين لتحديد حدود منى ما يأتي:

١- تبين للجنة أن طول منى من جهة مكة المكرمة هو جمره العقبة. أما حدّها من جهة مزدلفة - ضفة وادي محسر مما يلي منى؛ ليكون وادي محسر فاصلاً بين منى ومزدلفة.

٢- كما تبين أن عرض منى ما بين الجبلين الكبيرين بامتدادهما من العقبة إلى وادي محسر؛ ليكون ما بينهما من الشعاب والهضاب، وما لهما من السفوح والوحدة الموالية لمنى - كلها من مشعر منى؛ وليكون كل ما أدخله وادي محسر - ابتداءً من روافده في أصل جبل تبيير، حتى يصل إلى حد منى في أصل جبلها الجنوبي بامتداد ضفته الغربية كل ذلك داخل في حدود منى".^(٦٨)

المزدلفة:

تحددت حدودها الحديثة بموجب لجنة تشكلت من العلماء المتخصصين، وقد انتهت اللجنة إلى ما يأتي:

١- ظهر أن مبتدأ حد مزدلفة مما يلي منى هو ضفة وادي محسر الشرعية؛ ليكون الوادي فاصلاً بينها وبين منى، فإذا وصل الوادي المذكور إلى جبل منى الجنوبي، وتغير اتجاهه من الجنوب إلى الشرق جاعلاً الجبل المذكور يمينه ومزدلفة يساره ثم فاض مع سفح الجبل المسمى - دقم الوبر - حيث يعتدل اتجاهه إلى الجنوب - كما كان، فظهر أن ضفة الوادي الشمالية - هي حد مزدلفة من هذه الجهة، كما ظهر أن حد مزدلفة مما يلي عرفات هو مفيض المأزمين ... وحدها من طريق ضب - ما يسامت مفيض المأزمين.

وحدها العرضي - ما بين الجبلين الكبيرين هو مزدلفة.^(٦٩)

عرفات:

حدودها كما في قول الشافعي - رحمه الله - : "وعرفة ما جاوز وادي عُرنة الذي فيه المسجد، وليس المسجد ولا وادي عرنة من عرفة إلى الجبال القابلة على عرفة كلها، مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحضن، فإذا جاوزت ذلك فليست من عرفة"^(٧٠)

وحدودها الحالية: تحددت حدود عرفة في عصرنا بموجب لجنة من العلماء

المتخصصين، فاعتمدت ما قاله الشافعي والعلماء الثقات وهي كالتالي:

- ١- من الغرب وادي عُرنة.
- ٢- من الشمال: جبل سعد، ثم وادي وصيق إلى أن يلتقي بوادي عرنة.
- ٣- من الشرق جبال عرفة المطيفة بسهل عرفات التي تمتد من جبل سعد إلى طريق الطائف القديم.
- ٤- من الجنوب الخط المستقيم الممتد بين قرن جبل نمرة النادر على بطن عُرنة إلى حوائط ابن عامر، إلى طريق الطائف القديم.^(٧١)

الأثار الشرعية المترتبة على تحديد المقصود من المسجد الحرام والمشاعر:
تتحدد الأثار المترتبة على تحدد المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وفقاً لأركان
الحج والعمرة.

فأركان الحج أربعة هي: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، والسعي بين
الصفاء والمروة.

وأركان العمرة ثلاثة هي: الإحرام، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة. فكل
ركن من هذه الأركان يصح إذا تم في حدود المكان المحدد للمناسك، ولا يصح إذا تم
قبل المكان المحدد أو بعده، ومعنى هذا أن الحج الصحيح من شروطه أن تؤدي
مناسكه في المكان المحدد لذلك.

حُرْمَةُ مَكَّة :

تسمى مكة البلد الحرام، وهي أحب البلاد إلى الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ
دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال " إن أحب البلاد إلى الله البلد
الحرام" (٧٢) . استشعر العرب في جاهليتهم مكانة البيت الحرام وحرمته فكان " الناس
يغيرون ويقتتلون حول مكة، وهي آمنة من كل ذلك، يلقي الرجل بها قاتل أبيه فلا
يهيجه ؛ لأن الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها آمناً للناس، والطير،
والوحوش، وخصص الشرع من ذلك الخمس الفواسق ... " (٧٤)

"يقتلن في الحل والحرم: الحية، و الغراب الأبقع، والفارة، والكلب العقور،
والحديا" (٧٥)

أعاد الرسول ﷺ لمكة سابق حرمتها، وكان هذا أول اهتمامه ﷺ بعد تحطيم الأوثان " في الفتح الأعظم فتح مكة، الذي أعز الله به دينه ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته من أيدي الكفار والمشركين فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال: (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقالوا: إن الله آذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب) (٧٦)

وفي رواية لمسلم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما:

(إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرّفها، ولا يختلى خلاها).

فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر؛ فإنه لقينهم، ولبيوتهم.

فقال: (إلا الإذخر) (٧٧)

هكذا تظل مكة المكرمة بحدودها وأعلامها البلد الحرام الآمن إلى يوم القيامة بإذن الله، فهي محرمة بتحريم الله جل وعلا يوم خلق الله السموات والأرض.

والتحريم شامل للقتال فيها، وقطع أشجارها التي ليس للآدميين فيها سبب الغرس، وكذلك تنفير حيوانها لإخراجه منها واصطياده (٧٨).

أما ما قيل عن تضاعف السيئات بمكة :

فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات وممن قال ذلك ابن عباس وابن مسعود وأحمد بن حنبل ومجاهد، وغيرهم، لتعظيم البلد.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن مقامه بغير مكة فقال: " مالي ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات " ^(٧٩)

فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم، ثم قيل تضعيفها كمضاعفة الحسنات بالحرم . وقيل بل كخارجة.

ومن أخذ بالعمومات لم يحكم بالمضاعفة. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى

إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ ^(٨٠)

وقال النبي ﷺ: (من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) ^(٨١) وقال بعض السلف لابنه: "يا بني إياك والمعصية فإن عصيت ولا بد، فلتكن في مواضع الفجور، لا في مواضع الأجور؛ لئلا يضاعف عليه الوزر، أو تعجل العقوبة" وحرر بعض المتأخرين النزاع في هذه المسألة فقال: القائل بالمضاعفة: أراد مضاعفة مقدارها أي غلظها لا كميتها في العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئات تتفاوت، فالسيئة في حرم الله وبلاده على بساط أكبر وأعظم منها في طرف من أطراف البلاد، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه.

ويعاقب على الهم فيها بالسيئات، وإن لم يفعلها. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ

بِظُلْمٍ نُدِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(٨٢) ولهذا عدى فعل الإرادة بالباء. ولا يقال: أردت بكذا لما

ضمنه معنى يهيم، فإنه يقال: هممت بكذا وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها.

كل ذلك تعظيماً لحرمة، وكذلك فعل الله سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل. أهلكهم قبل الوصول إلى بيته. وقال أحمد بن حنبل: "لو أن رجلاً همَّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم ثم قرأ الآية. وقال ابن مسعود: "ما من بلد يؤخذ العبد فيه بالهمَّ قبل الفعل إلا مكة وتلا هذه الآية.^(٨٣)

توسعة المسجد الحرام قبل تأسيس المملكة وبعد تأسيسها:

كانت عمارة البيت ورعاية الحجيج وأمنهم أهم شغل للملك عبد العزيز (رحمه الله) منذ دخوله مكة، والعمارة في منهج النقل والعقل تتنظم عمارة المكان تشييداً وحفظاً وتجميلاً وتنظيفاً وإمداده بما تتطلبه حاجة سكانه وزواره من ماء وشراب، وكذلك تسهيل السبل لزيارته بعد إعداده لاستقبال الزوار وتوفير أسباب المعيشة فيه.

ولكن العمارة عند الملك عبدالعزيز هي عمارة الإنسان ديناً وخلقاً والتزاماً بما أمر الله وبعدهما عما نهى عنه، ولهذا كان أول ما فعل عند دخوله مكة أن أصدر أمراً بتعيين هيئة تقوم بمهمة الأمر بمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تكون أعمالها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع منها تقره وما خالفه تزيله، وأن تمنع البذاءة اللسانية التي تعودها السوقة.

وأن تحث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة، وأن تراقب المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم بها، وحضور الناس عليها وغير ذلك من دواعي الإصلاح، وأن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة وإذا أعيها أمر من الأمور رفعت فيه إلى أولي الأمر لإجرائه.

وعين رئيساً للهيئة الشيخ عبد الله الشيبني ونائباً له السيد حسين نائب الحرم وكاتب الهيئة الشيخ عباس عبد الجبار، وأعضاء من أهل مكة ومن أهل نجد، وتعين مقر الهيئة بمدرسة السيد أحمد عيد بباب الصفا.

وفى عام ألف وثلثمائة وستة وأربعين للهجرة أصدر الأمر السامي بالمصادقة على نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. تنشأ هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بمكة وبقية الملحقات.
٢. يكون عدد أعضاء الهيئات مناسباً ويجتمعون مرتين في الأسبوع.
٣. يشترط في أعضاء هيئات الأمر بالمعروف أن يكونوا من أرباب العلم الشرعي، ومن ذوي الأخلاق الطيبة والصفات الحسنة.
٤. يعين لكل هيئة عدد من الجنود، متصفين بالتقوى وحسن المعاملة.
٥. الأمور التي تنظر فيها الهيئة:
 - تنبيه الناس إلى أوقات الصلاة وحث المتخلفين عنها بالحسنى.
 - مراقبة المحلات التي تجرى فيها أمور مخلة بالأداب والشرع.
 - دعوة الناس بالحسنى إلى ترك المعاصي والمخازي، والبدع والخرافات.
 - منع البدع في المآتم والأفراح، ومنع العوام عن السباب والشتائم.
 - الأخذ بيد الضعيف والرفق بالأرامل والعجزة، والرفق بالحيوان.
 - تقوم الهيئة بإزالة كل ما هو مجمع عليه من المنكر، وترجع فيما اختلف فيه إلى هيئة مراقبة القضاء.
 - يشدد على جنود الهيئة في عدم استعمال العنف والشدة مع أفراد الناس الذين يجلبون للهيئة.
 - تشكيل فرعين بمكة: فرع في حارة المعلا وآخر في حارة الباب.^(٨٤)

فكانت عمارة البيت وعمارة مكة عمارة للمبنى وعمارة للناس في معاشهم ودينهم. وقد حدثت عدة توسعات للمسجد الحرام:

أولاً: توسعة المسجد الحرام قبل العهد السعودي:

كانت التوسعة الأولى للمسجد الحرام في العام السابع عشر من الهجرة النبوية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد أن أفسد سيل "أم نهشل" مباني المسجد الحرام.

وكانت التوسعة الثانية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين هجرية، والتوسعة الثالثة كانت في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بعد الحريق الذي شب بالكعبة بعد حصار يزيد لمكة.

أما التوسعة الرابعة فكانت في عهد الخليفة العباسي المهدي وقد تمت على مرحلتين الأولى مئة وستون للهجرة والثانية مئة وأربعة وستون وبعد ذلك بأكثر من مائة عام تمت التوسعة الخامسة في عهد المعتضد بالله العباسي عام مئتين وواحد وثمانين للهجرة، ثم كانت التوسعة السادسة في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله عام ثلاثمائة وستة للهجرة. ^(٨٥)

ثانياً: توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي:

لم يرقم حاكم أو غيره بأي توسعة للمسجد الحرام منذ سنة ثلاثمائة وست للهجرة أي منذ عشرة قرون على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وكانت التوسعة الأولى بعد تأسيس المملكة في عهد الملك سعود عام ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين وتبعته توسعة ثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وسبعين.

ثم كانت التوسعة الثالثة في عهد الملك فيصل وقد أصبحت عمارة المسجد الحرام مئة وثلاثة وتسعين ألف متر مربع بعد أن كانت تسعة وعشرين ألفاً ومائة وسبعة

وعشرين متراً مربعاً، ثم كانت التوسعة الكبرى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث قام بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام في شهر صفر عام ألف وأربعمائة وتسعة للهجرة، وتضمنت التوسعة إضافة جزء جديد على المبنى الحالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير، بين باب العمرة وباب الملك.

وتبلغ مساحة أدوار مبنى التوسعة ستة وسبعين ألف متر مربع موزعة على الدور الأرضي، والدور الأول، والقبو والسطح، وتتسع لحوالي مئة واثنين وخمسين ألف مصلي. ويشمل المشروع تجهيز الساحات الخارجية، ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ خمسة وثمانين ألفاً وثمانمائة متر مربع تكفي لاستيعاب مائة وتسعين ألف مصلي.

وتصبح بذلك مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته، والسطح وكامل الساحات ثلاثمائة وستة وخمسين ألف متر مربع تتسع لحوالي سبعمائة وثلاثة وسبعين ألف مصلي في الأيام العادية، أما في أوقات الحج والعمرة وشهر رمضان فيزداد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصلي.

كما يضم مبنى التوسعة مدخلا رئيساً جديداً، وثمانية عشر مدخلاً عادياً، بالإضافة إلى مداخل المسجد الحرام الحالية، البالغ عددها ثلاثة مداخل رئيسية، وسبعة وعشرين مدخلاً عادياً، وقد روعي في التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو، إضافة إلى المداخل الأربعة الحالية.

ويتضمن مبنى التوسعة أيضاً مئذنتين جديدتين بارفتان تسعة وثمانين متراً، تتشابهان في تصميمهما المعماري مع المآذن البالغ عددها سبع مآذن.

ولتسهيل وصول أفواج المصلين إلى سطح التوسعة في المواسم تم إضافة مبنيين للسلاالم المتحركة:

أحدهما: في شمال مبنى التوسعة، والآخر في جنوبيه، ومساحة كل منهما ثلاثمائة وخمسة وسبعون متراً مربعاً، ويحتوى على مجموعة من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبي المدخل الرئيسي للتوسعة.

وقد صممت السلالم المتحركة بحيث تستطيع بالإضافة إلى وحدات الدرج الثابت الثماني خدمة حركة الحجاج والمصلين في أوقات الذروة، لاسيما كبار السن منهم دون عناء، وبذلك يصبح إجمالي عدد مباني السلالم المتحركة ٧ سلالم، تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة رواد الدور الأول والسطح، ويبلغ عدد الأعمدة لكل طابق بالتوسعة أربعمائة واثنين وتسعين عموداً مكسوة جميعها بالرخام.^(٨٦)

جهود المملكة في ترميم المساعر المقدسة وتطويرها

إن جهود المملكة في ترميم المساعر المقدسة وتطويرها لم تنقطع منذ تأسيس المملكة حتى وقتنا هذا. وقد نفذت المشروعات في منى، والمساعر المقدسة، والطرق الدائرية وتكلفت أكثر من سبعة مليارات ريال سعودي، وبالإضافة إلى توسعة مساجد المواقيت والمساجد الكبرى في نمره والخيف، والمسعر الحرام، ومسجد التتعيم، وميقات الجعرانة، وميقات ذي الحليفة.

وفى مشعر منى سُويّت وهُدِّبَت سفوح الجبال؛ لزيادة المساحة المنبسطة بالمنطقة الشرعية لمنى، وأضيف أكثر من مليون متر مربع من الأراضي المنبسطة؛ حتى تتسع للعدد المتزايد من الحجاج.

وتم تسوية وتهذيب مسطح عرفات وتشجيرها، وتم بناء الطرق والجسور والأنفاق التي تمتد عبر الجبال؛ لتسهيل حركة السير وتنقلات ضيوف الرحمن.

وتم بناء محطة ضخمة لتحلية مياه البحر تنتج أكثر من خمسين مليون جالون من المياه العذبة يومياً، وتصل هذه المياه عبر شبكة واسعة للمياه، وأنشئت خزانات ضخمة تغطي كل المساعر المقدسة، وأنشأ خادم الحرمين الشريفين مبرة لتوزيع المياه المبردة

على نفقته في عبوات بلاستيكية هدية لضيوف الرحمن.
وتم إنتاج الطاقة الكهربائية التي تكفي المشاعر المقدسة.
وتم إنشاء أكثر من أربعة عشر ألف وحدة من دورات المياه.

أما إنجازات مشروع منى فتتمثل في إنشاء شارع الملك عبد العزيز، وطريق الملك فهد وطريق مكة الدائري (جسر الملك فيصل)، وطريق الملك عبد العزيز، وشارع الملك خالد طريق جنوب العزيزية، وطريق المشاة، يبدأ من بداية منى من جهة مزدلفة إلى المسجد الحرام بطول حوالي سبعة كيلومترات، منها ثلاثة كيلومترات داخل منى وأربع كيلومترات هي المسافة بين جسر الجمرات والمسجد الحرام، ويرتبط بالجمرات طريق آخر للمشاة، لخدمة المنطقة الشمالية لوادي منى، وكذلك منطقة الشعيين من الشمالية ومنطقة المعيصم، ويبلغ طوله ألفين وأربعمائة متر، ويعرض ثلاثين متراً وبه ستة أنفاق، ثلاثة في كل اتجاه، وبلغت تكلفة المشروع بأنفاقه وجسوره وتظليله وإنارته ودورات المياه ثلاثة آلاف ومئة وأربعة وتسعين مليون ريال، وتسوية منى، أي تسوية وادي منى ومنطقة الشعيين بفصل مناطق التخييم عن الطرق بواسطة حواجز خرسانية بحيث ترتفع أماكن التخييم عن الطريق بثلاثين سم مع إنشاء جدران استنادية في المناطق التي بها ميول حادة، وخصصت عند الزوايا أماكن خاصة لوضع النفايات ومآخذ مياه الحريق ومياه الشرب، وتمت تسوية حوالي مليوني متر مسطح، بتكاليف تبلغ حوالي تسعين مليون ريال، وتمت تسوية مواقف المعيصم بمساحة مقدارها حوالي ربع مليون متر مسطح مع الإنارة؛ بلغت تكاليفها سبعة عشر مليون ريال سعودي، وتم ترحيل شارع الملك فيصل ابتداءً من جسر الملك خالد مروراً بالقرب من مسجد الخيف عبر السفح الجنوبي المطل على الجمرات، بهدف إبعاد المركبات والسيارات عن المنطقة المحيطة بجسر الجمرات، وإفساح هذه المنطقة للمشاة ومرور سيارات الخدمة العامة والدفاع المدني، بلغت التكاليف سبعة وعشرين مليون ريال.

كما تم إنشاء أنفاق باب الملك لتأمين الوصول السريع المباشر للحرم (المسجد الحرام) والعودة منه عن طريق أنفاق تخترق الجبال المحيطة بالحرم.

وهذه الأنفاق منها: ما هو مخصص لعبور المشاة والمركبات، ومنها المخصص للخدمات والمرور في الحالات الطارئة؛ وقد بلغت التكاليف سبعمائة مليون ريال، كما تم عمل خزان التجميع بالمعيصم يتسع لمليون متر مكعب من الماء؛ بلغت تكاليف إنشاء هذا الخزان مئتين وأربعة وستين مليون ريال، وتم أيضاً عمل خزان التجميع الثاني على شكل مستطيل بطول ثلاثمائة وخمسين متراً، وعرض مئة وخمسين متراً يستوعب ستمائة ألف متر مكعب من المياه بلغت تكاليف الخزان مئة وثلاثين مليون ريال، كما تم إنشاء أربع خزانات معدنية دائرية بسعة إجمالية مقدارها مئتين وعشرة آلاف متر مكعب وتم ربطها ببعض، بالإضافة إلى ربطها بشبكة مياه عين زبيدة، وبلغت تكاليف الخزانات مئة واثنين مليون ريال سعودي؛ كما تم إنشاء أربعة عشر ومئتي دورة مياه موزعة على جميع مناطق مشعر منى بتكلفة بلغت مئة وأربعة ملايين ريال سعودي؛ وكذلك تم تنفيذ شبكة مياه نهائية بمنى بالإضافة إلى إنشاء ستة خزانات معدنية بسعة عشرين ألف متر مكعب، بلغت تكاليف شبكة المياه حوالي خمسين مليون ريال.

وتم إنشاء المجزرة النموذجية بالمعيصم لتتم الاستفادة منها في مشروع المملكة للإفادة من لحوم الهدى والأضاحي، وتبلغ طاقة هذه المجزرة حوالي نصف مليون ذبيحة من الأغنام، بلغت تكاليف إنشائها حوالي مئة وخمسين مليون ريال، وهناك ثلاث مجازر جديدة بالمشاعر المقدسة للاستفادة منها في هذا المشروع، كما تم تحويل المجزرة البديلة اليدوية إلى مجزرة آلية لذبح الأبقار والجمال، وتبلغ طاقة هذه المجزرة عشرة آلاف رأس من الإبل والبقر، وبلغت تكاليف هذا المشروع أكثر من ثلاثة عشر مليون ريال.

وتم إنشاء شبكة كهرباء تغطي منى بأكملها، وكذلك مداخلها حيث أقيمت الأبراج الكهربائية والأعمدة، وبلغت التكاليف حوالي مائة مليون ريال.

وأنشئ مركز للتحكم الآلي والمراقبة التلفزيونية بمنطقة العزيزية لتمكين الجهات المعنية من تنظيم الحركة والتحكم فيها، ومراقبة حركة السير داخل الأنفاق تلفزيونياً، وبلغت التكاليف تسعة ملايين ريال، ولتوسيع الطرقات في منى وحول الجمرات وإيجاد مساحات كافية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من ضيوف الرحمن بلغت التكاليف مئتي مليون ريال، كما تم إنشاء شبكة صرف صحي بأقطار مختلفة، وصل طولها إلى ألف وثمانمائة كم، وتمت إقامة أحواض تنقية بلغت تكاليفها حوالي مئة وواحد وخمسين مليون ريال، وتمت توسعة جسر الجمرات.^(٨٧)

وبهذا يتأكد دور المملكة العربية السعودية في خدمة ضيوف الرحمن، وتأمين الرعاية المتكاملة لهم من مياه صحية، ودورات مياه، وكهرباء، وطرق، ومساحات للوقوف والتجمع ومخيمات للمبيت، إلى جانب الأمن والرعاية الصحية وسبل المعيشة والراحة، وهو دور عظيم تقوم به الدولة السعودية وولاة أمرها بغية نيل رضا الله والفوز بجنته.

الخاتمة :

تُخصَّصُ الخاتمة للإشارة إلى أن عظمة الكعبة وتشريفها أمر مستقر في قلوب الناس كما يدل التعبير بمدحها بقوله: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ (المائدة: ٩٧) وأنها في غاية العظمة والاحترام لقوله "الحرام" حيث جعلها الحرام عينه.

إنَّ للكعبة سرّاً عظيماً في استقامة دين الناس، فهي قبلتهم في الصلاة، ومهوى أفئدتهم للحج والعمرة، وزيارتها تزيد الإيمان، وغير ذلك من أمور محسوسة في العالم، حتى عد الأجانب مراكز الإسلام الحساسة المؤثرة ثلاثة: القرآن، والرسول، والكعبة.

وحسبنا في فضل الكعبة ما جعل الله فيها من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة، وأنه جعل المناسك لمحو الخطيئات ورفع الدرجات، وكثرة الكرامات.

إنَّ للكعبة سرّاً عظيماً في استقامة أمور الناس الدنيوية وأمنهم وانتظام معاشهم، فهي نموذج بحرمة الأمن تتوجه إليه أنظار العالم باعتبار حرمة مثل الأمن حتى للحيوان والوحش، ومهما قلدوا أمنَ الحرم فلن يجدوا له مثيلاً، وقد كان العرب يتقاتلون أشد القتال ويشنون الغارات الشعواء وتثور بينهم الثارات إلا في الحرم، فكان الرجل يلقي قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه في الحرم لا يتعرض له بشيء. كما أن الحرم أصبح بذلك مركزاً تجارياً يوفّر لسكانه حاجاتهم على اختلافها، ﴿سُجِّيَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص: ٥٧) وبكثرة المسلمين واتصال العالم أصبح الحرم الشريف يدعم اقتصاد العالم بحركة التجارة التي فيه طوال العام وخصوصاً في موسم الحج.^(٨٨)

وواجب المسلمين نحو مكة المشرفة، ذلك الواجب الذي يتمثل في حب البلد الأمين، وزيارته، والحج إليه، وعقد المؤتمرات الإسلامية به، وصونه، والحفاظ عليه، والدفاع عنه، فهو قلب الأمة الإسلامية النابض، وبه بيت الله الحرام، والكعبة الشريفة، وهو بلد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو أظهر بقعة على وجه الأرض، والقبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلواتهم، ولهذا كان رمز وحدة المسلمين، وكان أكبر موضع يغيظ أعداءهم، الأمر الذي يدعو المسلمين جميعاً إلى الإعلان في كل وقت عن مكانة مكة ومنزلتها عند كل مسلم بل عند كل المؤمنين الموحدين بالله.

وهو إعلان يستوجب اليقين بأن المساس بمكة مساس بكل مسلم، وأن الدفاع عنها فرض عين، والموت في سبيله شهادة، وأن حبه والحرص عليه وتشريفه واجب على كل الموحدين.

واختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ألفين وخمسة للميلاد دليل على مكانة مكة في قلوب المسلمين جميعاً، وتقديراً لمن يقوم على خدمتها ورعايتها، فهنيئاً للمملكة العربية السعودية هذا التشريف وهذه الريادة والسيادة.

اللهم إن هذا البلد بلدك، والحرم حرمك، والكعبة كعبتك وإليها يتجه عبادك الموحدين بك حاجين ومعتمرين، وإليها يتجهون في صلاتهم وتتعلق بها قلوبهم وأرواحهم، وتشتاق إليها النفوس والأبدان، اللهم فلا تحرمهم زيارتها، واحفظها من كل سوء، ومن كل شر وردَّ عنهما كيد الكائدين أعداء الأمة والدين، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والصلاة والسلام على رسول الأمة أجمعين.

الهوامش :

- ١ . سورة آل عمران . الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .
- ٢ . هي سوق مكة القديم ، كان بفناء دار أم هاني بنت أبي طالب التي عند الخياطين ، فدخلت في المسجد الحرام. انظر: أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٩٤ .
- ٣ . سنن الترمذي ٥/٧٢٢ ، وسنن أبين ماجة ٢/١٠٣٧ ، ومسند أحمد ٤/٣٠٥ ، وسنن الدارامي ٢/١٥٦ ، والمعرفة والتاريخ ١/٢٤٤ - ٢٤٥ .
- ٤ . سورة آل عمران آية ٩٧ .
- ٥ . رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان ، باب قوله النبي "بني الإسلام على خمس" ص٦ .
- ٦ . موقع مكتبة الصور المكية " <http://makkawi.com> .
- ٧ . ملامح من تاريخ مكة المكرمة لهاني ماجد فيروزي ، ص٥٠ ، وتاريخ مكة لأحمد السباعي ٢١/١ .
- ٨ . ملامح من تاريخ مكة المكرمة لهاني ماجد فيروزي ص٥٢ وما بعدها .
- ٩ . سورة البقرة آية ١٤٣ .
- ١٠ . سورة البقرة . آية ١٤٤ .
- ١١ . سورة آل عمران آية ٩٦ .
- ١٢ . شعب الإيمان للبيهقي ٣/٤٣٢ .
- ١٣ . الدر المنثور للسيوطي ١/١١٥ ، والمناوي في فيض القدير (حرف السين) ٦/٣ .
- ١٤ . جامع البيان للطبري ٤/٨ .
- ١٥ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٦٤ .
- ١٦ . البداية والنهاية ١/١٦٣ .
- ١٧ . المصدر نفسه ٢/٢٩٨ .
- ١٨ . سورة البقرة ، آية ١٢٧ .
- ١٩ . انظر: فضائل مكة الواردة في السنة لمحمد عبدالله الغبان ١/٤٥٦ - ٤٥٨ .
- ٢٠ . سورة الشورى آية ٧ ، وانظر بحث عن إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة لحسين كمال . مجلة البحوث الإسلامية ، المجلد الأول ، العدد الثاني لعام ١٣٩٥ هـ ص٧٣٤ . رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. (سابقاً) - الرياض المملكة العربية السعودية .
- ٢١ . الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٧ - ٩ .

٢٢. سورة الأنبياء آية ٩٢.
٢٣. سورة الحج آية ٢٩.
٢٤. سورة البقرة آية ١٢٥.
٢٥. سورة آل عمران آية ٩٧.
٢٦. سورة آل عمران آية ٩٦.
٢٧. سورة التين آية ٣.
٢٨. سورة البلد آية ١.
٢٩. سورة إبراهيم آية ٣٧.
٣٠. أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة ٥٧/٢ ،
ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ١٠١٢/١ .
٣١. أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ١٠١٣/١ ،
وابن ماجه ٤٥٠/١ رقم ١٤٠٥ ، وسنن النسائي ٣٥/٢ ، ومصنف بن أبي شيبة ٣٧١/٢ .
٣٢. أخرجه أبو داوود الطيالسي في مسنده برقم ١٣٦٧ ، ومسند الإمام أحمد ٣٤٣/٣ ، والبيهقي في
شعب الإيمان برقم ٤١٤٣ ، وصحيح ابن حبان ٧٢/٣ ، وانظر فتح الباري ٦٤/٣ .
٣٣. أخرجه ابن ماجه ٤٥٠/١ برقم ١٤٠٦ ، وأحمد في مسنده ٣٤٣/٣ ، ٣٩٧ .
٣٤. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٢٠/١ - الأحاديث الطوال - ، وفي الأوسط عن عبادة
١٦/٣ برقم ٢٣٢٠ ، وعبدالرزاق في مصنفه ١٥/٥ ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:
صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب ٩/٢ - ١٠ .
٣٥. أخبار مكة للأزرقي ٥٠/١ .
٣٦. أخبار مكة للأزرقي ٢٢/١ ، والدر المنثور للسيوطي ٢٦٧/٢ .
٣٧. أخبار مكة للأزرقي ٢٢/١ .
٣٨. أخبار مكة للأزرقي ٣/١ ، والطبراني في الأوسط ١٥/١٠ رقم ٢٩٠٢٩ والمطالب العالية ٣٣٩/٦ ،
والدر المنثور للسيوطي ٥٦٨/٢ .
٣٩. شعب الإيمان برقم ٣٦٠٨ ورقم ٤١٤٧ .
٤٠. شعب الإيمان برقم ٤١٤٤ .
٤١. سنن ابن ماجه ٤٥٣/١ برقم ١٤١٣ .
٤٢. الترغيب والترهيب للمندري ٢١٤/٢ ، ومجمع الزوائد للهيتمي ٤/٤ .

٤٣. سورة آل عمران ، آية ٩٦ .
٤٤. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطية ٢٢٥/٣ ، تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ٤٧/١ .
٤٥. سورة العنكبوت ، آية ٦٧ .
٤٦. الجامع لأحكام القرآن ، ٣٦٣/١٣ .
٤٧. سورة قريش ، آية ٢ .
٤٨. تفسير التحرير والتنوير ٥٥٩/٣٠ وما بعدها .
٤٩. سورة الحج ، آية ٧٨ .
٥٠. سورة البقرة ، آية ١٣٠ .
٥١. سورة البقرة ، آية ١٢٧ .
٥٢. أخرجه الترمذي برقم ٣٩٢٥ ، وابن ماجه برقم ٣١٠٨ والدارمي برقم ٢٥١٣ ، وأحمد في مسنده ٣٠٥/٤ ، والحاكم في مستدرکه ٢١٥/٣ ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي برقم ٣٠٨٢ .
٥٣. رواه مسلم في صحيحه ١٥٢/١ ، وابن ماجه في سننه ٩٦٥/٢ ، وأحمد في مسنده ٢١٥/١ .
٥٤. الحديث رواه البخاري في الصلاة في مسجد مكة ٦/١ والصيد ٢٦ ومسلم في الحج ٤١٥ ، ٥١١ والترمذي في الصلاة ١٢٦ والنسائي في المساجد ١٠ وابن ماجه في الإقامة ١٩٦ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٤ ، ٢٣٨ .
٥٥. صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ١٠١٣/١ ، وسنن ابن ماجه ٤٥١/١ .
٥٦. إعلام الساجد ص ١٢٦ - ١٢٨ .
٥٧. فضائل مكة للحسن البصري ، ص ٦٥ .
٥٨. رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان ، باب قوله النبي "بني الإسلام على خمس" ص ٦ .
٥٩. سورة آل عمران . الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .
٦٠. سورة البقرة آية ١٩٦ .
٦١. الملخص الفقهي ، د. صالح الفوزان. دار العاصمة للنشر. الرياض ١٤٢٣هـ .
٦٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ، دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن دهيش ٢٧٣/٢ .
٦٣. تاريخ مكة ، اعداد جماعة من العلماء ، اشراف الشيخ صفي الرحمن المبارك فوري .
٦٤. الحرم المكي والأعلام المحيطة به ، د. عبدالملك بن دهيش ، ص ٥٥ .

٦٥. المرجع السابق ص ١٦٥ وما بعدها.
٦٦. أخبار مكة للفاكهي ٤/٢٤٦.
٦٧. الأم ، تحقيق أحمد بدر الدين حسون ٥/٤٢٧.
٦٨. حاشية الشيخ محمد حسب الله على كتاب مناسك الحج للشيخ محمد الشريبي ص ٧٠.
٦٩. حدود المشاعر المقدسة ، د. عبد الملك بن دهيش ص ٧٥ - ٨٥.
٧٠. الأم ٥/٤١٥.
٧١. حدود المشاعر المقدسة ، د. عبد الملك بن دهيش ص ٧٩ ، ص ١٢٢.
٧٢. سورة آل عمران . الآيات ٩٦ ، ٩٧.
٧٣. رواه ابن أبي خيثمه . انظر التاريخ الكبير للبخاري رسالة أخبار المكيين منه ص ٩١ - ٩٢.
٧٤. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق ، ١/٣٥٢.
٧٥. صحيح مسلم ، (باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم) ٢/٥٨٦.
٧٦. صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٥/٩٤.
٧٧. صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاتها ، ١/٩٨٦.
٧٨. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد ٥٣.
٧٩. إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ١٢٨.
٨٠. سورة الأنعام من آية ١٦٠ وانظر الموسوعة الفقهية ١٧/٢٠١.
٨١. حديث " من هم بسيئة فلم يعملها ... أخرجه البخاري (فتح الباري ١١/٣٢٣) ومسلم (١/١١٨) من حديث ابن عباس.
٨٢. سورة الحج آية ٢٥.
٨٣. إعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص ١٢٨ - ١٢٩.
٨٤. مكة في ثوبها الذهبي للشريف محمد الحسني ص ٢٧ - ٣٠.
٨٥. إبهاج الحاج ، د. ناصر بن مسفر الزهراني ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥.
٨٦. عن المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين ملخصاً ، وإبهاج الحاج د. ناصر بن مسفر الزهراني ، ص ٢٦٥.
٨٧. المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين لطلال محمد نور عطار ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤.
٨٨. آيات الأحكام ، نور الدين عتر ، ص ٤٢٥.

Makkah Al-Mukarramah : The Importance of its Position, Significance of its Status and Sanctity of its Shrine

Sulaiman S. Al-Qir'awi

Department of Islamic studies, College of Education, King Faisal University
Al-Hassa, Saudi Arabia

Abstract:

For a variety of reasons, it is an imperative for Muslims to study the importance of Makkah. This is due to numerous virtues and the importance endowed on it by God. The wisdom of Almighty God has ordained that Makkah should be a Holy City and that Al-Kaba, which Muslims all over the world face in their prayer, should be built in it.

The purpose of this paper is to present a brief description of the wonders of Makkah in as far as its position and sanctity are concerned. The paper shows the significance of Makkah for all Muslims and its advantages over all other cities. The different stages of building and expanding the Holy Mosque are traced. This provides a thorough description of the relentless efforts of the Kingdom of Saudi Arabia in developing the Holy Mosque in Makkah and all the other holy sites in this city.

منافع الحج الثقافية

أحمد بن عبد العزيز الحليبي

قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

للحج منافع ثقافية قد تتخلف رؤيتها عندما يجرد الحج من معانيه فيصبح مجرد أعمال وشعائر وتنقلات مقطوعة الصلة بالإرث التاريخي للمكان والنبوة أو بالحكمة من مشروعية هذه الفريضة ؛ لكنها قد تستثمر في صياغة النفس وبناء الفكر وتكوين التصور الصحيح والإسهام في النهوض بمجتمعات المسلمين عندما تكون هذه الرؤية حاضرة في ذهن الحاج، واضحة لدى القائمين على شؤون سير الحج والإشراف عليه.

إن استثمار الحج ثقافياً في غاية الأهمية إذا ما أدركنا أن الحج أحد ركائز الشعور بوحدة الانتماء إلى الإسلام، وأحد وسائل اتصال المسلم بمهد الإسلام ومنابعه الأصيلة، وأحد طرق صياغة معالم شخصية المجتمع الإسلامي، وأحد مصادر المحافظة على هوية الأمة الإسلامية، وأحد عوامل النقل الثقافي والتواصل بين الشعوب الإسلامية والتمازج بينها.

لذا حاولت هذه الدراسة وفق منهج استقرائي وتحليلي أن تعرض أربع منافع ثقافية انطوت عليها فريضة الحج ؛ هي : منفعة العبودية لله تعالى، ومنفعة وحدة الأمة الإسلامية، ومنفعة تربية الروح وتهذيب النفس، منفعة توحيد الله تعالى؛ وذلك لتكون شاخصة لمن يريد أن يراها ، دافعة كل عجز قد يقعد عن شهودها والانتفاع بها.

مقدمة :

الحمد لله الذي فرض على المسلمين الحج ليشهدوا منافع لهم، وأصلي وأسلم على الهادي الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فإن الله سبحانه أراد أن تكون مكة المكرمة ملتقى المسلمين في كل عام، يفدون إليها وهم يعلمون أنها مكان مولد الإسلام ومصدر الهداية وموئل الأمان، وقضى أن تكون مقاما لأداء مناسك فريضة الحج التي تذكرهم بآلاء الله وتوحيده، وتربطهم بتاريخ عريق تعود جذوره إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأمر أن تكون وجهة المسلمين في صلواتهم، ورمز وحدتهم وارتباطهم أينما كانوا.

إن قدوم جموع الحجيج إلى مكة للحج في كل عام ركبانا ومشاة من كل فج عميق يعني تتابع الاستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام لما أذن في الناس بالحج امتثالاً لأمر الباري في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^(١) ومنسكا لأداء فريضة يؤديها المسلم مرة واحدة في العمر، وشعيرة يجسد بها طاعته وعبوديته التامة لله تعالى شكلا ومعنى، وهي وإن كانت لا تنال إلا بمشقة ومفارقة للأهل والوطن إلا أنها نوع من السلوك أو التدريب على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى ما تتشده من سمو وكمال.

أهداف البحث:

إن الحج قد يبدو في صورته وكأنه أداء لبعض الأركان والواجبات المقررة شرعا، أو كأنه رحلة تتقل بين مشاعر وأماكن معينة فحسب دون منفعة تشهد، أو أثر يلمس إلا أنه في حقيقته ليس كذلك؛ إذ له منافع جمة ومتنوعة يشهدها الحاج أثناء أداء نسكه وبعده؛ لذا سيقم منافع الحج مساق العلة في الآية الكريمة السابقة مما

يقتضي التأمل الدقيق والنظر في أبعادها وآثارها وأنواعها، ومن هذه المنافع منافع الحج الثقافية التي أفردت في هذا البحث لهدفين :

١. لتكون حاضرة حتى لا تتخلف رؤيتها فيجسد الحج من معانيه، ويصبح مجرد أعمال وشعائر وتنقلات مقطوعة الصلة بالإرث التاريخي للمكان والنبوة أو بالحكمة من مشروعية هذه الفريضة.
٢. لتستثمر في صياغة نفس الحاج وبناء فكره وتكوين تصوراته رغبة في النهوض بمجتمعات المسلمين ثقافيا والعمل على وحدتها فكريا وتحريرها من التصورات البالية والمفاهيم الفاسدة والرؤى المظلمة .

أهمية البحث :

إن استثمار الحج ثقافيا في غاية الأهمية إذا ما أدركنا أن الحج أحد ركائز الشعور بوحدة الانتماء إلى الإسلام، وأحد وسائل اتصال المسلم بمهد الإسلام ومنابعه الأصيلة، وأحد طرق صياغة معالم شخصية المجتمع الإسلامي، وأحد مصادر المحافظة على هوية الأمة الإسلامية، وأحد عوامل النقل الثقافي والتواصل بين الشعوب الإسلامية والتمازج بينها؛ لذا فإن من المرجح استثمار الحج وشهود منفعه الثقافية بحيث تكون هذه المنافع واضحة لدى القائمين على شؤون سير الحج والإشراف على أعماله للعناية بها، ومراعاتها في خطط الحج وبرامجه المصاحبة قدر ما يمكن.

حدود البحث ومنهجه:

اقتصر البحث على استقراء منافع الحج الثقافية في كتب التفسير والحديث والفقه والفكر الإسلامي وتحليلها للتعرف على أبرز هذه المنافع وأوضحها تأثيرا في الحاج، وأعظمها نفعا في الأمة الإسلامية بغية شهودها عمليا واستثمارها واقعيا.

لذا حاول البحث وفق منهج استقرائي وتحليلي أن يعرض أربع منافع ثقافية انطوت عليها فريضة الحج هي: منفعة العبودية لله تعالى، ومنفعة وحدة الأمة الإسلامية، ومنفعة تربية الروح وتهذيب النفس، منفعة توحيد الله تعالى؛ وذلك لتكون شاخصة لمن يريد أن يراها، مدركة لمن يريد أن يتأملها، واضحة لمن يريد الانتفاع بها، دافعة كل عاجز قد يقعد عن شهودها والانتفاع بها.

الدراسات السابقة :

قد يكون هذا البحث غير مسبوق في موضوعه باستثناء بعض المؤلفات والمقالات التي أشارت بلطف إلى أسرار الحج وحكمه وآثاره، ومن المؤلفات التي أوردت مفردة منافع في عنوانها كتاب الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري (الحج أحكامه. أسرارها ومنافعها) إلا أن هذا الكتاب تناول منافع الحج بإيجاز وإجمال في خمس صفحات دون أن يتعرض لمنافع الحج الثقافية.

وأخيرا فإن موضوع : (منافع الحج الثقافية) متجدد مع تجدد موسم الحج في كل عام، وهو جدير بالاهتمام والعناية حفاظا على ذاتية ثقافة المسلمين ووحدتهم الفكرية؛ لذا يحتاج إلى مزيد من الدراسة لاستيضاح جوانب هذه المنافع وإبراز مظاهرها، واقتراح خطط ووسائل لاستثمارها.

التمهيد : مصطلحات البحث

١. تعريف منافع :

قال الراغب الأصفهاني : (النفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير، وضده الشر)^(٢)

٢. تعريف الحج ومشروعيته :

في اللغة : القصد إلى معظم^(٣) .

في الشريعة : قصد المسلم البيت العتيق محرماً بنية الحج في زمن مخصوص لأداء الأفعال المفروضة من الطواف بالكعبة والوقوف بعرفة^(٤) .

وقد جعل الله البيت الحرام منسكاً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأمر بحجه فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) ، وبين مشاعر هذا المنسك في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾^(٦) وقال : ﴿ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ بَعْثِنَا فَإِذَا كُفِّرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكَرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾^(٧) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٨) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسَكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا^(٩) وجعل تعظيم هذه المشاعر من تقوى القلوب ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾^(١٠) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^(١١) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ فَالْيَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ^(١٢) .

ولم تكن هذه الأمة بدعا بين الأمم الأخرى في اتخاذ هذه المناسك ، وتعظيم هذه المشاعر فإن (جميع الأمم المتدينة لها محال تجتمع فيه لعبادة الله وتقريب القرب إليه ، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾^(١٣) كذلك كان للعرب منسك هو البيت الحرام بناه لهم أبوهام إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، قال

تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١) وعلى ذلك مضت سنة العرب من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - إلا أن العرب غيروا بعدهما - فأشركوا بالله الأوثان والأصنام، وجعلوها على ظهر البيت ويجواره، وعلى الصفا والمروة، وتقربوا بها إلى الله زلفى، وغيروا المشاعر، وذكروا اسم غير الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، ولما - بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جدد - شريعة إبراهيم الذي كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين ٠٠٠ فأمر بإخلاق التوحيد، وترك ما كان عليه أهل الجاهلية (١١) من تعظيم الأوثان، امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (١٤) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١٢).

٣. تعريف الثقافة :

في اللغة : مشتقة من (ثقف)، والثقف هو إقامة درء الشيء (١٣)، وتستعمل في معان كثيرة، منها: - الحدق والفتنة والفهم (١٤)، ومنها الظفر والإدراك وسرعة الأخذ والتعلم، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾ (١٥) أي إن تظفر بهم في الحرب (١٦)، ومنها التأديب والتهديب، وهو معنى مجازي، يقال : (أدبه وثقفه . ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئا. وهل تهذبت وتثقت إلا على يدك) (١٧).

في الاصطلاح : عرفها مالك بن نبي بأنها : (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته على أنها رأس ماله الأولي في الوسط الذي ولد

فيه، والثقافة على هذا المعنى - هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته^(١٨).

هذا التعريف يلحظ عليه أنه قيد عملية التثقيف بشرط الملاءمة مع مجتمع الإنسان الذي يعيش فيه، وقيمه الدينية والإنسانية^(١٩)، الأمر الذي يعني أن الثقافة تتجه إلى مجالات محددة، وتعنى بقيم معينة ونظم محددة وفكر متميز، وتتبنى منهجا شموليا يقوم على دين أو مذهب، وفي نطاق هذا الاتجاه النوعي نجد عدة تعريفات للثقافة تجعلها خاصة بكل أمة من الأمم، منها :

تعريف بعض المفكرين المسلمين بأنها : التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به أمة، وينسب إليها، ويتلقاه الفرد من ميلاده حتى وفاته^(٢٠).

منافع الحج :

فرض الله تعالى الحج ليشهد المسلمون منافع لهم، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٦﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾^(٢١) وقد اختلف المفسرون في معنى المنافع، هل هي منافع دنيوية أم أخروية ؟ فقال بعضهم : هي التجارة ومنافع الدنيا، وقال بعضهم : هي التجارة وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة^(٢٢)، وقال آخرون : بل هي العفو والمغفرة، ويرى ابن جرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال : إن معنى منافع لهم هو العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم (منافع لهم) جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم

بخبر ولا عقل؛ فدل على العموم في المنافع ^(٢٣) بل وفي غيرها من منافع الدنيا والآخرة ^(٢٤).

ثم إن مقتضى أنهم دعوا وأمروا بالحج (ليشهدوا منافع لهم) يجعل من المحال أن يكون المراد منافع الدنيا خاصة؛ لأنه لو كان كذلك كان الدعاء إلى الحج واقعا لمنافع الدنيا دون غيرها من المنافع الأخرى، وحقيقة الحال إنما وقع الحج لأداء الطواف والسعي والوقوف بعرفة والمزدلفة ونحر الهدي وسائر مناسك الحج، ويدخل فيها منافع الدنيا على وجه التبعية والرخصة دون أن تكون هي المقصودة بالحج؛ لقول الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ^(٢٥) فجعل لمن حج رخصة في التجارة ^(٢٦)، وفي هذه الرخصة ميزة للحج ينفرد بها عن سائر العبادات، فقد تجلى فيه عدم عزل الحياة الروحية الإيمانية عن بقية نواحي الحياة ومصالح الإنسان فيها ^(٢٧).

وإذا كان معنى منافع في قول الله تعالى : ﴿ وَأُذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ^(٢٨) عاما - فإن (المنافع التي يشهدها الحجيج كثير، فالحج موسم ومؤتمر، والحج موسم تجارة وموسم عبادة، والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون، وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة) ^(٢٩).

هذه المنافع على تعدد صفاتها وأنواعها متعددة في شهودها، فمنها ما يشهده الحاج بعينه، ومنها ما يشهده معناها في نفسه عندما يرى وحدة المسلمين التي تظهر في الإحرام والميقات والطواف والسعي والخروج إلى منى والوقوف بعرفات ورمي الجمرات وبقية أعمال الحج، وفي كل مرحلة من مراحل الحج وشعائره، ومنها ما سيشهدها الحاج في

آخرتة مما يدخره الله له من جزاء على أدائه لهذا الركن العظيم ، وثواب على ما يبذله فيه من جهد ومشقة أثناء القيام بأعماله ، وما يقتضي ذلك من إخلاص^(٣٠) وتوحيد لله تعالى ؛ لهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)^(٣١).

وعموما فإن الله أجمل حكمة الحج في قوله : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾^(٣٢) وذلك لتشمل كل المنافع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأدبية ، وحجاج بيت الله الحرام هم الذين يسعون إلى تحقيق هذه الحكمة وتحصيل هذه المنافع^(٣٣) أو أغلبها قدر ما يمكنهم ؛ كما أن تكرير كلمة منافع تدل على أنه سبحانه أراد (منافع خاصة بهذه العبادة دينية ودينية، لا توجد في غيرها من العبادات)^(٣٤) ، وتعني التعظيم والتكثير، ويجوز أن تعني التنوع، فهي منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد^(٣٥).

المنافع الثقافية في الحج :

كانت مكة قبل الإسلام تفوق مدن الجزيرة العربية ثقافة وحضارة ، فالقرآن سماها أم القرى ، وفي هذا إشارة إلى ميزتها بين من حولها من منازل الجزيرة وقراها ، وليس في هذا ما يدعو إلى الاستغراب ، فقد كان المكيون من قريش يضربون في مناكب الأرض بين اليمن والشام والعراق وفارس والهند ومصر والحبشة ، ويتصلون في رحلاتهم بشعوبها ، ويتأثرون بثقافتهم وحضارتهم ، وينقلون كثيرا منها ، وقد مارست قريش في جاهليتها ألوانا من الأدب ، وعرف بعضهم بالفصاحة والبلاغة والخطابة ، واتسعت أسواق مكة للتنافس بين مفكريها ، وكانت ملتقى الخطباء والشعراء والحكماء من سائر بلاد العرب إلا أن مكة رغم نضجها الثقافي كانت لا تحجر على متع الحياة ، ولا تفرض سلطانا على مستبيح لذة ، وكانت تزن قيم الأخلاق بمعايير

خاصة، فليس من السمو الإنساني في مقاييسها أن يهادن المكّي في عصبية، أو أن ينحاز إلى غير قومه مهما كان ظلمهم، أو أن ينسى تأثره مهما كان لونه، أو يسلم بقاعدة يكون الفخر فيها لغير أبيه، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في وسط معتق هذه الثقافة، ويدين بهذه المبادئ، إضافة إلى أنه كان يعتقد تعظيم الأوثان من دون الله تعالى ويصرف أنواع العبادة إليها؛ لذا لما صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته، ودعا إلى عبادة الله وحده، وألغى عصبية القبيلة، وبني القيم على معايير الحق والعدل والفضيلة، وحد من ممارسة الإباحة المطلقة، وكبح مسامرة اللذائذ والشهوات. وقضت قريش منه موقف المكابرة، وكفرت بما جاء به من الحق، وعاندته بكل ما أوتيت من فصاحة وبلاغة وسؤدد ومكانة حتى أظهره الله عليهم ونصره، ولما حج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع قرر قواعد الإسلام، وهدم قواعد الشرك، ووضع أمور الجاهلية تحت قدميه، وأبطل الربا، وحرم الحرمات من الدماء والأموال والأعراض، وفصل كثيرا من شؤون الإسلام، وأوصى أمته بالاعتصام بكتاب الله تعالى^(٣٦)، فكان مما قال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا. في شهركم هذا. في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوعة. وأول ربا أضع ربانا. ربا عباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء. إلى أن قال. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله)^(٣٧).

وشرع الإسلام الحج، وجعله سبيلا لشهود المنافع التي لم تقيد بنوع معين، ولا ناحية من النواحي، وهي بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة، ويصلح شأنهما، ومنها المنافع الثقافية؛ فطهارة النفس منفعة قيمية وسلوكية، والتشاور في رسم خطط العلم والثقافة، وفي جمع الكلمة على تركيز الدعوة، والعمل

على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة، والعمل على نسج خيوط الشخصية الإسلامية ثوبا واحدا، وملء القلوب بمبدأ المحافظة على المجتمع الإسلامي من التحلل من ثقافته وذويان أفراده في مجتمعات أخرى. كلها منافع عملية ثقافية^(٣٨).

ولا ريب أن منافع الحج الثقافية كثيرة ومتعددة تتمثل في مصالح الحج المعنوية التي خلصت لها مكة؛ فلا معنى لدى الحجاج والعمار من قصد هذا المكان المبارك إلا نيل الهداية والانتفاع بآيات الله البيّنات التي أقامها الله في واد غير زرع عند بيته المعظم، إذ (لا شيء مطلقا من مخايل الدنيا يزحم ذلك المقصد الديني، فالمكان مجذب، قاحل ممحل، ولكنه مع ذلك ممتليء بالمعنى، فياض بالرؤى، حافل بالإشراق، حين لا يجد المؤمنون فيما سواه معاني الامتلاء الروحي والري الديني الذين يسوقان قاصديه، وقد أقبلوا عليه من كل فج عميق يذرعون البراري والفلوات والمهامه، ويكابدون في سبيل الوصول إليها ألوانا من التعب، وضروبا من النصب، وقطعا من العذاب في قصة من الحب ... الذي يشتعل في مخيلة من قصدها حاجا أو معتمرا؛ وكأن قلوب هؤلاء وهؤلاء تهوي إليها من مكان علي، وقد توقدت في الأفئدة^(٣٩)، وازدادت إليه وجدا، فكان ذلك تحقيقا لقول الله تعالى في آياته البيّنات: ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٤٠).

وإذا كانت المنافع المعنوية ظاهرة في مقصد الشريعة من أعمال الحج فإن ذلك غير متناف مع ابتغاء المنفعة المادية عن طريق التجارة؛ لذا نزل القرآن الكريم ليدفع ما كان متوهما لدى الصحابة رضي الله عنهم من خلوص الحج للمنافع المعنوية لما كرهوا التجارة في موسم الحج ظنا منهم أنها تخل بإخلاص العمل لله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا

مَنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ^ط وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى^ع وَأَتَّقُوا يَأْتُوا إِلَى الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ^ع فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ^ط وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٤١﴾ .

المبحث الأول : منفعة العبودية لله تعالى :

تنال العبادة أهمية كبيرة في تثقيف المسلم؛ لأنها الغاية العظمى من خلق الناس، وحق الله عليهم، وعهده الذي أخذ مناهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٤٢)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)^(٤٣) ، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ^ط إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٤٤﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي^ع هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٤﴾ .

فما بعث الله من رسول إلا دعا أمته إلى عبادة الله تعالى وحده، واجتتاب عبادة غيره من الطواغيت والأوثان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ^ط فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ^ع فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ .

وقد ثبتت عبادة الحج بالقرآن والسنة المتواترة، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^ع وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤٦) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان)^(٤٧) وهو ما يعني أن الحج

فريضة محكمة متعينة على كل مسلم مكلف حر مستطيع، ومن تركها جاحدا لفرضيتها فقد كفر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤٨).

وتمثل فريضة الحج غاية الطاعة والاستسلام لأمر الله تعالى في جميع أعمالها (وما الطواف والوقوف والسعي والحلق والتقصير وغيرها من أعمال الحج إلا رمز استسلام المسلم لأمر الله دون نقاش)^(٤٩) هذه الرمزية تشير إلى معنى سام يهفو إليه الإسلام، ويترك آثارا نافعة في حياة المسلم وهو التجرد من شهوات النفس والهوى وحب الراحة والاستقرار والفردية في الرأي؛ فالمسلم يلبي نداء هذه العبادة من بلاد بعيدة متغلبا على مشاق السفر وشهوات النفس، وحبها للاستقرار والعيش بين الولد والقريب، ومستسلما لأحكام هذه العبادة دون أن يقصر تفكيره على مظاهرها العملية.

وتتم هذه العبادة في زمن عظيم أقسم الله به تعظيما لما يشغل به من مصالح وعبادات ومناسك، قال ابن القيم في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَآيَاتِ عَشْرِ ﴾^(٥٠) (إن الفجر في الليالي العشر زمن يتضمن أفعالا معظمة من المناسك، وأمكنة معظمة وهي محلها، وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه، فإن الحج والنسك عبودية محضة لله، وذل وخضوع لعظمته.. فالزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهل أن يقسم الرب عز وجل به)^(٥١) كما يتم الحج في أماكن مقصودة من ناحية الشرع، أمر الله تعالى أن يعظمه فيها المسلمون الذين انفردوا بها دون غيرهم من أتباع الملل، يقول ابن تيمية في هذا المعنى: (المقصود من الحج عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها؛ ولهذا كان الحج شعار الحنفية، حتى قال طائفة من السلف: حنفاء لله أي حجاجا، فإن اليهود والنصارى لا يحجون البيت. قال طائفة من السلف لما أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَسِرِينَ ﴿٥٢﴾ قالت اليهود والنصارى: نحن مسلمون ^(٥٣) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥٤).

ومن أعظم منافع الحج العبادية :

- تعظيم البيت : وهو من شعائر الله ؛ إذ حقيقة تعظيمه تعظيم لله تعالى ^(٥٥) فهو أول بيت وضعه الله في الأرض للطاعات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥٦)، وجعله قبلة لعباده، ومرجعاً يشبون إليه بعد تفرقهم عنه ^(٥٧) وهم أشد تعلقاً به، واشتياقاً إليه ، واتخذ ما حوله مكاناً للتقرب إليه بالصلاة وسائر الطاعات، وأمر من تولاه بتهيئته للطائفين والمجاورين له والساجدين في عرصاته، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ^(٥٨) وقد ربط الله الأمة بهذا البيت في صلاتهم وحجهم لما يؤدي ذلك إليه من قيام أحوالهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ذَٰلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٥٩) فلولا وجود بيت الله تعالى في الأرض، وعمارته بالحج والعمرة والعبادات الأخرى من صلاة وطواف وحج وعمرة ونسك وصدقة، وتوحدتهم في استقباله في صلاتهم واجتماعهم عنده في أداء مناسك الحج والعمرة لخرب حالهم، وتشتتوا وضاعوا بين الأمم؛ لهذا فإن من أمارات الساعة واقترابها هدم البيت بعد عمارته، وتركه بعد زيارته ^(٦٠).

- الامتثال التام لله تعالى وإظهار كمال العبودية له : ذلك أن باعث الحج يختلف عن سائر بواعث العبادات الأخرى، وصور أعماله لا حظ للنفس فيها، ولا يأنسها طبع، وقد لا يدرك العقل معانيها وحكمها قبل أدائها، فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد، وقد أبدع الغزالي عند بيانه لحقيقة الحج حين علل وضع البيت على صورة بنائه، وقصد الزوار له من كل فج عميق شعنا غربا، متواضعين لرب البيت، ومستكينين له، وخاضعين لجلاله ليكون ذلك أبلغ في رقيهم وعبوديتهم، وأتم في إذعانهم، ولا أدل على ذلك من أنه سبحانه وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدي إلى معانيها من أول مرة العقول كرمي الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار : إذ يمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية لله تعالى^(٦١) فقال: ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾^(٦٢).

- اتباع سنة إمام الحنيفية إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مواقفه بالمشاعر، وموافقته في منسكه : فقد كانت العرب وقت نزول القرآن تعلم أن الحج من شعائر إبراهيم عليه السلام، وكانوا يحجون إلى البيت ويعظمونه ؛ لهذا أمرهم الله أن يتموا الحج والعمرة لأن وجوبهما كان معروفا لديهم^(٦٣) إلا أن قريشا بدلت في مناسك الحج، وأحدثت في كلفه تقاليد معينة تبعا لأهوائها، فطافوا بالبيت عراة، ورفعوا على ظهر البيت الأصنام، وعظموها من دون الله تعالى، وترفعوا عن الوقوف مع الناس في عرفة^(٦٤) فجاء الإسلام فأعاد الحج إلى سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومناسكه، وأمر الله عباده بأن يتخذوا من مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكانا للعبادة في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... ﴾^(٦٥) وليست متابعته عليه الصلاة والسلام مقصورة على الصلاة عند المقام

فحسب بل الأمر بمتابعة هديه (عام في جميع مقاماته في الحج من الطواف وركعتيه والسعي والوقوف بالمشاعر ورمي الجمار والهدي وتوابع ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم يقول في كل مشعر من مشاعر الحج (لتأخذوا مناسككم؛ فإنني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه) ^(٦٦) تذكيرا بحال إبراهيم الخليل والمصطفين من أهل بيته) ^(٦٧) واعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ببيان مواقف إبراهيم عليه السلام، ودل أمته في هذه الحجة على المواقف التي وقف عندها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان صلى الله عليه وسلم يقف بهم على كل ما هو مأثور عن إبراهيم عليه السلام من مشاعر ومناسك بعد أن خلطت قريش بينها وبين ما هو مبتدع محدث؛ فأحيا الرسول صلى الله عليه وسلم بالوقوف على هذه المشاعر إرث إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسنته؛ لذا كان صلى الله عليه وسلم يقول: (كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم) ^(٦٨) وما ذلك إلا (رمز على ارتباط هذه الأمة بأبيها إبراهيم عليه السلام حيث تحيي شعائره، وتطوف بالبيت الذي بناه) ^(٦٩).

- تذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فإن الحاج يسير في أداء نسكه على خطوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ابتداء من السير على خطوات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي دعا ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا لتتهدأ بيئتها لدعوة الناس إلى التوحيد، فيتذكر إبراهيم وهو يسكن بأمر الله ابنه إسماعيل وزوجه هاجر في واد غير ذي زرع عند بيته المحرم، ثم وهما يرفعان قواعد البيت بعد أن دبت في مكة الحياة وأصبحت مقصد الأفتدة، ويتذكر الحاج الأحداث التاريخية العظيمة، ويقف على مسرح هذا التاريخ العطر المليء بالأحداث العظام، يشاهدها كلما قرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿١٢٦﴾ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٧١﴾، إنه كما يقول ولي الله الدهلوي : (لا شيء مثل الحج في تذكر الحالة التي كان فيها أئمة الملة - ابتداء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وانتهاء بنينا محمد صلى الله عليه وسلم - والتحضيض على الأخذ بها) (٧١).

- الاجتهاد في ذكر الله تعالى بأنواع من الأذكار وعبارات من التوحيد والتعظيم لله تعالى : فإن الحج موسم يشرع فيه ذكر الله في كل أعماله في عرفات بالتلبية والإكثار من عبارة التوحيد، وعند المشعر الحرام وبعد النفر منه، وعند ذبح الهدي، وبعد الفراغ من المناسك، قال تعالى مبينا بعض مواضعه: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٧٤﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَذَرُوا الْمُخْتَبِينَ ﴿٧٥﴾، وذلك لأنه يحصل بالذكر للقلوب اطمئنان وراحة نفسية، فهو أكمل مطلوب للعبد لأنه يوصله بباريه، ومن أعظم غايات الحج ومصالحه لأنه

- مقصود الشارع في أعماله ومشاعره، كما قال صلى الله عليه وسلم : (إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل) (٧٤).
- ملازمة تقوى الله تعالى واتباع أوامره واجتنب ما نهى عنه : فقد تكرر الأمر بتقوى الله تعالى في آيات الحج الواردة في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِمَاءٍ أَدَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٧٥﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٦﴾ .

وفي هذا الإيراد المتتابع للأمر بتقوى الله تعالى حكمة إلهية تظهر في أن الحج لما كان من مكفريات الذنوب، ومما لا يتكرر فعله جاء الإكثار فيه من الأمر بالتزام تقوى الله في كل شعيرة من شعائره ليحظى الحاج من الله تعالى بتكفير ذنوبه فيرجع من حجه مغفورا له، مع استدامة ذلك بعد الحج حتى لا يحصل تدنيس لصحائفه وجرح لشخصيته النقية من الذنب بعد أن رجع من حجه المبرور كيوم ولدته أمه، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في ختام الآيات السابقة من تأكيد على ملازمة التقوى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٧﴾ أي فليتيق الحاج ربه فلا تخدعه الأمانى ووساوس الشيطان، فيقول : سأكرر الحج حتى يغفر لي مرة أخرى فإنه لا يدري هل يتمكن مما نوى أو يتوفاه الله، وفي ذلك أخذ للنفس لما يؤدي إلى وقايتها من موجبات سخط الله وعقابه، والزامها بأوامر الله وحفظ حدوده وتصحيح الأعمال من كل مبطل لها، أو منتقص لأجرها^(٧٨).

• إظهار متكرر لشعيرة من شعائر الدين التي يتميز بها المسلمون عن غيرهم من أتباع الأديان : فإن كل أمة تتخذ لها مكانا تظهر فيه رسوم دينها وشعائرها، وقد أمر المسلمون أن يتخذوا من الحج عرضة لهم، يظهرون به شوكتهم واجتماع قوتهم وتبويه ملتهم^(٧٩) كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾^(٨٠)، ويستبين بحضور هذا المكان كثرة الداخلين في دين الله أفواجا عندما تجتمع جموع الحجيج في الطواف حول البيت وعند الوقوف في المشاعر لقضاء تفثها وتأدية مناسكها، فيتميز بهذا الموقف المؤمن من المنافق، ويستفيد كل حاج ما ليس عنده : إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والترائي والاجتماع^(٨١) .

المبحث الثاني : منفعة وحدة الأمة الإسلامية

تتجه قلوب المسلمين إلى الكعبة، وأفئدتهم إلى البيت الحرام، ونفوسهم إلى البقعة المباركة التي تلتف حولها أقطار الإسلام على بعد متناسب من كل جانب، وتتجذب إليها أفئدة المؤمنين من كل فج عميق، لم؟ إنها الكعبة البيت الحرام، ومكة البلد الأمين، ومنى مناخ الحجج الأعظم، تلك البقاع هي مهد الإسلام ومبعث قوته وشعاره، جعل الله الورود إليها فريضة محتومة على كل مسلم مستطيع، فليس للمسلم أن ينطوي على نفسه في بلده وأقليمه، ويقول : إنني لم أر في حياتي مسلما مشرقيا أو مغربيا ؛ بل يجب عليه دينا أن يرحل ليرى ويسمع ويندمج في كتلة الحجج

التي أتت من كل حذب وصوب، وأن يجتمع معهم على صعيد واحد وفي زي واحد، وأن يلبي معهم بتلبية واحدة وبصيغة ذكر واحدة، هي لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، لا شريك لك، يرددها معهم فتجاوب أصدؤها في القلوب، وتتصهر فيها النفوس حتى يعود الحجاج جميعا سبيكة واحدة في بوتقة الشعور المشترك والوجدان الموحد^(٨٢).

وإذا تأملنا الحج ومناسكه ظهرت لنا آثاره على وحدة الأمة وتماسكها والمحافظة على هويتها الثقافية، ومن أبرز آثاره :

- أن الحج مشهد من مشاهد وحدة المسلمين : يتجلى في وحدة حركة الحجاج وهم يؤدون مناسكهم إلى وجهة واحدة، (يجتمعون في وقت واحد وموضع واحد على عمل واحد، ويتصل بعضهم ببعض، ويتم بينهم التعاون والتعارف، ويكون وسيلة للسعي في التعرف على المصالح المشتركة بين المسلمين والسعي في تحصيلها بحسب القدرة والإمكان، وبذلك تتحقق الوحدة الدينية والأخوة الإيمانية، ويرتبط أقصى المسلمين بأدناهم، فيتفاهمون ويتعارفون ويتشاورون في كل ما يعود بنفعهم، ويكتسبون من الأصدقاء والأحباء أعظم المكاسب، ويستفيد بعضهم من بعض)^(٨٣) ، كما يعمل الحج على توحيد مشاعر الحجاج واتجاهاتهم، يتوجه بها كلها إلى الله وحده، فيتوحد شعور الحاج وعمله، وتمتزج حركة الحاج بعبادته، تصطبغ بها حياته كلها^(٨٤)، هذه الوجهة هي وجهة الإيمان بالله وحده.
- أن الحج تعبير معنوي عن وحدة المجتمع الإسلامي مستمد من مظهر هذه الفريضة الخارجي: إذ يتجه الحج اتجاها مباشرا إلى تقريب النفوس البشرية بعضها من بعض، وتوكيد أواصر الأخوة بينها، ودفع أسباب الخصومة في علاقاتها ؛ حتى يبدو مجتمع الإنسانية مجتمعا واحدا، وحتى تبدو النفوس البشرية كأنها نفس واحدة في تعاونها وترابطها، يعبر عن هذا المعنى مظهر الحج الخارجي تعبيراً قويا ؛

ولا أدل على قوة هذا التعبير من اجتماع حجاج بيت الله الحرام في صعيد واحد هو صعيد البيت الحرام، وفي وقت واحد هو وقت الوقوف بعرفات، وعلى نداء واحد هو لبيك اللهم لبيك .. تلك التلبية التي تلهج بها ألسنة الحجاج معبرين بها عن استجابتهم لله وطواعيتهم لندائه، كأنهم يقولون : قدمنا إلى هذا المكان، ووقفنا في هذا الوقت لنتجه إليك بقلوب واعية، يلتقي بعضها مع بعض، كما تلتقي أجسامنا على الصعيد، ويلتصق بعضها ببعض، ولنعاهدك على أن نحرص على هذا الوضع بيننا ما حيينا، ولا أدل على قوة هذا التعبير من طواف الحجاج حول الكعبة في صورة تتمحي فيها فوارق الجنس والقبيلة، وفوارق اللون والشكل، وفوارق الوطن والإقامة^(٨٥).

• أن الحج مظهر عملي للأخوة الإسلامية : لما ينشأ عنه من توحيد قلوب المسلمين ومقاصدهم وأهدافهم، ومن إحياء لمشاعر الود والتلاحم والتعاون والتراحم في نفوسهم، وإحياء لمشاعر العطف على إخوانهم المسلمين مهما نأت أوطانهم واختلفت ألسنتهم، وإحياء لمشاعر نصرة المظلوم منهم وإغاثة المنكوب والمحروم، فالحج يبني جسورا من الإخاء بين الحجاج حينما يلتقون في الموسم وقد وحد الحج مقصدهم، وتجردوا من الفردية وحب الذات، إن الإسلام حينما جعل جميع المؤمنين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم أخوة - وسع بهذا المعنى أفق الحج، فبعد أن كان الحج في ديانة إبراهيم عليه الصلاة والسلام عبادة خاصة للعرب جعله الإسلام عبادة عامة للناس أجمعين، وبعد أن كان الحج رمزا للسلم بين القبائل أصبح رمزا للسلم بين الشعوب والأمم^(٨٦).

• أن الحج من أقوى العوامل المؤثرة في توحيد المسلمين : فإن اتجاههم من أماكن مختلفة على اختلاف بلدانهم وألوانهم وألسنتهم إلى مكة لأداء هذه الفريضة في كل عام يوقظ في نفوسهم شعورا بالوحدة، ويمنحهم وهم يؤدون أعمال الحج على

صفة واحدة وفي وقت واحد إيماناً بضرورة توحيد جهودهم وصفوفهم في عمل أخوي مشترك يعود عليهم بالتمكين والعزة، وإلى هذا المعنى الثقافى يشير فيليب حتى في قوله : (نجد الحج ... أعظم القوى الموحدة للناس في الإسلام، فصيما يقوم المؤمنون - الأسود منهم والأبيض والغني منهم والفقير والرفيع منهم والوضيع من العرب والترك والفرس والهنود والسودان - بهذه العبادة بالحج فإنهم يوسعون وعيهم بوحدة الإسلام المتمثلة في الأخوة الدينية) ^(٨٧)؛ لكن هذا المعنى أو هذه المنفعة تحتاج من الأمة أن تستثمرها بما يمكنها بحيث تعمل على (أن تتغلب على الفوارق السطحية بين شعوبها، وأن توحد أو تجانس بين مناهجها التثقيفية ومبادئها التشريعية، وأن توجه رؤوسها المفكرة إلى تبادل نتائجها العلمي والأدبي، ورؤوسها المدبرة إلى تنسيق خططها السياسية والاجتماعية، وأن توجه جيوشها إلى التكتل بغرض الدفاع عن كل شبر من أراضيها) ^(٨٨).

• أن الحج مؤتمر سنوي جامع للمسلمين قاطبة يتلاقى في رحاب شعائره المسلمون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم من شتى بقاع الأرض : يلتقي فيه الكبير بالصغير والغني بالفقير، ومن لم يلتق بالآخر حول الكعبة التقى به حول زمزم أو في المسعى بين الصفا والمروة، أو في منى وعرفات ومزدلفة أو عند الجمرات ؛ فإن الله شرع التنقل إلى هذه المواضع لحكمة التعارف ؛ فإذا تعارفوا أفضى كل جنس منهم إلى الآخر بمشكلاته فيتدارسونها ليوحدوا لها الحلول، ويتحسس كل منه لآلام الآخر ليعالجوها حسياً ومعنوياً ^(٨٩)، وبذلك يشهدوا في الحج منافع معنوية تمدهم بعناصر التأخي والتآلف والنماء والوحدة، تجعلهم يتجاوزن كل أسباب الفرقة والمعاناة والألم والانحطاط، فإن الحج كما يقول قلبي: (لا يزال على كثر العصور نظاماً لا يبارى في تشييد عرى التفاهم الإسلامى، والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة في حياته على الأقل، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماع أخويًا، ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من

أطراف الأرض، وبفضل هذا النظام يتيسر للزنج والبربر والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم، أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أم صعاليك أن يتألفوا لغة وإيمانا وعقيدة، وقد أدرك الإسلام نجاحا لم يتفق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية خاصة بين أبنائه، فهو لا يعترف بفاضل بين أفراد البشر إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، ولا شك أن الاجتماع في موسم الحج أدى خدمة كبرى في هذا السبيل^(٩٠).

• أن الحج عبادة تاريخية عريقة : (جد فيها المسلمون أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل: ﴿وَلِلَّهِ أَبِيبِكُمْ إِبرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٩١) .. ويجدون فيه محورهم الذي يشدهم جميعا إليه : هذه القبلة التي يتوجهون إليها جميعا، ويلتقون عليها جميعا ... ويجدون رايتهم التي يفيئون إليها . راية العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان .. ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حيناً . قوة التجمع والتوحد والترابط الذي يضم الملايين . الملايين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايته الواحدة التي لا تتعدد .. راية العقيدة والتوحيد^(٩٢) فعراقة الحج تربط حاضر المسلمين بماضيهم التليد، وتجعل لهم جذورا وإرثا تاريخيا وحضاريا ممتدا لآلاف السنين، يصلهم برسالات الأنبياء، ويجمعهم على دعوة التوحيد التي دعا إليها جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

• أن الحج يرسخ مبدأ المساواة بين المسلمين، ويلغي كل مظاهر التمايز أو الفوارق المصطنعة : في الحج يتساوى الناس أمام الخالق ؛ فإذا كانت الثياب قد فرقت بين الناس فإن لباس الإحرام يسوي بين المؤمنين، فالإسلام يرسى مبدأ المساواة، والحج يؤكد ؛ فقد أبطل الإسلام ما كانت تراه قريشا فضلا لها على سائر العرب مستغلة تعظيم العرب للبيت العتيق بعد أن صبغت نفسها بصبغة تمتاز بها على

العرب دينيا حتى تكون لها الهيبة بينهم ؛ وبعد أن ترفعت بالوقوف بمزدلفة عن الوقوف مع غيرها على صعيد عرفات في يوم الحج، قال تعالى بعد أن ذكر بعض أعمال الحج: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾^(٩٣)، وقريش إنما فعلت ذلك لأنها وصفت نفسها بالحمس أي أبناء الحرم أو المقيمين في مكة، فقالوا فيما بينهم:

(نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاية البيت وقطان مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، وليس هناك من تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، ثم جعلوا للحمس علامة وهي ألا يعظم الأحمس شيئا من الحل، وقالوا: إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ؛ لهذا تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها ؛ لأنها خارج الحرم مع أنهم يعرفون ويقرون أنها من مشاعر الحج، وأن الوقوف بها من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويرون أن لسائر الناس أن يقفوا بها، ويفيضوا منها ؛ لأنهم لا يعظمون المشاعر كما يعظمها الحمس)^(٩٤)، ولما اتخذت القبائل العربية من موسم الحج زمنا للتفاخر بالأنساب والآباء وقف النبي صلى الله عليه وسلم يخطبهم في أواسط أيام التشريق، ويبلغهم بمبدأ الإسلام^(٩٥) : (يا أيها الناس إلا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)^(٩٦) ، وبهذا يكون الإسلام جعل من الحج تشريعا يحمي مبدأ المساواة، ويعمل على بقاء وحدة المسلمين ودوامها بصورة عملية ؛ إذ يفرض الحج على الشعوب الإسلامية نظاما من الاختلاط والامتزاج والتجاور والتزاور من شأنه أن يحد من حدة التفاوت بينها، وأن يميل بمقوماتها الاجتماعية إلى التماثل والتشابه، أو على الأقل إلى التقارب والتناسق ؛ فإن الاختلاط في الحج بين أبناء شعوب العالم الإسلامي فرصة ممهدة لاقتباس ما هو حسن جميل، وتهذيب ما هو شاذ متطرف، ويكون في

- الوقت نفسه تدريباً عملياً على التسامح والإغضاء من الفوارق الشكلية التي لا يخشى أن تحدث صدعا في كيان الجماعة العظمى^(٩٧)
- أن الحج يجمع الشعوب الإسلامية على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وبلدانهم على صعيد واحد ليؤدوا أعمال الحج ومناسكه: فهو (مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى، وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب . وتنظيم لمصالح العالم الإسلامي الواحد الكامل المتكامل مرة في كل عام . في ظل الله . بالقرب من بيت الله . وفي ظلال الطاعات البعيدة والقريبة، والذكرات الغائبة والحاضرة. في أنسب مكان، وأنسب جو، وأنسب زمان .. لذلك يقول الله : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ ﴾ كل جيل بحسب ظروفه وحاجاته وتجاربه ومقتضياته، ذلك بعض ما أراد الله بالحج يوم أن فرضه على المسلمين، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن به في الناس^(٩٨) ، ليكون على مر السنين وتجدد الأعوام منبرا يصدر عنه صوت الحق الناطق بالنور والهدى ؛ إذ لم يوجد صوت أعلى من صوته، ولا دعوة إلى التقدم بالبشرية والارتفاع بكرامة الإنسان أفضل من دعوته بعد أن جعله الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع طريقاً للتغيير والنهوض بمصالح الإنسان وبناء الحضارة^(٩٩) لما وضع أعراف أهل الجاهلية تحت قدميه الشريفتين، وألغى فخرها بالأباء والأحساب، وأبطل ما كان يتعامل به أهل الجاهلية من ربا النسب، وقرر حرمة الدماء والأموال والأعراض، وأثبت حق المرأة وكرامتها .
 - أن الحج موسم سنوي يتيح للمسلمين فرصة التلاقي والتعارف، ويحقق للمجتمع الإسلامي كثيراً من المصالح العامة فضلاً عن المصالح الفردية الخاصة : يتميز موسم الحج العظيم بصبغة جديدة هي صبغة التوحيد والاتباع، أعادت له أصالته ونقاءه، وجعلت منه موسماً عظيماً يفوق ما كان عليه في زمن الجاهلية حضوراً وتنوعاً على الرغم من كون العرب يرونه موسماً من (أكبر مواسمهم، وأعظم

أسواقهم، وأوسع منتدياتهم ومجتمعاتهم، فيه تلتقي القبائل، ويتبارى الخطباء، ويتنافس الشعراء، ويقوم الخطباء والوعاظ والحكماء^(١٠٠)؛ لذا كان من منافع الحج أن القبائل العربية استعاضوا بموسم الحج عن تلك الأسواق التي كانوا يتخذونها قبل الإسلام في أوقات معينة من السنة^(١٠١) ميادين لتلاقي الشعراء وتنافسهم في نظم القصائد وإلقاء الخطب البليغة، ومكانا يجتمعون فيه وينظرون في خصوماتهم، ومنتدى عاما يحوي كل نواحي النشاط الإنساني في الجزيرة العربية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا^(١٠٢) فقد كانت هذه الأسواق تقام بهدف تهيئة الأسباب لتبادل المنافع الثقافية والتجارية بين القبائل العربية التي تأتي من أطراف الجزيرة العربية، لما لها من أثر بعيد في التمهيد لتوحيد هذه القبائل؛ إذ كانت فرصة لتعريف العرب بالعالم الخارجي وأخباره وما فيه من متاجرة وأموال^(١٠٣).

• أن الحج منبر لتوجيه المسلمين وإرساء مبادئ الإسلام العامة وتأكيدهما: ففي أول سنة حج فيها المسلمون تحت إمرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ليعلم الناس: (أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فإن أجله أمدته إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك)^(١٠٤) فذلك هو المقصود بقول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾^(١٠٥) وفي هذا الإعلان إلغاء للمعاهدات التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، وفي السنة التالية التي حج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ألقى فيها خطبة الوداع

التي لخص فيها مبادئ الإسلام^(١٠٦) العامة بعد أن تعلم الناس أحكام صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وما يتعلق بهم من عبادات وواجبات، وكان من هذه المبادئ التأكيد على أخوة المسلمين وعصمة دمائهم وأموالهم، وإبطال ما كانت الجاهلية تفخر وتتمسك به من تقاليد العصبية والقبلية وفوارق اللغة واللون، والوصية بالنساء خيرا، مزيلا بذلك ما وقع على المرأة من ظلم في الجاهلية ومثبتا لها حقوقها وكرامتها الإنسانية، والتأكيد على أهمية ارتباط الأمة بالقرآن والسنة ورد ما يختلفون فيه إليهما لمعالجة الاختلاف في ضوء هديهما، وتوضيح طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم^(١٠٧).

المبحث الثالث : منفعة تربية الروح وتهذيب النفس

ارتبطت رسالة الإسلام بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الموضوع والمكان، فقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بهدم الشرك ونبذ الوثنية والدعوة إلى التوحيد بعد أن اندرست معالم التوحيد في مكة، وزالت مظاهر العبودية الخالصة لله تعالى حول الكعبة، وكانت مكة منطلق دعوته ورسالته إلى أهلها ثم إلى العالمين، وكان الإنسان هو المستهدف في دعوة إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وإصلاحه هو غاية دعوتهما، وبدأ هذا منذ أن رفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام قواعد البيت ليكون موئلا للتوحيد ومكانا لعبادة الله تعالى والتوبة والتطهر من الذنوب والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١٠٨) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ ﴾^(١٠٩) رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١١٠) ويستجيب

اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُبْعَثُ فِي الْعَرَبِ الْأُمِّيِّينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْهَدْيَاةَ، وَيُزَكِّيَ نَفْسَهُمْ مِنَ الرِّذَائِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٠٩).

إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس إلى الإسلام لتسلم وجوههم لله تعالى، وتستسلم لأوامره، (وقد اختلفت وسائل الإسلام في قيادة الإنسان إلى إسلام الوجه لله، وتعددت نظرا لاختلاف طبائع الإنسان وتنوعها، وما كانت العبادات في الإسلام على اختلاف ألوانها إلا وسائل لتزكية النفس وكمال الإنسان حتى يستأهل لمرضاة الله تعالى، وحتى يفلح بالقرب من الله تعالى والانتساب إلى عباده ومن هذه العبادات الحج، إنه وسيلة من أسمى وسائل قيادة الإنسان إلى الله تعالى) وأعماله تأكيد عملي على تطهير المسلم لباطنه وعزمه على الاستمرار على هذا الطهر المكتسب في هذه الرحلة فيما يستقبل من الأيام^(١١٠).

إن أعمال الحج تنطوي على دروس كثيرة تعمل على تهذيب نفس الحاج وتكوين سلوكه، منها :

- أن في الحج تهديبا للنفس وتعويدا لها على طاعة الله والاستسلام لأمره وعمل البر واجتتاب الشر بكل صورته وأشكاله : في مناسك الحج رمزية تعبر عن أسرارته وحكمه المتجددة (فما الإحرام في حقيقته وهو أول المناسك إلا التجرد من شهوات النفس والهوى وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد وبالالتزام الطاعة والامتثال، وما الطواف بعد التجرد إلا دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم الذي ترى نعمه ولا تدرك ذاته، وما السعي بعد هذا الطواف إلا التردد بين علمي الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان، وما الوقوف بعد السعي إلا بذل المهج في الضراعة

بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين، وما الرمي بعد هذه الخطوات التي تشرق بها على القلوب أنوار ربها إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر ونزغات النفس، وإلا رمز مادي لصدق العزيمة في طرد الهوى المفسد للإفراد والجماعات، وما الذبح وهو الخاتمة في درج الترقى إلى مكانة الطهر والصفاء إلا إراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة، ورمزا للتضحية والفداء على مشهد من جند الله الأطهار الأبرار، هذا هو معنى الحج في حقيقته ومعناه^(١١١).

• أن في أداء الحج تربية للنفس على الامتثال لله والوفاء بحقه : إذا كان المقصد الأول من العبادات هو الطاعة والامتثال فإن الحج أكثر العبادات اشتمالا على هذا المقصد، وأوضحها أثرا في النفس وفي حياة الإنسان، فهو شحنة روحية كبيرة يتزود بها المسلم ؛ فتملاً جوانحه خشية وتقى لله، وعزما على طاعته، وندما على معصيته، وتغذي في نفسه حب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب من عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وتترك في أعماق نفسه أثرا خيرا يجعله بعد عودته أصفى نفسا، وأطهر مسلكا، وأقوى عزيمة على البر ومواجهة للشر، وأصلب عودا أمام مغرباته، وكلما كان الحج مبرورا خالصا لله تعالى كان أثره في حياة الإنسان المستقبلية يقينا لا ريب فيه ؛ فإن هذه الشحنة الروحية المؤثرة تهز كيانه هذا، وتثبته خلقا آخر، بل تعيده كأنما ولد من جديد لا إثم عليه ولا وزر^(١١٢) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)^(١١٣).

• أن في الحج إزالة لما في النفس من بقايا نعمة العصبية للقبيلة والتفاخر بالآباء : إذا كان الإسلام ساوى بين الناس في القيمة الإنسانية، وألغى الفوارق بين الناس التي تعارفوا عليها في الجاهلية، و أخذت مكة بعد الفتح شكلا جديدا غير الشكل

الذي كان معروفا عنها بعد أن كانت مصدرا يغذي نغمة التفاني للقبيلة والتفاخر بالأباء والأخذ بالثأر، وأصبحت وقد صارت ساحة للعبادة والتوحيد والطهر - تدين بالإخاء لله والولاء فيه، وتعطي الصدارة لأصحاب التقوى ؛ فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وأضحت وقد تخلصت من أسر الوثنية وغل الإلثف والعادة - منطلقا لرقى الوعي الذاتي وضبط الفكر المتجدد، نعم أثر الفتح في عقلية البيئمة المكية فارتسمت لها أخلاق جديدة مستوحاة من القرآن الكريم، وتفتحت أمامها آفاق لا عهد لها بها مستمدة من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته، وأحدث الإسلام تغييرا أنسى أهل مكة نخوتهم الجاهلية وعصبيتهم للقبيلة فلم يجدوا مجالا من العادات والأوضاع الاجتماعية والعقائد إلا ما استمد من الدين وأقره، واصبغ بلونه وانسجم مع مقاصده وقواعد^(١١٤) وساهم الحج بعد أن أصبحت مقصدا للمسلمين من كل مكان لأداء الحج في موسمه وأداء العمرة في جميع أيام العام في تدوير ما تبقى في النفس من عصبية للقبيلة أو العرق أو من شعور بامتياز على الآخر، يقول الإمام محمد عبده في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿١١٥﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾ : (بعد ما تبين لكم ما تقدم ... من أعمال الحج، وأنه ليس فيها امتياز أحد على أحد، ولا قبيل على قبيل، وعلمتم أن المساواة وترك التفاخر من مقاصد هذه العبادة بقي شيء آخر وهو أن تلك العادة المميزة لا وجه لها فعليكم أن تفيضوا مع الناس من مكان واحد)^(١١٦).

- إن في الحج تدريباً للمسلم على استشعار معنى الأمن : فهو رحلة إلى البلد الأمين الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وجعله بلدا حراما ؛ إذ (حكم الله على مكة أن لا يقاتل أهلها، ويؤمن من استجار بها، ولا يتعرض له)^(١١٧) قال صلى الله عليه

وسلم : (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة . فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له : إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب) ^(١١٨) وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم (قال يوم افتتح مكة : لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها، ولا يختلى خلاها) ^(١١٩) ، وإذا كانت حرمة مكة مستديمة للمحل والمحرم فإن الله جعل فترة الإحرام بالنسك زمنا للتدريب على حرمة المكان ؛ لذا حرم الله على قاصده أن يصطاد ما دام محرما إلى أن يخرج من النسك والحرم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ... ﴾ ^(١٢٠) وقال تعالى: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ ﴾ ^(١٢١) .

- إن في الحج تعويذا للمسلم على التزام الأخلاق الفاضلة والتحلي بالأداب الكريمة : إن الحاج قد يحسب هذا السفر رحلة مجردة عن المعاني الأخلاقية، أو يظنه من الطقوس المبهمة التي تربط الإنسان بأحكام غامضة فإذا تدبر قول الله تعالى عن هذه الفريضة : ﴿ الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيَنَّكُمْ أَلْبَابُ الْحَجِّ ۗ ﴾ ^(١٢٢) أدرك ما تنطوي عليه من حكم مشهودة ومعان

عميقة ، واستبان منها متانة الأواصر التي تربط هذه الفريضة في جوهرها ومظهرها وغاياتها بالخلق بحيث يدرك أن الحج أحد روافد التطهر من الرذائل الذي يصون الحياة ويعلي شأنها^(١٢٣).

- إن في الحج تربية للضمير : يفيض الحج بالمعاني التي تعنى بالوجدان وتمد الضمير بالحياة، هذه المعاني يجدها الحاج متمثلة في كثير من مشاعر الحج ومناسكه، منذ أن يفرض المسلم الحج على نفسه في أشهره إلى أن يقضي مناسكه، فهو يجد في كل شعيرة من شعائر الحج ما يحمله على مراقبة الله تعالى، ويجد من نفسه اللوامة حكماً أو قاضياً في كثير مما يقوم به في الحج من أعمال ؛ إذ يستحضر علم الله تعالى وإحاطته بما يؤديه ويفعله، يتبين هذا من التفات السياق القرآني إلى هذه الناحية التفاتة رائعة في أعقاب دخول الحاج في النُّسك، يقول الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾^(١٢٤)، فكل خير، وكل قرية، وكل عبادة يؤديها الحاج الله بها عليم، وعليه يجازي، وبه يرفع المؤمن الحاج عنده درجات، ولا ريب أن التزام هذا الحال طريق تحلية النفس وتزكيتها وتطهيرها بعد تخليتها من الرفث و الفسوق والجدال، والإقبال على الله تعالى بهذه الهيئة النفسية النظيفة، وهذه الصورة المشرقة الوضيئة، والتقلب في هذه المناسك والرياض في حال من المتابعة والتقوى - يمحو من النفوس آثار الذنوب وظلمتها، ويدخلها في حياة جديدة لها فيها ما كسبت وعليها ما اكتسبت^(١٢٥)

المبحث الرابع : منفعة توحيد الله تعالى

يعد الحج صورة حية صادقة لصلة البشرية بباريها، وذكرى متجددة لصلتها بهداية الله إياها، فالحج يذكر بأول بيت وضع لعبادة الله وتوحيده وهداية البشرية؛ فهو أول بيت أقيم لعبادة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ^ط وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ^ط وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ^ط وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ والبيت يذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية، رسالة الهدى وتوضيح الحق، تلك الرسالة التي جاء بها إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام عدو الشرك ومحطم الأوثان داعية إلى التوحيد الخالص، وأكدتها رسالة محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ^ط اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ^ط وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ^ط وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (لا عجب أن يكون بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين المؤمنين من هذه الأمة روابط روحية لا تضعف منها مسافة الزمن الطويل، روابط تجعلهم دائماً ذاكرين لهذا الأب الجليل منقبتة) (١٢٨) ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٩).

في ظل هذا الارتباط القائم على إظهار التوحيد فرض الحج للتذكير بموطن التوحيد والدعوة إليه، وجعلت أعمال وتعظيم شعائره من تقوى القلوب؛ لما فيها من إحياء لهذه الذكرى التي يستلهم منها الحاج منفعة توحيد الله تعالى إلى جانب المنافع

الأخرى (١٣٠) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبَةَ اللَّهِ فإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٦٦﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٣١﴾.

لم يكن الحج إلى الكعبة المشرفة قبل الإسلام قاصرا على أهل مكة أو الحجاز، فقد كان البيت معظما ومقصودا من كل القبائل العربية حتى النصارى واليهود والصابئة كانوا يقصدون مكة في موسم الحج من أجل الانتفاع منه، فمن الناس من يأتي للتجارة، ومنهم من يأتي للدعوة إلى دين أو رأي، ومنهم من يأتي لحضور الأسواق في ظل أمان الأشهر الحرم إلا أن غالب القبائل العربية كانت تأتي إلى مكة لزيارة الكعبة وأداء النسك، واستمرت الحال على ذلك إلى أن حرم الله تعالى في السنة التاسعة على المشركين منهم حج البيت، وذلك بعد فتح مكة وزوال كل مظاهر الشرك وانتفاء ممارسة طقوسه (١٣٢).

أصبحت مكة بعد الفتح ومنع المشركين من الحج دار توحيد وإيمان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (١٣٣)، وتأملت لأن تكون مقصدا للمسلمين؛ فصار بيت الله بعد الفتح (أحق ما يحج إليه ٠٠ فيه آيات بينات، بناه إبراهيم صلوات الله عليه المشهود له بالخير على السنة أكثر الأمم بأمر الله ووحيه بعد أن كانت الأرض قفرا وعرا؛ إذ ليس غيره محجوج إلا وفيه إشراك أو اختراع ما لا أصل له) (١٣٤).

وإذا تأملنا أعمال الحج ومناسكه فإنه تظهر لنا جملة من المناضج العقديّة، منها ما يلي:

- أن الحج شرع ليمارس المسلم توحيد الله تعالى وتعظيمه عمليا: بعد أن تطهر البيت من الأوثان، وعمقت معاني العبودية الخالصة لله تعالى، وبعد أن أدرك المسلم أن تعظيم البيت وما حوله من مقامات ومشاعر تعظيم لله الذي جعل الكعبة قبلة

للراكع والساجد، ومكانا لعبادته بالطواف، وجعل السعي بين الصفا والمروة من شعائر إجلاله وتقديسه، وجعل الوقوف بعرفة والمشعر الحرام والمبيت بمنى ورمي الجمرات ونحر الهدايا في زمن الحج من أعظم ما يتقرب به إليه (وقد اختار الله أموراً ظاهرة محسوسة اختصت به، ونسبت إليه، وتجلت عليها رحمته، وحفتها عنايته بحيث إذا رؤيت ذكر الله، وارتبطت بها وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله ودينه وتوحيده وحسن بلاء أنبيائه، وسماها شعائر الله التي جعل تعظيمها تعظيمه، والتفريط في جنبها تفريطاً في جنبه، وسمح أن يقضوا بها حينئذ الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في الدنو...، بل حث على ذلك ودعا إليه ^(١٣٥) فقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ﴿٣٦﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ^(١٣٦).

• أن الحج عودة إلى التوحيد الخالص: دعا إليه إبراهيم عليه السلام، ورفع من أجله قواعد البيت، ونشأت من حوله مكة حتى أصبحت مثابة للناس وأمنا بعد أن تلوث هذا المكان بالشرك ورسوم الوثنية وعادات الجاهلية، إن الحج إشادة بعقيدة ارتباط الإنسان بالإله الواحد الخالق التي نشرها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام حيث رفعا قواعد البيت تذكيراً بذلك، فدبت على إثره الحياة في وادي مكة الأجرد الذي أصبح بفضل استجابة الله لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام مأوى أفئدة الموحدين ومرتع الفقراء والمساكين ومأوى القاصدين تجبى إليه ثمرات من حوله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(١٣٧)، وقال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٣٨﴾ .

- أن الكعبة بيت الله أسس من أول يوم على التوحيد، وتعظيم حرمان الله : فقد (أمر الله خليله عليه السلام بإقامته على التوحيد، وتطهيره من الشرك، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج إليه . ليذكروا اسم الله لا أسماء الآلهة المدعاة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، ويأكلوا منها ويطعموا البائس الفقير على اسم الله دون سواه .. فهو بيت حرام، حرمان الله فيه مصونة وأولها عقيدة التوحيد، إلى جانب حرمة الدماء وحرمة العهود والمواثيق وحرمة الهدنة والسلام) (١٣٩) ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّي ﴾ (١٤٠).

- أن الحج عرضة سنوية للملة : يرجع إليها الفضل في نقائها وأصالتها، وفي بقاء هذا الدين بعيدا عن التحريف والغموض والالتباس، وفي بقاء هذه الأمة متصلة بأصلها، محفوظة من المغالطات التي وقعت أمم كثيرة فيها، فبسبب الحج بقيت الأمة الإسلامية محتفظة بطبيعتها الإبراهيمية سائرة على منهج الحنيفية السمحة، يورثه جيلا بعد جيل، فكأنه القلب الحي الفياض الذي يوزع الدم إلى عروق الجسم وشرايينه، في موسمه تستعرض هذه الأمة مجموعها في صعيد واحد ، فينفي بذلك علماءها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وخرافة الجاهلين، ويردونها إلى الأصل الإبراهيمي وإلى شرعة محمد صلى الله عليه وسلم (١٤١)، ويرجع الحجاج إلى بلادهم مجددين ما اندرس من الدين أو تغير من معالمة ومآثره ؛ فيعود بذلك الإسلام إلى ما أمكن من النقاء والصفاء بقدر انتفاع الحجاج منه والاستفادة من دروسه .

الخاتمة :

يعد الحج الإنسان المسلم بمنافع كثيرة ومتجددة ؛ فإنه ما يكاد أن ينتهي موسمه حتى يتجدد موسم آخر، ففي كل عام يبعث الحج هذه المنافع، ويوقظها في نفس الحاج، وحتما أن شهود هذه المنافع لا يمكن أن يكون ظرفيا ينتهي بانتهاء الموسم؛ ولا مؤقتا يستشعر أثناء أداء هذه الفريضة، لا يستصحبه الحاج إلى ما بعد زمنه.

لقد خاطب الله تعالى حجاج بيته الحرام بأن يبقوا متذكرين ما شهدوه في مشاعر الحج من منافع، ومنها ذكر الله تعالى بحيث يكونون لله تعالى أشد ذكرا من ذكر أهل الجاهلية لأبائهم ؛ إذ كان من شأنهم أنهم إذا فرغوا من مناسك الحج عادوا إلى ما كانوا قد ألفوه من الفخر بالأباء والأحساب دون أن يظهر للحج أثر على سلوكهم وفي حياتهم وعلاقاتهم بغيرهم ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾^(١٤٢) لذا فإنهم بهذا الصنيع لم ينتفعوا من الحج، ولم يستفيدوا من مناسكه بحيث يظهر أثرها على نفوسهم وسلوكهم وفي حياتهم أشد ما يكون .

وكي تُستثمر منافع الحج بما يعود بالمصلحة على الحاج والمجتمعات الإسلامية فإن البحث يوصي بما يلي :

١. إعداد الدراسات النظرية والعملية اللازمة للتعرف على المجدي والممكن استثماره من المنافع في موسم الحج في ظل الإمكانيات المتوافرة والمتاحة بحيث تكون درجة الاستثمار أقصى ما يمكن .
٢. الاهتمام بالجوانب الثقافية في مخاطبة المسلمين والحجاج بصفة خاصة نظرا لكون موسم الحج من أفضل المواسم في التأثير الثقافى، والحاج فيه أكثر استعدادا منه

- في غيره إذ يتحقق له اللقاء مع جميع فئات المجتمعات الإسلامية على صعيد واحد وهم مهياؤن إيمانيا ، متحدون في وجهتهم ، مقبلون على الله ، ممتثلون لأوامره .
٣. الإشادة بالبرامج التي تعدها الجهات الحكومية في كل عام بغية توعية الحاج علميا وثقافيا ؛ إلا أن تصور عظم منافع الحج وسوقها في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿ مساق العلة يقتضي العمل بصفة دائمة ومتطورة وبنظرة شمولية لاستثمار منافع هذه الفريضة بكل أبعادها والانتفاع بها قدر ما يمكن.
٤. العمل على دراسة منافع الحج الثقافية من قبل المتخصصين فقهاء ومفكرين وتربويين وإعلاميين على مستوى دول العالم الإسلامي بغية وضع خطوات عملية تجعل من موسم الحج منبرا أو ناديا ثقافيا لتلاقح الفكر وبناء المفاهيم الإسلامية بطريقة عملية وشاملة .
٥. استثمار موسم الحج في كل عام لمراجعة مسيرة الفكر في العالم الإسلامي وتقويمها بما يؤدي إلى ترابط شعوب العالم الإسلامي بعضها ببعض وتقاربها وتمازجها ثقافيا ، والتعرف على الدخيل في المجتمعات الإسلامية من الآراء والتصورات والمناهج الفكرية واتخاذ الأساليب المجدية والمواقف العملية لمواجهة الضار منها والحد من آثاره السلبية .

الهوامش :

١. سورة الحج / ٢٧ .
٢. المفردات في غريب القرآن / ٥٠٢ .
٣. ابن منظور ، لسان العرب ٧٧٨/٢ .
٤. الروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٥٠٠/٣ عتر ، نور الدين ، الحج والعمرة / ١١ .
٥. سورة آل عمران / ٩٧ .
٦. سورة البقرة / ١٥٨ .
٧. سورة البقرة / ١٩٨ - ١٩٩ .
٨. سورة الحج / ٣١ - ٣٤ .
٩. سورة الحج / ٦٧ .
١٠. سورة البقرة / ١٢٧ - ١٢٨ .
١١. الخضري بك ، محمد ، تاريخ التشريع / ٤٨ - ٥٠ .
١٢. سورة الحج / ٣٠ - ٣١ .
١٣. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة / ٣٩٥/١ .
١٤. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس / ١٢٥/٣ .
١٥. سورة الأنفال / ٥٧ .
١٦. الزمخشري ، أساس البلاغة / ٤٦ .
١٧. المرجع نفسه / ٤٦ .
١٨. نبي ، مالك ، شروط النهضة ، ترجمة عبد الصبور شاهين / ٨٣ .
١٩. صليبيبا ، جميل ، المعجم الفلسفي / ٣٧٨/١ .
٢٠. السالوس وآخرون ، علي ، دراسات في الثقافة الإسلامية / ٨ .
٢١. سورة الحج / ٢٧ .
٢٢. الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن / ١٧ / ١٤٦ .
٢٣. المرجع نفسه / ١٧ / ١٤٧ .
٢٤. الجصاص ، عماد الدين بن محمد ، أحكام القرآن / ١ / ٣٨٦ .
٢٥. سورة البقرة / ١٩٧ .
٢٦. الجصاص ، عماد الدين بن محمد ، أحكام القرآن / ٥ / ٦٦ .
٢٧. المبارك ، محمد ، نحو إنسانية سعيدة / ٢٠٣ .

- ٢٨ . سورة الحج / ٢٧ .
- ٢٩ . قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ٢٤١٨/٤ .
- ٣٠ . النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن ، رسالة في فقه الحج والعمرة / ٨٧ .
- ٣١ . متفق عليه : البخاري في كتاب الحج ، باب العمرة ١٩٨/٢ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويومعرفة ٩٨٣/٢ .
- ٣٢ . سورة الحج / ٢٧ .
- ٣٣ . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد ، الحج أحكامه - أسرارها - منافعها / ٥٢ .
- ٣٤ . الرازي ، محمد فخر الدين ، التفسير الكبير ٣٠/١٢ .
- ٣٥ . الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٧ / ١٤٥ .
- ٣٦ . السباعي ، أحمد ، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع وال عمران ١ / ٥١ - ٧٥ .
- ٣٧ . رواه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٨٩٠/٢ .
- ٣٨ . شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشرعية / ١٣٢ .
- ٣٩ . بافقيه ، حسين محمد ، مقالة مكة التي نعرفها ومكة التي لا نعرفها ، مجلة القافلة ، عدد يناير - فبراير ٢٠٠٥م / ٨٩ .
- ٤٠ . سورة إبراهيم / ٣٧ .
- ٤١ . سورة البقرة / ١٩٧ - ١٩٨ .
- ٤٢ . سورة الذاريات / ٥٦ .
- ٤٣ . متفق عليه : البخاري في كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى التوحيد ١٦٣/٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً / ٥٩ .
- ٤٤ . سورة يس / ٦٠ - ٦١ .
- ٤٥ . سورة النحل / ٣٦ .
- ٤٦ . سورة آل عمران / ٩٧ .
- ٤٧ . رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه ٤٥/١ .
- ٤٨ . سورة آل عمران / ٩٧ .
- ٤٩ . حوى ، سعيد ، الإسلام / ١٧٦/١ .
- ٥٠ . الفجر / ٢-١ .
- ٥١ . ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن / ١٩ .
- ٥٢ . سورة آل عمران / ٨٥ .

٥٣. ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم /٤٤٩ .
٥٤. سورة آل عمران / ٩٧ .
٥٥. الدهلوي ، ولي الله بن عبد الرحيم ، حجة الله البالغة ٥٦/٢ .
٥٦. سورة آل عمران / ٩٦ .
٥٧. المكّي ، أحمد بن محمد ، تحقيق غلام مصطفى ، أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام /٤٠ .
٥٨. سورة البقرة / ١٢٥ .
٥٩. سورة المائدة / ٩٧ .
٦٠. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة / ٢١ .
٦١. الغزالي ، محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ٢٧٣/١ .
٦٢. سورة البقرة / ١٩٦ .
٦٣. الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد ، الحج أحكامه - أسرارها - منافعه /٤٢-٤٣ .
٦٤. شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة / ١١٤ .
٦٥. سورة البقرة / ١٢٥ .
٦٦. رواه مسلم في كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ٩٤٣/٢ .
٦٧. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة / ٢٢ .
٦٨. رواه الترمذي في الحج ، باب ما جاء في الوقوف بعرفات ، وقال : حديث حسن صحيح ٢٢١/٣ .
٦٩. حوى ، سعيد ، الإسلام / ١٧٦ .
٧٠. سورة إبراهيم / ٣٥-٣٧ .
٧١. الدهلوي ، ولي الله بن عبد الرحيم ، حجة الله البالغة / ١٧٦ .
٧٢. سورة البقرة / ١٩٨ - ٢٠٠ .
٧٣. سورة الحج / ٣٤ .
٧٤. رواه أحمد ٦٤/٦ ، قال الشوكاني في نيل الأوطار ١٢١/٥ : حديث حسن صحيح .
٧٥. سورة البقرة / ١٩٧-١٩٦ .
٧٦. سورة البقرة / ٢٠٣ .
٧٧. سورة البقرة / ٢٠٣ .
٧٨. الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد ، الحج أحكامه - أسرارها - منافعه / ٦٢ .
٧٩. الدهلوي ، ولي الله بن عبد الرحيم ، حجة الله البالغة ٥٦/٢ .
٨٠. سورة البقرة / ١٢٥ .

٨١. الدهلوي ، ولي الله بن عبد الرحيم ، حجة الله البالغة ٧٦/١ .
٨٢. دراز ، محمد عبد الله ، نظرات في الإسلام ٥٥ .
٨٣. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة ٢٣/ .
٨٤. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ٢٤٢٣/٤ .
٨٥. البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم / ٤٦
٨٦. المبارك ، محمد ، نحو إنسانية سعيدة / ٢٠٢ .
٨٧. ترجمة فروخ ، عمر ، الإسلام منهج حياة / ٩١ .
٨٨. دراز ، محمد عبد الله ، نظرات في الإسلام ٥٤ .
٨٩. الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد ، الحج أحكامه - أسرارها - منافعه / ٥٣ .
٩٠. نقلًا من المرجع السابق / ٥٦ .
٩١. سورة الحج / ٧٨ .
٩٢. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ٢٤٢٠/٤ .
٩٣. سورة البقرة / ١٩٩ .
٩٤. ابن هشام ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم / ٢١٦/١ .
٩٥. القرضاوي يوسف ، العبادة في الإسلام / ٢٧٤ .
٩٦. رواه أحمد ٤١١/٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٦/٣ : رجال أحمد رجال الصحيح .
٩٧. دراز ، محمد عبد الله ، نظرات في الإسلام / ٦١ .
٩٨. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ٢٤٢٠/٤
٩٩. عبد المتجلي ، محمد رجاء ، مقالة : الحج وحدة ورحلة ومؤتمر عام كبير ، مجلة الأمن العدد / ٦٠ ، ذو الحجة ١٤٢٥ هـ / ٦٦ .
١٠٠. المبارك ، محمد ، نحو إنسانية سعيدة / ١٩٩ .
١٠١. مثل سوق عكاظ الذي كان يتعقد بين مكة والطائف من أول شهر ذي القعدة إلى العشرين منه ، وسوق ذي المجاز الذي كان يتعقد بالقرب من سوق عكاظ ويستمر في انعقاده إلى نهاية ذي الحجة . انظر عوض الله ، السيد أحمد أبو الفضل ، مكة في عصر ما قبل الإسلام / ١٨٣ .
١٠٢. عوض الله ، السيد أحمد أبو الفضل ، مكة في عصر ما قبل الإسلام / ١٨٢ .
١٠٣. الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب / ٢٠٤ .
١٠٤. رواه أحمد ٢٩٩/٢ ، قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٣١٨/٨ : حديث حسن .
١٠٥. سورة التوبة / ٣ .
١٠٦. القرضاوي يوسف ، العبادة في الإسلام / ٢٧٨ .

١٠٧. البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة / ٤٤٧.٤٤٤
١٠٨. سورة البقرة / ١٢٩.١٢٧ .
١٠٩. سورة الجمعة / ٢ .
١١٠. محمود ، عبد الحلیم ، العبادة ، أحكام وأسرار / ١٧٩/٢ - ١٨٠ .
١١١. شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة / ١٢٨ - ١٢٩ .
١١٢. القرضاوي يوسف ، العبادة في الإسلام / ٢٦٨-٢٧٠ .
١١٣. رواه البخاري في الحج ، باب ٤ ، ١٤١/٢ .
١١٤. السباعي ، أحمد ، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران / ١ - ٧٧ .
١١٥. سورة البقرة / ١٩٨ - ١٩٩ .
١١٦. رضا ، رشيد ، تفسير المنار ٢/ ٢٣٤ .
١١٧. ابن حجر ، أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ٤/ ٤٣ .
١١٨. رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد ، باب لا يعضد شجر الحرم ٢/ ٢١٣ .
١١٩. رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد ، باب لا يحل القتال بمكة ٢/ ٢١٤ .
١٢٠. سورة المائدة / ٩٥ .
١٢١. سورة المائدة / ٩٦ .
١٢٢. سورة البقرة / ١٩٧ .
١٢٣. الغزالي ، محمد ، خلق المسلم / ٧ - ٩ .
١٢٤. البقرة: ١٩٧
١٢٥. ضميرة ، عثمان جمعة ، مجلة البيان عدد ١٩ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ ، مقالة : الحج وأثره في تربية الضمير / ٤٩ .
١٢٦. سورة آل عمران / ٩٦ - ٩٧ .
١٢٧. سورة النحل / ١٢٠-١٢٣ .
١٢٨. القرضاوي يوسف ، العبادة في الإسلام / ٢٦١ .
١٢٩. سورة آل عمران / ٦٧ .
١٣٠. البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم / ٤٥-٤٦ .
١٣١. سورة الحج / ٣٢ - ٣٣ .
١٣٢. العمادي ، محمد حسن عبد الكريم ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن ٤هـ / ٥٩ .

- ١٣٣ . سورة التوبة / ٢٨ .
- ١٣٤ . الدهلوي ، ولي الله بن عبد الرحيم ، حجة الله البالغة / ١ / ٧٥ .
- ١٣٥ . الندوي الحسني ، أبو الحسن علي ، الأركان الأربعة / ٢٣٨ .
- ١٣٦ . سورة الحج / ٣٢-٣٣ .
- ١٣٧ . سورة البقرة / ١٢٦ .
- ١٣٨ . سورة إبراهيم / ٣٧ .
- ١٣٩ . قطب ، سيد ، في ظلال القرآن / ٤ / ٢٤٢٠ .
- ١٤٠ . سورة الحج / ٢٩ .
- ١٤١ . الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، الأركان الأربعة / ٢٦٠ .
- ١٤٢ . سورة البقرة / ٢٠٠ .

المراجع :

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض.
٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقیم مخالفة أصحاب الجحيم، دار الفكر ببيروت .
٣. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، نشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض .
٤. ابن حنبل، أحمد، المسند، دار صادر .
٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية بإيران .
٦. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، نشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض .
٧. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة ببيروت .
٨. الأفغاني، سعيد، أسواق العرب، طبعة عام ١٩٧٤م، دار الفكر ببيروت .
٩. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث ببيروت .
١٠. البخاري الجعفي، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، المكتبة الإسلامية باستانبول .
١١. البهوتي، منصور، الروض المربع شرح زاد المستقنع مع حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ .
١٢. البهي، محمد، الإسلام في حياة المسلم، الطبعة الثانية عام ١٣٩٣هـ، مكتبة وهبة بمصر .
١٣. البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، الطبعة الثامنة عام ١٤١١ هـ، دار المعارف بمصر .
١٤. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجامع الصحيح، طبعة عام ١٣٩٦هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
١٥. الجصاص، عماد الدين بن محمد، أحكام القرآن، تحقيق موسى محمد علي، الدكتور عزت علي عيد، دار الكتب الحديثة بمصر .

١٦. الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، مكتبة المعارف بالرياض .
١٧. حتي، فيليب، ترجمة فروخ، عمر، الإسلام منهج حياة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، دار العلم للملايين .
١٨. حوى، سعيد، الإسلام، الطبعة الأولى عام ١٣٨٩هـ، دار الكتب العلمية ببيروت .
١٩. الخضري بك، محمد، تاريخ التشريع الطبعة السابعة عام ١٩٦٠م، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
٢٠. دراز، محمد عبد الله، نظرات في الإسلام، طبعة عام ١٣٩٢م، دار الأرقم ببيروت .
٢١. الدهلوي، ولي الله بن عبد الرحيم، حجة الله البالغة، دار التراث بالقاهرة .
٢٢. الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، الحج أحكامه - أسرارها - منافعها، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار أشبيليا .
٢٣. الرازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الفكر ببيروت .
٢٤. رضا، رشيد، تفسير المنار، الطبعة الثانية، دار المعرفة .
٢٥. الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، تحقيق عبد الرحيم محمود، أساس البلاغة، عام ١٣٩٩هـ، دار المعرفة ببيروت .
٢٦. السالوس وآخرون، علي، دراسات في الثقافة الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ
٢٧. السباعي، أحمد، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، عام ١٤١٩هـ، نشر الأمانة العامة للمثوية .
٢٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العائقد والفنون المتنوعة الفاخرة، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٢هـ، مكتبة المعارف .
٢٩. شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، الطبعة العاشرة عام ١٤٠٠هـ، دار الشروق بالقاهرة .
٣٠. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
٣١. ضميرة، عثمان جمعة، مجلة البيان عدد ١٩ ذو الحجة ١٤٠٩هـ، مقالة : الحج وأثره في تربية الضمير .
٣٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصطفى البابي الحلبي .
٣٣. عبد المتجلي، محمد رجاء، مقالة : الحج وحدة ورحلة ومؤتمر عام كبير، مجلة الأمن، العدد ٦٠/، ذو الحجة ١٤٢٥هـ .
٣٤. عتر، نور الدين، الحج والعمرة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة .

٣٥. العمادي، محمد حسن عبد الكريم، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن ٤هـ، مؤسسة حماده بإربد .
٣٦. عوض الله، السيد أحمد أبو الفضل، مكة في عصر ما قبل الإسلام، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز .
٣٧. الغزالي، محمد، خلق المسلم، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار القلم ببيروت .
٣٨. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
٣٩. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس
٤٠. القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، دار الجميع للطبع بالقاهرة .
٤١. قطب، سيد، في ظلال القرآن، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٧هـ، دار الشروق ببيروت .
٤٢. المبارك، محمد، نحو إنسانية سعيدة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، دار الفكر ببيروت.
٤٣. محمود، عبد الحلیم، العبادة، أحكام وأسرار، الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ، دار النصر للطباعة.
٤٤. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض .
٤٥. المكّي، أحمد بن محمد، تحقيق غلام مصطفى، أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ، دار الصحوة بالقاهرة .
٤٦. نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار النهضة.
٤٧. الندوي الحسني، أبو الحسن علي، الأركان الأربعة، الطبعة الرابعة عام ١٣٩٨هـ، دار القلم بالكويت .
٤٨. النفيسة، عبد الرحمن بن حسن، رسالة في فقه الحج والعمرة، الطبعة الثالثة عشرة، مطابع دار البحوث بالرياض .
٤٩. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي .

The Cultural Dimensions of Pilgrimage (Hajj) to Makkah Al-Mukarramah

Ahmed bin Abdulaziz Al-Huleibi

Department of Islamic Studies, College of Educaciton, King Faisal University
Al-Hassa, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

Going on a pilgrimage to Makkah, or Hajj in Arabic, has cultural dimensions which are lost if the word "pilgrimage" is understood as mere actions of religious rituals and movement in places not connected to the place, the prophet and wisdom of the legitimacy of this obligatory practice of Islam. The pilgrimage to Makkah can be utilized in refining the spirit, strengthening the mind, forming the true vision of Islam, and contributing in the building of Islamic society. This is achieved when this vision is present in the pilgrim's mind and when it is clear in the minds of the authorities organizing and supervising this sacred event.

The cultural benefits of the pilgrimage season become more important if we realize that it is one of the pillars of Muslims' belonging and unity. It is also a means that connects Muslims to the cradle of Islam and to its origin. It is one of the factors which contribute to outlining the character of Islamic society, and a source of the identity of the Muslim nation. In addition, it is a means of cultural transmission, interactions among Muslim peoples and their integration.

The present paper uses an inductive analytical approach to present four cultural dimensions included in the rituals of pilgrimage (Hajj). These are: 1. worship of Allah, 2. achieving the unity of the Islamic nation, 3. educating and refining the spirit, 4. glorifying Allah alone. These four dimensions are made clear for those who intend to benefit from them. They are meant to shrug off any sense of inaction by urging Muslims to see them and make use of them.

الخصائص الكبرى لمكة المكرمة

عبد الله محمد نوري الديرشوي

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

يقع هذا البحث في تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة. فأما التمهيد فيتناول حرمة مكة، والوقت الذي أصبحت فيه حرماً، وحدود حرمة. وأما المطالب الأربعة فهي في الخصائص الكبرى لمكة، تلك الخصائص التي أعلنها الرسول صلى الله عليه السلام على رؤوس الأشهاد يوم دخل مكة فاتحاً. الخبيصة الأولى: لا يسفك بمكة دم حرام، وهو من أكبر الكبائر ومن الإلحاد فيها، وأما من وجب عليه قصاص أو حد شرعاً فإنه يُستوفى منه وإن لاذ بالحرم، سواء أكان قد ارتكب الجنابة أو الحد في الحرم وبقي فيه، أم ارتكبه خارجه ثم لاذ به. الخبيصة الثانية: لا يحل تنفير صيد مكة أو إزعاجه، ومن قتله كان عليه الجزاء، والجزاء على التخيير بين المثل والإطعام والصيام. ويقصد بالصيد الممنوع: الحيوان البري، المتوحش الأصل، المأكول اللحم. الخبيصة الثالثة: لا يحل قطع شجرها أو النبات الرطب فيها، إلا الإذخر، فإن فعله أحد استغفر ربه ولا جزاء. ويجوز الرعي وكذا قطع ما استتبتته الناس من زرع أو شجر، وكذا اليابس لأنه حطب. الخبيصة الرابعة: لا يحل لأحد أن يلتقط لقطه بمكة بقصد التملك، بل يظل يُعرّف بها حتى يبأس، ثم تؤول لبيت المال. وفي عصرنا هذا يسلمها للجهة المختصة في الحرم. ثم الخاتمة وتتضمن أبرز الأفكار والنتائج.

المقدمة:

لمكة شرفها الله من الفضائل العظيمة، والخصائص الجليلة ما لا يعد ولا يحصى، فهي أحب البلاد إلى الله، وأم القرى، والبلدة التي حرمها الله، وحرم من أجلها المنطقة المحيطة بها، وهي منبع التوحيد، ومهبط الوحي، ومهوى قلوب المؤمنين، وأول بلد وضع فيه بيتٌ لعبادة الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ال عمران: ٩٦)، وما هذه العزّة والرّفعة والشرفُ العظيمُ إلا لأنها حوت بين جنباتها بيت الله الحرام، الذي من أرومته الطاهرة نبعت جميع الفضائل، ومن دوحته المباركة انبثقت جميع الخصائص.

ولقد وفقني الله تعالى في الكتابة في أهم فضائلها^(١)، وها أنذا أشرع الآن في الكتابة في أهم خصائصها^(٢) أو ما يمكن تسميتها بخصائص مكة الكبرى، أعني بها تلك الخصائص التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم غداة فتح مكة، عندما وقف في الناس خطيباً يُذكّرهم أن مكة حرّمها الله، وأنه لا يحل لأحد أن يسفك بها دماً، ولا يصاد صيدها، ولا يقطع شجرها، ولا يلتقط لقطتها إلا من ينشدها. ثم طلب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من الحضور، أن يحملوا هذه الوصايا والأحكام لمن فاتهم الاستماع إليها، لتقوم عليهم الحجة، ويلتزم بها الجميع^(٣). وسبب هذه الخطبة أن خزاعة - حلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم - قتلوا رجلاً من بني ليث ثاني أيام الفتح بقتيل منهم كانوا قد قتلوه، فأخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فقام يخطب في الناس يبين حرمة البيت العتيق، وأنها قائمة، وماضية إلى قيام الساعة، وأن الإسلام لم يزلها إلا قوة وتمكيناً، وأن الله أذن لرسوله ساعة من نهار (من صبيحة يوم الفتح إلى عصره)^(٤) ثم انتهى، وعادت حرمتها كما كانت.

وقد جاء البحث في تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة.

التمهيد: حرمة مكة.

المطلب الأول: الخصيصة الأولى: لا يسفك بمكة دم.

المطلب الثاني: الخصيصة الثانية: لا ينفر صيد مكة ولا يصاد.

المطلب الثالث: الخصيصة الثالثة: لا يقطع شجر مكة ولا يختلي خلاها.

المطلب الرابع: الخصيصة الرابعة: لا يلتقط لقطه مكة إلا من يُعَرِّفُهَا.

الخاتمة: وتتضمن أهم الأفكار وأبرز النتائج.

هذا وأسأل الله أن يجعل سعبي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن لا يحرمني أجره، وأن ينفعني وينفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

التمهيد

حرمة مكة

تستمد الخصائص الكبرى لمكة المكرمة - التي هي مدار البحث - أهميتها وأحكامها من حرمة مكة حرسها الله، كما أنها متفرعة عنها، ومن ثم كانت هذه الحرمة بمثابة المدخل لبيان تلك الخصائص.

أولاً: ثبوت الحرمة لمكة المكرمة

حرمة مكة - حرسها الله وأعزها - ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب فآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٩١).

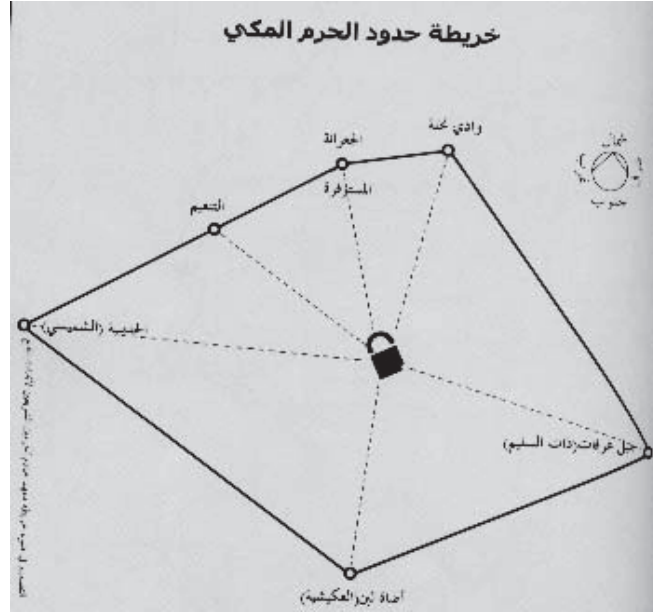
وأما السنة فأحاديث كثيرة رواها جملة من الصحابة كابن عباس وأنس وجابر وأبو هريرة وأبو شريح العدوي وغيرهم بألفاظ مختلفة منها: (إن مكة حرمها الله) ومنها: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض) (٥).

وهو إجماع الأمة لم يشذ منهم أحد عبر العصور (٦).

ثانياً: حدود حرم مكة

لا خلاف بين أهل العلم في أن المراد بمكة في القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، البلدة القديمة، التي كانت قائمة في عهد الرسالة، وأن حرمها هو تلك المنطقة التي كانت تحيط بالبلدة القديمة من جوانبها كافة، تشريفاً وتعظيماً لها^(٧). إلا أن التوسع العمراني الذي شهدته مكة المكرمة في أيامنا هذه جعلها تمتد حتى تجاوز بعض أحيائها حدود الحرم، وأصبحت خارجة عنه، ومن ثمّ فلا تثبت لها أحكامه، كما أن بعض المناطق التي تعد حراماً ما زالت واقعة خارج مكة، وتثبت لها أحكامه. وعليه فإن بعض مكة اليوم ليس من الحرم، كما أن بعض الحرم اليوم خارج عن مكة. وحيث وردت أحكام شرعية تخص مكة سواءً في القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، أو مصنفات علماء المسلمين، أو في هذا البحث، فالمراد بها البلدة القديمة، التي كانت قائمة في عهد الرسالة، وحرمها الذي حظي ببيان حدوده بعناية ولاة أمور المسلمين وعلمائهم على مرّ العصور^(٨) فنصبوا عليها العلامات، ووضعوا لها المنارات، وهي إلى الآن بيّنة معلومة، وعلى النحو الآتي:

- ١ (شمالاً دون التعويم عند مسجد عائشة على بعد ٧,٥ كم من المسجد الحرام.
- ٢ (جنوباً العقيشية (طرف أضاة لبُن) على بعد ١٦ كم من المسجد الحرام.
- ٣ (ومن الجهة الجنوبية الشرقية من بطن نمرة على بعد ٢٢ كم من جهة طريق الطائف و عرفات.
- ٤ (ومن الجهة الشمالية الشرقية نخلة على ثنية جبل المقطع على بعد ١٣ كم بين مكة والطائف.
- ٥ (ومن الجهة الشمالية الشرقية أيضاً فوق نخلة الجفرانة على بعد ٢٢ كم.
- ٦ (ومن الغرب الشميسي أو الحديدية (طريق جدة القديم) عند منقطع الأعشاش على بعد ٢٢ كم^(٩).



وترجع أهمية معرفة هذه الحدود إلى أن هناك أحكاماً شرعيةً تخصها، ومن جملتها موضوع بحثنا.

ثالثاً: الوقت الذي أصبحت مكة فيه حرماً

اختلف العلماء في تحديد الوقت الذي أصبحت فيه مكة حرماً على قولين: أولهما: أنها قد أصبحت حرماً منذ أن خلق الله السموات والأرض لحديث ابن عباس: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ..) ^(١٠). وأما إبراهيم عليه السلام فقد أظهر حرمتها ولم يبتدئها.

الثاني: أن إبراهيم هو الذي حرمها لحديث أنس: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها..) ^(١١). وحيثُتذ يكون المراد بحرمتها يوم خلق الله السموات والأرض، أنه قد

كتب في اللوح المحفوظ أو غيره أن إبراهيم سيحرم مكة، أو أن الله تعالى أظهر للملائكة يوم خلق الله السماوات والأرض بأن إبراهيم سيحرم مكة شرفها الله^(١٢).

قال ابن كثير: " لا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرّمها؛ لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها، وتحريمه إياها، وأنها لم تنزل بلداً حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها، كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوباً عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته^(١٣) ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً ﴾ (البقرة: ١٢٩)، وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره^(١٤).

وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، حيث لم يفرقوا بين التحريمين، بل قالوا: كلاهما واحد، أي أن الله حرّمها يوم خلق الله السماوات والأرض، ثم جدد إبراهيم هذه الحرمة وأظهرها بعد ما كانت مكة مهجورة^(١٥).

وقد أورد بعض العلماء أقوالاً في بيان سبب تحريم مكة، وأقوالاً في الحكمة من تحديد الحرم، إلا أنها أقوال غير مسندة، بل لا يعرف لها صاحب، ومن ثم فقد أعرضت عنها^(١٦).

المطلب الأول

الخصيصة الأولى: لا يسفك بمكة دم

من الخصائص التي اختص الله بها مكة - أعزها الله - منذ عمارتها، ما جعل لها من الأمن، حتى إن الرجل - من العرب في الجاهلية - كان يلقي فيها قاتل أبيه أو أخيه فلا يروعه، ولا يتعرض له، إلى أن يخرج منها في حين أن الناس كانوا يتخطفون من حولهم، ويتعرضون للغزو والسبي^(١٧) قال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا

﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٦٧) ، وجاء الإسلام ليؤكد هذا المعنى ويزيده قوة ، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن مكة حرمة الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إنَّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار) ^(١٨).

ولكن ماذا تعني هذه الحرمة؟

أتعني المنع من قتل بغير حق؟ أم المنع من قتل بحق؟ لا يعقل أن يكون الأول لأن الحديث بين أن هذه الحرمة خاصة بمكة ، والقتل بغير حق محرم في ديننا في كل زمان ومكان ، ولا يختص بمكة! ثم كيف يأذن الله لرسوله بالقتل بغير حق؟ وفي حرم الله مكة؟! ثم إن أهل مكة كانوا كفاراً محاربين قد نقضوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم فلم تعد دماؤهم معصومة ، وأصبح قتالهم مشروعاً. إذاً لا بد أن يكون المراد الثاني: المنع من قتل بحق ، القتل المشروع أو المطلوب في الأماكن الأخرى ، لكن الله حرمه في مكة لشرفها وحرمتها عنده ، ليظهر فضلها وتميزها عن غيرها من البقاع ^(١٩).

ولكن هل هذا التحريم عام في كل قتلٍ بحقٍ ، أم أنه خاص بنوع معين؟ وهل هو عام في كل مقيم في الحرم ، أم أنه خاص بمن لا ذبه من خارجه؟
اختلف العلماء في ذلك على ما سنفضله فيما يأتي:

المسألة الأولى: مقاتلة الكفار والمحاربين والمرتدين والبلغاء في الحرم

اتفق العلماء على أنه لا يحل البدء بقتال الكفار والمحاربين والمرتدين والبلغاء ^(٢٠) إذا لجؤوا إلى الحرم (ومثلهم البغاة إذا كانوا من أهل الحرم ، وبقوا فيه) بل يخرجون منه بالتضييق عليهم ، والجائهم إلى الخروج (وخالف أبو حنيفة ومحمد فقالا: لا يُلجأ إلى الخروج ، ولكن لا يؤاكل ولا يبائع ولا يكلم إلى أن يخرج بنفسه) فإن خرجوا

وأصبحوا في الحل، نُفدَ في حقهم ما يجب عليهم شرعاً من قتلٍ أو أسرٍ أو حديٍّ أو تعزيرٍ، وإن امتنعوا وقتلوا، قوتلوا حينئذٍ. وقد نقل الإجماع على هذا (٢١).

وهذا في حق الكافر والمحارب والمترد محل اتفاق، لأننا مأمورون شرعاً بإخراجهم من الحرم، وعدم تمكينهم من سكناه، فإن خرجوا وإلا أخرجوا بالقوة - باستثناء ما قاله الحنفية - فإن قاتلوا قوتلوا (٢٢).

ولكن ماذا بشأن البغاة إن لم يرجعوا عن بغيتهم، ولم يقاتلوا، ولم يخرجوا من الحرم، وامتنعوا عن أداء الحقوق الواجبة عليهم؟ هل يُخرجون بالقوة، فإذا امتنعوا قوتلوا حتى يعودوا إلى الطاعة؟ أم أنهم لا يقاتلون البتة، ويكتفى بالتضييق عليهم حتى يخرجوا أو يعودوا إلى الطاعة؟.

انقسم العلماء هاهنا إلى فريقين:

الأول: وعليه جمهور المالكية (٢٣) والشافعية (٢٤) وبعض الحنابلة (٢٥) وابن حزم (٢٦) ويرون إخراجهم بالقوة، فإن امتنعوا قوتلوا حتى يعودوا إلى الطاعة.

قال الحطاب: "قال ابن فرحون: أما حكم قتال أهل مكة إذا بغوا على أهل العدل فذهب بعض الفقهاء إلى تحريم قتالهم مع بغيتهم وأن يضيق عليهم حتى يرجعوا عن البغي... والذي عليه أكثر الفقهاء أنهم يقاتلون على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم إلا بالقتال" (٢٧).

وقال النووي: "قال الماوردي في خصائص الحرم: لا يحارب أهله، فإن بغوا على أهل العدل فقد قال بعض الفقهاء: يحرم قتالهم، بل يضيق عليهم حتى يرجعوا عن البغي.. قال (الماوردي): وقال جمهور الفقهاء: يقاتلون على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم عن البغي إلا بالقتال... قال النووي: وهذا الذي نقله الماوردي عن أكثر الفقهاء هو الصواب، وقد نص عليه الشافعي (٢٨).

وقال ابن حزم: "لا خلاف بين أحدٍ من الأمة في أن مكة أعزها الله وحرسها لو غلب عليها الكفار، أو المحاربون، أو البغاة، فمنعوا فيها من إظهار الحق، أن فرضاً

على الأمة غزوهم، لا غزو مكة، فإن انقادوا أو خرجوا فذلك، وإن لم يمتنعوا ولا خرجوا، أنهم يخرجون منها، فإن هم امتنعوا وقاتلوا فلا خلاف في أنهم يقاتلون فيها، وعند الكعبة" (٢٩).

الثاني: وعليه الحنفية (٣٠) وأكثر الحنابلة (٣١) وبعض المالكية (٣٢) وبعض الشافعية (٣٣) ويرون عدم مشروعية مقاتلتهم إلا حال المدافعة، وذلك بأن يبدأ البغاة بالقتال، فيقاتلون دفعاً لشركهم.

قال المرداوي: " لو قوتلوا في الحرم دفعوا عن أنفسهم فقط..وقال ابن القيم: الطائفة الممتعة بالحرم من مبايعة الإمام لا تقاتل لا سيما إن كان لها تأويل. وفي الأحكام السلطانية: يقاتل البغاة إذا لم يندفع بغيهم إلا به، وفي الخلاف وعيون المسائل وغيرهما اتفق الجميع على جواز القتال فيها متى عرضت تلك الحال، وردة في الفروع" (٣٤).

وقال ابن حجر: "وعن الشافعي قول آخر بالتحريم..وقال به جماعة من علماء الشافعية والمالكية، وقال الطبري: من أتى حداً في الحل واستجار بالحرم، فلإمام إلجاؤه إلى الخروج منه، وليس له أن ينصب عليه الحرب، بل يحاصره ويضيق عليه حتى يذعن للطاعة..وقال به غير واحد من أهل العلم" (٣٥).

- أدلة الأقوال السابقة:

استدل الفريق الأول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَفِئَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات: ٩) وجه الدلالة

في الآية أنها أفادت بعمومها وجوب مقاتلة الباغي (٣٦)، ولا مخصص (٣٧).

٢- قتال البغاة حق لله تعالى، وحرم الله أولى الأماكن بحفظ حقوقه عز وجل فيها (٣٨).

استدل الفريق الثاني بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۚ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ۗ ﴾ (البقرة : ١٩١). فقد نهت الآية عن مقاتلة غير المسلمين في الحرم إلا على سبيل المدافعة لمن قاتل وحال المقاتلة^(٤٩). فإذا كان هذا في حق غير المسلمين، فالبغاة من باب أولى.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءٰمِنًا ۗ ﴾ (آل عمران : ٩٧)

وجه الدلالة في الآية أنها أمر، وإن كانت في صورتها خبراً، لأنها لو كانت خبراً لما جاز أن يقع فيها القتال، وقد وقع، فدل على أن المراد بالآية الأمر وليس الإخبار^(٥٠). وإذا ثبت هذا فلا يخلو أن تكون أمراً لنا بأن نؤمنه من القتل بغير حق، أو أن نؤمنه من قتلٍ بحق، ولما كان حملها على الأمان من قتلٍ بغير حق يسقط فائدة تخصيص الحرم به؛ لأن الحرم وغيره في ذلك سواء، وجب حملها على الأمر بالأمان لمن يستحقه، فتعم كل داخل بما فيهم البغاة، لأن من في الآية من ألفاظ العموم^(٥١).

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا..فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار)^(٥٢).

فقد أفاد الحديث المنع من القتل في الحرم مطلقاً وذلك من عدة وجوه :

أ- قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا) أفاد بعمومه المستفاد من النكرة في سياق النفي المنع من القتال مطلقاً بما فيه مقاتلة البغاة^(٥٣).

ب- قوله صلى الله عليه وسلم:(فإن أحد ترخص لقتال رسول الله...). أفاد أن مكة لا تحل لأحد بعده صلى الله عليه وسلم بالمعنى الذي حلت له به، وهو محاربة أهلها والقتل فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه صلى الله عليه وسلم قد أكد التحريم بقوله: (حَرَّمَهُ اللَّهُ) ثم قال: (فهو حرام بحرمته الله) ثم قال: (ولم تحل لي

إلا ساعة من نهار) قال ابن المنير: وكان إذا أراد التأكيد ذكر الشيء ثلاثاً وهذا نص لا يحتمل التأويل^(٤٤).

ج- إن الذي دفع الصحابي الجليل أبا شريح إلى ذكر الحديث هو الإنكار على عمرو بن سعيد - والي دمشق لعبد الملك بن مروان عندما أرسل الجيوش إلى مكة لمقاتلة عبد الله بن الزبير^(٤٥) الذي كان يُنظر إليه على أنه خارج على ابن مروان، وهو ما يعني عدم جواز مقاتلة البغاة في الحرم.

د- يدل سياق الحديث على أن التحريم لإظهار حرمة البقعة بتحريم سفك الدماء فيها مطلقاً^(٤٦).

٤- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أعدى الناس على الله عز وجل من قتل في الحرم، أو قتل غيرقاتله، أو قتل بدحُول الجاهلية)^(٤٧). وجه الدلالة: أنه يحظر بعمومه قتل كل من كان في الحرم، ولا يجوز أن يخص منه شيء إلا بدليل^(٤٨).

- مناقشة الأدلة :

مناقشة أدلة الفريق الأول :

١- نوقش استدلالهم بالعموم في آية: ﴿ فَاقْبَلُوا آلِي مَرْيَمَ ﴾ بأنه قد خصص بأدلة حرمة مكة^(٤٩).

وقد يجاب بأننا لا نسلم بالتخصيص وتلك الأدلة في غير محل النزاع.

٢- يمكن مناقشة قولهم: (قتال البغاة حق لله تعالى) بأنه قد تعارض هنا هذا الحق، مع حق الله في الحفاظ على حرمة الحرم ومنح الأمان لمن دخله، فقدّم هذا الأخير من باب تقديم الخاص على العام.

وللمخالف أن لا يسلم بالتعارض بين الحقيين، ويقول: إن مقاتلة البغاة لا تتنافى مع حرمة الحرم.

مناقشة أدلة الفريق الثاني :

١- نوقش استدلالهم بآية: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ ۗ فَإِن قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ۗ ﴾ بأنه قد ورد عن بعض السلف القول بنسخها لأن العلماء مجمعون على أنه لو استولى عدو على مكة وقال: لأقاتلنكم ولأمنعنكم من الحج، ولن أخرج من مكة. لوجب قتاله وإن لم يبدأنا بالقتال^(٥٠). واختلفوا في النسخ فقيل: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (التوبة : ٥) لأن سورة التوبة نزلت بعد البقرة بسنتين وقيل: ﴿ وَقْتُلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ ﴾ (البقرة : ١٩٣)

ولو سلم أنها محكمة ولم تتسخ وهو ما رجحه الأكثر^(٥١) فإن المخالف يقول بمقتضاها وهو أن لا يبدأهم المسلمون بالقتال، بل يفرضون عليهم التزام أحكام الإسلام، وقبول الطاعة، فإن قبلوا، وإلا أجبروا، فإن قاتلوا قوتلوا حتى يذعنوا للحق. ومثلهم كل خارج عن الطاعة كالبغاة ومن شابههم.

والذي يظهر لي- والله أعلم- أن الآية ليست في محل النزاع، لأنها نزلت في واقعة عين^(٥٢) في كفار كانوا يحكمون مكة، ثم دخلها الرسول صلى الله عليه وسلم فاتحاً، فأمره الله عز وجل أن لا يقاتل إلا من قاتل منهم، لأن عدم المقاتلة منهم يعني استسلامهم وخضوعهم لحكم المسلمين وهو المطلوب.

٢- نوقش استدلالهم بآية: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران : ٩٧) من عدة وجوه:

أ- قيل: إنها منسوخة بآية: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (التوبة : ٥)^(٥٣)

ب- لو سلم بأنها غير منسوخة، فإنها إخبار على الحقيقة عما كان عليه الأمر قبل الإسلام، بدليل عطفها على ما قبلها من الآيات المخبرة عن البيت الحرام في الجاهلية وهي: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ

﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ (ال عمران: ٩٧، ٩٦)، قال القرطبي: "والصحيح أنه قصد بذلك تعديد النعم على كل من كان بها جاهلاً، ولها منكر من العرب كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (المنكبوت: ٦٧)، فكانوا في الجاهلية من دخله ولجأ إليه آمن من الغارة والقتل" (٥٤).

ج- سلمنا بعدم نسخها وأنها أمر، فإنها واردة في البيت حقيقة وليس في الحرم كله، وقد ظهر ذلك من خلال سياق الآيات التي سبقتها والتي أسلفناها، ولا تحمل على الحرم إلا على سبيل المجاز، ولا داعي له، لأن الحقيقة هي الأصل وهي ممكنة، ولم تقم القرينة الراجحة على إرادة المعنى المجازي (٥٥).

د- سلمنا أن الآية أمر، وفي الحرم عامة، فإن معناها: أمنوه من القتل والظلم إلا لموجب شرعي من نحو حد أو قصاص أو ردة، أو تغلب كافر على الحرم، أو باغ ممتع عن أداء الحقوق الواجبة عليه (٥٦).

٣- نوقش استدلالهم بحديث: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ..) من وجهين:

أ- لا نسلم أن القتل بحق داخل في عموم النهي عن سفك الدماء فيها، بل المراد به القتل بغير حق (٥٧).

فإن قيل فما فائدة ذكر مكة إذا لأن القتل بغير حق محرم في كل مكان ؟ فالجواب: أنه للتبنيح إلى أن ذلك في مكة أفضح وأشنع من غيرها، لأنها حرم الله. مثله في ذلك كمثل قوله صلى الله عليه وسلم: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم) (٥٨) فإن الإلحاد محظور في كل مكان، لكنه في مكة أقبح وأشنع، ومن ثم كان أبغض إلى الله.

ب- قولهم: إن الحديث أفاد أن مكة لا تحل لأحد بعده صلى الله عليه وسلم بالمعنى الذي حلت له به، وهو محاربة أهلها والقتل فيها.. أجاب عنه الشافعي

بقوله : " إنه يعني تحريم نصب القتال عليهم ، وقتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك ، بخلاف ما إذا تحصن الكفار في بلد آخر ، فإنه يجوز قتالهم على كل وجه ، وبكل شيء. ^(٥٩)"

وردّ من ثلاثة وجوه: أولها أن النبي صلى الله عليه وسلم بين خصوصيته لإحلالها له ساعة من نهار. وقال: (فإن أحد ترخص بقتال رسول الله..) فأبان بهذا اللفظ أن المأذون له صلى الله عليه وسلم فيه لم يؤذن فيه لغيره، والذي أذن له فيه إنما هو مطلق القتال. ولم يكن قتاله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة بمنجنيق وغيره مما يعم كما حمل عليه الحديث في هذا التأويل.

وثانيها أن هذا التحريم لإظهار حرمة مكة بتحريم مطلق القتال فيها، وذلك لا يختص بما يستأصل.

وثالثها أنه ليس هناك دليل على تخصيص الحديث بما يستأصل، ولا يصح التخصيص إلا بدليل ^(٦٠).

ج - أما حديث: (إن أعدى الناس على الله عز وجل من قتل في الحرم). فيناقش بأنه وارد في القتل بغير حق، لما فيه من انتهاك لحرمة النفس المعصومة، واعتداء على أمن حرم الله، وفي معناه قوله صلى الله عليه وسلم: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه) ^(٦١).

والذي يظهر لي من خلال النظر في أدلة الفريقين، أن عمدة المانعين من مقاتلة البغاة، هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم غداة الفتح، وبيانه أن الله حَرَّمَ مكة إلى الأبد. وإذا تأملنا في الحديث من خلال سياقه ومناسبة وروده، ظهر لنا أن المعنى الذي أبداه الشافعي قوي جداً، وهو حظر اجتياح مكة، وقتال أهلها بما يعم. والرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يقاتل أهلها بما يعم، فإنه اجتاحتها من غير إنذار، وأدخل الرعب في قلوب أهلها، الأمر الذي يتنافى في الظاهر مع حرمة مكة وما منحه الله

تعالى لأهلها من الأمن منذ القديم، فبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك كان بأمر الله تعالى، ورخصة له دون غيره، وقد انتهت هذه الرخصة بفتح مكة، ومن ثمّ فلا يجوز لحاكم أو غيره بعد يومه ذلك وإلى الأبد، أن يجتاحها بجيشه، لأنه لا وحي بعده صلى الله عليه وسلم.

ولعل هذا هو الذي أنكره الصحابي الجليل أبو شريح العدوي رضي الله عنه على عمرو بن سعيد حين رآه متجهاً إلى مكة شرفها الله عازماً على اجتياحها وضربها بما يعم، وقصفها بالمنجنيق وغيره من آلات الحرب، وزرع الرعب والهلع في نفوس أهلها، من غير إنذار ولا إشعار، فذكّرهُ بحديث رسول الله غداة الفتح، ولكنه أبى واستكبر، ولم يأبه بحرمة مكة.

فإن قيل: ألا يدل إنكار أبي شريح رضي الله عنه وإيراده للحديث على أن البغاة في مكة لا يقاتلون؟ وكذلك ما فعله عمرو بن سعيد أليس هو موافق لما ذهب إليه أكثر المالكية والشافعية وغيرهم؟

فالجواب: في الاثنين لا؛ لأن الذي فعله عمرو هو اجتياح مكة ابتداءً، ونصب الحرب عليها، وهو المنكر في فعله^(٦٣) إذ كان عليه أن يستخدم جميع الوسائل المتاحة في سبيل إرجاعهم إلى الطاعة، فإن رجعوا وأدوا ما عليهم من حقوق فلا سبيل إليهم. وإن بقوا متغلبين على مكة، ممتنعين عن الطاعة، فحينئذ يجوز - بل يجب - مقاتلتهم وغزوهم، لا غزو مكة كما قال ابن حزم^(٦٣) ولا يتنافى ذلك مع حرمة الحرم وأمنه لأنه ناتج عن ضرورة، لا عن اختيار. ويقاتلون بنية دفع شرهم، فلا يتبع مدبرهم ولا يجهز على جريحهم، ولا تسبى نساؤهم، فإن رجعوا إلى الطاعة وجب الكف عن مقاتلتهم فوراً^(٦٤).

المسألة الثانية: استيفاء القصاص وإقامة الحدود في الحرم:

لا خلاف في أن الحرم لا يسقط القصاص والحدود عن المعتدي - إذا ما استجمع الشروط وانتفت الموانع - ولكن هل يُشرع تنفيذ الحكم في الحرم؟ أم أنه يؤخر إلى

أن يُخْرَجَ أو يُخْرَجَ من الحرم؟ وهل يختلف حكم من اعتدى داخل الحرم وبقي فيه، عن حكم من اعتدى خارجه ثم لاذ به؟

اختلف العلماء في ذلك على ما سنفضله فيما يأتي:

أولاً: ارتكاب الجناية أو الحد داخل الحرم مع البقاء فيه

اختلف العلماء في حكم من ارتكب جناية أو حداً داخل الحرم وبقي فيه على قولين:

القول الأول: وهو لعامة أهل العلم - منهم أئمة المذاهب الأربعة - ويذهبون إلى أن من قتل في الحرم يقتص منه فيه، ومن أتى حداً، يقام عليه الحد فيه. وقد نقل كثير منهم الإجماع على هذا، منهم الطبري^(٦٥) والجصاص^(٦٦) وابن عبد البر^(٦٧) وابن قدامة^(٦٨) والقرطبي^(٦٩) وغيرهم^(٧٠).

القول الثاني: وهو لابن حزم^(٧١) ويذهب إلى أنه لا يحل أن يسفك دم في حرم مكة بقصاص أو حد، ومن وجب عليه شيء من ذلك أخرج من الحرم، ثم أقيم عليه الحد.

- أدلة الأقوال السابقة:

استدل كل فريق لما ذهب إليه بجملة من الأدلة نجملها فيما يأتي:

أدلة القول الأول:

استدل الفريق الأول القائل بإقامة الحدود والقصاص في الحرم في حق من ارتكبها فيه بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ ۚ فَإِن قَتَلْتُمْهُمْ

فَأَقْتُلُوهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ۗ ﴾ (البقرة: ١٩١)

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى أمر بقتال من قاتل من الكفار في الحرم، فجعل العلة المقاتلة، فيدخل فيه كل قاتل^(٧٢). ومن ثم يجوز القصاص لأنه قتل للقاتل، وإذا جاز القصاص جاز ما سواه من الحدود لأنها مثله أو دونه.

٢- أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يد المرأة المخزومية التي سرقت بمكة عام الفتح^(٧٣).

- ٣- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحدث حدثاً في الحرم أقيم عليه ما أحدث فيه من شيء)^(٧٤).
- ٤- الإجماع وقد نقله الجصاص وابن عبد البر وابن قدامة والقرطبي وغيرهم كما أسلفنا^(٧٥).
- ٥- حاجة أهل الحرم كغيرهم إلى إقامة الحدود حفظاً لدمائهم وأموالهم وأعراضهم، وإلا تعطلت حدود الله تعالى في حقهم، وفاتت هذه المصالح التي لا بد منها^(٧٦).
- ٦- إن الجاني في الحرم هاتك لحرمة، ومن ثم لم يكن أهلاً لأن يُحرّم الحرم ذمته ويصونها، ومثله في ذلك كمثل الجاني في دار الملك، فإنه لا يُعصم لحرمة الملك^(٧٧).
- ٧- القياس على الحيوانات المباحة الصائلة في الحرم، فكما أن الحرم لا يعصمها، فكذلك المرتكب لجناية في الحرم، فإن الحرم لا يعصمه^(٧٨).

أدلة القول الثاني:

استدل الفريق الثاني والقائل بالمنع من إقامة الحدود والقصاص في الحرم بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (آل عمران: ٩٧)

- وجه الدلالة أن مَنْ من أفاض العموم، فتعم كل داخل إلى الحرم، سواء ارتكب الجناية داخله أم خارجه، ولا يجوز أن يخص منه شيء إلاً بدليل، ولا دليل^(٧٩).
- ٢- قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً)^(٨٠).

فقد أفاد بظواهره المنع من القتل مطلقاً، من غير فرق بين لاجئ إلى الحرم، أو مرتكب لما يوجب حداً أو قصاصاً في داخله، وبين قتل نفس أو قطع عضو^(٨١).

٣- واستدلوا أيضاً بمجموعة من الآثار منها^(٨٢):

أ- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من أصاب حداً ثم دخل الحرم لم يجالس ولم يبايع... فإذا خرج أقيم عليه الحد) وقال أيضاً: (لو وجدت قاتل أبي في الحرم ما عرضت له)^(٨٣).

ب- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته)^(٨٤) يعني حرم مكة.

ج- روي عن ابن الزبير رضي الله عنهما: (أنه أخرج قوماً من الحرم إلى الحلّ فصلبهم)^(٨٥).

وأما دليل إخراج مرتكب الجناية من الحرم فهو قوله تعالى: ﴿ أَنْ طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ

وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥)

وجه الدلالة في الآية أنها أمرت بتطهير البيت من العصاة، ومرتكب الجناية منهم، فيجب تطهير البيت منه بإخراجه منه ومن مكة شرفها الله^(٨٦).

- مناقشة الأدلة:

مناقشة أدلة الفريق الأول:

أ- يمكن أن يناقش استدلالهم بآية: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُواكُمْ

فِيهِ ﴾ بأنها ليست في محل النزاع، لأن المقاتلة التي تتحدث عنها الآية إنما هي للمدافعة، وهي ناتجة عن ضرورة، إذ لا يمكن دفعهم إلا بهذا الوجه، ومن ثمّ شرع مقاتلتهم، بخلاف مرتكب الحد إذ يمكن إخراجه من الحرم ثم إقامة الحد عليه.

ب- اعترض ابن حزم على الاستدلال بحديث قطع يد المرأة المخزومية بأنه ليس في الحديث ما يشير إلى أن الحد نفذ في مكة أو حرمها، وقال أيضاً: ظاهر الحديث يوحى بالإرسال^(٨٧).

ويمكن أن يرد بأن الحديث ثابت ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها^(٨٨). وأن ظاهره أن الحدَّ نُفِذَ في مكة، إذ لو نُقِلت إلى خارجه لتتفد الحد لاشتهر، ولتناقله الناس كما تناقلوا الحديث نفسه.

ج- يرد على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (من أحدث حدثاً في الحرم أقيم عليه) بأنه قد ورد عنه خلافه أيضاً كما أسلفنا قبل قليل^(٨٩). ويمكن أن يرد بأن ما روي عنه من خلافه إنما هو في من ارتكب جنابة خارج الحرم ثم لجأ إليه، وهو خارج محل النزاع حيث قال كما أسلفنا: (من أصاب حداً ثم دخل الحرم لم يجالس..).

د- يناقش ادعاء الإجماع بأنه غير مسلم، لأن المسألة مما اختلف فيه أهل العلم. ويمكن أن يرد بأن الإجماع حاصل في عصر الصحابة والتابعين، قبل ابن حزم ومن وافقه، إذ لم أعر بعد البحث على نص صريح لصحابي أو تابعي يؤيد مذهبهم، بل تدل معظمها على عكس ذلك^(٩٠).

هـ- يناقش قولهم: إن أهل الحرم بحاجة إلى إقامة الحدود حفظاً لدمائهم وأموالهم.. بأن ذلك لن يؤدي إلى تعطيل الحدود وتقويت المصالح؛ لأن إخراجهم من الحرم وإقامة الحد عليه أمر متيسر.

و- يناقش قولهم: إن الجاني في الحرم هاتك لحرمة.. بأن العبرة بالنص الشرعي، فإذا ثبت فلا قيمة لهذه الحجج والاستدلالات العقلية.

ز- يناقش قياسهم مرتكب الجنابة في الحرم على الحيوانات المباحة الصائلة في الحرم إذ لم يعصمها الحرم.. بأننا لا نقول: إن الحرم يعصم الجاني! بل غاية ما نقوله هو: أن الحد ينفذ خارج الحرم.

مناقشة أدلة الفريق الثاني :

- ١- يناقش استدلالهم بعموم آية: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (آل عمران : ٩٧) ، بما أسلفناه سابقاً من وجوه الرد^(٩١).
- و يضاف إلى ذلك أنهم لم يؤمنوه، لأنهم يقولون بإخراجه لإقامة الحد عليه، وإخراجه مناف للأمن^(٩٢).
- ٢- يناقش استدلالهم بأحاديث حرمة مكة بما ذكرناه سابقاً^(٩٣). وبأن تلك الأحاديث إنما جاءت لتبين عظم جريمة المعتدي على حرمة مكة، وهو من يسفك فيها الدماء، لا في المنع من إقامة حدود الله تعالى، والأخذ على أيدي المجرمين، فمثل هذا لا يسمى سفكاً لدم، وأين هذا من ذلك؟!.
- ٣- يناقش استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ بأن المقصود به تطهير البيت من الشرك والأوثان^(٩٤) لا من العصاة، وإلا فنحن جميعاً عصاة، وحمله على بعض العصاة دون بعض يحتاج إلى دليل مخصص، ولا دليل!.
- ولو سلمنا جديلاً بعمومها في العصاة؛ فإننا لا نسلم بشمولها للحرم، بل هي في المسجد خاصة، بدليل ما جاء بعد التطهير من الأمور التي تخصه دون غيره من بقاع الحرم، وهي الطواف والاعتكاف والصلاة، وجميع العلماء يقولون بذلك، إذ لا أحد يقول بإقامة الحدود في المسجد الحرام نفسه^(٩٥).
- ٤- وأما استدلالهم بالآثار الواردة عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير فلا تقوم بها الحجة لما يلي:
- أ- ورد عن ابن عباس ما يؤكد أنه يرى إقامة الحد على من اقترف جنابة في الحرم^(٩٦).
- ب- يحتمل أن يكون ما ذكره ابن عباس وابن عمر من عدم تعرضهما لقاتل أبيهما لو وجداه في الحرم إنما هو على سبيل الورع والمبالغة في تعظيم الحرم، أو على فرض أنه فعل ذلك خارج الحرم ثم لاذ به، وخصوصاً أنا نعلم أن والديهما كانا في المدينة المنورة.

ج- لا يقول ابن عباس بإخراج مقترف الجناية من الحرم إذا لاذ به خلافاً لما يذهب إليه هؤلاء^(٩٧).

د- ما روي عن ابن الزبير رضي الله عنهما من أنه أخرج قوماً من الحرم إلى الحِلِّ فصلبهم .. يرد بأنه ليس في محل النزاع، ولا حجة لهم فيه، لأنه أخذهم من خارج الحرم، وأدخلهم فيه، ثم أخرجهم منه وقتلهم وصلبهم، وعليه فإنهم لم يرتكبوا الجناية أو الحد داخل الحرم، ومحل النزاع إنما هو في من ارتكب الجناية أو الحد داخل الحرم^(٩٨).

والراجع - والله أعلم- أن مكة كغيرها في إقامة الحدود والقصاص في حق مرتكب الجناية داخلها؛ إذ لو كان الأمر فيها مختلفاً عن سائر البقاع - على النحو الذي ذهب إليه المانعون - لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولنقل إلينا، لوجود الداعي إليه. يضاف إليه واقعة السرقة التي حصلت في مكة عام الفتح من تلك المرأة المخزومية، وقطع يدها، وكذلك الإجماع الذي أسلفناه.

ثانياً: ارتكاب الجناية أو الحد خارج الحرم ثم اللجوء إلى الحرم

اختلف العلماء في حكم من ارتكب جناية أو حداً خارج الحرم ثم لاذ به على قولين: الأول: لا يفرق بين الحرم وغيره في استيفاء القصاص وإقامة الحدود، وإليه ذهب المالكية^(٩٩) والشافعية^(١٠٠) وهو اختيار ابن المنذر أيضاً^(١٠١) وقال الخطابي والقرطبي: إنه مذهب أكثر أهل العلم^(١٠٢).

الثاني: يفرق بين الحرم وغيره، فلا يستوفى القصاص ولا تقام الحدود في الحرم إذا كان صاحبها قد ارتكبها خارج الحرم ثم لاذ به وإليه ذهب الحنفية^(١٠٣) والحنابلة^(١٠٤) وابن حزم^(١٠٥) وهو قول ابن عباس وعطاء والزهري (وقال: تلك السنة) ومجاهد وإسحاق والشعبي^(١٠٦) قال الطبري: "فإن قال قائل: وما منعك من إقامة الحد عليه فيه

(أي الحرم)؟ قيل: لاتفاق جميع السلف على أن من كانت جريسته في غيره ثم عاذ به، فإنه لا يؤخذ بجريسته فيه^(١٠٧).

وهل يُجبر على الخروج منه، أم أنه يمهل إلى أن يخرج بنفسه ويكتفى بالتضييق عليه؟ الذي عليه جمهور الحنفية والحنابلة وابن حزم هو الثاني. فلا يجبر على الخروج منه، وإنما يضيق عليه فلا يُطعم ولا يُسقى ولا يُجالس ولا يُؤوى ولا يُكلمه أحد، ويُذكَرُ بالله، فإذا خرج استوفى منه وهو مروى عن عمر وابن عباس وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي^(١٠٨). لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ قالوا: وإذا كان هذا في الجاهلية، فالإسلام أولى، لأن الإسلام لم يزد إلا تعظيماً وتكريماً^(١٠٩).

وذهب آخرون منهم ابن الزبير ومجاهد والطبري إلى أنه يجبر على الخروج من الحرم، وقالوا: إن ذلك لا يتنافى مع الأمن في الآية لأنها تعني: ومن دخله كان آمناً ما دام في الحرم، فإذا أخرج منه ثم أقيم عليه الحد لم يتناف ذلك مع الأمن في الحرم؛ لأنه أصبح خائفاً بعد الإخراج، ولا إشكال فيه^(١١٠).

وهل الحكم على عمومه في النفس وما دونها أم أنه في القتل خاصة؟ اختلف الفقهاء على قولين:

الأول: نعم؛ وإليه ذهب الحنابلة وابن حزم لأن ما يعصم النفس يعصم الأطراف أيضاً^(١١١).

الثاني: لا؛ وإليه ذهب الحنفية فقالوا: يقيد بما عقوبته القتل شرعاً كالقتل العمد العدوان، والردة، والزنى من محصن - وهي رواية عن الإمام أحمد أيضاً - لأن النصوص واردة في النهي عن سفك الدم خصوصاً فتتصرف إلى القتل خاصة، ولأن حرمة النفس أعظم، فلا يلزم من تحريمها تحريم ما دونها^(١١٢).

وأما ما كان دون النفس من القصاص والحدود كجلد وقطع طرف فالذي يفهم من إطلاقات نصوص كثير من فقهاءهم أنها تستوفى في الحرم ونقله عنهم كثيرون من فقهاء المذاهب الأخرى، غير أن ابن عابدين ذهب إلى أن هذا الإطلاق غير مراد، وأن

فقهاء المذهب على التفريق بين ما يتعلق بالحدود وما يتعلق بالقصاص؛ فأما ما يتعلق بالحدود كقطع يد سارق، وجلد شارب خمر، فإنها لا تقام في الحرم، لتعلقها بحق الله تعالى. وأما ما يتعلق بحقوق العباد كالقصاص في الأطراف والأعضاء ونحو ذلك فإنها تستوفى فيه. قال: "ووجه الفرق هو ما صرحوا به من أنه يسلك بالأطراف مسلك الأموال، ومن جنى على المال إذا لجأ إلى الحرم يؤخذ منه لأنه حق العبد فكذا يقتص منه في الأطراف، بخلاف الحد فإنه حق الله تعالى وبخلاف القصاص في النفس لأنه ليس بمنزلة المال"^(١١٣).

- أدلة الأقوال السابقة:

أدلة الفريق الأول:

استدل الفريق الأول على إقامة الحدود واستيفاء القصاص في الحرم مطلقاً بما يلي:

- ١- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ﴾ (الإسراء: ٣٣) وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨) وقوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور: ٢).

وجه الدلالة في هذه النصوص أنها عامة في إقامة الحدود والقصاص حيث لم تفرق بين مكان ومكان، وزمان و زمان، ومن ثمَّ وجب تطبيق أحكامها في مكة وغيرها سواء^(١١٤).

- ٢- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: (اقتلوه)^(١١٥). وجه الدلالة: أن هذا الرجل كان مسلماً، فاعتدى على مسلم وقتله ثم ارتد. فأهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه، ولم يجزه الحرم من القتل المستحق عليه^(١١٦).

- ٣- استدل بعضهم^(١١٧) بما في الصحيح: (إن الحرم لا يعيد عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة)^(١١٨).

٤- القياس على مرتكب الحدود ومبتدئ القتل في الحرم، حيث لم يعصمه الحرم كما أسلفنا^(١١٩).

٥- القياس على الحيوانات الفواسق التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم؛ الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور)^(١٢٠).

ووجه القياس هو أن الشرع أهدر دم تلك الدواب لعلة الفسق، وهي متحققة في فاعل الجناية، بل إن فسقه أفحش لكونه مكلفاً، فيكون من باب قياس الأولى^(١٢١).

٦- إذا كان الإسلام الذي هو الأصل وبه اعتصم الحرم لا يمنع من إقامة الحدود والقصاص، فأولى أن لا يمنعه الحرم الذي هو فرع، لأن أمراً لا يقتضيه الأصل أخرى أن لا يقتضيه الفرع^(١٢٢).

أدلة الفريق الثاني:

استدل الفريق الثاني على المنع من إقامة الحدود واستيفاء القصاص في حق من ارتكبها بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (آل عمران: ٩٧).

وجه الدلالة: أن الآية وإن كانت في صورتها خبراً إلا أنها في حقيقتها أمر، فكأنها قالت: (هو آمن). وإذا ثبت ذلك وجب حملها على الأمان من قتل بحق لئلا تسقط فائدة تخصيص الحرم به؛ إذ الحرم وغيره في المنع من القتل بغير حق سواء، وعليه فإن الآية تأمر بمنح الأمان لمن يستحق القتل^(١٢٣).

٢- قول الرسول صلى الله عليه وسلم غداة فتح مكة: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس)^(١٢٤).

وجه الدلالة فيه أنه أفاد المنع من إقامة الحدود واستيفاء القصاص من وجهين: أحدهما: أنه حرم سفك الدم بها على الإطلاق، وتخصيص مكة بهذا يدل على أنه أراد العموم؛ إذ لو أراد سفك الدم الحرام لم يكن لتخصيص مكة به أية فائدة. والثاني أن قوله: (إنما حلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها) يفيد أنه أحل له سفك الدم المباح في الحرم ساعة كما هو حاصل في غيره من البلدان، ثم عادت الحرمة إلى الحرم فلا يجوز سفك الدم المباح فيه، لحرمة عند الله، إذ من المعلوم بدهة أن الذي أبيح له هو الدم الحلال لا الحرام، فإنه لا يحل في مكة ولا غيرها، ثم أكد هذا بالمنع من الاقتداء به فيه، أو القياس على ما فعله بقوله: (فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم)^(١٢٥).

٣- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أعدى الناس على الله عز وجل من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بدحول الجاهلية)^(١٢٦).

وجه الدلالة فيه: أنه حرم القتل في الحرم من وجهين: أحدهما أنه حظر بعمومه قتل كل من كان في الحرم. وثانيهما: يحظر قتل غير القاتل في الحرم كان أو في غيره. وهذا يدل على أن المراد بال حظر الأول قتل من استحق القتل فلجأ إلى الحرم، ليفيد حكماً جديداً، ولا يتكرر مع تاليه^(١٢٧).

- مناقشة الأدلة:

مناقشة أدلة الفريق الأول:

١- اعترض على دليلهم الأول - وهو الاستدلال بالنصوص العامة في القصاص والحدود- من وجهين:

أولهما: أن عمومها خصص بالحامل والمرضى المرجو برؤه حيث يؤخر عنهم الحد اتفاقاً، فيخصص بالحرم أيضاً لقيام الدليل على خصوصيته^(١٢٨). وثانيهما - أن تلك النصوص الواردة في بيان أحكام تلك الجنايات لا في حكم الحرم، وأما قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وأحاديث الرسول في تحريم مكة فهي واردة في حكم الحرم خاصة، فيجري كل واحد منهما على بابه، ويستعمل فيما ورد فيه^(١٢٩). يقول الشوكاني: "وأما الاستدلال بعموم الأدلة القاضية باستيفاء الحدود فيجاب أولاً بمنع عمومها لكل مكان وكل زمان لعدم التصريح بهما، وعلى تسليم العموم فهو مخصص بأحاديث الباب؛ لأنها قاضية بمنع ذلك في مكان خاص، وهي متأخرة فإنها في حجة الوداع بعد شرعية الحدود^(١٣٠)".

وأقول: أما أن يقول الشوكاني بتخصيص تلك النصوص العامة بنصوص أخرى خاصة فهذا لا غبار عليه، وقد قال بذلك كثير من أهل العلم. وأما أن يعترض على القول بعمومها لكل زمان ومكان لعدم التصريح بهما فيرد بأن العموم كما يقول الشوكاني نفسه: "يستفاد من صيغ موضوعه له حقيقة؛ وهي أسماء الشرط والاستفهام والموصولات والمفرد المحلى باللام.. ولم يزل الصحابة ومن بعدهم يحتجون بالعموم في مثل ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ عند حدوث الحادثة^(١٣١)". وهذا العموم وإن كان للأشخاص فإنه يستلزم العموم في الأمكنة والأزمنة والأحوال لأنه لا يمكن تصور العموم في الأشخاص بمعزل عن العموم فيها، ولأن تخصيصهم بمكان دون مكان، أو زمان دون زمان.. من غير دليل أو قرينة تحكُّم، ومن ثم كان لفظ السارق والزاني في الآيات يشمل كل سارق وكل زان في أي مكان كان أو زمان إلا إذا قام دليل التخصيص، وهذا العموم لا يتطلب لفظاً له، بل يتحقق عن طريق اللزوم الذي دل عليه لفظ العموم في النص كما أوضحنا^(١٣٢).

٢- اعترض على استدلالهم بقتل ابن خطل في الحرم.. بأنه لا حجة لهم فيه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أنه قد وقع في الساعة التي رخص الله له فيها^(١٣٣).

٣- اعترض على استدلالهم بأن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم.. بأنه من كلام عمرو بن سعيد، وقد قاله من قبل نفسه، ولم يسنده إلى الرسول صلى الله عليه

وسلم^(١٣٤). قال الشوكاني: "قوله: إن الحرم لا يعيد عاصياً؛ هذا من عمرو المذكور معارضة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه، وهو مصادم للنص، ولا جرم فالمذكور من عتاة الأمة النايبين عن الحق"^(١٣٥).

٤- القياس على مرتكب الحدود ومبتدئ القتل في الحرم غير مسلم، لأن هذا منتهك لحرمة الحرم، وذاك مستجير به مُعَظَّمٌ له، فافترقا^(١٣٦).

٥- القياس على الدواب الفواسق غير صحيح، لأن هذه طبعها الأذى، وأبيح قتلها دفعاً لأذاها عن أهل الحرم، وليس كذلك الأدمي، فافترقا.

٦- أما قولهم: إن الإسلام إذا لم يمنع من إقامة الحدود والقصاص، فأولى أن لا يمنع الحرم، فلا يسلم إذ لا تلازم بين الأمرين، و ليس من مانع أن يقرر الشرع للحرم أحكاماً تخصه، والعبارة بالدليل، فإذا وجد لم يلتفت إلى مثل هذه الحجج العقلية.

مناقشة أدلة الفريق الثاني:

١- اعترض على استدلالهم بآية ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ بجملته من الوجوه سبق ذكرها^(١٣٧). ويضاف إلى ذلك أن التضييق الذي ذهبوا إليه بأن لا يطعم ولا يسقى ولا يؤوى ... لا يبقى لصاحبه أي أمان، وعليه فقد خالفوا ظاهر ما فسروا به الآية^(١٣٨).

وأجاب الطبري عن ذلك بقوله: " إن الأمة مجمعة على أن إخراج العائذ به واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه، وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه. فقال بعضهم يكون ذلك بترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه.. وقال آخرون: بل إخراجهم لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج... فإن الله عز وجل لم يضع حداً من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك .. فمعنى الآية: ومن دخله كان آمناً ما كان فيه حتى يخرج منه، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه"^(١٣٩). أقول: ولا يخفى ما في هذا التأويل للآية من تكلف.

٢- اعترض على استدلالهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم غداة الفتح بأنه في غير الحدود والقصاص، بل في اجتياح مكة وقتال أهلها بما يعم كما سبق أن بينا^(١٤٠).

٣- يرد استدلالهم بحديث: (إن أعدى الناس على الله عز وجل من قتل في الحرم) بأنه في التحذير من القتل بغير حق، وليس في القصاص، أو إقامة حدود الله، كما أسلفنا^(١٤).

والذي يظهر لي -والله أعلم- أن مكة كغيرها في إقامة الحدود واستيفاء القصاص، بل هي أولى البقاع بتنفيذ حدود الله فيها، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، لأن النصوص الواردة في تشريع القصاص والحدود عامة لا تفرق بين مكان ومكان... وأي تخصيص لها يحتاج إلى دليل معتبر واضح، لا لبس فيه. وما ذكر من الأدلة على التخصيص غير صالحة للاعتماد عليها، وأقوى تلك الأدلة هي آية ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ وأحاديث حرمة مكة غداة فتحها. فأما الآية فقد وضحنا ما يدفع الاستدلال بها، ثم أي أمن هذا الذي أعطيه العائد بمكة - والمنتهدك لحرمة الله - إذا كان لا يؤوى ولا يطعم ولا يكلم ولا يبايع، ويُذكَر دائماً بالله، ويبقى شبح الخوف يلاحقه حيثما حلَّ - هذا فضلاً عن إخراجها بالقوة كما يقوله بعض الفقهاء - لا شك أن هذا المجرم لن يهنأ بعيش ولن يشعر بأمان.

وأما أحاديث حرمة مكة غداة فتحها فهي أيضاً إما في النهي عن القتال فيها بمعنى اجتياحها، أو في النهي عن سفك دماء الناس واستباحتها فيها، وليس القصاص والحدود من هذا القبيل البتة.

ثم إن معظم أولئك الأئمة - باستثناء ابن حزم - قالوا بإقامة الحدود واستيفاء القصاص في مكة في حق من ارتكب الجناية فيها، ولم يأتوا بدليل معتبر يخص أدلتهم التي استدلوها بها هنا - أعني آية ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ وأحاديث حرمة مكة - ولم يروا في إقامتها في تلك الحالة قدحاً في أمن مكة، أو سفكاً للدماء فيها، كما أنهم لم يأتوا بدليل مقنع للتفريق بين الحالتين، حالة ارتكاب الجناية داخلها، أو خارجها باستثناء بعض الحجج العقلية، كحاجتهم إلى إقامة الحدود حفظاً

لدمائهم..والجاني في الحرم هاتك لحرمته، ومن ثمّ لم يكن أهلاً لأن يُحرّم الحرم ذمته...وهي أشبه بالحكم منها بالأدلة، وغير صالحة لبناء الأحكام عليها. وأما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فهي لا تعدو أن تكون اجتهادات له. ومع هذا فإنني أرى أن الأحوط أن تقام الحدود ويستوفى القصاص خارج الحرم، لأنه لا مشقة في ذلك، ولأن فيه غرس المزيد من الهيبة والإجلال للحرم في قلوب الناس، وخروجاً من الخلاف أيضاً.

وهل يجبر الجاني أو مرتكب الحد على الخروج من مكة، أم يترك لمشيئته؟ الذي يجب المصير إليه قولاً واحداً هو الأول - خلافاً للجمهور القائل بالثاني - لأننا إذا تركنا المجرم لمشيئته، واعتمدنا على مقاطعة المسلمين له، فإنه لن يقدم من يقدم له الطعام والشراب والمأوى، تضعف الوازع الديني لدى الناس في زمننا هذا، ولاختلاف الظروف عن ذي قبل، وإلا تحول الحرم إلى ملاذٍ آمنٍ لمجرمين انتهكوا محارم الله! وقُدّم لهم الأمن، ولكن مع التضحية بأمن الحرم وأمن سكانه!. ولا شك أن هذا لا يرضاه عاقل، فضلاً عن مؤمن يغار على حرمة الحرم وأمنه، وهو مصادمٌ تماماً لما سعى إليه الشرع من بث الأمن في أرجائه، ليتمكن الناس من أداء نسكهم بخشوع وطمأنينة وهدوء بال.

المطلب الثاني

الخصيصة الثانية: لا يصاد بمكة صيد

أجمع أهل العلم على أن صيد الحرم مُحَرَّمٌ على كل مسلم بالغ عاقل، مُحَرِّمًا كان أو غير مُحَرِّمٍ لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: (ولا يُنْفِر صيده) ^(١٤٢) قالوا: وهذا من باب التبييه بالأدنى على الأعلى، إذ من المعلوم بدهاة أن الشرع إذا حرّم التنفير والإزعاج فإن الإتلاف يكون محرماً من باب أولى ^(١٤٣). كما استدل بعضهم بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾

(المائدة: ٩٥)، وقوله جل في علاه: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمَّتُمْ حُرُمًا ﴾ (المائدة: ٩٦). قال الجصاص: "قيل: فيه ثلاثة أوجه كلها محتمل. أحدها محرمون بحج أو عمرة. والثاني دخول الحرم. يقال: أحرم الرجل؛ إذا دخل الحرم. كما يقال: أنجد إذا أتى نجداً وأعرق إذا أتى العراق وأتهم إذا أتى تهامة. والثالث الدخول في الشهر الحرام، ولا خلاف أن الوجه الثالث غير مراد بهذه الآية، وأن الشهر الحرام لا يحظر الصيد. والوجهان الأولان مرادان، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن صيد الحرم للحلال والمحرم، فدل أنه مراد بالآية، لأنه متى ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم ينتظمه لفظ القرآن فالواجب أن يحكم بأنه صدر عن الكتاب غير مبتدأ^(١٤٤)". وسنفصل القول في الأحكام المتعلقة بهذه الخصيصة من خلال المسائل التالية.

المسألة الأولى: المراد بصيد الحرم، وضابط تحريمه:

اختلف العلماء في تحديد المراد بصيد الحرم وضابط تحريمه على قولين:
الأول: وهو للحنفية والمالكية، وضابط تحريمه عندهم أن يكون صيد بر ممتع متوحش في أصل الخلقة، يُقصد بالأخذ، سواءً كان مما يحل أكله أو مما لا يحل، لأن الأكل وإن كان الغرض الأظهر من الصيد، إلا أن ما لا يحل أكله قد يصاد أيضاً للانتفاع بجلده وشعره وعظمه، أو لدفع أذيته^(١٤٥). يقول السرخسي: "اسم الصيد يعم الكل؛ لأنه يسمى به لتنفره واستيحاشه وبعده عن أيدي الناس، وذلك موجود فيما لا يؤكل لحمه، والدليل عليه أن لفظة الاصطياد بهذا المعنى تطلق على أخذ الرجال. قال القائل: صيد الملوك ثعالب وأرانب وإذا ركبت فصيدي الأبطال"^(١٤٦).

وقولهم: صيد بر، أي ما كان توالده ومثواه في البر، فيخرج صيد البحر الذي توالده ومثواه في الماء.

وقولهم: ممتع متوحش في أصل الخلقة؛ أي كنمر وفهد وصقر وحمام وظبي وما شابهها ولو كان مستأنساً لأنه عارض، وأما الشاة والبقر والبعير والدجاج وما شابهها فلا تسمى صيداً لعدم توحشها.

وقولهم: يُقصد بالأخذ؛ أي له قيمة واعتبار في عرف الناس، فيخرج به البرغوث والنمل والسلحفاة والفراش والذباب لأنها من هوام الأرض وحشراتنا، ولا يقصدها الناس بالأخذ^(١٤٧).

الثاني: وهو للشافعية والحنابلة وابن حزم، ويضيفون قيلاً آخر إلى ما ذكره أصحاب القول الأول وهو أن يكون مأكولاً. فأما غير المأكول كخنزير وقرد وأسد فليس بصيد، ولا يحرم قتله^(١٤٨).

قال الشافعي: "أصل الصيد؛ الذي يؤكل لحمه، وإن كان غيره يسمى صيداً. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ (المائدة: ٤)

المائدة، لأنه معقول عندهم أنه إنما يرسلونها على ما يؤكل، أو لا ترى إلى قول الله عز وجل: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ (المائدة: ٩٤) وقوله: ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتْنَعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۗ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ

صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ﴾ (المائدة: ٩٦)، فدل جل ثناؤه على أنه إنما حرم عليهم في الإحرام من صيد البر ما كان حلالاً لهم قبل الإحرام أن يأكلوه، فأما ما كان محرماً على الحلال فالتحريم الأول كاف منه.^(١٤٩) وقال ابن حزم: "فإن قيل: فإن ما لا يحل أكله قد يصيده المرء ليطعمه جوارحه! قلنا: هذا باطل؛ لأن الله تعالى قد نص علينا حكم الصيد بقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ

أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٤) ويقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة: ٢)، فصح أن المحلل

لنا إذا حللنا هو المحرم علينا إذا أحرمنا، وأنه تصيد ما علمنا الله عز وجل حكمه، الذي بالتزامه يتبين من يخاف ربه تعالى فيلتزم ما أمر به في صيده ويجتنب ما نهى عنه فيه، ممن لا يخاف ربه فيعتدي ما أمره به تعالى، وليس هذا بيقين إلا فيما تصيد

للأكل، وما علمنا قط في لغة ولا شريعة أن الجري خلف الخنازير والأسد وقتلها يطلق عليه اسم صيد.^(١٥٠)

والذي أراه أن أصحاب الرأي الأول اعتمدوا على المفهوم اللغوي للصيد إذ هو الممتع المتوحش لغة^(١٥١) بينما اعتمد الآخرون على المعنى الشرعي له فقيده بالمباح أكله؛ لأنه الغرض الأظهر من الصيد، ولأن النصوص الشرعية دلت على أنه المراد بالنهي، والحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية عند التعارض على ما هو معلوم من قواعد الاستدلال في علم أصول الفقه^(١٥٢). والله أعلم.

المسألة الثانية: ما يجوز قتله من حيوانات الحرم:

اختلف العلماء في تحديد ما يجوز قتله في الحرم من الحيوانات وما لا يجوز اختلافاً واسعاً، ويعود ذلك لسببين: أولهما: اختلافهم في مفهوم الصيد كما أسلفنا. وثانيهما: تفسيرهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم؛ الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور)^(١٥٣). وفيما يلي تفصيل قول كل مذهب:

أولاً: الحنفية: استثنى الحنفية الدواب الخمسة التي نص عليها الحديث فقالوا بجواز قتلها مطلقاً من غير جزاء. وأضافوا إليها الحية و الذئب أيضاً. وألحقوا بها السباع الأخرى إذا بدأت بالهجوم. وأما ما سوى ذلك فباق على حكم النص الأصل^(١٥٤) وهو قوله تعالى: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا ﴾ (المائدة: ٩٦). واستدلوا بما يأتي:

- ١- أما إضافة الحية فلأنها وردت في بعض روايات الحديث بدل العقرب^(١٥٥).
- ٢- وأما إضافة الذئب فلأنه المراد من الكلب العقور، أو أنه في معناه لمشاركته له في الكلبية^(١٥٦).

٣- وأما السباع التي تبدأ بالهجوم فلأن معنى الإيذاء فيها أظهر إذا هي بدأت بالهجوم من تلك الخمس التي أباح الشرع قتلها. بيان ذلك أن الشرع استثنى الخمس التي ورد ذكرها في الحديث لتوهم الأذى منها غالباً، فإذا هاجمت هذه السباع التي لم يرد

ذكرها في الحديث كان تحقق الأذى منها أبلغ من توهمه في تلك (الخمس) فتكون في حكمها من حيث الإذن بقتلها وعدم ترتب الجزاء^(١٥٧).

٤- نقل عن الطحاوي في معرض الاستدلال للحنفية قوله: اتفق العلماء على تحريم قتل البازي والصقر وهما من سباع الطير فدل ذلك على اختصاص التحريم بالغراب والحدأة، وكذلك يختص التحريم بالكل وما شاركه في صفته وهو الذئب، دون غيره من السباع^(١٥٨).

٥- نص الحديث على الخمس، فإذا ألحقنا بها غيرها كالسباع أبطلنا الفائدة من ذكر العدد^(١٥٩).

٦- لا يقع اسم الكلب على السبع عرفاً^(١٦٠).

وبالنظر في هذه الأدلة نجد أن الأول والثاني والثالث محل وفاق بينهم وبين مخالفينهم، وأما الرابع فقد اعترض عليه بأن الاتفاق لم يتم على تحريم قتل البازي والصقر بل أجاز مخالفوهم قتل كل ما يفترس ويعدو، بل إن معظمهم ألحق بالخمس كل ما حرم الشرع أكله إلا ما ورد نهي مخصوص عن قتله^(١٦١).

واعترض على دليلهم الخامس بأنهم أنفسهم قد خرجوا عن العدد وأوصلوا المحرمات إلى سبع حيث أضافوا إليها الذئب والحية، ثم إن ظهور المعنى في هذه الخمس وهو الإيذاء الذي نبه إليه الشرع بتعليل إباحتها بالفسق يجعلنا نقيس عليها ما في معناها؛ لأن المعنى إذا ظهر في المنصوص عليه تعدى الحكم إلى كل ما وجد فيه ذلك المعنى تماماً كما فعله الحنفية أنفسهم في باب الربا مثلاً حيث ألحقوا بالبر والشعير كل ما هو مكيل وقالوا بجريان الربا فيه قياساً عليهما^(١٦٢).

وأما سبب الاقتصار على هذه الخمس فقد يكون لكثرة ملابتها للناس بحيث يعم أذاها، والتخصيص بالغلبة لا مفهوم له^(١٦٣) أو للدلالة على أن قتلها مندوب بخلاف غيرها مما يشبهها فإنه مباح، أو أنه تقدم بيان حكم غيرها في مناسبات أخرى

فاكتفى بذلك عن إعادتها هنا ، أو غير ذلك^(١٦٤) وخصوصاً أن النصوص قد صحت بأن المباح قتله في الحرم أكثر من خمس كما في الحية والوزغ^(١٦٥).
وأما قولهم إن السبع لا يسمى كلباً فيرده ما ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي لهب حيث قال: (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) فعدا عليه الأسد فقتله^(١٦٦).

ثانياً: المالكية : توسع المالكية أكثر من الحنفية في الاستثناء فألحقوا بتلك الأصناف الخمس ما يشبهها في الإيذاء ضمن قيود وضوابط فقالوا : أما الفأرة والعقرب والحية وشبهها في الأذية فيجوز قتلها مطلقاً صغيرها وكبيرها ، هاجمت أو لم تهاجم. وأما الغراب والحدأة فيجوز قتلها كبيرها مطلقاً ، وصغيرها على المشهور في المذهب. وأما سباع الوحش كالذئب والأسد والفهد والكلب العقور وكل ما يعدو ويفترس فيجوز قتله إن كان كبيراً أي بلغ حد الإيذاء ، لأنها جميعاً تدخل في مفهوم الكلب العقور، إذ هو ما عدا على الناس وعقرهم (أي جرحهم) وأخافهم كما نقل عن الإمام مالك^(١٦٧).
فإن كان صغيراً فإنه يكره قتله ولا جزاء فيه. ويجب قتل هذه السباع بنية دفع شرها ، وإلا فإن قتلها بنية ذكاتها منع وعليه جزاؤها. ولا يدخل الكلب الإنسي في عادي السباع وليس على قاتله شيء ولو غير عقور لأنه ليس من الصيد أصلاً ، وكذا القرد والخنزير لا يدخلان إلا أن يحصل منهما ضرر. و أما سباع الطير فإن عدا عليه شيء منها وخافها ، فله قتلها ولا جزاء ، وإلا منع وكان عليه الجزاء^(١٦٨).
واستدلوا بما يأتي:

- ١- ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي لهب: (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) فعدا عليه الأسد فقتله^(١٦٩).
- ٢- روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن أبي هريرة قال: الكلب العقور هو الأسد^(١٧٠).

٣- إن المعنى الذي من أجله أبيع قتل هذه الخمس ظاهر، وهو الأذى الطبيعي والعدوان المركب فيها، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك إيماءً حين علل إباحة قتلها بالفسق، والمعنى إذا ظهر في المنصوص عليه، عُديّ حكمه إلى غيره مما يظهر فيه ذلك المعنى ولم يرد فيه نص عند عامة الفقهاء، تماماً كما فعلوه في الأنواع الستة في حديث الربا والعيوب الأربعة في الضحايا^(١٧١).

٤- إن وصف الكلب المباح قتله بالعقر تنبيهه إلى أن المراد بالكلب؛ الكلب المتوحش، فيندرج فيه الأسد ونحوه^(١٧٢).

٥- أما قتل صغار هذه الدواب فدليله عموم الحديث حيث لم يفرق بين الصغير والكبير. ومن منع قتل صغار الغراب والحدأة فإنما نظر إلى الصفة التي علل بها القتل وهي الفسق. قالوا: وهو معدوم في الصغار حقيقة، والحكم يزول بزوال علته. وأما صغار الكلاب فلا يجوز قتلها؛ لأن الإباحة مقيدة بالعقر وهو غير موجود في الصغير، وقد لا توجد حتى في حالة الكبر، بخلاف صغار السباع الأخرى فإنه يكره قتلها، لأنها عند الكبر تكون مؤذية بطبيعتها قطعاً^(١٧٣).

وجميع ما ذكره هؤلاء من الأدلة يقبلها مخالفوهم - عدا الحنفية وقد سبق أن بينا مذهبهم - لأنهم قائلون بذلك وزيادة، والذي يؤخذ عليهم هو تفريقهم بين سباع البهائم وسباع الطيور حيث أجازوا قتل سباع البهائم إلحاقاً لها بالكلب العقور، ولأنها مؤذية بطبيعتها، ولم يجيزوا قتل سباع الطيور كالصقر والبازي مع أنها أيضاً مؤذية بطبيعتها كالغراب والحدأة، بل الإيذاء فيها أظهر وأشد، ومن ثم قال مخالفوهم: لا مسوغ لهذا التفريق، وليس ثمة دليل يدعمه، وهو تناقض غير مقبول^(١٧٤).

ثالثاً: الشافعية والحنابلة والظاهرية :

ذكرنا فيما سبق أن هؤلاء يرون أن الصيد ما كان مأكول اللحم، وأما ما لا يؤكل لحمه فإنه ليس بصيد، ولا علاقة له بالحرم، وحكم قتله في الحرمة كحكم قتله في غير الحرمة.

وقد قسموه إلى أربعة أقسام^(١٧٥):

أ - قسم يستحب قتله كتلك الخمس المذكورة في الحديث، وما في معناها مما يؤدي كالدئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور. وقال الحنابلة يجب قتل الكلب العقور.

ب - قسم مباح قتله وهو ما فيه نفع ومضرة كالفهد والعقاب والبازي، ونفعه أنه يعلم الاصطياد، و أما مضرته فهو أنه يعدو على الناس والبهائم. وقال الحنابلة يستحب قتل هذا الصنف لأن طبعه الأذى.

ج - قسم يكره قتله ولا يحرم لأنه لا يظهر فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والديدود والجعلان والسرطان والذباب وأشباهاها. واختلف قول الحنابلة فيه فقبل بياح، وقيل يكره وجزم به بعضهم وقيل يحرم.

د - قسم يحرم قتله وهو ما ورد النص في النهي عن قتله ويضم النحل والنمل والخطاف والضفدع والهدد والصرد والكلب غير العقور.

واستدلوا بما يأتي :

دليل الاستحباب وصف الخمس المذكورة في الحديث بالفواسق، ويضاف إليها الحية والوزغ حيث ورد التحريض على قتلها في أحاديث أخرى^(١٧٦). وكذلك الزنبور فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر المحرم بقتله^(١٧٧). وألحق بها ما في معناها من حيث الإيذاء. يقول ابن قدامة: "إن الخبر نص من كل جنس على صورة من أدناه تنبيهها على ما هو أعلى منها ودلالة على ما كان في معناها فنصه على الحدأة والغراب تنبيهه على البازي ونحوه وعلى الفأرة تنبيهه على الحشرات وعلى العقرب تنبيهه على الحية وعلى الكلب العقور تنبيهه على السباع التي هي أعلى منه."^(١٧٨)

ودليل الإباحة: أن لها شبيهاً بالقسم السابق فيستحب قتلها مثلها، إلا أنها يمكن أن تُعلم فتترويض، ويستفاد منها في الصيد، ومن ثم كان قتلها مباحاً.

ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) (١٧٩) قال النووي: "ليس من الإحسان قتلها عبثاً" (١٨٠) وروي عن الصحابي قطبة بن مالك أنه قال: (كان يُكره أن يقتل الرجل ما لا يضره) (١٨١)

ودليل التحريم: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد) (١٨٢) و عن عبد الرحمن بن عثمان رضي الله عنه قال: (سأل طيبب النبي صلى الله عليه وسلم عن ضفدع يجعلها في دواء. فنهاه عن قتلها) (١٨٣)

قال ابن حزم: " من منع من قتلها استدل بحديث خمس فواسق أي أن ما عداها بخلافها ، ومن أباح قتلها استدل بأن الله تعالى منع من قتل الصيد خاصة فقال تعالى: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ (المائدة: ٩٦) ، فدل على أن ما عدا الصيد بخلاف الصيد في ذلك. وهما استدلالان متقابلان لا يظهر ترجيح لأحدهما على الآخر (١٨٤) فبحثنا عن الحكم في غير هذين الدليلين فوجدنا الحيوان قسمين سوى ما ورد في الآية والخبر: قسم مباح قتله كجميع سباع الطير وذوات الأربع والخنازير، وقسم محرم قتله لنص وارد فيه كالهدهد والصرد والضفادع والنحل والنمل فوجب أن يحمل كل ذلك على حكمه كما كان وأن لا ينقل بظن قد عارضه ظن آخر وبغير نص جلي فهذا هو الحق الذي لا يجوز تعديده" (١٨٥).

ولعل هذا الرأي الأخير هو الراجح بناءً على ما سبق أن رجحناه من كون الصيد المنهي عنه في الحرم هو صيد البر المتوحش الأصل الذي يؤكل لحمه، ولأن حديث الفواسق الخمس ليس وارداً في الصيد أصلاً لتستثنى تلك الخمس من الصيد المحرم في الحرم، بل جميعها مما لا تصاد ولا تقصد بالأخذ، وسبب ورود الحديث فيها والله أعلم هو التحريض على قتلها لكثرة مخالطتها للناس، ولشدة الخوف من إيذائها لهم، ولذلك

يبقى قتل ما سواها على الإباحة أو الندب أو الكراهة أو التحريم سواءً كانت داخل الحرم أو خارجه على ما فصلناه.

المسألة الثالثة: جزاء الصيد

ذهب عامة أهل العلم إلى أن على الصائد الجزاء مع الإثم إن قتل صيد الحرم - على اختلافهم في تحديد مفهوم الصيد - ولم يشذ منهم إلا داود الظاهري وابن حزم اللذين ذهبوا إلى الاكتفاء بالإثم فقط دون الجزاء ما لم يكن مُحْرماً^(١٨٦). استدل الجمهور بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ (المائدة : ٩٥).

وجه الدلالة أن الآية أوجبت على الحُرْمِ الجزاء في الاصطلياد، وكلمة الحُرْمِ تشمل المُحْرِمِ، ومن بداخل الحرم. لأنه يقال في اللغة: أحرم؛ إذا أنشأ الإحرام، وكذا إذا دخل في الحرم. كما يقال: أنجد إذا أتى نجداً و أشتى إذا دخل في الشتاء. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن كلا المعنيين مرادٌ من النهي في الآية عندما أخبر عن تحريم صيد مكة، وكذلك تحريم الصيد في حق المحرم^(١٨٧).

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ينفر صيدها)^(١٨٨) فقد أثبت هذا النص الأمن لصيد الحرم، وإذا ثبت ذلك كان القاتل جانبياً بإتلافه محلاً محترماً متقوماً، ومن ثم يلزمه جزاؤه كما في حق المحرم^(١٨٩).

٣- روى الشافعي بسنده عن نافع بن عبد الحارث قال: قدم عمر بن الخطاب مكة، فدخل دار الندوة في يوم الجمعة، وألقى رداءه على واقف في البيت، فوقع عليه طير من هذا الحمام، فأطاره فانتهزته حية فقتلته. فلما صلى الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان فقال: احكما علي في شيء صنعته اليوم إني دخلت هذه الدار، فألقيت ردائي على هذا الواقف، فوقع عليه طير من هذا الحمام، فخشيت أن يلطخه بسلحه فأطرتة عنه، فوقع على هذا الواقف الآخر فانتهزته حية فقتلته، فوجدت في نفسي أني أطرتة

من منزلة كان فيها آمناً إلى موقعة كان فيها حتفه. فقلت لعثمان: كيف ترى في عنز ثنية عفراء نحكم بها على أمير المؤمنين؟ قال: إني أرى ذلك. فأمر بها عمر^(١٩٠). وروي أيضاً عن مجاهد أن عمر بن الخطاب أمر بحمامة فأطيرت فوقعت على المروة فأخذتها حية فجعل فيها شاة^(١٩١).

٤- وروي أيضاً عن عطاء ابناً لعثمان بن عبيد الله بن حميد قتل حمامة فجاء عثمان إلى ابن عباس فقال له ذلك فقال ابن عباس: اذبح شاة فتصدق بها. قال ابن جريج فقلت لعطاء: أ من حمام مكة؟ قال نعم^(١٩٢).

٥- قضى عمر وعثمان وابن عمر وابن عباس في حمام الحرم بشاة، ولم ينقل عن غيرهم خلافهم فيكون إجماعاً^(١٩٣).

٦- القياس على المحرم إذا صاد، بجامع حرمة التعرض للصيد في الحالتين^(١٩٤).

وأما داود وابن حزم فقد استدلا بالاستصحاب القائم على أن الأصل براءة الذمة حتى يأتي ما يشغلها، وقالوا: لم يرد نص بترتيب الجزاء على قتله في الحرم وآية لا تقتلوا الصيد في المحرم خاصة^(١٩٥).

ولا يخفى ترجيح الرأي الأول المستند إلى أدلة كثيرة وخصوصاً الآثار عن الصحابة، ثم القياس الذي لا يأخذ به داود وابن حزم، وأما الاستصحاب فهو دليل ضعيف لا يلجأ إليه إلا إذا انعدمت الأدلة ومن ثم قالوا: إنه آخر ما عليه مدار الفتوى^(١٩٦).

وعلى القول بالجزاء فما الذي يجب؟ اختلف الفقهاء على قولين:

الأول: وعليه جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية والحنابلة) ويقولون إن حكم الحرم كالإحرام، أي يخير بين المثل والقيمة طعاماً والصيام. ويقدر الإطعام بأن يقوم الصيد حياً بطعام لا بدراهم، ثم يشتري بالدراهم الطعام، وأما الصيام فيقدر بالإطعام عن كل مد يوم^(١٩٧). لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ

النَّعْمِ تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴿ (المائدة: ٩٥).

الثاني: وعليه الحنفية وقالوا: لا يجزئ الصوم في جزاء صيد الحرم لأنه غرامة وليس كفارة، ومن ثم كان له شبهاً بضمان الأموال. ولأن الصوم يصلح جزاء الأفعال لا ضمان المحال^(١٩٨). ثم اختلفوا فيما بينهم في الواجب من المثل أو القيمة، فقال محمد يجب المثل فيما له مثل، والقيمة فيما لا مثل له للآية السابقة. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف لا يجب المثل أبداً، بل القيمة في الجميع؛ لأنه لا مثل حقيقة للصيد البري المتوحش في الأنعام من حيث الصورة والمعنى، فوجب حمل الآية على المثل معنى وهو القيمة لكونه معهوداً في الشرع كما في حقوق العباد، أو لكونه مراداً بالإجماع، قالوا: وإيجاب الصحابة رضي الله عنهم المثل في بعض الصيد إنما كان باعتبار قيمتها لا باعتبار أعيانها، لأنهم كانوا أرباب المواشي فكان ذلك أيسر عليهم من النقود^(١٩٩). والراجح والله أعلم قول الجمهور لأن الجزاء في صيد الحرم إنما وجب قياساً على صيد الإحرام، فيأخذ حكمه تماماً. ولأنه لو سلك به مسلك الأموال لم يدخله المثل والإطعام، ولاعتبر نقد البلد. ولأن المعنى الذي ذكره في صيد الحرم موجود أيضاً في صيد الإحرام ولم يؤثر، وكذلك ينتقض ما قالوه بكفارة القتل الخطأ حيث دخله الصوم^(٢٠٠). يضاف إلى ذلك كله أن فقهاء الحنفية حملوا كلمة (حُرْمٌ) في الآية على الحرم والإحرام معاً^(٢٠١) وهي صريحة في ترتيب الجزاء على الصيد من غير تفريق بين الاثنين.

المطلب الثالث

الخصيصة الثالثة: لا يُقَطَّعُ شَجَرُ مَكَّةَ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة وحرمةها: (لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لقينهم وليوتهم. فقال: إلا

الإذخر) وفي رواية (لا يَعْضِدُ بها شجراً) وفي رواية (لا يَخْتَلِي شوكتها) وفي رواية (لا يخبط شوكتها)^(٢٠٣).

وقد أجمع أهل العلم على تحريم قطع الرطب من أشجار ونبات الحرم والذي لا يستتبه الناس عادة. كما أجمعوا على إباحة أخذ ما يستتبه الناس عادة من البقول والزرع والرياحين. وأجمعوا كذلك على إباحة أخذ الإذخر^(٢٠٣). واختلفوا فيما سوى ذلك على ما سنفضله في المسائل التالية.

المسألة الأولى: مذاهب العلماء في قطع شجر الحرم اليابس والمستتبت:

أجمع العلماء كما أسلفنا على تحريم قطع الرطب من أشجار الحرم وكذا الذي لا يستتبه الناس عادة، واختلفوا في اليابس منه، وفيما استتبه الناس. أولاً: قطع اليابس من شجر الحرم:

اختلف العلماء في حكم قطع اليابس من شجر الحرم والانتفاع به على قولين: القول الأول: الجواز، وإليه ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة^(٢٠٤). وعللوا ذلك بقولهم: إن اليابس لا حياة فيه، ولا ينمو، كالصيد الميت ومثله الغصن المنكسر أيضاً. القول الثاني: المنع، وإليه ذهب المالكية لعموم النهي في الحديث^(٢٠٥). والراجح والله أعلم الأول؛ لأن اليابس يسمى حطباً وليس شجراً، ولأنه لا فائدة ترجى من بقائه.

ثانياً: قطع شجر الحرم المستتبت:

اختلف العلماء في حكم قطع شجر الحرم الذي استتبه الناس على قولين: القول الأول: الجواز، وإليه ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة (والشافعية في قول ضعيف رجحه إمام الحرمين والغزالي)^(٢٠٦) قياساً على الزرع والبقول والخضروات التي يزرعها ويحصدها الناس في الحرم من عهد الرسالة دون نكير، وكذلك قياساً على الحيوانات الأهلية فيه حيث يجوز اصطيادها بالاتفاق ولا

جزاء ، ولأن ما استنبته الناس هو ملكهم ومن شجرهم لا من شجر الحرم والمنهي عنه إنما هو شجر الحرم خاصة^(٢٠٧).

القول الثاني: المنع، وإليه ذهب الشافعية. لعموم النهي في الحديث (لا يَعْضِدُ بها شجراً) ولأنه شجر نابت في الحرم فأشبهه ما لم ينبتة الناس^(٢٠٨).

قال النووي: "هل يعم التحريم والضمان ما ينبت من الأشجار بنفسه وما يستتبت أم يختص بما نبت بنفسه؟. أصح القولين التعميم. والثاني التخصيص."^(٢٠٩)

والراجح والله أعلم القول الأول، أي جواز قطع شجر الحرم الذي استنبته الناس؛ لأن التعميم في الحديث إنما خرج مخرج الغالب^(٢١٠) أو يحمل العموم على أشجار الحرم خاصة لا أشجار الناس التي استنبتوها، ولأنه لا وجه للتفريق بينها وبين الزروع، ثم لا يخفى ما في ذلك من حرج على أهل الحرم، والحرج مرفوع في الدين.

المسألة الثانية: قطع نبات الحرم من غير الشجر:

ينقسم نبات الحرم من غير الشجر إلى نوعين؛ ما زرعه الناس، وما لم يزرعه. فأما ما زرعه الناس كالحنطة والشعير والذرة والبقول والخضراوات فقد أجمع أهل العلم على أن لمالكه قطعه، وأنه لا جزاء عليه في ذلك. كما أسلفنا^(٢١١).

وأما ما لم يزرعه فينقسم إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول: الإذخر، وهو مباح بالإجماع كما أسلفنا^(٢١٢) فيجوز قلعه وقطعه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نص في الحديث على استثنائه من النهي عن قطع نبات الحرم عندما أبلغه عمه العباس رضي الله عنه بشدة احتياج أهل مكة إليه^(٢١٣).

الصنف الثاني: الشوك، وقد اختلف الفقهاء فيه على قولين:

أولهما: المنع، وإليه ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة (والشافعية في قول مرجوح اختاره النووي وغيره) لحديث: (لا يعضد شوكه) وهو نص في المنع منه. ولأن الغالب في شجر الحرم الشوك، فلما حرم النبي صلى الله عليه وسلم قطع شجرها والشوك غالبه دل على أنه مراد بالتحريم^(٢١٤).

وثانيهما: الجواز، وإليه ذهب الشافعية في الراجح عندهم وقول عند الحنابلة قياساً على الفواسق من الحيوانات التي ورد النص بقتلها بجامع الإيذاء في الاثني^(٢١٥). والراجح الأول والله أعلم لأن الحديث نص في المنع، ولا قياس مع النص، ثم إنه قياس مع الفارق لأن الفواسق من الحيوانات مؤذية بنفسها وتقصده، خلافاً للشوك فإنه لا يؤذي بنفسه ولا يقصده^(٢١٦).

الصنف الثالث: ما كان دواء كالسنا ونحوه وفيه قولان الأول- المنع وإليه ذهب الحنفية والحنابلة وبعض الشافعية أخذاً بظاهر الحديث^(٢١٧). الثاني- الجواز وإليه ذهب المالكية والشافعية في الأصح لأنه مما يحتاج إليه الناس للتداوي، ويحملونه إلى الأقطار، فألحق بالإذخر بجامع الحاجة^(٢١٨). والراجح الأول والله أعلم لأن معظم الأعشاب يمكن أن تتخذ أدوية، وإذا فتح هذا الباب فلن يكون بالإمكان ضبطه، والحديث لم يستثن إلا الإذخر. الصنف الرابع: الكلاً، ويكون أخذه إما بالاحتشاش (أي قطعه باليد) أو بالرعي. فإن كان أخذه بالاحتشاش ففيه قولان:

أولهما: المنع والضمان بالقيمة. وإليه ذهب الحنفية والحنابلة والمالكية- على الأشهر- والشافعية في أحد الوجهين وابن حزم لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يختلى خلاها) قالوا: وهو نص في الموضوع^(٢١٩)

ثانيهما: يفرق بين أن يكون لعلف ونحوه فيجوز ولا يضمن، لأنه في معنى الرعي، أو أن يكون لبيع ونحوه فلا يجوز ويكون مضموناً، وعليه حملوا الحديث. وهو الوجه الآخر عند الشافعية. قال الرافعي: إنه الأصح، وهو قول لبعض المالكية أيضاً مال إليه القرأفي، لأنه ورد عن الإمام مالك قوله: يكره الاحتشاش مخافة قتل الدواب، وإلا فلا^(٢٢٠).

ولا يخفى رجحان القول الأول، لأن الحديث في ذلك صحيح صريح، ولا اجتهاد في مورد النص.

وإن كان أخذه برعي البهائم ففيه أيضاً قولان:

الأول: الجواز، وإليه ذهب المالكية والشافعية والحنابلة وأبو يوسف من الحنفية وابن حزم لحديث ابن عباس قال: "أقبلت راكباً على أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس بمنى، فمررت بين يدي الصف فنزلت، فأرسلت الأتان ترتع، ودخلت في الصف، فلم ينكر ذلك علي أحد."^(٢٢١) و منى من الحرم بالاتفاق، ولأن الهدايا كانت تساق في عصره صلى الله عليه وسلم وما كانت تسد أفواهاها في الحرم، ولأن الحاجة تشتد إليه أكثر من الإذخر الذي استتاه الرسول صلى الله عليه وسلم للحاجة^(٢٢٢).

الثاني: المنع، وإليه ذهب أبو حنيفة ومحمد لإطلاق الحديث (لا يختلى خلاها) ولعدم وجود الفارق بين ما قطع بالمناجل أو المشافر. قالوا: ولا حرج في ذلك لأن الحمل من الحل متيسر، ثم إن الحرج إنما يعتبر في موضع لا نص فيه^(٢٢٣).

و الراجح الأول والله أعلم لأن المنع وارد على الاحتشاش، وهو غير الرعي، بل إن الاحتشاش لم يمنع والله أعلم إلا من أجل البهائم ليكون علفها وفيراً فينالها أيضاً بركات الحرم وتكون آمنة كما نال غيرها من الإنسان والطيور. يقول ابن عابدين: "نقل بعضهم عن البرهان تأييد قول أبي يوسف بأن الاحتياج للرعي فوق الاحتياج للإذخر، ثم إن في قوله: (لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها) وسكوته عن نفي الرعي إشارة لجوازه، وإلا لبيته. وأمر ثالث وهو أنه لا مساواة بين الرعي والقطع ليلحق الرعي به دلالة، لأن القطع فعل العاقل، والرعي فعل العجماء، وهو جبار، وعليه عمل الناس، وليس في النص دلالة على نفي الرعي ليلزم من اعتبار الضرورة معارضته"^(٢٢٤).

المسألة الثالثة: جزاء قطع شجر ونبات الحرم:

اختلف الفقهاء في وجوب الجزاء في قطع شجر ونبات الحرم المحرم قطعه على قولين: أولهما: فيه الجزاء، وهو قول الجمهور (من الحنفية والشافعية والحنابلة)^(٢٢٥).
واستدلوا بما يأتي:

١- روى أبو هشيمة قال: رأيت عمر بن الخطاب أمر بشجر كان في المسجد يضر بأهل الطواف فقطع وفدى. قال: وذكر البقرة^(٢٢٦).

٢- ورد عن ابن عباس أنه قال في الدوحة بقرة وفي الجزلة شاة والدوحة الشجرة العظيمة والجزلة الصغيرة. وورد مثله عن عطاء أيضاً^(٢٢٧).

٣- قياساً على الضمان في الصيد بجامع المنع من إتلافه لحرمة الحرم^(٢٢٨). ثانيهما: لا جزاء فيه، ويأثم، ويستغفر الله، وإليه ذهب المالكية^(٢٢٩) وأبو ثور وداود وابن المنذر وابن حزم^(٢٣٠). قال ابن عبد البر: "روى ابن وهب أنه ذكر لملك ما يقول أهل مكة في الدوحة بقرة، وفي كل غصن شاة! فقال: لم يثبت ذلك عندنا، ولا نعلم في قطع الشجر شيئاً معلوماً، غير أنه لا يجوز لمحرّم ولا لحلال أن يقطع شيئاً من شجر الحرم"^(٢٣١) وقال ابن المنذر: "لا أجد دليلاً أوجب به في شجر الحرم فرضاً من كتاب ولا سنة ولا إجماع"^(٢٣٢).

ثم اختلف القائلون بالجزاء في تحديده :

فقال الشافعية والحنابلة: الفدية في الشجرة الكبيرة بقرة، وفي الصغيرة شاة، وفي الصغيرة جداً والخلا القيمة، وهو مروى عن ابن عباس وابن الزبير وعطاء^(٢٣٣) قالوا: ومثله لا يقال إلا بتوقيف^(٢٣٤) ولا يلزم البقرة والشاة بعينها، بل يمكن أن يخرج قيمتها^(٢٣٥). ثم البقرة والشاة والقيمة على التعديل (يحكم به ذوا عدل منكم) والتخيير كالصيد. فإن شاء أخرج البقرة فذبحها وفرق لحمها وإن شاء قومها دراهم وأخرج بقيمتها طعاماً وإن شاء صام عن كل مد يوماً^(٢٣٦).

وقال الحنفية: في الجميع القيمة^(٢٣٧). قال الشافعي وهو القياس. غير أن تركناه للآثار الواردة^(٢٣٨).

والذي يظهر أن عمدتهم في وجوب الجزاء هو القياس على الصيد، جبراً للنقص الذي ألحق بالحرم، إلا أنه لا يسلم لهم، لأن الأشجار والنباتات أكثر توافراً من الصيد، وأكثر عرضة للاعتداء عليها بالقطع والأخذ، وحاجة الناس إليها أشد، ويستبعد أن

ينص الشارع على كفارة الصيد ويسكت عن كفارة الشجر والنبات لو أراد إيجابها. بل قد يقال: إن الشارع لم يسكت عن إيجاب الجزاء إلا تخفيفاً على الناس، لأنهم أكثر ابتلاءً بها يضاف إلى ذلك أنه قد روي عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز أنهما اكتفيا بإبداء الإنكار والانزعاج والتذكير بالنهي ولم يتعرضا للجزاء مع أن كل واحد منهما كان خليفة في وقته، وكان أولى بإعلام الناس وإلزامهم بالجزاء من ابن عباس وابن الزبير^(٢٣٩) يضاف إليه أن ما نسب إلى ابن عباس وابن الزبير لا يثبت، وما روي عن عطاء من القول بالجزاء يقابل بمثله من الرواية عنه بخلافه أيضاً^(٢٤٠) وعليه فإن الراجح ترتب الإثم فقط دون الجزاء. والله أعلم.

المطلب الرابع

الخصيصة الرابعة: لا يلتقط لقطه مكة إلا من يعرفها

أجمع الفقهاء على أن الأصل في اللقطة أن تعرف من قبل واجدها سنة، فإن لم يأت لها مستحق أكلها واجدها إن شاء، أو تصدق بها مع ضمانها لصاحبها في كلتا الحالتين إن ظهر يوماً وطالب بها^(٢٤١). لقوله عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن اللقطة: (عرفها سنة، ثم اعرف وكاءها وعفاصها ثم استنفق بها، فإن جاء ربها فأدها إليه)^(٢٤٢) واستثنى الحنفية من ذلك الغني فقالوا: لا يأكلها البتة. والأحاديث مطلقة لا تفرق بين غني وفقير في الإذن بأكلها.

هذا هو الأصل العام في اللقطة، ولكن ماذا لو كانت اللقطة لقطه الحرم؟

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

الأول: ويرى أصحابه أن حكم لقطه الحل والحرم واحد لا يختلف. وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة وأحد الوجهين عند الشافعية^(٢٤٣). واستدلوا بما يأتي:

١- قوله عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن اللقطة: (عرفها سنة، ثم اعرف وكاءها وعفاصها ثم استنفق بها، فإن جاء ربها فأدها إليه)^(٢٤٤). قالوا: وهو عام لا يفرق بين لقطه الحل والحرم.

٢- اتفق العلماء على أن حكم اللقطة في حرم المدينة لا يختلف عن غيره من الأماكن، فيكون حرم مكة مثله، بجامع الحرمة في الاثنين.

٣- اللقطة أمانة، وحكمها لا يختلف بالحل والحرم كما هو الحال في الوديعه.

٤- قالوا: وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حرمة مكة: (ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف)^(٢٤٥) فهو مؤكد لحكم اللقطة المستفاد من النصوص العامة، ولا يثبت حكماً جديداً لحرم مكة، لأنه ينص على أن الحل ثابت للمعرف، إذ هو نفى الحل واستثنى المعرف، والاستثناء من النفي إثبات، فيلزم على هذا أن مكة وغيرها سواء، وأما علة تخصيص مكة بالذكر فلأن الغالب في لقطتها أن يبأس ملتقطها من صاحبها، كما يبأس صاحبها من وجدانها، لتفرق الخلق في الآفاق، ولربما أدى ذلك إلى أن يدخل الطمع في نفس الملتقط فيتملكها من أول وهلة، ويتقاعس عن التعريف بها، فحذره الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك، وأمره أن لا يأخذها إلا بقصد التعريف بها، ومن ثم فلا جديد في الحديث إلا التأكيد على ضرورة التعريف بها في مكة كغيرها من البلدان.^(٢٤٦)

الثاني: ويرى أصحابه أن حكمهما مختلف، وأن لقطة الحرم لا تملك بحال من الأحوال بل يجب حفظها وتعريفها أبداً، وهو أحد الوجهين عند الشافعية وصفه النووي بأنه الصحيح المختار^(٢٤٧) ورواية عن الإمام أحمد اختارها ابن تيمية وغيره^(٢٤٨). واستدلوا بما يأتي:

١- قوله صلى الله عليه وسلم في حرمة مكة: (ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف)^(٢٤٩).

وجه الدلالة فيه أن مكة خصصت بأحكام في الأحاديث الواردة في بيان حرمتها، ومن تلك الأحكام أن لقطتها لا تلتقط إلا بقصد التعريف، فإذا حملنا ذلك على التعريف سنة ثم التصرف بها، لم يظهر لتخصيصها أية فائدة، وأما إذا حملناها على التعريف المستمر الدائم ظهرت فائدة التخصيص^(٢٥٠).

٢- أخرج مسلم وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهى عن لقطة الحاج) (٢٥١).

وجه الدلالة فيه: أن هذا النهي لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما؛ إما أن يكون نهى عن أخذها، أو نهى عن تملكها. ولا يصح حمله على النهي عن الأخذ، لأنه يعني إضاعة المال وقد نهينا عنه، كما أن ذلك يتعارض مع قول الله سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (المائدة:٢)، إذ في أخذها وحفظها تعاون على البر والتقوى، فصح أنه عليه الصلاة والسلام إنما نهى عن تملكها.

يؤكد ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم ينه المنشد والمعرف عن أخذها وحفظها، بل نهى عنها بعينها فدل على أنه أراد النهي عن تملكها. فإن أيس من معرفة مالها وكان سيغادر مكة إلى بلاده، دفعها إلى الحاكم ليعرف بها، فإن أيس منها الحاكم أيضاً كان مالاً ضائعاً أمره لبيت المال (٢٥٢).

والراجع والله أعلم القول الثاني الذي يفرق بين مكة وغيرها من البلدان، فيوجب حفظ لقطة مكة والتعريف بها على الدوام، ويمنع تملكها، لما في ذلك من إظهار فائدة جديدة للأحاديث الواردة في خصوصيات مكة، ومنها لقطتها، ومن المتفق عليه بين الأصوليين والفقهاء أن التأسيس أولى من التأكيد (٢٥٣)، وإعمال الكلام أولى من إهماله (٢٥٤) كما أنه لا يخفى ما فيه من انسجام وتوافق مع تعظيم حرمة هذا البلد الأمين. يقول الحافظ ابن حجر: " وإنما اختصت بذلك عندهم - أي القائلين بخصوصية مكة - لإمكان إيصالها إلى ربها؛ لأنها إن كانت للمكي فظاهر، وإن كانت للأفاقي فلا يخلو أفق غالباً من وارد إليها، فإذا عرفها واجدها في كل عام سهل التوصل إلى معرفة صاحبها" (٢٥٥).

يضاف إلى ما تقدم أن الأمر قد تيسر في عصرنا هذا؛ حيث خصصت الجهات المسؤولة في الحرم موضعاً معلوماً لاستلام المفقودات، والاحتفاظ بها، ريثما يأتي أصحابها، فأراحوا الواجد من عناء التعريف بها، ويسروا له سبيل تبرئة ذمته، كما

أنهم سهلوا على صاحبها سبيل الوصول إلى المكان الذي يأمل أن يجد فيه ماله الذي افتقده، وهو أمر يخدم مقاصد الشريعة في الحفاظ على أموال الناس، كما أنه يخدم المقصد الشرعي الذي من أجله شرعت أحكام اللقطة، وبذلك أصبحت المشكلة محلولة من جذورها.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ومصطفاه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة:

- والآن بعد هذه الجولة الممتعة مع الخصائص الكبرى لمكة المكرمة أعود لأذكر بأهم ما انتهى إليه البحث.
- ١- إن الله سبحانه وتعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وجدد هذه الحرمة وأظهرها على لسان خليله إبراهيم عليه السلام.
 - ٢- للحرم معالم ومنازل قائمة تبين حدوده، وقد أضحى اليوم بعضها داخل مكة لتوسعتها العمراني، وبعضها لا يزال خارجها.
 - ٣- سفك الدم الحرام بمكة من أكبر الكبائر ومن الإلحاد فيه. ومثله كل ما يمكن أن يزرع الرعب في قلوب أهلها ليتمكن الناس من أداء نسكهم وطاعتهم بكل هدوءٍ وطمأنينة. ولا يحل لأحد أن يجتاحها أو يقاتل أهلها بما يعم - وإن استوجبه شرعاً - ما وجد إلى ذلك سبيلاً.
 - ٤- من وجب عليه قصاص أو حد شرعاً استوفى منه وإن لاذ بالحرم، سواء أكان قد ارتكب الجنائية أو الحد في الحرم وبقي فيه، أم خارجه ثم لاذ به. وإن كان الأولى أن يخرج من الحرم ويقام عليه الحد خارجه تعظيماً له.
 - ٥- لا يحل تنفير صيد مكة أو إزعاجه، ومن قتله كان عليه الجزاء وخير بين المثل والإطعام والصيام. والصيد الممنوع: هو كل حيوان بري، متوحش الأصل، مأكول اللحم.
 - ٦- لا يحل قطع الشجر أو النبات الرطب في الحرم إلا الإذخر، فإن فعل استغفر ربه ولا جزاء. ويجوز قطع ما استتبهته الناس من زرع أو شجر، وكذا اليابس لأنه حطب، ويجوز الرعي فيه.
 - ٧- لا يحل لأحد أن يلتقط اللقطة بمكة بقصد التملك إن لم يظهر لها صاحب، بل يظل يعرف بها حتى ييأس ثم تؤول لبيت المال. وفي عصرنا هذا يسلمها للجهة المختصة في الحرم.

الهوامش:

١. درج معظم من كتب في خصائص مكة وفضائلها كماوردى والعز بن عبد السلام والزرکشي وابن ظهيرة القرشي وغيرهم على دمج الفضائل بالخصائص والذي يظهر لي أن في الخصائص ما لا يمكن عده في الفضائل إلا على سبيل التوسع، كتحريم سفك الدم في مكة وتحريم صيدها... و من ثم فقد آثرت الفصل بينهما، فأفردت الفضائل ببحث مستقل قدمته لجملة مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وقد قبل للنشر والحمد لله، وأفردت الخصائص الكبرى بهذا البحث الذي بين أيدينا.
٢. دفعتني إلى الكتابة في هذين الموضوعين (الفضائل والخصائص) الرغبة في المساهمة فيما أعلنته منظمة المؤتمر الإسلامي من اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية لهذا العام ١٤٢٦هـ وهي أول بلد يتم اختياره لهذه المناسبة، وقد جاء ذلك على غرار ما فعلته منظمة المدن العربية من اختيار بلد عربي كل سنة عاصمة للثقافة العربية.
٣. نقل خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه جملة من الصحابة رضوان الله عليهم وبروايات عديدة أشهرها الأحاديث الثلاثة الآتية:
الحديث الأول- عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: أذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم للغد من يوم الفتح، فسمعت أذناي، ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به. إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب) فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة. صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٦. صحيح مسلم: ٩٨٧/ ٢ رقم ١٣٥٤. قال النووي: خربة بفتح الخاء المعجمة وإسكان الراء هذا هو المشهور. ويقال: بضم الخاء أيضاً وأصلها سرقة الإبل، وتطلق على كل خيانة. انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٨/٩.
- الحديث الثاني- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة: (لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض وهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها) قال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم. قال:

- قال: (إلا الإذخر). صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٦ - ١٧٣٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٦ - ٩٨٧ رقم ١٣٥٣ - ١٣٥٤.
- الحديث الثالث - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فركب راحلته، فخطب فقال: (إن الله عز وجل حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يخبط(وفي رواية ولا يختلى) شوكتها، ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين؛ إما أن يعطي - يعني الدية - وإما أن يقاد أهل القتل) قال: فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله. فقال: (اكتبوا لأبي شاه) فقال رجل من قريش: إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إلا الإذخر). صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٨ رقم ١٣٥٥.
٤. قال ابن حجر هكذا وقع عند أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. انظر فتح الباري: ٤٤٠/٣.
٥. صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٥؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٦ رقم ١٣٥٣؛ سنن الترمذي: ٣/ ١٧٣ رقم ٨٠٩؛ سنن النسائي: ٥/ ٢٠٣ رقم ٢٨٧٤
٦. الإجماع لابن المنذر: ١/ ٥٧.
٧. شفاء الغرام: ١/ ٥٤؛ العقد الثمين: ١/ ٣٧.
٨. المجموع: ٧/ ٣٨٦؛ العقد الثمين: ١/ ٣٧؛ شفاء الغرام: ١/ ٥٥؛ إعلام الساجد: ٦٣. وقد ذكروا أن إبراهيم عليه السلام علمها ونصب العلامات فيها، وجبريل عليه السلام يريه مواضعها، ثم أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بتجديدها عام الفتح، ثم عمر ثم عثمان ثم معاوية رضي الله عنهم. لكنهم لم يذكروا لذلك سنداً.
٩. تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً: ١٧ - ٢٤؛ المجموع: ٧/ ٣٨٥؛ العقد الثمين: ١/ ٣٨؛ إعلام الساجد: ٦٣؛ شفاء الغرام: ١/ ٥٥ - ٦٦.
١٠. صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٦ صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٦ رقم ١٣٥٣.
١١. صحيح البخاري: ٣/ ٢٣٢ رقم ٣١٨٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٩٣ رقم ١٣٦٥.
١٢. المجموع: ٧/ ٣٨٧؛ الجامع اللطيف: ١٠٥؛ كشاف القناع: ٢/ ٤٦٨؛ إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: ٣/ ٣٠.
١٣. حديث: (إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته). إسناده صحيح. انظر: صحيح ابن حبان: ١٤/ ٣١٣ رقم ٦٤٠٤؛ مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٣.
١٤. تفسير ابن كثير: ١/ ١٧٥.

١٥. شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٤/٩: المجموع: ٧/ ٣٨٧؛ الجامع اللطيف: ١٠٥؛ كشاف القناع: ٤٦٨/٢.
١٦. شفاء الغرام: ٥٤/١: إعلام الساجد ٦٤ - ٦٥.
١٧. جامع البيان للطبري: ٥٣٤/١: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٦٩؛ أحكام القرآن لابن العربي: ٥٧/١. وقال ابن حزم: "كان الرجل في الجاهلية يقتل الرجل ثم يعلق في رقبته الصوفة، ثم يدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول أو أبوه فلا يحركه" المحلى: ١٠٠/ ٤٩٤.
١٨. صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٦. صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٧ رقم ١٣٥٤.
١٩. المحلى: ١٠٠/٤٩٨: ٩٧/١١؛ أحكام الأحكام لابن دقيق العيد: ٣/٢٧.
٢٠. البغاة: هم الخارجون على الإمام الحق - الحاكم الشرعي - بتأويل سائغ، ولهم منعة وشوكة. والأصل فيهم أنهم لا يقاتلون ماداموا على الطاعة ملتزمين بتأدية الحقوق الواجبة عليهم، ولا يسمعون إلى خلع الحاكم بالوسائل غير المشروعة، فإذا قاتلوا قتلوا بالاتفاق، وكذا لو أعلنوا الخروج على الحاكم، ورفضوا الانصياع لأوامره في غير معصية، فإنهم يقاتلون. انظر: رد المحتار: ٤/٢٦١ - ٢٦٤؛ مواهب الجليل: ٦/٢٧٧ - ٢٧٨؛ مغني المحتاج: ٤/١٢٣؛ الإنصاف: ١٠/٣١١ - ٣١٢.
٢١. نقله ابن حزم وابن خويزمنداد وابن العربي. انظر: بدائع الصنائع: ٧/١١٤؛ رد المحتار: ٢/٦٢٥؛ أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ١٥٣/ ٢: ٤٥٦؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/١١١؛ المجموع: ٧/ ٣٩٠؛ الإنصاف: ١٠/١٦٧ - ١٦٩؛ المحلى: ١٠٠/ ٤٩٦.
٢٢. انظر: بدائع الصنائع: ٧/١١٤؛ أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٤٥٦؛ المجموع: ٧/ ٣٨٨؛ شرح منتهى الإرادات: ١/٦٦٦.
٢٣. الذخيرة: ٣/٢١٠؛ مواهب الجليل: ٣/٢٠٥.
٢٤. المجموع: ٧/٣٩٠.
٢٥. المبدع: ٩ / ٩٥ مطالب أولى النهى: ٦ / ١٧٠ .
٢٦. المحلى: ١١/ ٩٦.
٢٧. مواهب الجليل: ٣/٢٠٤ - ٢٠٥. وانظر أيضاً: الذخيرة: ٣/٢١٠.
٢٨. المجموع: ٧/٣٩٠. وانظر أيضاً: شرح النووي على صحيح مسلم: ٩/١٢٤ - ١٢٥.
٢٩. المحلى: ١١/ ٩٦. وانظر أيضاً: المبدع: ٩- ٥٨ - ٥٩؛ كشاف القناع: ٦/٨٧ - ٨٨؛ مطالب أولى النهى: ٦/١٧١.
٣٠. البدائع: ٧/١١٤.
٣١. المبدع: ٩ / ٥٩ ، الفروع: ٦ / ٧٠ .
٣٢. مواهب الجليل: ٣/٢٠٤ - ٢٠٥.

٣٣. المجموع: ٣٩٠/٧. وانظر أيضاً: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٤/٩ - ١٢٥.
٣٤. الإنصاف: ١٦٨/١٠ - ١٦٩.
٣٥. فتح الباري: ٤/ ٤٨.
٣٦. أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٠/٢.
٣٧. مواهب الجليل: ٢٠٤/٣.
٣٨. المجموع: ٣٩٠/٧؛ مواهب الجليل: ٢٠٤/٣؛ الفروع: ٧٠/٦.
٣٩. أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٢/١؛ المغني: ٩٢/٩؛ نيل الأوطار: ١٩٥/٧.
٤٠. أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٤/ ٢؛ المغني: ٩١/٩.
٤١. أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٤/ ٢؛ المبدع: ٩ / ٥٩؛ مطالب أولي النهى: ١٧٠/٦.
٤٢. صحيح البخاري: ٦٥١/٢؛ رقم ١٧٣٦. صحيح مسلم: ٩٨٧/ ٢؛ رقم ١٣٥٤.
٤٣. إحكام الأحكام: ٢٧ / ٣ / ٢٥.
٤٤. فتح الباري: ٤/ ٤٨. وانظر: إحكام الأحكام: ٢٥/٣ - ٢٧.
٤٥. فتح الباري: ٤/ ٤٨.
٤٦. إحكام الأحكام: ٢٧/٣.
٤٧. المسند: ٢٦٥/١١ رقم ٦٦٨١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٠٣ رقم ٣٦٩٠٤؛ مجمع الزوائد: ١٧٨/٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط تعليقاً عليه: إسناده حسن. ومعنى ذحول الجاهلية: طلب دم في الجاهلية. فتح الباري: ٢١١/١٢.
٤٨. أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٦/ ٢.
٤٩. مواهب الجليل: ٢٠٤/٣.
٥٠. الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٢/٢؛ وانظر أيضاً: جامع البيان للطبري: ١٩٢//٢ - ١٩٣؛ أحكام القرآن لابن العربي: ٥٧/١.
٥١. الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٢/٢؛ جامع البيان للطبري: ١٩٢//٢ - ١٩٣؛ زاد المسير: ١٩٩/١ - ٢٠٠.
- قال القاضي أبو بكر بن العربي " حضرت في بيت المقدس طهره الله بمدرسة أبي عتبة الحنفي والقاضي الزنجاني يلقي علينا الدرس في يوم جمعة، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رجل بهي المنظر، فسلم سلام العلماء. فقال له الزنجاني: من السيد؟ فقال له: رجل سلبه الشطار أمس، وكان مقصدي هذا الحرم المقدس، وأنا رجل من أهل صاغان من طلبة العلم. فقال القاضي مبادراً: سلوه - على العادة في إكرام العلماء بمبادرة سؤالهم - ووقعت القرعة على مسألة الكافر إذا التجأ إلى الحرم هل يقتل فيه أم لا؟ فأفتى بأنه لا يقتل. فسئل عن الدليل. فقال: قوله تعالى (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) قرئ ولا تقتلوهم ولا تقتلوهم فإن قرئ ولا تقتلوهم فالمسألة نص، وإن قرئ ولا تقتلوهم، فهو تنبيه لأنه إذا نهى عن القتال الذي هو سبب القتل كان دليلاً بيناً ظاهراً على النهي عن

- القتل. فاعترض عليه القاضي الزنجاني منتصراً للشافعي ومالك وإن لم ير مذهبهما على العادة فقال:
هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). فقال له الصاغاني: هذا لا يليق
بمنصب القاضي وعلمه، فإن هذه الآية التي اعترضت بها علي عامة في الأماكن، والآية التي احتججت
بها خاصة، ولا يجوز لأحد أن يقول إن العام ينسخ الخاص. فأبتهت القاضي الزنجاني. قال ابن العربي:
وهذا من بديع الكلام. انظر أحكام القرآن له: ١٥٢/١؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٢/٢ - ٣٥٣.
٥٢. انظر: إرشاد الفحول: ١٦٢.
٥٣. تفسير القرطبي: ١١١/٢.
٥٤. المرجع نفسه: ١٤٠/٤.
٥٥. المرجع نفسه: ١١١/٢.
٥٦. شرح الزرقاني: ٣٨٤/٢. حاشية الدسوقي: ٤/ ٢٦١.
٥٧. انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١؛ تفسير القرآن العظيم: ٧٠/١؛ زاد المسير: ٦١/١ تفسير آية: (أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) البقرة: ٣٠.
٥٨. صحيح البخاري: ٦/ ٢٥٢٣ رقم ٦٤٨٨.
٥٩. الأم: ٤/ ٢٩٠؛ السنن الكبرى للبيهقي: ٩/ ٢١٣ رقم ١٨٥٦٤؛ شرح النووي على صحيح مسلم: ٩/ ١٢٥.
٦٠. أحكام الأحكام: ٣/ ٢٥ - ٢٧. وانظر أيضاً فتح الباري: ٤/ ٤٨.
٦١. سبق تخريجه. انظر الهامش رقم ٥٨.
٦٢. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من أهل العلم بل ربما أكثرهم كانوا يرون أن عبد الله بن الزبير أحق
بالخلافة من عبد الملك بن مروان، وأنه ليس لهذا الأخير بيعة في عنق ابن الزبير وأهل الحجاز، ومن ثم
فلا يوصف عملهم بالبغي، ولا يشرع له مقاتلتهم أصلاً، فضلاً عن أن يكون هذا بمكة حرسها الله.
٦٣. انظر صفحة ٩٦ - ٩٧ من هذا البحث.
٦٤. أحكام القرآن لابن العربي: ١٥٣/١.
٦٥. جامع البيان الطبري: ٤/ ١٤ - ١٥.
٦٦. أحكام القرآن: ٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥.
٦٧. الاستذكار: ٢٥٦/٨.
٦٨. المغني: ٩٢/٩.
٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ١١١/٢.
٧٠. فتح الباري: ٤/ ٤٧؛ الدر المختار: ٦/ ٥٤٧.
٧١. المحلى: ٧/ ٢٦٢.
٧٢. المغني: ٩٢/٩.

٧٣. صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٩١ رقم ٦٤٠٦؛ صحيح مسلم: ٣/ ١٣١٥ رقم ١٦٨٨.
٧٤. مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥١ رقم ٩٢٢٥؛ ٩٢٢٧؛ جامع البيان للطبري: ٤/ ١٣؛ وفي المغني عن الأثر بسنده: ٩٢/٩.
٧٥. انظر الصفحة السابقة من هذا البحث.
٧٦. المغني: ٩٢/٩.
٧٧. المرجع نفسه؛ فتح الباري: ٤/ ٤٧.
٧٨. المبدع: ٩/ ٥٨.
٧٩. المرجع نفسه.
٨٠. صحيح البخاري: ٢/ ٦٥١ رقم ١٧٣٦. صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٧ رقم ١٣٥٤.
٨١. نيل الأوطار: ٧/ ١٩٤.
٨٢. انظر هذه الآثار في المحلى: ٧/ ٢٦٢؛ ١٠/ ٤٩٣.
٨٣. مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥٢ رقم ٩٢٢٦.
٨٤. المرجع نفسه: ٥/ ١٥٢ رقم ٩٢٢٩.
٨٥. المرجع نفسه.
٨٦. المحلى: ٧/ ٢٦٢.
٨٧. المحلى: ١٠/ ٤٩٦.
٨٨. صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٩١ رقم ٦٤٠٦؛ صحيح مسلم: ٣/ ١٣١٥ رقم ١٦٨٨.
٨٩. انظر الصفحة السابقة.
٩٠. مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥١ - ١٥٢ رقم ٩٢٢٥ - ٩٢٢٩؛ تفسير الطبري: ٤/ ١٢ - ١٤.
٩١. انظر صفحة ١٠٠ - ١٠١ من هذا البحث.
٩٢. الذخيرة: ١٢/ ٣٤٨؛ شرح الزرقاني على الموطأ: ٢/ ٣٨٤..
٩٣. انظر صفحة ١٠٠ - ١٠١ من هذا البحث.
٩٤. تفسير القرآن العظيم: ١/ ١٧٢.
٩٥. الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١١١.
٩٦. مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥١ رقم ٩٢٢٥؛ تفسير الطبري: ٤/ ١٣.
٩٧. المرجعان السابقان.
٩٨. مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥١ - ١٥٢ رقم ٩٢٢٥؛ ٩٢٢٧؛ جامع البيان للطبري: ٤/ ١٢. وتمام الرواية أن ابن الزبير قبض على أناس عند قلعة بالطائف وهم يتجسسون عليه، فأدخلهم الحرم، ثم بعث إلى ابن عباس يستشيرهم في أمرهم، فقال له ابن عباس: كان يمكنك قتلهم قبل إدخالهم إلى الحرم، فأخرجهم ابن الزبير إلى الحل فقتلهم وصلبهم، فأنكر عليه ابن عباس ذلك.

٩٩. التاج والإكليل ج/٦/ص ٢٥٣: الشرح الكبير: ٢٦١/٤.
١٠٠. روضة الطالبين: ٢٢٤/٩: مغني المحتاج: ٤٣/٤.
١٠١. نيل الأوطار: ١٩٤/٧.
١٠٢. غريب الحديث: ٢/ ٤٠٦: الجامع لأحكام القرآن: ٤١/٤.
١٠٣. أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٣٠٥: الدر المختار: ٥٤٧/٦.
١٠٤. المغني: ٩١/٩: كشاف القناع: ٨٧/٦.
١٠٥. المحلى: ٩٨/١٠.
١٠٦. انظر الآثار عنهم في مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٥١ - ١٥٣ رقم ٩٢٣٠ و ٩٢٣٠٣ - ٣٠٤ رقم ١٧٣٠٨ - ١٧٣٠٣.
١٠٧. جامع البيان: ١٤/٤.
١٠٨. الدر المختار: ٥٤٧/٦: المغني: ٩١/٩: المبدع: ٥٨/٩: المحلى: ٩٨/١٠: مصنف عبد الرزاق: ٥٢/٥ رقم ٩٢٢٧: جامع البيان: ١٣/٤.
١٠٩. جامع البيان: ١٣/٤.
١١٠. المرجع السابق: ١٢/٤ - ١٥.
١١١. الكافي: ٤٨/٤: كشاف القناع: ٨٧/٦: المحلى: ٩٨/١٠.
١١٢. الدر المختار: ٥٤٧/٦: الكافي: ٤٨/٤: سيل السلام: ٥٥/٤.
١١٣. رد المحتار: ٦٢٥/٢: ٥٤٧/٦: الدر المختار: ٣٠٥/٢: الدر المختار: ٥٤٧/٦. يقول الجصاص: "وأما ما دون النفس فإنه يؤخذ به؛ لأنه لو كان عليه دين فلجأ إلى الحرم حبس به، والحبس في الدين عقوبة، وهو فيما دون النفس، فكل حق وجب فيما دون النفس أخذ به وإن لجأ إلى الحرم قياساً على الحبس في الدين". أحكام القرآن: ٢/ ٣٠٦.
١١٤. السنن الكبرى للبيهقي: ٢١٣/٩ رقم ١٨٥٦٧: الذخيرة: ٣٤٨/١٢: نيل الأوطار: ١٩٤/٧.
١١٥. صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٩ رقم ١٣٥٧. قال ابن عبد البر: هو رجل من بني تميم بن غالب (واسمه عبد الله) قتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برة الأسلمي، اشتركا في دمه. قال: وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه بعثه مصدقاً وكان مسلماً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً فنزل ابن خطل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، ويصنع له طعاماً، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً. انظر التمهيد: ١٧٠/٦.
١١٦. غريب الحديث للخطابي: ٢/ ٤٠٦: التمهيد: ١٦٨/٦ - ١٦٩: الجامع لأحكام القرآن: ٤١/٤: مغني المحتاج: ٤٣/٤.
١١٧. مغني المحتاج: ٤٣/٤.

- ١١٨ . صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٥. صحيح مسلم: ٩٨٧/ ٢ رقم ١٣٥٤.
- ١١٩ . الذخيرة: ٣٤٨/١٢. وانظر صفحة ١٠٣ من هذا البحث
- ١٢٠ . صحيح البخاري: ٦٥٠/٢ رقم ١٧٣٢.
- ١٢١ . أحكام الأحكام: ٣١/٣؛ شرح الزرقاني: ٣٨٤/٢؛ مغني المحتاج: ٤٣/٤.
- ١٢٢ . أحكام القرآن لابن العربي: ٥٩/١.
- ١٢٣ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٤/ ٢؛ وانظر صفحة ٩٨ من هذا البحث.
- ١٢٤ . صحيح البخاري: ٦٥١/٢ رقم ١٧٣٥. صحيح مسلم: ٩٨٧/ ٢ رقم ١٣٥٤.
- ١٢٥ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٦/ ٢؛ المغني: ٩١/٩.
- ١٢٦ . لتخريجه انظر الهامش رقم ٤٧ .
- ١٢٧ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٣/ ١ - ٣٢٤/ ٢؛ ٣٠٦.
- ١٢٨ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٥/ ٢؛ المغني: ٩١/٩؛ المحلى: ٤٩٨/١٠.
- ١٢٩ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٠٥/ ٢ - ٣٠٦.
- ١٣٠ . نيل الأوطار: ١٩٤/٧.
- ١٣١ . إرشاد الفحول: ١١٥؛ بتصرف يسير.
- ١٣٢ . انظر شرح الكوكب المنير: ١١٥/٣ - ١١٩؛ مباحث الكتاب والسنة لليوطي: ١٥٢.
- ١٣٣ . المحلى: ٤٩٥/١٠؛ المغني: ٩١/٩؛ فتح الباري: ٤٤٠/٣.
- ١٣٤ . المغني: ٩١/٩؛ أحكام الأحكام: ٢٨/٣.
- ١٣٥ . نيل الأوطار: ١٩٣/٧.
- ١٣٦ . المغني: ٩١/٩.
- ١٣٧ . انظر الصفحة ١٠٠ - ١٠١ من هذا البحث.
- ١٣٨ . الذخيرة: ٣٤٨/١٢. شرح الزرقاني: ٣٨٤/٢.
- ١٣٩ . جامع البيان: ١٤/٤ - ١٥.
- ١٤٠ . انظر الصفحة ١٠٢ - ١٠٣ من هذا البحث.
- ١٤١ . انظر الصفحة ١٠٣ من هذا البحث.
- ١٤٢ . سبق تخريجه . انظر الهامش رقم ٣ هذا البحث.
- ١٤٣ . شرح النووي على صحيح مسلم: ٩٠/ ٩ - ١٢٦؛ أحكام الأحكام: ٣٠/ ٣ - ٣١. وقد ورد في رواية عند مسلم: (إن إبراهيم حرم مكة، واني حرمت المدينة ما بين لابتها، لا يقطع عضاها، ولا يصاد صيدها.) صحيح مسلم: ٩٩٢/٢ رقم ١٣٦٢.
- ١٤٤ . أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ١٣٠. وقد ذكره غيره أيضاً. انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٩٠/٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/٦.

- ١٤٥ . الهداية شرح البداية: ١/ ١٦٩؛ التاج والإكليل: ٣/ ١٧١؛ الفواكه الدواني: ١/ ٣٦٨.
- ١٤٦ . المبسوط: ٤/ ٩٠.
- ١٤٧ . الدر المختار: ٢/ ٥٧٠ - ٥٧١؛ البحر الرائق: ٣/ ٣٩؛ التاج والإكليل: ٣/ ١٧١؛ الفواكه الدواني: ١/ ٣٦٨؛ الشرح الكبير: ٢/ ٧٢: ٧٩.
- ١٤٨ . المجموع: ٧/ ٢٦٣؛ كشاف القناع: ٢/ ٤٣٨ - ٤٣٩؛ المحلى: ٧/ ٢٣٨: ٢٤٢ - ٢٤٣.
- ١٤٩ . أحكام القرآن للشافعي: ١٢٥ - ١٢٦.
- ١٥٠ . المحلى: ٧/ ٢٤٢.
- ١٥١ . انظر مادة (صيد) لسان العرب باب الدال؛ القاموس المحيط باب الدال فصل الصاد.
- ١٥٢ . انظر إرشاد الفحول: ٢١ - ٢٢؛ مباحث الكتاب والسنة: ٥٨ - ٦٤.
- ١٥٣ . صحيح البخاري: ٢/ ٦٤٩ رقم ١٧٣١ - ١٧٣٢؛ ٣/ ١٢٠٤ رقم ٣١٣٦ - ٣١٣٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ٨٥٧ رقم ١١٩٨ - ١١٩٩.
- ١٥٤ . المبسوط: ٤/ ٩٠.
- ١٥٥ . صحيح مسلم ٢/ ٨٥٦: ٨٥٨ رقم ١١٩٨: ١٢٠٠.
- ١٥٦ . فتح الباري: ٤/ ٤٠.
- ١٥٧ . المبسوط: ٤/ ٩١؛ الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٢.
- ١٥٨ . فتح الباري: ٤/ ٣٩.
- ١٥٩ . المبسوط: ٤/ ٩١؛ الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٢.
- ١٦٠ . المرجعان السابقان.
- ١٦١ . فتح الباري: ٤/ ٤٠.
- ١٦٢ . إحكام الأحكام: ٣/ ٣٣ - ٣٤؛ فتح الباري: ٤/ ٤٠. وانظر المبسوط: ١٢/ ١١٣ حيث فرق بين الموضوعين بأن حديث (خمس فواسق) نص على أنها خمس، وفي تعديده الحكم إلى غيرها إبطال لما دل عليه النص، بخلاف حديث (البر بالبر) فإنه لم يقل ست، ومن ثم لم يكن في تعديده الحكم إلى ما سواها إبطالاً للنص.
- ١٦٣ . فتح الباري: ٤/ ٤٠.
- ١٦٤ . المحلى: ٧/ ٢٤٣؛ نيل الأوطار: ٥/ ٩٦.
- ١٦٥ . صحيح البخاري: ٣/ ١٢٠٤ رقم ٣١٣١ - ٣١٣٣؛ صحيح مسلم ٢/ ٨٥٦: ٨٥٨ رقم ١١٩٨: ١٢٠٠.
- ١٦٦ . المستدرک على الصحيحين: ٢/ ٥٨٨ رقم ٣٩٨٤ وهو حديث حسن. انظر فتح الباري: ٤/ ٣٩؛ شرح الزرقاني على الموطأ: ٢/ ٣٨٦.
- ١٦٧ . التمهيد: ١٥/ ١٦٠؛ شرح الزرقاني على الموطأ: ٢/ ٣٨٦.

- ١٦٨ . التاج والإكليل: ١٧٣/٣؛ الفواكه الدواني: ١/ ٣٦٧؛ مواهب الجليل: ٣/ ١٧٣ - ١٧٤؛ الشرح الكبير: ٢/ ٧٤/.
- ١٦٩ . المستدرک على الصحيحين: ٢/ ٥٨٨ رقم ٣٩٨٤ وهو حديث حسن. انظر فتح الباري: ٤/ ٣٩؛ شرح الزرقاني على الموطأ: ٢/ ٣٨٦.
- ١٧٠ . فتح الباري: ٤/ ٣٩.
- ١٧١ . الذخيرة: ٣/ ٣١٥؛ إحصاء الأحكام: ٣/ ٣٣ - ٣٤؛ فتح الباري: ٤/ ٤٠.
- ١٧٢ . الذخيرة: ٣/ ٣١٥.
- ١٧٣ . إحصاء الأحكام: ٣/ ٣٦.
- ١٧٤ . المحلى: ٧/ ٢٤٠.
- ١٧٥ . انظر: المجموع: ٧/ ٣٨٤ - ٣٨٥؛ كشف القناع: ٢/ ٤٣٩؛ المحلى: ٧/ ٢٣٩ - ٢٤٠؛ فتح الباري: ٤/ ٤٠.
- ١٧٦ . صحيح البخاري: ٣/ ١٢٠٤ رقم ٣١٣٣ - ٣١٣٣؛ صحيح مسلم: ٢/ ٨٥٦؛ ٨٥٨ رقم ١١٩٨: ١٢٠٠.
- ١٧٧ . السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ٢١٢ رقم ٩٨٣٨. قال النووي: رواه الشافعي والبيهقي بإسناد صحيح. المجموع: ٧/ ٣٨٣.
- ١٧٨ . المغني: ٣/ ١٦٤.
- ١٧٩ . صحيح مسلم: ٣/ ١٥٤٨ رقم ١٩٥٥.
- ١٨٠ . المجموع: ٧/ ٣٨٣.
- ١٨١ . السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ٢١٤ رقم ٩٨٥٢ - ٩٨٥٣.
- ١٨٢ . سنن أبي داود: ٤/ ٣٦٧ رقم ٥٢٦٧. قال النووي: إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم. المجموع: ٧/ ٣٨٣.
- ١٨٣ . سنن أبي داود: ٤/ ٣٦٨ رقم ٥٢٦٩؛ سنن النسائي: ٣/ ١٦٦ رقم ٤٨٦٧؛ السنن الكبرى للبيهقي: ٩/ ٢٥٨ رقم ١٨٧٨٣. قال النووي: إسناد أبي داود حسن وإسناد النسائي صحيح. انظر المجموع: ٩/ ٢٩.
- ١٨٤ . المحلى: ٧/ ٢٤٢.
- ١٨٥ . المحلى: ٧/ ٢٤٣.
- ١٨٦ . المجموع ج: ٧ ص: ٣٩٨؛ شرح النووي على صحيح مسلم: ٩/ ١٢٥ - ١٢٦؛ البحر الرائق: ٣/ ٣٩ - ٤٠؛ المدونة: ٣/ ٧٥ - ٧٦؛ حاشية الدسوقي: ٢/ ٧٨ - ٧٩؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٤ - ٥٢٥؛ المبدع: ٣/ ١٩٨ - ٢٠٢؛ كشف القناع: ٢/ ٤٦٨؛ المحلى: ٧/ ٢٣٦.
- ١٨٧ . أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ١٣٠؛ المبسوط: ٤/ ٩٧؛ أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ١٩٠؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦/ ٣٦.
- ١٨٨ . سبق تخريجه. انظر الهامش رقم ٣ من هذا البحث.

- ١٨٩ . المبسوط: ٩٧/ ٤.
- ١٩٠ . الأم: ٩٥/٢. قال الحافظ ابن حجر إسناده حسن. انظر: تلخيص الحبير: ٢/ ٢٨٥. ومعنى عنز ثنية : عنز دخل السنة الثانية. وعفراء: أي بيضاء بياضاً غير ناصع، بل يشبه لون التراب. انظر النهاية في غريب الأثر: باب الثاء مع النون، وباب العين مع الفاء.
- ١٩١ . الأم: ٩٥/٢.
- ١٩٢ . المرجع نفسه.
- ١٩٣ . المغني: ١٦٦/٣. وانظر الأم ٣٩/٢ - ٩٦.
- ١٩٤ . المغني: ١٦٦/٣؛ فتح الوهاب: ١/ ٢٦٤؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٤.
- ١٩٥ . المحلى: ٢٤٢/٧؛ المغني: ١٦٦/٣.
- ١٩٦ . إرشاد الفحول: ٢٣٧؛ أصول مذهب الإمام أحمد: ٤١٥ - ٤٢٨.
- ١٩٧ . التاج والإكليل: ٣/ ١٨٠؛ مواهب الجليل: ٣/ ١٨٠؛ المجموع: ٧/ ٣٩٩؛ روضة الطالبين: ٣/ ١٥٦؛ شرح منتهى الإرادات: ١/ ٥٦٤.
- ١٩٨ . المبسوط: ٩٧/ ٤؛ الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٤؛ البحر الرائق: ٣/ ٤٠.
- ١٩٩ . المبسوط: ٤/ ٨٢ - ٨٣؛ الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٠.
- ٢٠٠ . المجموع: ٧/ ٣٩٩.
- ٢٠١ . انظر أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ١٣٠؛ المبسوط: ٤/ ٩٧.
- ٢٠٢ . سبق تخريجه. انظر الهامش رقم ٣ من هذا البحث. والعُضد: القطع، أو الكسر. والخلا بفتح الخاء: الرطب من الكأ، ومثله العشب، فإذا يبس أصبح حشيشاً. ويختلى: يقطع. ويخبط: يضرب بالعصا ونحوها ليسقط ورقه. والإذخر: نبت طيب الرائحة يستعمله القين (الحداد) في وقود النار، كما يستعملونه في سقوف البيوت وفي القبور. شرح النووي على صحيح مسلم: ٩/ ١٢٥ - ١٢٧؛ البحر الرائق: ٤٦/٣.
- ٢٠٣ . الإجماع: ٥٧/١؛ البحر الرائق: ٤٦/٣؛ التاج والإكليل: ٣/ ١٧٨؛ المجموع: ٧/ ٣٧٧؛ المغني: ٣/ ١٦٨.
- ٢٠٤ . المبسوط: ٤/ ١٠٤؛ روضة الطالبين: ٣/ ١٦٥؛ مطالب أولي النهى: ٢/ ٣٧٨.
- ٢٠٥ . المدونة الكبرى: ٤٥٢/٢؛ الذخيرة: ٣/ ٣٣٧.
- ٢٠٦ . المبسوط: ٤/ ١٠٣؛ المدونة الكبرى: ٤٥١/٢؛ الذخيرة: ٣/ ٣٣٧؛ المغني: ٣/ ١٦٩؛ المجموع: ٧/ ٣٧٩.
- ٢٠٧ . المراجع السابقة.
- ٢٠٨ . فتح الوهاب: ١/ ٢٦٦؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٨؛ المغني: ٣/ ١٦٩.
- ٢٠٩ . المجموع: ٧/ ٣٧٩ - ٣٨٠.
- ٢١٠ . الذخيرة: ٣/ ٣٣٧.

٢١١. انظر صفحة ١٢٩ من هذا البحث.
٢١٢. انظر صفحة ٤٥ من هذا البحث.
٢١٣. المجموع: ٣٨١/٧؛ التاج والإكليل: ١٧٨/٣.
٢١٤. رد المحتار: ٥٦٨/٢؛ مواهب الجليل: ١٧٨/٣؛ شرح منتهى الإرادات: ٥٦٥/١؛ المغني: ١٦٩/٣؛ شرح النووي على مسلم: ٩/ ١٢٥.
٢١٥. شرح النووي على صحيح مسلم: ٩/ ١٢٥ - ١٢٦؛ المجموع: ٣٧٨/٧؛ المغني: ١٦٩/٣.
٢١٦. المجموع: ٣٧٨/٧؛ نيل الأوطار: ٩٤/٥.
٢١٧. المبسوط: ٤/ ١٠٤؛ المغني: ٣/ ١٧٠؛ الفروع: ٣/ ٣٥٢؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٨.
٢١٨. الذخيرة: ٣/ ٣٣٧؛ التاج والإكليل: ٣/ ١٧٨؛ المجموع: ٧/ ٣٨٢؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٨.
٢١٩. رد المحتار: ٢/ ٥٦٩؛ مواهب الجليل: ٣/ ١٧٩؛ حاشية الدسوقي: ٢/ ٧٩؛ كشاف القناع: ٢/ ٤٧٠؛ المجموع: ٧/ ٣٨٢؛ المحلى: ٧/ ٢٦٠.
٢٢٠. المدونة الكبرى: ٢/ ٤٥١ - ٤٥٢؛ الذخيرة: ٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨؛ المجموع: ٧/ ٣٨٢.
٢٢١. صحيح مسلم: ١/ ٣٦١ رقم ٥٠٤.
٢٢٢. المدونة الكبرى: ٢/ ٤٥١؛ الذخيرة: ٣/ ٣٣٧؛ مغني المحتاج: ١/ ٥٢٨؛ شرح منتهى الإرادات: ١/ ٥٦٥؛ المحلى: ٧/ ٢٦٠ - ٢٦١.
٢٢٣. الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٥؛ البحر الرائق: ٣/ ٤٧؛ المغني: ٣/ ١٧٠.
٢٢٤. رد المحتار: ٢/ ٥٦٩.
٢٢٥. الهداية شرح البداية: ١/ ١٧٥؛ المجموع: ٧/ ٣٨٠؛ كشاف القناع: ٢/ ٤٧٠.
٢٢٦. المغني: ٣/ ١٧٠. وقال: رواه حنبل في المناسك.
٢٢٧. المرجع نفسه. وانظر السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ١٩٦ رقم ٩٧٣٠؛ المصنف: ٥/ ٤٢ رقم ٩١٩٤: ٩١٩٥.
٢٢٨. المغني: ٣/ ١٧٠؛ فتح الوهاب: ١/ ٢٦٦.
٢٢٩. التاج والإكليل: ٣/ ١٧٨؛ حاشية الدسوقي: ٢/ ٧٩.
٢٣٠. المغني: ٣/ ١٧٠؛ المحلى: ٧/ ٢٦١.
٢٣١. الاستذكار: ٤/ ٣٩٢.
٢٣٢. المغني: ٣/ ١٧٠.
٢٣٣. رواه الشافعي عن ابن الزبير من غير إسناد، كما رواه عن عطاء. وروي أيضاً عن عطاء وعبد الله بن عامر ونسب إلى ابن عباس أيضاً. انظر السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ١٩٦ رقم ٩٧٣٠.. المصنف: ٥/ ٤٢ رقم ٩١٩٤: ٩١٩٥. تلخيص الحبير: ٢/ ٢٨٧.
٢٣٤. مغني المحتاج: ١/ ٥٢٧.
٢٣٥. المجموع: ٧/ ٣٨٠؛ كشاف القناع: ٢/ ٤٧٠.

- ٢٣٦ . المجموع: ٢٨٠/٧.
- ٢٣٧ . الهداية شرح البداية: ١/١٧٥؛ البحر الرائق: ٣/٤٦.
- ٢٣٨ . السنن الكبرى للبيهقي: ٥/٩٦ رقم ٩٧٣٠؛ تلخيص الحبير: ٢/٢٨٧.
- ٢٣٩ . مصنف عبد الرزاق: ٥/٤٣ رقم ٩١٩٧؛ ٩١٩٨.
- ٢٤٠ . تلخيص الحبير: ٢/٢٨٧.
- ٢٤١ . التمهيد: ٣/١١٧ - الهداية شرح البداية: ٢/١٧٧؛ التاج والإكليل: ٦/٧٤؛ روضة الطالبين: ٥/٤١٢ - ٤١٣؛ المغني: ٦/١١.
- ٢٤٢ . صحيح البخاري: ٢/٨٥٨ رقم ٢٣٠٤ - ٢٣٠٦؛ صحيح مسلم: ٣/١٣٤٨ رقم ١٧٢٢ - ١٧٢٣؛ شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/٢٨.
- ٢٤٣ . الهداية شرح البداية: ٢/١٧٧؛ كفاية الطالب: ٢/٣٦٣؛ روضة الطالبين: ٥/٤١٢ - ٤١٣؛ المغني: ٦/١١.
- ٢٤٤ . سبق تخريجه قبل قليل في هذه الصفحة.
- ٢٤٥ . انظر تخريج الحديث ، انظر الهامش رقم ٣ من هذا البحث.
- ٢٤٦ . فتح الباري: ٥/٨٨؛ الهداية شرح البداية: ٢/١٧٧؛ كفاية الطالب: ٢/٣٦٣؛ المغني: ٦/١١.
- ٢٤٧ . روضة الطالبين: ٥/٤١٢ - ٤١٣.
- ٢٤٨ . لإنصاف: ٦/٤١٤.
- ٢٤٩ . انظر تخريج الحديث الهامش رقم ٣ من هذا البحث.
- ٢٥٠ . روضة الطالبين: ٥/٤١٢ - ٤١٣؛ الإنصاف: ٦/٤١٤.
- ٢٥١ . صحيح مسلم: ٣/١٣٥١ رقم ١٧٢٤؛ سنن أبي داود: ٢/١٣٩ رقم ١٧١٩.
- ٢٥٢ . المحلى: ٧/٢٧٩؛ شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/٢٨؛ روضة الطالبين: ٥/٤١٢ - ٤١٣.
- ٢٥٣ . الأشباه والنظائر للسيوطي: ١٣٥.
- ٢٥٤ . المرجع نفسه: ١٢٨.
- ٢٥٥ . فتح الباري: ٥/٨٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري(٦٠٦هـ) النهاية في غريب الأثر. ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ. تحقيق الزاوي والطناحي.
٢. الأصبغي، مالك بن أنس(١٧٩هـ). المدونة الكبرى. دار صادر. بيروت.
٣. الأنصاري، زكريا بن محمد(٩٢٦هـ). فتح الوهاب شرح منهج الطلاب. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ). صحيح البخاري. ط٣ دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ بيروت. تحقيق مصطفى البغا.
٥. البهوتي، منصور بن يونس (١٠٤٦هـ). شرح منتهى الإرادات. ط٢ دار عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م. - البهوتي. كشاف القناع عن متن الإقناع. طبعة مكتبة النصر الحديثة، الرياض، السعودية.
٦. البوطي، محمد سعيد رمضان(معاصر). مباحث الكتاب والسنة. ط٦ منشورات جامعة دمشق ١٤٢٠هـ.
٧. البيهقي، أحمد بن الحسين(٤٥٠هـ). السنن الكبرى. ط مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
٨. التركي، عبد الله بن عبد المحسن(معاصر). أصول مذهب الإمام أحمد. ط٣ مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٩. الترمذي، محمد بن عيسى(٢٧٩هـ). سنن الترمذي. ط دار إحياء التراث، بيروت.
١٠. الجصاص، أحمد بن علي الرازي(٣٧٠هـ). أحكام القرآن. دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٥هـ.
١١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ). زاد المسير. ط٣ المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ.
١٢. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ). المستدرک على الصحيحين. ط١ دار الكتب العلمية ١٤١١هـ بيروت.
١٣. ابن حزم، علي بن أحمد (٤٥٦هـ). المحلى بالآثار. ط دار الآفاق الجديدة. بيروت.
١٤. الحصكفي، علاء الدين محمد بن علي(١٠٨٨هـ). الدر المحتار شرح تنوير الأبصار. مطبوع مع رد المحتار، دار الفكر، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ.
١٥. الخطاب، أبو عبد الله محمد بن محمد (٩٥٤هـ). مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. طبعة أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم(٣٨٨هـ) غريب الحديث. ط ١٤٠٢هـ جامعة أم القرى. تحقيق عبد الكريم العزباوي.
١٧. الدردير، أبو البركات أحمد. الشرح الكبير على مختصر خليل. طبعة دار الفكر، بيروت.
١٨. الدسوقي، محمد بن عرفة(١٢٣٠هـ). حاشية على الشرح الكبير. طبعة دار الفكر، بيروت.

١٩. ابن دقيق العيد. أبو الفتح (٧٠٢هـ) إحكام الأحكام. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. الرحيباني، مصطفى السيوطي. مطالب أولي النهى. طبعة المكتب الإسلامي. دمشق.
٢١. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (١١٢٢هـ). شرح الزرقاني على الموطأ. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. الزركشي، محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ). إعلام الساجد بأحكام المساجد. ط٢ وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٠٣هـ القاهرة.
٢٣. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي تبيين الحقائق. ط١ دار الكتب الإسلامية. القاهرة ١٣١٣هـ
٢٤. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ). سنن أي داود. ط١ دار الفكر، بيروت.
٢٥. السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد (٤٩٠هـ). المبسوط. ط١ ١٩٨٩م، دار المعرفة، بيروت.
٢٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ). الأشباه والنظائر. ط١ دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، بيروت.
٢٧. الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ). أحكام القرآن. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- الشافعي. الأم. ط٢، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ بيروت.
٢٨. الشرييني، محمد بن أحمد الخطيب (٩٧٧هـ). مغني المحتاج. ط١ دار الفكر، بيروت.
٢٩. الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ). إرشاد الفحول. ط١ دار الفكر، بيروت.
- الشوكاني. نيل الأوطار. ط١ دار الجيل ١٩٧٣م، بيروت.
٣٠. الشيباني، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ). المسند. ط٢ مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ بيروت. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين.
٣١. ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (٢٣٥هـ). المصنف. ط١ مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٣٢. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ). المصنف. ط٢ المكتب الإسلامي. ١٤٠٣هـ بيروت.
٣٣. الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل (٨٥٢هـ) سبل السلام شرح أحاديث بلوغ المرام. ط١ دار إحياء التراث، بيروت ١٣٧٩هـ تحقيق محمد عبد العزيز الخولي.
٣٤. الطبري، محمد ابن جرير (٣١٠هـ). جامع البيان. ط١ دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٥. ابن ظهيرة القرشي، محمد جار الله (٩٨٦هـ). الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف. ط١ المكتبة الشعبية ١٣٩٣هـ، بيروت.
٣٦. ابن عابدين، محمد أمين (١٢٥٤هـ). حاشية رد المحتار على الدر المختار. ط١ خاصة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٣٧. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. الاستذكار. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن عبد البر. التمهيد. ط١ وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٨. عبد الغني، محمد إلياس (معاصر) تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً. ط ١. ١٤٢٢ هـ. مطابع الرشيد، المدينة المنورة.
٣٩. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ). أحكام القرآن. ط دار الفكر، بيروت.
٤٠. العسقلاني، أحمد بن علي (٨٥٢هـ). تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير دار النشر: المدينة المنورة. ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. تحقيق عبد الله هاشم يماني.
- العسقلاني. فتح الباري. ط دار المعرفة، بيروت.
٤١. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (٨٣٢هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.
- الفاسي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. ط ٢ مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ. بيروت.
٤٢. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ). القاموس المحيط. ط ٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٣. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد (٦٢٠هـ) الكافي. المكتب الإسلامي. بيروت.
- ابن قدامة. المغني. ط ١ دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٤٤. القرافي، أحمد بن إدريس (٦٨٤هـ). الذخيرة. طبعة الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
٤٥. القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. ط دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٥.
٤٦. القشيري، مسلم بن حجاج (٢٦١هـ). صحيح مسلم. ط ١ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٧٥م، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٧. الكاساني، أبو بكر بن مسعود (٥٨٧هـ). بدائع الصنائع. ط ٢ دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م.
٤٨. ابن كثير، إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. ط دار الفكر، ١٤٠١ هـ، بيروت.
٤٩. المرادوي، علي بن سليمان (٨٨٥هـ). الإنصاف. ط دار إحياء التراث، بيروت.
٥٠. المرغيناني، علي بن أبي بكر (٥٩٣هـ) الهداية شرح البداية. ط المكتب الإسلامي، بيروت.
٥١. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (٨٨٤هـ) المبدع شرح المقنع. ط المكتب الإسلامي، بيروت.
٥٢. ابن مفلح، محمد بن مفلح (٧٦٣هـ). الفروع. ط ١ دار الكتب العلمية ١٤١٨ هـ، بيروت.
٥٣. ابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري (٣١٨هـ). الإجماع. ط ٢ دار الدعوة، الاسكندرية. ١٤٠٢ هـ تحقيق د. فؤاد أحمد.
٥٤. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ). لسان العرب. طبعة دار صادر، بيروت.
٥٥. المواق، محمد بن يوسف العبدي (٨٩٧هـ) التاج والإكليل. ط ٢. دار الفكر. بيروت. ١٣٩٨هـ.
٥٦. ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوح (٧٩٢هـ). شرح الكوكب المنير. تحقيق: د. محمد الزحيلي و د. نزيه حماد، طبعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، مكتبة العبيكان، الرياض.
٥٧. ابن نجيم، زين الدين إبراهيم (٩٧٠هـ). البجر الرائق شرح كنز الدقائق. دار المعرفة، بيروت.

٥٨. النسائي، أحمد بن شعيب(٣٠٣هـ).السنن الكبرى. ط ١ دار الكتب العلمية ١٤١١هـ بيروت.
٥٩. النضراوي، أحمد بن غنيم بن سالم(١١٢٥هـ). الفواكه الدواني.ط دار الفكر ١٤١٥هـ بيروت.
٦٠. النووي، يحيى بن شرف(٦٧٦هـ) روضة الطالبين.ط٢.المكتب الإسلامي ،بيروت، ١٤٠٥هـ
- النووي. شرح صحيح مسلم. ط٢ دار إحياء التراث ١٣٩٢هـ بيروت.
- النووي. المجموع . ط دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.
٦١. الهيثمي، علي بن أحمد(٨٠٧هـ). مجمع الزوائد. ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ القاهرة.

Major Special Characteristics of Makkah Al-Mukarramah

Abdullah M. Al-Deirshawi

Department of Islamic Studies, College of Education, King Faisal University
Al-Hassa, Saudi Arabia

Abstract:

This paper illustrates when Makkah became holy and the special characteristics of its sanctity. The four major characteristics which maintain its sanctity should be observed by all people. These characteristics were announced by Prophet Muhammad, may Allah grant him peace, in public when the city was held by the Muslims for the first time.

The first characteristic states that no person shall be (unlawfully) killed in it. The violation of this amounts to a Major sin. But those who are lawfully sentenced can be executed for what they have done. The second characteristic states that hunt (wild) animal shall not be scared or disturbed within the scope of the city. The third characteristic states that trees and living vegetation shall not be cut or destroyed. However, what is planted for human consumption can be taken and used, and wood can be collected. The fourth characteristic states that, what is found in Makkah as lost property shall not be owned by the person(s) who found it and must be returned to the original owner. In cases where the original owner is not found, it goes to the finances of the Muslims, to shrine authorities in our days.

The paper concludes with a summary of the main ideas and some results.

إصلاحات الملك عبد العزيز الدينية في مكة المكرمة

أميمة بنت أحمد الجلاهمة

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية

جامعة الملك فيصل - الدمام

الملخص :

إصلاحات الملك عبد العزيز الدينية في مكة المكرمة قضية لم تلم بها الدراسات السابقة بالقدر الكافي بها، فالإصلاح الديني الذي أحدثه رحمه الله في مهبط الوحي، أعظم من أن تسطر حوله كلمة من هنا وكلمة من هناك، فقد تمكن من ذلك في فترة قياسية نسبياً.

طقوس كثيرة تناقض العقيدة الإسلامية السمحة وتتضارب مع أصولها، ظلت معمولاً بها لعقود، وبطبيعة الحال لم يكن إحداث هذا التغيير سهلاً بمكان، فقد اعتادها القوم أبا عن جد، واعتادها المسلمون من حجاج ومعتمرين، والصعوبة التي اكتتفت هذا التغيير تبدو واضحة لوجهنا الأنظار لدراسة الأوضاع الدينية في مكة المكرمة قديماً، عندها فقط يدرك الباحث مدى الجهد الذي بذله في هذا الشأن، فقد مضى في طريقه تباركه عناية الله سبحانه وتعالى.

إن الهدف من دراسة الإصلاح الديني لمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز كان لأهداف عدة، إحدها شكر النعم، فقد وعد المولى سبحانه الشاكرين بزيادة فضله، وهي محاولة لتبيان أن أمر الدعوة والإصلاح، مهما ظهر للبعض غائماً وصعب المنال، إلا أن تحصيله ليس مستحيلاً، فالإخلاص في الدعوة لدين الله، بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البينة، تعد أقوى الأسلحة لمن أراد الدعوة إلى الله سبحانه.

هذه البقعة الطاهرة نالت من الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله الاهتمام اللائق، فقد كان حريصاً على تمكينها من أداء رسالتها الدينية كمقصد للحجاج

والمعتمرين، وعلى تطهيرها من كل ما شابها من بدع وطقوس دخيلة، تتعارض في فحواها مع روح شريعة الله سبحانه، ونهج نبيه صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، كما كان حريصاً على إبقائها بعيدة عن أي نزاع خارجي أو داخلي، كان هدفه واضح بين لا يشوبه تشويه أو تأويل..

سعت هذه الدراسة للوقوف على بعض جوانب الحالة الدينية لمكة المكرمة قبل عهد عبد العزيز - رحمه الله - وبعده، كما وقفت عند البعد الديني لكيفية دخوله مكة المكرمة، وعند الظروف التي استدعت هذا التوجه.

وجدير بالملاحظة أنها اهتمت بدراسة بعض جوانب الإصلاح الديني للملك عبد العزيز رحمه الله، في مكة المكرمة خلال سنوات الأولى لحكمه، كما توقفت عند بعض إصلاحاته الإدارية المتعلقة بقدسية مكة المكرمة ودورها الديني.

ولا ريب أن العمل على تغطية كل جوانب الإيجابية لعملية البناء والتنمية التي شهدتها مكة المكرمة خلال حكم الملك عبد العزيز يتطلب عدة دراسات، والمجال هنا لا يحتمل هذا التوجه.

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. استفتح بالذي هو خير: (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

لم يكن اختيار وزراء الثقافة للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي خلال اجتماعهم الذي انعقد بالدوحة عام ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م لمكة المكرمة كعاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م اعتباراً، فهذا الاختيار مسوغاته الدينية والتاريخية، مسوغات لا يمكن لنا نحن المسلمين الاستهانة بها أو التغاضي عنها، بل لا يمكن للعالم المحايد إلا التوقف أمامها إجلالاً وتكريماً.

إن اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة يلامس أفئدة ما يزيد عن مليار مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، فهي مهبط الوحي، وقبلة المسلمين، و مقصد ملايين الحجاج والمعتمرين.

أهمية الدراسة وأهدافها :

إصلاحات الملك عبد العزيز الدينية في مكة المكرمة قضية لم تولي الدراسات السابقة القدر الكافي لها من الاهتمام، فالإصلاح الديني الذي أحدثه رحمه الله في مهبط الوحي، يستحق الدراسة فقد تمكن منه في فترة قياسية نسبياً.

طقوس تناقض العقيدة الإسلامية السمحة، ظلت معمولاً بها لقرون، وبطبيعة الحال لم يكن إحداث هذا التغيير سهلاً، فقد اعتادها المسلمون من حجاج ومعتمرين، والصعوبة التي اكتتفت هذا التغيير تبدو واضحة لو وجهنا الأنظار لدراسة الأوضاع الدينية في مكة المكرمة قديماً، عندها فقط يدرك الباحث مدى الجهد الذي بذل في هذا الشأن.

إن الهدف من دراسة الإصلاح الديني لمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز كان لأهداف عدة، أحدها شكر المنعم، فقد وعد المولى سبحانه الشاكرين بزيادة فضله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾^(١)، وهي محاولة لتبيان أن أمر الدعوة والإصلاح، مهما ظهر للبعض غائماً وصعب المنال، إلا أن تحصيله ليس مستحيلاً، فالإخلاص في الدعوة لدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البينة، تعد أقوى الأسلحة.. لمن أراد الدعوة إلى الله سبحانه.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) فيه
 ءَأَيْتٌ يَبَيِّنُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴿ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَأُذِّنُ فِي النَّاسِ
 بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) .

مكة المكرمة خير أرض الله ، وأحبها إليه سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه
 وسلم، البلد الحرام الذي اختصه الله بالتكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
 بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٤) وقال
 سبحانه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ءَأْمِنًا وَأَنْتُمْ كَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْ
 فِيهِ الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءِ الزَّهْرِيِّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفا على الحزورة فقال : (والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله
 إلى الله ، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت) (٥) .

هذه البقعة الطاهرة نالت من الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله الاهتمام اللائق ،
 فقد سعى إلى تمكينها من أداء رسالتها الدينية كمقصد للحجاج والمعتمرين ، وعلى
 تطهيرها من كل ما شابها من بدع وطقوس دخيلة ، تتعارض في فحواها مع روح
 شريعة الله سبحانه ، ونهج نبيه صلى الله عليه وسلم و السلف الصالح ، كما كان
 حريصا على إبقائها بعيدة عن أي نزاع خارجي أو داخلي.

وبإمكاننا الوقوف على الحالة الدينية لمكة المكرمة قبل وفي عهد عبد العزيز
 رحمه الله ، وبالوقوف عند الظروف التي استدعت - وفي المقام الأول الأخذ بعين
 الاعتبار - تحركه تجاه مكة المكرمة.

وجدير بالملاحظة أن هذه الدراسة اهتمت ببعض جوانب الإصلاح الديني للملك
 عبد العزيز - رحمه الله - ، في مكة المكرمة خلال سنوات الأولى لحكمه ، كما
 توقفت عند بعض إصلاحاته الإدارية المتعلقة بقدسية مكة المكرمة ودورها الديني.

وما هذا إلا لأن العمل على تغطية كل الجوانب الإيجابية لعملية البناء والتنمية التي شهدتها مكة المكرمة خلال حكم الملك عبد العزيز يتطلب عدة دراسات، والمجال هنا لا يحتمل هذا التوجه.

فتوى بدخول مكة :

لقد منع الشريف حسين بن علي، أهل نجد من أداء فريضة الحج لسنوات متتالية^(٧)، مما ترتب عليه ضيق أهلها نتيجة هذا المنع، إذ كيف يمنعون من أداء ركن من أركان الإسلام، وهم قادرون عليه، مما دفع جمعاً من علماء نجد ووجهائها في شهر ذي القعدة عام ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م، للتوجه برئاسة الإمام عبد الرحمن بن فيصل^(٨) لعبد العزيز في الرياض يشكون انقطاعهم عن أداء هذه الفريضة مع قدرتهم عليها، وفي ذلك الاجتماع افتتح الإمام الحديث بقوله: (إنه تلقى عدة رسائل من الأخوان يطلبون فيها أداء فريضة الحج، وقد أرسلت هذه الكتب في حينها إلى ولدنا عبد العزيز، وها هو أمامكم فاسألوه ما تريدون)، فرد عبد العزيز بقوله: (لقد وصلني كل ما كتبتموه، وأحطت علماً بكل ما شكوتموه، إن لكل شيء نهاية فلا تياسوا، وإن الأمور مرهونة بأوقاتها) فبين رؤساء العشائر أنهم يريدون الحج ولا يريدون أن يصبروا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتهم عليه، وقال أحدهم: (نريد أن نحج يا عبد العزيز، فإن منعنا الشريف - الحسين - دخلنا مكة بالقوة) أما موقف السلطان عبد العزيز من هذا الإلحاح وهو يشاركهم هذا الشوق لأداء هذه الفريضة، فبينم عن احترامه الكبير للعلماء وإعطائهم حقهم من التقدير والتبجيل والاتباع، فقد رد على محدثيه بقوله: (إن مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا وها هم حاضرون فليتكلموا) عندها أجاب الشيخ سعد بن عتيق^(٩) أحد العلماء - رحمه الله بقوله: (إن الحج من أركان الإسلام، ومسلمو نجد ولله الحمد يستطيعون أن يوأدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة، ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع - أي

يؤجل بسببه الحج - فهل هناك مفسدة أو مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله، ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسة)، موقف هذا العالم الجليل يرحمه الله يمكن لنا من خلاله استيفاء الدروس منه، ففي حين تطلب السلطة السياسية والمتمثلة بعبد العزيز الفتوى الدينية من أهلها، يوجه أهل الإفتاء والمتمثلون بالشيخ سعد بن عتيق أمور السياسة إلى أهلها، فاختلفا فهم اختلاف تكامل لا تعارض، كل منهم يكمل الآخر وتتصب جهودهم في خندق واحد، وكان جواب الشيخ العلامة إيذانا منه بدخول مكة المكرمة، فقد رد عبد العزيز على استفساره بقوله: (ما ادخرت جهدا لحل ما بيننا وبين الحجاز والتي هي أحسن، ولكن الحسين كلما دنوت منه تباعد..) (١٠).

البعد الأمني لدخول مكة :

لقد كان عبد العزيز يرحمه الله حريصا على استتباب الأمن في ربوع ووديان مكة المكرمة، فأمر رجاله بدخولها محرمين، عزلا من السلاح، مبينا لهم أن العلماء حرموا دخول مكة المكرمة بنية القتال (١١)، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة) (١٢).

ولم يكتف عبد العزيز بذلك بل أرسل لمكة المكرمة وقبل دخول جيشه إليها، وفدا من أربعة رجال محرمين بالعمرة، عزلا من السلاح، بغية نشر بيان تعهد من خلاله لأهل مكة بالأمن والأمان (١٣)، لقد كان ذلك يتماشى مع الهدف الأساسي لابن سعود من التحرك نحو مكة المكرمة، فالنية كانت مبيته على تمكين أهل نجد من أداء مناسك الحج والعمرة، دون التعرض لحرمة هذه الأرض المباركة ما

كان لذلك سبيلا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْتَجِدُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١٤) ، وهكذا دخل جيش عبد العزيز مكة المكرمة دون قتال
في يوم ١٧ ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) - ولله الحمد^(١٥).

توجه عبد العزيز لمكة المكرمة :

قبل توجه عبد العزيز لمكة المكرمة محرما بالعمرة، وفي اليوم العاشر من ربيع الثاني
عام ١٣٤٣هـ، نوفمبر ١٩٢٤م، خطب في حضرة الوفود التي تجمعت في الرياض
لوداعه، فكان مما قال : (إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم
التي أرهقت كاهل العباد، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط الشريعة وتأييدها،
وسنجتمع هناك بوفود العالم الإسلامي، فنتبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل
بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية، وسيكون الحجاز مفتوحا لكل من يريد عمل
الخير من الأفراد والجماعات)^(١٦).

بسط الشريعة وتأييدها..مكة للمسلمين كافة، الاجتماع بالوفود الإسلامية،
التشاور معهم فيما فيه خير(أم القرى)، كان دستورا واضحا لعبد العزيز، دستور
قائد رفض دخولها إلا بعد صدور فتوى شرعية حللت ذلك، فتوى راعت في إصدارها
الظلم الذي وقع على أهل نجد، بحرمانهم من أداء الحج، الركن الخامس من أركان
الإسلام.

عبد العزيز في مكة المكرمة :

سار عبد العزيز بوفده متوجها لمكة المكرمة، في ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ
١١ نوفمبر ١٩٢٤م، ووصل إليها في أوائل شهر جمادى الأولى من العام نفسه، فنادى
بالأمان لها ولن فيها، ثم أكمل هو ورجاله مناسك العمرة^(١٧) ، لقد ترك دخوله رحمه

اللَّهُ مكة المكرمة دون قتال أثراً طيباً في نفوس أهل مكة والعالم الإسلامي أجمع. (١٨)

أما الخطبة التي ألقاها لأهل مكة آنذاك، فتستحق الدراسة، لأنها أول عمل قام به بعد مناسك العمرة، ولأنها خلت من أي ترويع أو ترهيب، أما ألفاظها فواضحة بينة يسهل الوقوف على معانيها وأهدافها، فقد استقبل عبد العزيز أهل مكة المكرمة وعلماءها وأعيانها، وشرح لهم أسباب دخوله مكة المكرمة، وطمأنهم على أنفسهم وأموالهم، وبين لهم منهج اتباعه، وأنه قائم على الكتاب والسنة، وهذا بعض ما جاء في تلك الخطبة: (لا ينفعنا غير الإخلاص في كل شيء، الإخلاص في العبادة لله وحده، والإخلاص في الأعمال كلها، والذي أبعثه في هذه الديار أن يعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الأمور الأصلية، وأما في الأمور الفرعية فاختلف الأئمة فيها رحمة).. ولم يكتف بذلك بل قال: (والآن أنا بدمتكم وانتم بدمتي، إن الدين النصيحة، وأنا منكم وأنتم مني، وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم، فإن خالف كتاب الله فردونا عنه، واسألونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة، إننا لم نطع محمد بن عبد الوهاب ولا غيره إلا فيما جاءوا به من كتاب الله وسنة رسوله، أما أحكامنا فهي طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل، فإذا كان هذا مقبولاً عندكم فتعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده) (١٩) وتمت البيعة للسلطان عبد العزيز (٢٠) وفي الوقت نفسه تقدم بعض علماء مكة للسلطان عبد العزيز بطلب الاجتماع بعلماء نجد للتباحث في الأصول والفروع.. وقد وقع هذا الطلب من نفسه موقع الرضى. (٢١)

اتفاق علماء الحجاز ونجد على الأصول :

اجتمع خمسة عشر عالماً من علماء مكة بسبعة من علماء نجد للتباحث في الأصول، في ١١، جمادى الأولى من عام ١٣٤٣ هـ، أصدر بعدها علماء مكة بياناً جاء فيه: (قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية، منها من جعل بينه

وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب النفع أو دفع الضرر، فهذا كافر يستتاب ثلاثاً، فإن تاب وإلا قتل، ومنها تحريم البناء على القبور وإسراجها وإقامة الصلاة عندها لأن في ذلك بدعة محرمة في الشريعة، ومنها من سأل الله بجاه أحد من خلقه، فهو مبتدع مرتكب حراماً، في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا، فاتفقت بذلك العقيدة بيننا علماء الحرم الشريف وبين إخواننا أهل نجد^(٢٢) وهكذا أقر علماء الحجاز وعلماء نجد بفضل من المولى سبحانه، الأصول التي لا يجوز للمسلم الخلاف حولها.

إن التباحث الذي تم بين علماء مكة وعلماء نجد حول الأصول الإسلامية وفروعها، والذي تم في الأساس بناء على طلب تقدم به علماء مكة المكرمة للسلطان عبد العزيز، لدليل على إدراك أهل الحجاز وأهل نجد على السواء حقيقة هذا الدين السماوي وأهدافه، دين ينأى بمكة المكرمة عن الصراعات الفكرية، ويبعد هذه البقعة الطاهرة المقدسة عن المشاحنات السياسية.

من المؤكد أن الخوف لم يكن دافع أهل مكة للمبايعة، وإلا ما طلبوا التباحث مع علماء نجد، فقد كان الحري بهم على فرض أنهم كانوا في حالة خوف الصمت، أو قبول الأمر دون جدال، أو على الأقل الاعتراض على مضمون هذا الطلب والذي تقدم به أحدهم، وكان حري بهذا القائد المحنك المؤمن أن يرتاب لو كانوا كذلك، فهو المحنك والخبير بعلوم الرجال!! إن الحقيقة تظهر للمتابع أن هذا التآلف بين الحاكم والمحكوم والذي قد يتطلب تحقيقه سنوات، تحقق في ساعات، وهذا الواقع يدل دلالة واضحة على عظم هذه البقعة في نفس القائد عبد العزيز ورجاله، ونفوس أهل مكة وعلمائها ووجهائها، فقد بدا واضحاً أنهم جميعاً قد عقدوا العزم على توحيد الصف حول كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وحول خدمة أحب بقاع الأرض إلى الله سبحانه.. مكة المكرمة.

الإصلاح العقدي في مكة المكرمة :

- هدم القباب والقبور

وتم هدم القباب المبنية على القبور التي أحدثها العثمانيون وزينوها للجهلة من الناس، وبذلوا من الصرف والعناية بها حدا ضرب به المثل، ولم يكن بيد علماء مكة قبل تسخير الله عبد العزيز لها ولأهلها إلا الإنكار عند السؤال.^(٢٣)

وقد ذكر حافظ وهبه أن قبرا ينسب لحواء أم البشر بجدة، كان الحجاج يتبركون به، هدمت القبة المبنية عليه، كما أزيل البنيان الذي شيد على القبر، ومنع الناس من التمسح به، أو إتيان أي عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية^(٢٤) وقد زار وفد جمعية الخلافة، مكة المكرمة ليروا حقيقة ما هدم منها، إثر انتشار إشاعات تؤكد أن ما قام به رجال السلطان عبد العزيز تعدى هدم القباب ليصل إلى هدم قبور الصحابة، وقد قال رئيس الوفد سليمان الندوي في تقريره: (إن القباب والبنيان التي كانت على القبور هدمت وكسرت، ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدناها، والقبة التي كانت على قبر حمزة هدمت والمسجد سالم) أما مسجد أبي قبيس فقد هدم قسم منه، فأسف السلطان عبد العزيز لذلك، وأمر بترميمه.^(٢٥)

- منع ما لازم مقام إبراهيم من بدع

وقد كان بعض الحجاج في عهد ما قبل عبد العزيز يقبل ويتبرك بمقام إبراهيم عليه السلام، وما كان ذلك يرضي عبد العزيز، وهو المدرك أن ذلك يتعارض مع عقيدة التوحيد، وقد ذكر حافظ وهبه لنا: (أن السيد السنوسي سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م تبرك به - أي بمقام إبراهيم - فنهزه الملك عبد العزيز على فعلته، فقد كان لا يراعي في الأمر بالمعروف أحداً، فإن مبدأه الدين قبل كل شيء، ورضى الله مقدم على رضى الخلق)^(٢٦).

لقد كانت العقيدة الناصعة الخالية من أدراك الشرك هي من أولى أولوياته رحمه الله، أولويات حملها على عاتقه وعاتق من معه، وكان واضحا في بيانه لأهل مكة يوم دخلها فاتحا، وما جرى في ذلك اليوم من مصارحة بينه وبين أهلها، وما مبايعتهم له بالولاء إلا بعد أن بين لهم أسباب دخوله مكة، وصحح مفهومهم السابق عن عقيدة ومنهج أتباعه، فهي لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

- حفظ حقوق أهل مكة

لقد أصدر عبد العزيز وفي أيامه الأولى في مكة بيانا جاء فيه : (لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو، لم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصارا لدين الله..كل من كان من العلماء في هذه الديار، من موظفي الحرم الشريف والمطوفين، ذوي راتب معين، فهو له على ما كان عليه من قبل إن لم نرده، إلا رجلا أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل، وكل من له حق ثابت في مال المسلمين أعطيناه حقه.. لا كبير عندي إلا الضعيف حتى أخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى أخذ الحق منه، ليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعا) (٣٧)

حاولت تتبع تحركات وأحاديث وتوجيهات الملك عبد العزيز رحمه الله قبيل دخول مكة وبعدها فلم أجد فيها خروجا عن شرع الله، ولا طمعا في جاه أو سلطان، فليست أفعاله أفعال باحث عن جاه على أرض مكة، فهو صقر الجزيرة الذي تناقلت أخبار شجاعته وبسالته وسلطانه العريان ودان له الحضرة والبدو.

كان دون شك ساعيا لخدمة دين الله في أطهر بقاع الأرض، وكان عازما على استتباب الأمن في مكة المكرمة ومن حولها.

- إرساء قواعد مجلس الشورى المكي

بادر عبد العزيز إدراكاً منه بمقاصد الشريعة، ومنذ أيامه الأولى في مكة المكرمة إلى دعوة لاجتماع عام ضم علماء مكة وأعيانها، فقد أصبحوا من رعيته، وهو الساعي لتبرئة نفسه من كل تقصير تجاه دينه، ثم تجاه من وثقوا به وببايعوه، كانت غاية هذا الاجتماع العام إرساء قواعد مجلس الشورى، وتعيين أمناء لمصالح مكة المكرمة لخدمة أهلها ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾^(٢٨) وفي ذلك الاجتماع خطب فيهم قائلاً: (أريد رجالاً يعملون بصدق وإخلاص، حتى إذا أشكل علي أمر من الأمور رجعت إليهم في حله وعملت بمشورتهم، فتكون ذمتي سالمة، وتكون المسؤولية عليهم، وأريد الصراحة في القول، ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم، رجل كذاب يكذب علي تعمداً، ورجل ذو هوى، ورجل متملق، هؤلاء أبغض الناس عندي) وهكذا دعا عبد العزيز لتأسيس مجلس للشورى.^(٢٩)

- دستور الملك عبد العزيز

اجتمعت لجنة مكونة من ثلاثين عضواً من وجهاء جدة ومكة برئاسة سادن البيت الحرام عبد القادر الشيباني^(٣٠)، قرروا بعدها مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز، وفي يوم ٢٥ من جمادى الثانية عام ١٣٤٤هـ، بويع عبد العزيز ملكاً على الحجاز^(٣١) وقد أثبتت الأيام أن قبول عبد العزيز لهذه البيعة كان له الأثر الكبير في حماية مصالح الحجاز وقاصديها من حجاج ومعتمرين وتجار، إذ استتب الأمن وعم والأمان ولله الحمد والمنة.

لقد خطب الملك عبد العزيز في من جاءه مهنتاً له بالبيعة، في حفل أعد خصيصاً لهذه المناسبة، خطبة أعتقد أنها جديرة بالتوقف عندها، إذ انه بالإمكان الوقوف من خلالها على الأسس السياسية التي سينتهجها هذا الملك في ملكه، فقد أقبل الخطباء لتنهئته فكان مما جاء على ألسنة بعضهم:

لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادرا على صيانة الحجاز من الداخل والخارج،
والذي يستطيع القيام بهذا الأمر هو عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود.
وما أعطاك الله يا عبد العزيز إلا لأنك سائر في مرضاته.

علينا أن نتمسك بذلك الحبل المتين ليرجع إلى المسلمين ما كان لهم من السؤدد
والعز^(٣٢).

هذه أمثله لكلمات قيلت في حضرة الملك عبد العزيز في تلك المناسبة، وقد
أجاب رحمه الله على هؤلاء وغيرهم بقوله: (أسمع خطباءكم يقولون، هذا إمام عادل،
وهذا كذا وكذا، فاعلموا أن ما من رجل، مهما بلغ من المنزلة العالية، يستطيع أن
يكون له أثر وأن يقوم بعمل جيد، إذا كان لا يخشى الله، وأني أحذركم من اتباع
الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا، وأحثكم على الصراحة والصدق في القول،
وعلى ترك الرياء والملق في الحديث، لم يفسد الملك إلا الملوك وأحفادهم، وخدامهم
والعلماء المتملقون وأعاونهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء ليسترك كل منهم على صاحبه،
فيمنح الأمير المنح والأمراء يدلسون، ضاعت الحقوق وفقدنا والعياذ بالله الآخرة
والأولى)، إلى أن قال رحمه الله: (وإني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان،
ولكم علي عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي)^(٣٣) حزم
ولين.. فلم يكن الملك عبد العزيز ليجامل في دين الله، ولم يكن ليترك بعضهم يتمادى
في مديحه وهو العالم بحكم المداحين وضررهم على الحاكم والمحكومين، وما
كان ليصدهم وقد أتوه فرحين به وبمبايعته.

- الشورى، ديمقراطية الصفوة

كثر من يتغنى بالديمقراطية التي تطالب بتنفيذ رأي الأغلبية بغض النظر عن توجهها، ولكن الملك عبد العزيز أدرك روح هذا الدين فأقر برأي صفوة أهل مكة من علمائها والمتبوعين من وجهائها.

فقد دعا إلى بيته أعضاء المجلس الأهلي، والوفد الذي قدم من جدة، وبعض وجهاء مكة، وخطب فيهم قائلاً: (إننا الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس، ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة، أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة، وتضعوا دستوراً لها) ^(٣٤) ثم أمر بأن يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي، ويضم إليه مندوبون من بلدان الحجاز الأخرى، للنظر في ما ذكر من المسائل وتقريرها، وبعد أن تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون الأساسي، ثم عرضت أسماؤهم على جلالة الملك، فأمر بأن يرأس اللجنة الشيخ عبد القادر الشيبني، حامل مفتاح بيت الله الحرام، وأن يضم إليها خمسة آخرون، انتخبهم الملك من الأشراف والتجار. ^(٣٥) لقد استمع الملك عبد العزيز لرأيهم واخذ بمشورتهم، مع العلم أن مضمون النصوص الشرعية تشير إلى أن الشورى غير ملزمة شرعاً، فقد قال المولى سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ^(٣٦) فالشرع قد ترك العزم لولي الأمر لا لأهل مشورته.

- المؤتمر الإسلامي الأول

دعا ملك الحجاز عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في ١٢ رمضان من عام ١٣٤٤هـ لعقد مؤتمر إسلامي، في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ، قبيل موسم حج ذلك العام، ووجه الدعوة للحكومات الإسلامية، وقد كانت دعوته تلك محددة المقاصد واضحة التوجه فالغاية منها مناقشة الأخوة المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية، فيما فيه

توحيد كلمة المسلمين وبحث ما فيه صالح الحرمين الشريفين والحجاج، والسعي لتحقيق راحة الحجاج والمعتمرين^(٣٧)

وفي ذلك المؤتمر ألقى كلمة الافتتاح الشيخ حافظ وهبه^(٣٨) نيابة عن الملك عبد العزيز، جاء فيها: (إن هذا المؤتمر أيها المسلمون.. في شكله وموضوعه أول اجتماع في تاريخ الإسلام ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة تتكرر في كل عام.. أيها الأخوان إنكم تشاهدون بأعينكم وتسمعون بأذانكم ممن سبقكم إلى هذه الديار للحج أو الزيارة أن الأمن العام في جميع بلاد الحج بين الحرمين بدرجة الكمال التي لم يعرف مثلها منذ قرون كثيرة بل لا يوجد ما يفوقها في أرقى ممالك الدنيا نظاما وقوة، ولله الفضل والمنة)^(٣٩)

نتائج المؤتمر :

هذا المؤتمر لم يتمكن من تحقيق أي من أهدافه، فالخلافات بين الأعضاء كانت دائما تظهر على السطح، والدولة الوحيدة التي التزمت بعهوده تجاه الحجاج هي حكومة المملكة العربية السعودية فقد أولت الحجاج جل اهتمامها، أخذة في عين الاعتبار أهميتها الإسلامية فهي عاصمة العالم الإسلامي ومقصد الحجاج والمعتمرين^(٤٠).

قد لا يكون هذا المؤتمر قد نجح في تحقيق وحدة الصف الإسلامي كما تطمح النفوس المؤمنة، إلا أنه نجح في الحصول على اعتراف الدول المشاركة بعبد العزيز ملكا على الحجاز، إذ قبولها هذه الدعوة وإرسال مندوبين عنها يعد اعترافا عمليا بحكم الملك عبد العزيز على الحجاز، إضافة إلى أنها كانت فرصة لتوحيد كلمة المسلمين، وكان لذلك معنى روي هام للمسلمين^(٤١)، وهذا في حد ذاته يعد مكسبا سياسيا ودينيا.

ولكن أمنية الملك عبد العزيز رحمه الله، في أن يكون هذا المؤتمر سنة حسنة تتكرر كل عام قد تحققت بفضل الله سبحانه، ففي موسم الحج يعقد سنويا مؤتمر جامع لكل الوفود الإسلامية، تتناقش فيما فيه صالح الأمة الإسلامية، كما أن الحجاج والمعتمرين يجدون في هذه الأرض الطيبة من الرعاية والأمن ما يجعل القادمين كل عام أكثر من سابقهم.

- أمن طرق الحجيج

وكان أهم ما واجه الملك عبد العزيز بعد أن ضم الحجاز هي مشكلة بعض القبائل الحجازية التي كانت اعتادت على النهب، فقد كانت تلك القبائل لا تسمح لأحد أن يمر بها أو يقترب منها ما لم يدفع (الخوة)^(٤٢) وكانت تعد جزءا هاما من موارد الغزو عندهم، لقد اعتادت بعض القبائل الاعتداء في مواسم الحج على الحجاج، ونهب القوافل.. لذا كان الطريق إلى مكة آنذاك محفوظا بالمخاطر^(٤٣).

ولأن من أولى أولويات الملك عبد العزيز، هي حفظ الأمن والأمان للحجاج والمعتمرين، فقد جمع شيوخ القبائل الحجازية واستقبلهم أكرم وفادتهم ثم بين لهم أن كل شيخ عشيرة سيصبح مسئولا عن كل ما يقع في حمى عشيرته، مما يخل بالأمن والأمان فإن سيطر عليها وقمعها فيها ونعمت، وإلا وجب على شيخ العشيرة المجاورة أن يتصدى له لحفظ النظام والأمن، فإن أبطأ وعجز، تدخل جيش الملك ليفرض النظام ويوطد الأمن، وأعقب ذلك بأن وزع كتابا على شيوخ القبائل أورد فيه مجموعة من المحظورات، على سبيل المثال حظر الغزو، وحظر فرض (الخوة)، كما منعهم من إقامة مضاربهم على الطرق العامة، حتى يبقى المسافرون أكثر شعورا بالأمن، وأوضح فيه حملة من العقوبات التي تنال المخالفين، والرائع في هذا اللقاء أنه ساعد وبشكل غير مسبوق على تدعيم الأمن في ربوع الحجاز، وبشكل خاص الطرق الخاصة بمرور الحجاج، ولم يستلزم منه ذلك إقامة مراكز لرجال الأمن، بل لم يستخدم حتى القديم منها^(٤٤).

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤٥).

في عام ١٣٤٥هـ أصدر الملك عبد العزيز الأمر السامي بتعيين هيئة تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة، وعين رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن بليهد^(٤٦) مرجعا لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد اختار رحمه الله أربعة عشر رجلاً من أهل مكة ونجد للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة.

كان من مهام هذه الهيئة الحث على أداء الصلاة جماعة، ومراقبة المساجد وأئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم، وغير ذلك من دواعي الإصلاح، على أن تتخذ الحكمة في معالجتها للأمور، وإذا أعيها أمر من الأمور رفعتة إلى أولى الأمر للنظر فيه^(٤٧).

وتمكيننا للأئمة من أداء مهامهم على أكمل وجه كلف الشيخ عبد الله بن بليهد مدير المعهد الإسلامي في ذلك الوقت محمد بهجت البيطار^(٤٨) بكتابة نبذة عن الأهداف والمقاصد وتحديد ما هو معروف وما هو منكر ليكون أشبه بلائحة تنفيذية، عنونت بنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتم توزيعها على أعضاء الهيئة، وقد بين الشيخ البيطار من خلالها ضرورة الاجتماع على الدين، وأثر المعاصي.. والباعث على إقامة جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصفات المحتسب وآدابه، وتعريف المنكرات بأنواعها، والشروط التي يتحقق بها التصدي لإنكار المنكر،^(٤٩) ومن ناحية أخرى أصدر الملك عبد العزيز أوامره رحمه الله بإقامة رواتب شهرية للأئمة تصرف من ماله الخاص، كما أمر بفرش وإنارة ٣١ مسجدا منتشرا في أحياء مكة، وتجهيزها للصلوات الخمس^(٥٠).

وبعد عام أي سنة ١٣٤٦هـ صدر الأمر السامي بالمصادقة على نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي نص على الآتي:

١. تنشأ هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بمكة وبقية الملحقات.
٢. يكون عدد أعضاء الهيئات مناسباً، ويجتمعون مرتين في الأسبوع.
٣. يشترط في أعضاء هيئات الأمر بالمعروف أن يكونوا من أرباب العلم الشرعي، ومن ذوي الأخلاق الطيبة والصفات الحسنة.
٤. يعين لكل هيئة عدد من الجنود متصفين بالتقوى وحسن المعاملة.

الأمور التي تنظر فيها الهيئة هي كالتالي :

- تنبيه الناس إلى أوقات الصلاة، وحث المتخلفين عنها بالحسنى.
- مراقبة المحلات التي تجري فيها أمور مخلة بالشرع والآداب.
- دعوة الناس بالحسنى إلى ترك المعاصي والمخازي والبدع والخرافات.
- منع البدع في المآتم والأفراح، ومنع العوام من السباب والشتائم.
- الأخذ بيد الضعيف والرفق بالأرامل والعجزة، والرفق بالحيوان.
- تقوم الهيئة بإزالة كل ما هو مجمع عليه من المنكر، وترجع فيما اختلف فيه إلى هيئة مراقبة القضاء.
- يشدد على جنود الهيئة بعدم استعمال العنف والشدة مع أفراد الناس الذين يجلبون للهيئة.
- تشكيل فرعين بمكة، فرع في حارة المعلا، وآخر في حارة الباب^(٥١).

هذه الهيئة والتي تخصصت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تظهر حقيقة هذا الدين وعظمته، كما أن المتأمل لبنودها وأهدافها الإنسانية، يعرف سياسة الإصلاح التي اعتمدها مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز، سياسة اعتمدت على اللين والحكمة والرفق بالضعيف ليصل إلى من هو داخل دائرة المساءلة، بل تعدى ذلك كله ليصل إلى الأمر بالرفق بالحيوان، ولو قدر لأحدنا متابعة لجان حقوق الإنسان،

والحيوان على السواء المعتمدة لدى دول العالم المتمدن آنذاك، لأدرك البون الشاسع بين ما تحويه تلك الاتفاقيات، وبنود هذه التي أسسها وأصدر الأمر بالعمل بها الملك عبد العزيز، على أظهر أرض وأحبها إلى الله مكة المكرمة، حاضنة ضيوف الرحمن، وهي حقا جديرة بهذا الاهتمام وهذه الرعاية الخاصة.

المقامات الأربعة

عندما دخل عبد العزيز مكة المكرمة كانت الصلاة تعقد في المسجد الحرام خلف مقامات أربعة، ينسب كل واحد منها إلى أحد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم^(٥٢) هذه المقامات كانت مناط استتكار علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم، ولعدة قرون، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتحريك ولادة الأمر لتغييرها.

ولأن المقامات بحالتها قبل الملك عبد العزيز تعد مغيبة عن معظم العوام، والحديث عن ما كان من الملك عبد العزيز في شأنها يزيد المتابع تفهما لتحركاته وأولوياته رحمه الله، ارتأيت هنا التفصيل فيها تاركة الساحة، للشيخ حسين بن عبد الله باسلامة^(٥٣)، فقد استفاض في دراستها وتاريخها وما كان من رأي العلماء في شأنها، ثم ذكر وصف ابن بطوطة^(٥٤) في رحلته للحج عام ٧٢٦هـ، والتي جاء فيها: (من عاداتهم - يعني أهل مكة - أن يصلي أول الأئمة إمام الشافعية وهو المقدم من قبل ولي الأمر، وصلاته خلف المقام الكريم مقام إبراهيم عليه السلام. فإذا صلى إمام المالكية قبالة الركن اليماني، ويصلي أمامه الحنبلي في وقت واحد مقابلا ما بين الحجر الأسود والركن اليماني، ثم يصلي إمام الحنفية قبالة الميزاب.. وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع، وأما صلاة المغرب، فإنهم يصلونها في وقت واحد، كل أمام يصلي بطائفة ويدخل الناس من ذلك سهو وتخليط، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي، وتراهم مصيخين إلى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لتلا يدخل عليه سهوا..)^(٥٥) ثم بين الشيخ حسين باسلامه، أن الإمام أبا القاسم بن

الحياب المالكي أفتى عام ٥٥٠هـ بمنع الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مرتبة بحرم الله، بل قال بعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة، ثم بين الشيخ باسلامه أن هذه المقامات لم تكن فقط سببا في اختلاف حركات المصلين خاصة في صلاة المغرب، بل كانت سببا من أسباب تفرقة الجماعات، وهو أمر يخالف مقاصد الشريعة السمحة التي تدعو للألفة والاجتماع، الشريعة التي أمرت بتوحيد الصفوف في الصلاة^(٥٦).

وعند دخول الملك عبد العزيز لمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ، راعه ما وجد عليه حال صلاة المسلمين في الحرم المكي، من تعدد صلاة الفرض الواحد، والتزام كل جماعة بالصلاة خلف مقام بعينه، وما يترتب عليه هذا التعدد من تشتت المصلين واختلاف الصفوف، وإدراكا منه أن ذلك يناقض مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، لأن هذه المقامات بنظامها المتبع آنذاك بدعة، لم تعهدها الأمة الإسلامية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته وسلفه الصالح رضى الله عنهم أجمعين، لهذا كله أصدر عبد العزيز رحمه الله، توجيهاته عام ١٣٤٥هـ لفريق من علماء الحجاز ونجد بالاجتماع والنظر في شأن هذه المقامات الأربعة، وتم اجتماع علماء الحجاز ونجد وانتهى لقرار مفاده: (أن تقام الصلاة في المسجد الحرام خلف أمام)^(٥٧) وهكذا تمكن عبد العزيز برويته وبعد نظره من إبطال تعدد الجماعات بالمسجد الحرام، والذي استمر لقرون عدة، مع إنكار العلماء لها^(٥٨).

ولا شك أن المتابع اليوم لصفوف المصلين خلف الإمام في الحرم المكي في الصلوات المفروضة في موسم الحج وفي غيره، ليعجب بهذا الدين الذي ألف القلوب ووجد الصفوف، أمم على اختلاف لغاتها وأجناسها دانت لأمر الله ودينه واجتمعت على كلمة التوحيد، أعلنت اتحادها بشكل تعجز معه صناديق الاقتراع وقوانين الإحصاء على إنكار عظمتها، فالمسلمون على اختلاف مذاهبهم موحدون، واختلافهم اختلاف رحمهم، فالأصول تجمعنا على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لقد استطاع الملك عبد العزيز.. بحكمته وحنكته وإخلاصه لله تعالى واتكاله عليه سبحانه، تغيير ما كان غير ممكن قبل وصوله، ولله الحمد والمنة.

- المحمل المصري

كانت كسوة الكعبة المشرفة في الحكم العثماني وقبل عهد عبد العزيز تصل إلى مكة المكرمة من مصر^(٥٩) محملة على هودج يسمى بالمحمل كان يستقبل من قبل أهالي جدة ومكة المكرمة استقبالا رسميا تصحبه عادة المعازف، كما كانت تجرى طقوس معينة لهذا الاستقبال لم يأت الله بها من سلطان، وكان الجهال من المسلمين يتمسحون بالمحمل وقت إقباله على مكة المكرمة وإدباره عنها، سعيا لنيل البركة حسب زعمهم، ولأن جملة هذه طقوس من البدع، كان رفض عبد العزيز لها أمرا بدهيا يتناسب والتوجه الإصلاحى لمنهاج عقيدته^(٦٠).

إن قرارات عبد العزيز الإصلاحية لم تكن يوما ارتجالية أو انفعالية بل اتسمت في جملتها بالروية والتأني، وهو ما كان منه في حادثة المحمل التي وقعت في عيد الأضحى المبارك من عام ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م، ففي ذلك العام أصاب حجاج نجد - وهم فوق ٩٠ ألفا - الدهشة وهم يشاهدون (بمنى) الطقوس المصاحبة لقدم (المحمل) المصري، وقد بدأ يتهادى بين الجموع، محاطا بالعساكر، ورجال الركب يضربون المعازف حوله، عندها أنكر حجاج نجد ما شاهدوا، وأخذوا يرشقون المحمل بالحجارة، وهنا بادر أمير الحج المصري التوثيق على الفور بتوجيه الأوامر لجنوده المرافقين للمحمل بإطلاق النار على الجموع المنكرة.

كادت تكون نهاية الحادثة مروعه، لولا أن مكن الله بفضل الملك عبد العزيز من إطفاء نيرانها، فما أن سمع بما حدث حتى أخذ يعدو إلى أن توسط حجاج نجد ورجال المحمل، ثم بسط ذراعية صائحا: (أنا عبد العزيز.. أنا عبد العزيز)^(٦١)، هذه الحادثة تركت خلفها ضررا عظيماً، فالقتلى من حجاج نجد قد بلغ عددهم ٢٥

رجلا، كما فقد منهم أربعون بغيرا، في حين جرح رجلان من رجال المحمل أحدهما كانت إصابته في يده، والآخر كانت في أنفه، وهنا ظهرت حكمة عبد العزيز وهو يشاهد حجاج نجد متحفزين للرد، إلا أنه رحمه الله استحضر واجبه تجاه ربه ثم تجاه حجاج البيت الحرام، الذين أتوا من شتى بقاع الأرض، لأداء فريضة الحج، ذكرهم بواجبهم تجاه الله وتجاه الحجاج، فما كان منه إلا أن خاطبهم ليهدئ من روعهم ويذكرهم بواجبهم تجاه الله سبحانه، ثم تجاه حجاج بيت الله الحرام، فكان مما قال : (أذكركم الله وهذا الموقف.. أذكركم دينكم.. وأذكركم حميتكم وشيئتمكم العربية، إن حجاج بيت الله ضيوفنا وهم في وجوهنا فلا تمد إليهم يد بأذى..) وكان هذا أول وآخر محمل يصل لمكة المكرمة بعد مبايعتها لعبد العزيز ملكاً، رحمه الله.

ولان الملك عبد العزيز كان حريصا على توضيح الأمر للمسلمين عامة وللمصريين خاصة، بين رحمه الله لأهل مصر عبر حديث أدلى به لصحفي مصري أنه لا وجود لخلاف بينه وبين مصر، وطالب تحكيم الشرع في هذه القضية، فقد جاء في تلك المقابلة قوله : (لا خلاف بيني وبين مصر، وأمر المحمل متروك إلى الدين والى حكام الشرع، في مصر علماء وعلينا أن نستفتيهم، وأنا معهم فيما يأتون به من الكتاب والسنة، بلغ مصر عني أن حكومتي على استعداد لكل تساهل تطلبه الحكومة المصرية يتفق مع الشرع) (٦٢).

الشرع أولا والشرع أخيرا، رحم الله الملك عبد العزيز رحمة واسعة، فقد كان يجلب العلم والعلماء، واضعا نصب عينه تطبيق شرع الله سبحانه.

هذه الأحداث أغضبت الملك فؤاد ملك مصر، ولم يقدر مع الأسف لعبد العزيز حكمته وبسالته، خاصة بعدما وصله خبر منع دخول المحمل إلى الحجاز في الأعوام المقبلة، وكان لهذا الغضب ملابسات سلبية طالبت كسوة الكعبة التي تصل عادة من

مصر، فلم تصل مكة العام التالي، فقد اصدر الملك فؤاد عام ١٣٤٥هـ الأمر بعدم إرسال الكسوة، ردا على منع دخول المحمل الأرض الحجازية^(٦٣).

وهنا أدرك الملك عبد العزيز أهمية العمل الجاد لأخذ الترتيبات الحاسمة لمواجهة أية خلافات سياسية قد تترك آثارها السلبية على موسم الحج، وبادئ ذي بدء أصدر أوامره لعمل كسوة للكعبة وبصورة عاجلة، وفضل من المولى سبحانه تمكن فريق العمل من إنجاز الكسوة قبل يوم النحر ولله الحمد.

- الكسوة المكية

إن تصرف مصر والمتعلق بمنع وصول الكسوة، كان إيذانا بصدور أمر ملكي بإنشاء معمل خاص لحياكة كسوة الكعبة المشرفة على الأرض المكية، وقد تم افتتاحه عام ١٣٤٦هـ، واستغرق إنشاؤه ستة أشهر.

لقد كان هذا المعمل الأول من نوعه على الإطلاق، إذ لم تر الأرض المكية أو الحجازية معملا مماثلا قبله، لا في التاريخ الجاهلي ولا في التاريخ الإسلامي^(٦٤).

- التعليم في المسجد الحرام

إن الإصلاح الديني أيام عبد العزيز، لم يقتصر على رفع البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تطلع وبثقة إلى التنظيم الإداري والعلمي للدروس التي تلقى على أرض الحرم المكي الشريف، ففي عام ١٣٤٥هـ أصدر الأمر الملكي رحمه الله، بتشكيل لجنة علمية تكون وظيفتها الإشراف على سير الدروس في المسجد الحرام، مبينا أن للجنة الحق في تقرير ما تراه مناسبا وموافقا للمصلحة العامة في هذا الشأن، وأيضا ما تراه مناسبا بشأن المدرسين المقصرين في أداء الواجب، أو المخلين بنظام التدريس العام، وأكد الأمر على المدرسين بأن يبينوا لتلاميذهم أهمية اجتناب البدع والخرافات التي شوهدت مفهوم الدين الحنيف وأضررت بالمسلمين فكانت سببا رئيسا في انحطاطه، كما أوضح ضرورة إعلام الحاضر والبادي أن على كل من أراد إلقاء

درس في الحرم المكي أخذ الموافقة على ذلك، فقد كان يمنع منعاً باتاً إلقاء أي درس داخل المسجد الحرام إلا بعد الرجوع إلى الهيئة العلمية^(٦٥)

الخاتمة :

انتهت هذه الدراسة بفضل من الله سبحانه، إلى أهمية إصلاحات الملك عبد العزيز الدينية في مكة المكرمة، وتبقى عدة نتائج والتوصيات أخصها فيما يأتي..

أولاً : النتائج

- ١ - دور الملك عبد العزيز الديني في مكة، لم يعط حقه من الدراسة والبحث، إذ ركزت معظم الدراسات على دوره السياسي والإنمائي، وهذا يرجع إلى أن الأقلام التي توقفت عند الملك عبد العزيز كان جلها من المؤرخين، وبالتالي كان طبيعياً ظهور هذه الكتابات التاريخية السياسية الضخمة، إلا أن اهتمامه رحمه الله بدعم الإصلاح الديني لم يلق اهتماماً يليق بجهوده، فالمتابع لن يجد على الساحة مؤلفاً خصص لهذا الجانب الإصلاحى من حياته رحمه الله.
- ٢ - إن مواقف الملك عبد العزيز وأوليائه تظهر بوضوح في سياسته في مكة المكرمة، فقد كان يؤكد رحمه الله وعلى الملأ أنه ما توجه لمكة المكرمة للتسلط عليها، بل لرفع المظالم وبسط الشريعة وتأييدها.
- ٣ - أعلن الملك عبد العزيز ومن خلال أقواله وأفعاله أن دستوره القرآن الكريم والسنة النبوية، مبيناً أنه متبع لكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأنه وقومه لم يطيعوا الإمام محمد ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا فيما جاءوا به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما أحكامهم فهي طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل، وبالتالي نفي وجود مذهب خامس مغاير في تعاليمه مذاهب أهل السنة والجماعة.

ثانيا التوصيات:

- ١- ضرورة تركيز المناهج الدراسية في المراحل النظامية المختلفة، بنين وبنات على الدور الإصلاحي الديني للملك عبد العزيز بصفته قائدا داعيا وفاعلاً.
- ٢- تشجيع البحث العلمي في الجامعات، ومركز الدراسات البحثية على إعداد دراسات علمية محكمة حول ارتباط الفكر الإصلاحي للملك عبد العزيز والمستمد من القرآن، ومن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح بالفكر التتموي سواء كان فكرا سياسيا أو اقتصاديا.. إلى غير ذلك من مجالات حيوية هامة دعمت تطلعاته لتقدم البلاد ورفقيها.
- ٣- دراسة تأثير الخطوات الإصلاحية الدينية التي تمتعت بها مكة المكرمة على يد الملك عبد العزيز في تفعيل دور المدينة المقدسة الديني.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ وَلَا نَحْمِلْ أَوْ أخطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٧)

الهوامش:

١. سورة إبراهيم، الآية: ٧
٢. سورة آل عمران، الآية: ٩٦ - ٩٧.
٣. سورة الحج، الآية: ٢٧.
٤. سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
٥. سورة نفسها، الآية: ١٢٥.
٦. سنن الترمذي، المناقب، حديث: ٤٣٠٤، حديث صحيح.
٧. انظر أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٤٦، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٢٩١، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٨ - ٨٣، ود. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٠٥ - ١٠٦. د. محمد بن عبد الله السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، ص: ٥٥ - ٥٦.
٨. عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود، له دور بارز في تاريخ نجد، وهو والد الملك عبد العزيز رحمهما الله، ت: ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨. أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، ج ٣.
٩. سعد بن حمد بن عتيق، قاض، من علماء نجد، ولي القضاء والتدريس بالرياض، ت: ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م، أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، ج ٣.
١٠. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٤٧، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٢٨٩ - ٢٩١، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٨٣، وأحمد السباعي، تاريخ مكة - دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج ٢، ص: ٧٠٢.
١١. المراجع في رقم (١٠).
١٢. صحيح البخاري، الجزية، حديث: ٣٢٢٥..
١٣. حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص: ٥٧ - ٦٠، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٦٢ - ١٦٥، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣١٠.
١٤. سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
١٥. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٦٥، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٦٥، صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣٠٧، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٨٥، ود. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١١٢.

١٦. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٦٥، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٦٥ - ١٦٦، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ١، ص: ٣٢١ - ٣٢٢، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٨٦.
١٧. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٦٦، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٨٥.
١٨. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٦٦، ومديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٣٦ - ١٣٧.
١٩. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٦٦ - ١٦٧، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣٤٤.
٢٠. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٤.
٢١. المرجع نفسه.
٢٢. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٦٦ - ١٦٧، وأمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٤، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣٤٤.
٢٣. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٣٠٩ - ٣١٠، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٢٥، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص: ٧١٩.
٢٤. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٣١.
٢٥. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٠.
٢٦. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ١٩ - ٢٠.
٢٧. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٧٠ - ٢٧١، وصلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣٤٤.
٢٨. سورة الشورى، الآية ٣٨.
٢٩. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٥ - ٣٧٦، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ١٦٠ - ١٦١، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٨٢ - ١٨٤، وحافظ وهبه، خمسون عاماً في الجزيرة العرب، ص: ١٣٣، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص: ٣٩٤، ود. محمد بن عبد الله السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، ص: ١٢٦، ود مديحه احمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٣٦ - ١٣٧.
٣٠. عبد القادر الشيبني، سادن الكعبة، رئيس أول مجلس للشورى في عهد الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٣٤٣هـ - ١٩٣٥م، انظر موقع مجلس الشورى، المملكة العربية السعودية.
٣١. أنظر أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٤٢٩، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ١٦٠ - ١٦١، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٨٢ - ١٨٤، وحافظ وهبه،

- خمسون عاماً في الجزيرة العرب، ص: ١٣٣، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص: ٣٩٤، و د. محمد بن عبد الله السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، ص: ١٢٦، و د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٣٦ - ١٣٧.
٣٢. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: - ٤٢٩ - ٤٣٠.
٣٣. المرجع نفسه، ص: ٤٣٠.
٣٤. المرجع نفسه، - ٤٢٩ - ٤٣٠.
٣٥. المرجع نفسه، ص: - ٤٣٠.
٣٦. سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
٣٧. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٢٧٢، و د. محمد بن عبد الله السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، ص: ١٢٩، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص: ١٨٥، و د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٤٧، نقلاً عن جريدة أم القرى، ٣٠ ذي القعدة، ١٣٤٤هـ.
٣٨. حافظ وهبه، من مؤرخي المملكة العربية السعودية، عين وزيراً مفوضاً بلندن، ثم سفيراً، ت: ١٣٨٧ - ١٩٦٧م. أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، ج ٢.
٣٩. الشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٣٨، نقلاً عن عبد الله الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مخطوط.
٤٠. د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٥١ - ١٥٦، و د. محمد بن عبد الله السلطان، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، ص: ١٣٣.
٤١. د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٥٢.
٤٢. الخوة: نظراً لغياب سلطة الدولة فقد حلت محلها سلطة شيخ العشيرة الكبيرة، الذي يتحمل حماية القرى أو القوافل من الغزو، ويترتب على المحميين دفع (خوة) وهي كلمة مشتقة من حق الأخوة والمخاواة، إذا تحصل مؤاخاة أفراد العشيرة الكبيرة الحامية وأهل القرية أو القافلة المحمية، وينتج عن ذلك واجب الحماية من جانب العشيرة الكبيرة ودفع حق الخوة من جانب المحميين، وإذا رفضوا دفع الخوة، فإن العشيرة الحامية تأخذ ذلك الحق بالقوة، كما أن الخوة تدفع أيضاً لقاء امتناع تلك العشيرة عن القيام بإعمال السلب والنهب، أي من أجل كف الاعتداء، انظر موقع مركز معلومات الوطني الفلسطيني.
٤٣. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٧، وصلاح الدين المخنار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص: ٣٤٤، د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٢٧.
٤٤. د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص: ١٦٤ - ١٦٦، وأمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص: ٣٧٧.
٤٥. سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

٤٦. عبد الله بن سليمان بن سعود بن بليهد، فقيه حنبلي نجدى، من بني خالد، عيد رئيساً للقضاة بمكة ١٣٤٣هـ، ت: ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م، أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، ج ٤.
٤٧. الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، ص: ١٦٨، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٢٧، ٢٨.
٤٨. محمد بهجت البيطار، من علماء دمشق، عين مديراً لدار التوحيد السعودي، ت: ١٣٩٦هـ، أنظر موقع مركز الشرق الغربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية،
٤٩. الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، ص: ١٦٩.
٥٠. الشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٢٨، نقلاً عن عبد الله الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مخطوط.
٥١. الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، ص: ١٦٨، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٢٩ - ٣٠، نقلاً عن عبد الله الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مخطوط.
٥٢. حسين عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٨٠، والدكتور عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، في العهد السعودي، ص: ٢١٧.
٥٣. حسين بن عبد الله بن محمد باسلامة الحضرمي المكي، من علماء مكة ووجهائها، عين في عدة مناصب حكومية، انظر ترجمة المؤلف لكتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام.
٥٤. ابن بطوط، ت: ٧٧٩هـ، أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، ج ٢.
٥٥. حسين بن عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٨٣ - ١٨٤، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص: ١٠٥، و الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ٢٠٧ - ٢٠٨، ج، ١، ص: ٨٧ - ٨٨.
٥٦. حسين بن عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٨٤، والحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ص: ٢٠٧.
٥٧. حسين بن عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٨٦ - ١٨٧، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٤٤، والحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ص: ٢٠٨.
٥٨. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٥٩. حسين بن عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانها، ص: ٣٣٠ - ٣٣١.
٦٠. أحمد السبيعي، تاريخ مكة، ج، الثاني، ص: ٦٥٠، وحسين بن عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانها، ص: ٣٤٦، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٤٩.

٦١. خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ١٢٦.
٦٢. المرجع نفسه، ص: ١٢٧.
٦٣. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٦٤. خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ١٢٦ - ١٢٧، وحافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص: ٣١٠، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٥١ - ٥٢.
٦٥. حسين بن عبد الله باسلامه، تاريخ الكعبة المشرفة، ص: ٣٤٦ - ٣٤٧، وخير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ١٢٧، والشريف محمد بن مساعد الحسني، مكة في ثوبها الذهبي، ص: ٦٢ - ٦٣.
٦٦. د. عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص: ٤٢ - ٤٣، والحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ص: ٢٣٠.
٦٧. سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

المراجع:

١. البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، صحيح البخاري، إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.
٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.
٣. الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
٤. خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس التراجم، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، لبنان، الطبعة الخامسة.
٥. الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
٦. الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، ١٩٨٨م، بيروت لبنان، الطبعة السادسة.
٧. الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة.
٨. السباعي، أحمد بن محمد بن أحمد، تاريخ مكة - دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الجزء الثاني، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة بدون.
٩. السلطان، محمد بن عبد الله، دخول الملك عبد العزيز الحجاز، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة بدون.
١٠. آل عبد الله الحسني، الشريف محمد بن مساعد بن منصور، مكة في ثوبها الذهبي، دار النشر بدون، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.
١١. المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، الجزء الثاني، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، الطبعة بدون.
١٢. باسلامة، حسين بن عبد الله، تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانتها، تعليق أ.د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة بدون.

١٣. بإسلامة، حسين بن عبد الله. تاريخ عمارة المسجد الحرام، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، بور سعيد، الطبعة الأولى.
١٤. بن دهيش، د عبد اللطيف بن عبد الله، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة بدون.
١٥. حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨م، الرياض، الطبعة الثانية.
١٦. درويش، د. مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية - حتى الربع الأول من القرن العشرين - دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة.
١٧. سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م، مصر، الطبعة الأولى.
١٨. عبد الله، عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
١٩. وهبه، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م، القاهرة، الطبعة الثالثة.
٢٠. وهبه، حافظ، خمسون عاما في جزيرة العرب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، مصر، الطبعة الأولى.

Religious Reforms of King Abdulaziz in Makkah Al-Mukarramah

Omima Ahmed Al-Jalahmah

Department of Islamic Studies, College of Education, King Faisal University
Dammam, Saudi Arabia

Summary:

The religious reforms carried out by King Abdulaziz in Makkah are an issue that no appropriate studies have been assigned to it. The religious reform made by King Abdulaziz (may Allah mercy him) in Makkah is more great to be mentioned in few words since he did this in a very short period.

There were many rituals controvert to the Islamic religion and contradicting to its fundamentals that remained applicable for many decades. So, this change was not definitely so easy as these people were used to such rituals long time as well as performers of hajj and umrah. This difficulty clearly appears if we look deeply in the study of religious conditions in Makkah in the old time. At that point only, the researcher will realize how much effort exerted in this concern. He went on his way supported by Allah's care.

The target of the study of religious reform for Makkah in the reign of King Abdulaziz was intended for many targets; one is praising Allah for graces as He promises those people with increasing His favors. It is an endeavor to prove that the matter of da'wa and reformation is not impossible although it seems too hard to get. The sincerity in calling for Allah's religion by wisdom, good advice and clear evidence is the strongest weapon for who seeks calling for Allah.

This virtuous spot of land got from King Abdulaziz AI Saud appropriate care and interest. He was eager to enable it to perform its religious message as destination and aim of performers of hajj and umrah. He served to clear it from intruding heresies and rituals opposing the spirit of Islam and the tradition of Prophet Muhammad (may Allah's prayer be upon him) and the righteous ancestors. Also, he cared for keeping it far from any interior or exterior disputes and his target in this concern was too clear to be misunderstood.

This study seeks to point out some sides of the religious condition of Makkah before and after the reign of King Abdulaziz. Also, I point out the religious dimension for the way he entered Makkah and the circumstances that made this way.

It is worthy notable that the study cares for studying some aspects of the religious reform of King Abdulaziz in Makkah during the first years of his reign. In addition, I point out a number of administrative reforms in connection to the holiness of Makkah and its religious role.

There is no doubt that serving to cover all the positive aspects in the process of construction and development witnessed in Makkah during the reign of King Abdulaziz requires various studies and it is not possible here.

إعلان اتفاقيتي بحرة وحدّه وأبعاده السياسية في مبايعة الملك عبد العزيز بالملك في مكة المكرمة (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)

سعيد بن عمر آل عمر

كلية التربية - جامعة الملك فيصل
الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

يناقش هذا البحث بالدراسة والتحليل موضوع الأبعاد السياسية لإعلان اتفاقيتي بحره وحدّه الحدوديتين الموقعة بين مكة وجدة في أم القرون قرب بحره سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م بين الملك عبدالعزيز من جهة وبين الأردن والعراق من جهة أخرى أثناء حصار جدة والذي وقعته بالنيابة عنهما بريطانيا عندما كان البلدين تحت الانتداب البريطاني مع مفوضين من حكومة البلدين . فبالرغم أن هاتين الاتفاقيتين حدوديتين في الأساس . إلا أنهما انعكست بضلالها على القضية الساخنة في الحجاز . وهو حصار الشريف علي ابن الحسين وحكومته في جدة . وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة . فما أن أنفض المجتمعون بعد التوقيع على الاتفاقيتين حتى حرص الملك عبدالعزيز على إعلانها على الملا . ليم تناقل أخبارها . فكان لإعلان هاتين الاتفاقيتين الموقعة في يومين متتالين ١٤ - ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ الموافق ١ - ٢ نوفمبر ١٩٢٥م . دوره المؤثر على الشريف علي والبقية الباقية التي كانت تؤيده . عندما أصابهم الخور وأضطر الشريف علي خلال شهر من الإعلان إلى طلب الصلح والتنازل عن حكم الحجاز والمغادرة إلى العراق . وهو ما كان يسعى الملك عبدالعزيز إلى تحقيقه . عند ذلك طلب أعيان الحجاز من الملك عبدالعزيز بعد دخوله جده . أن يعطيهم الحرية للتشاور فيما بينهم ، لتقرير مصير الحجاز والأماكن المقدسة ، وليقرروا هم مصير بلادهم . فأجابهم سلطان نجد لطلبهم وفاءً بوعدده في حرية تامة . وأمام رغبة أهل الحجاز الجامعة للوحدة وللخروج بالبلاد من موقف الحرب ، وبعد أن عاشروا الملك عبدالعزيز وأحتكوا به عن قرب ، بعيداً عن الدعاية والإعلام المضاد ، أقبلوا ولسان حالهم يقول نحن أهل

مكة أدرى بشعابها • ونحن أهل الأماكن المقدسة، ونعيش بين ظهرانيتها وهذا هو المؤمن المؤمن على الأماكن المقدسة وأبنائها، الراضع للواء تطبيق الشريعة الإسلامية قولاً وعمل، وأجمعوا رأيهم الأعيان • وهم نخبة من أعيان جدة قدرتهم بعض المصادر بعشرون شخصية وثلاثون آخرون من أعيان مكة • أجمعوا على البيعة للملك عبدالعزيز ملك على العرش وراعياً للأماكن المقدسة في بيعة خاصة وقبل (رحمه الله) البيعة • ثم كانت البيعة العامة عند البيت العتيق بمكة المكرمة، بيعة بالملك وبيعة بتحمل مسؤولية صون ورعاية الأماكن المقدسة وأم القرى مكة المكرمة • ليصبح لقب المؤسس بعد تلك البيعة سلطان نجد وملك الحجاز وملحقاتها • ومن الله سبحانه وتعالى على هذه البلاد بالخيرات باكتشاف النفط فغدت مكة المكرمة والمدينة المنورة بما فيها الأماكن المقدسة محل عناية قادة هذه البلاد منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز عمراً، توسعة وتطويراً، لتصبح مفخرة لكل من ينتمي إلى هذه البلاد •

كانت موقعة تربة سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م بداية، لتدهور العلاقات بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين إلى أدنى مستوى لها^(١). وذلك على أثر توسع نفوذ ابن سعود ناحية الجنوب، حيث اتجه بعض مشايخ بيثه سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، إلى الملك عبد العزيز معلنين ولاءهم وطاعتهم له، ورغبتهم بالانضمام تحت حكمه، وطلبوا منه أن يبعث معهم أميراً وقاضياً فاستجاب لهم^(٢). ثم أرسل الملك عبد العزيز إلى بيثه جيش لتثبيت الأوضاع هناك، ومنها تقدم جيشه جنوباً إلى أبها حاضرة عسير، بهدف ضمها حيث استسلم أمير عسير حسن بن علي آل عايض سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م^(٣). ولم يرق ماحدث لشريف مكة، وزاد الأمر سوءاً، عندما منع الشريف حسين بن علي أهل نجد من الحج عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م. عندها قدم الملك عبد العزيز، شكوى إلى السيد برسي كوكس Sir Percy Cox، حيث استجاب وسمح ملك الحجاز حسين بن علي تحت ضغط بريطانيا بأداء فريضة الحج في العام التالي. غير أن الحسين فرض حداً على عدد من يقدم من حجاج نجد • فتقدم الملك عبدالعزيز بشكوى ثانية، إلى بريطانيا في عام

١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، مطالباً فيها زيادة الأعداد التي يسمح لها بأداء فريضة الحج، لكن الشريف حسين وضع شرطاً للزيادة، وأصر على أنه لن يسمح بأي زيادة في الأعداد إلا إذا تخلى الملك عبدالعزيز عن عدة بلدان، منها الجوف ورنيه وبيشة ورتبة والخرمة على الحدود النجدية، بالإضافة إلى منطقة عسير^(٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا تقدم الملك عبدالعزيز بشكاويه تلك إلى البريطانيين؟

لاشك في أن الملك عبدالعزيز كان يدرك مدى الحظوة التي يتمتع بها الشريف حسين من قبل بريطانيا منذ أن تعاون مع الحلفاء، وأعلن الثورة العربية على العثمانيين. كما أن ابنه عبدالله و فيصل في الأردن والعراق، كانا يحظيان بنفس الرعاية، وكانت بلديهما تحت مظلة الحماية البريطانية منذ أن حكما فيها، وقد نصبا أساساً من قبل الإنجليز أنفسهم • كما أن الملك عبدالعزيز، أراد أن يهيئ الأمور لما يخطط له، وهو ضم الحجاز وإنهاء الوجود الهاشمي فيها، لكي يضمن الحياد البريطاني في قضية يعتبرها قضية إسلامية، لذلك وضعهم في صورة خلافه مع ملك الحجاز، وكشف لهم عناد الشريف حسين، وبأنه ليس السياسي المحاور، الذي دائماً كان يراهن عليه البريطانيون والذين هم بدورهم ضاقوا ذرعاً من كثرة مطالبه غير الواقعية في أغلبها، وأصبح الفتور في العلاقات مع حليف الأمس سيد الموقف، لاسيما وأن الشريف حسين كان له دور كبير في إفشال مؤتمر الكويت الخاص بالحدود^(٥). لذلك نجح الملك عبدالعزيز في إبعاد الشريف حسين عن بؤرة اهتمام الإنجليز ودفاعهم عنه.

وفي عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣م، بدا واضحاً أن مواجهة عسكرية بين الشريف حسين والملك عبدالعزيز باتت وشيكة، بعد أن فشل مؤتمر الكويت في حل الخلافات بين الطرفين • وبدا واضحاً أن الملك عبدالعزيز قد قرر الزحف نحو الحجاز، بعد أن قام

الشريف حسين بمحاولة يائسة لاستعادة السيطرة على تربة والخرمة، وبسبب محاولاته المستمرة لاستعادة نفوذه على القبائل التي قبلت الانضمام للملك عبدالعزيز ولقيوده المفروضة على أعداد الحجاج القادمين من نجد^(٦).

وكان الشريف حسين قد ارتكب عدة أخطاء سياسية جسيمة، واهماً أن الحلفاء بما فيهم بريطانیا الذين حقق مأربهم، بإعلان الثورة العربية، لطرد الأتراك من الوطن العربي سيوافقونه عليها، حيث أعلن نفسه في بادئ الأمر ملكاً على العرب، بينما هم يرونه ملكاً على الحجاز دون غيرها، ولم يكتف بذلك، بل إنه أثناء زيارته إلى عمان، في جمادى الثانية ١٣٤٣هـ الموافق كانون الثاني ١٩٢٤م، وأثناء استقباله من قبل حشد كبير من القبائل العربية، وعدد كبير من السوريين والفلسطينيين، نودي بالملك حسين خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، على إثر إلغاء الكماليين الأتراك للخلافة، وطرد الخليفة العثماني والأسرة الحاكمة من تركيا^(٧).

اما الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية في الحجاز، فلم تكن كما يتمنى العرب والمسلمون حجاج بيت الله الحرام والمعتمرون، منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري / القرن العشرين الميلادي، وقد جسدها أمير الشعراء أحمد شوقي، في إحدى قصائده، التي بعثها للسلطان العثماني سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، اخترنا منها هذه الأبيات^(٨) : والتي قيلت قبل أن يتولى الشريف حسين السلطة في الحجاز :

"ضج الحجاز وضج البيت والحرم أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا أفى الضحى - وعيون الجند ناظرة ويسفك الدم في أرض مقدسة يد الشريف على أيدي الولاة علت إلى أن قال :	واستصرخت ربهما في مكة الأمم إن أنت لم تتقم فالله منتقم تسبى النساء ويوذى الأهل والحشم ؟ وتستباح بها الأعراض والحرم ؟ ونعله دون ركن البيت تسلم"
"لاترج فيها وقاراً للرسول فما	بين البغاة وبين المصطفى رحم"

في ضوء ما تقدم، كان الوقت ملائماً للملك عبدالعزيز للزحف نحو الحجاز قبل أن يستفحل أمر الشريف، الذي نصب نفسه خليفة على المسلمين • وهياً ابن سعود الأمر في غرة ذي القعدة ١٣٤٣هـ الموافق مايو ١٩٢٤م، بعقد اجتماع للإخوان للبحث في أمر الحج، فأجمعوا رأيهم على التحرك نحو الحجاز، بعد أن خطب فيهم الملك عبدالعزيز قائلاً^(٩):

" نحن لا نود أن نحارب من يسالنا، ولا نمتنع عن موالة من يوالينا • ولكن شريف مكة كان دائماً، كما تعلمون، يزرع بذور الشقاق بين عشائرتنا • وهو الوارث من أسلافه بغضنا • مع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز والتي هي أحسن • وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد، وكلما كنت له تجافى • أي ورب الكعبة • لست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل • بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكاً • ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا " •

وما إن وقف الملك عبدالعزيز عند هذه الكلمة، حتى هتف الجميع : توكلنا على الله ! إلى الحجاز ! إلى الحجاز !^(١٠).

كان ذلك في وقت، حضرّ وهياً فيه الملك عبدالعزيز الرأي العام في العالم الإسلامي قبل الزحف إلى الحجاز^(١١). كما حضرّ وهياً جيشه المتمثل في الإخوان • ومن ذلك نشره للكتاب الأخضر الشهير، المسمى ب(الكتاب الأخضر النجدي) الذي تم تأليفه لتبرير موقف الملك عبدالعزيز تجاه مؤتمر الكويت الذي تعثر، واستتكر هذا الكتاب موقف الشريف حسين الرافض للوصول إلى حلول سلمية للمشكلات القائمة بين نجد والحجاز • ومع أن الكتاب الأخضر لم ينشر إلا بعد السيطرة على الطائف، إلا أنه كان جزءاً مهماً لشرح وجهة النظر السعودية في الخلاف القائم مع دول الجوار^(١٢). لاشك في أن إعلان الشريف حسين توليه الخلافة، قد عجل بضم الحجاز، وهو ما عناه الملك عبدالعزيز في قوله فيما تقدم " لست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل، بل أرى

الأمر تزداد شدة وارتباكاً"، وقد اختارت بريطانيا أن تظل على حيادها في الحرب بين الطرفين لسببين، أولهما: أنها لا تتفق مع الشريف حسين وطموحاته غير الواقعية • فمن ملك على العرب إلى خليفة على المسلمين • وهي لم تنه الخلافة الإسلامية في إستانبول لتسمح بإعلانها في مكة، أما السبب الثاني: فإنها نظرت إلى الأمر بأن القضية كانت أصلاً قضية دينية إسلامية • وهو ما ركز عليه الملك عبدالعزيز في صراعه مع الشريف حسين، وأقنع به الإنجليز وغيرهم من الوسطاء، واستثمره لصالحه مع رغبة الإخوان الجامعة في تأدية فريضة الحج • لذلك قرر الملك عبدالعزيز أن يكون الهجوم على الطائف في نهاية موسم الحج حتى لا يتضرر الحجاج، أو يكون لذلك أثره السلبي في العالم الإسلامي • وبعد عدة مناوشات بدأ الهجوم الرئيسي ضد الطائف من معسكر الإخوان بالحوية، الذي وصلوه في أول صفر ١٣٤٣هـ الموافق أول سبتمبر ١٩٢٤م^(١٣)، وألحق الإخوان الهزيمة بقوة حجازية قدمت للدفاع عن الطائف، مما اضطرها إلى الفرار إلى الجبال المجاورة ووافق أهل الطائف على تسليم المدينة دون قتال، وبذلك دخل جيش الإخوان بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي الطائف في اليوم السابع من صفر ١٣٤٣هـ الموافق السادس من سبتمبر ١٩٢٤م، وقام جيش الإخوان الذي ضم بعض القبائل من الذين تعودوا على سلب أموال الحجاج بقتل الكثيرين من الأهالي وانتشرت أعمال النهب والسلب في الطائف^(١٤). وعلى إثر ذلك وجه البريطانيون إنذاراً إلى قائد الإخوان، مطالبينه باتخاذ كل التدابير لضمان سلامة البريطانيين المقيمين في الحجاز، وصون ممتلكاتهم، وهو ما يهم بريطانيا في المقام الأول. في الوقت نفسه، وجه الشريف حسين نداءً إلى الحكومة البريطانية لمساعدته عسكرياً، ومارس أبناءه عبدالله وفيصل، الضغط على بريطانيا لمنع الملك عبدالعزيز من ضم الحجاز، وهددا بمساعدة أبيهما إذا ما تخلت بريطانيا عن مساعدته • وادعى عبدالله بأنه إذا ما سيطر الملك عبدالعزيز على الحجاز، فإن نفوذه سيمتد إلى شرقي الأردن، كما أشار فيصل بأنه يعتمد على الحجاز في تدعيم مكانته في بغداد^(١٥)، وترددت بريطانيا في التدخل

في أمر كانت تراه مجرد قضية دينية إسلامية وشأن داخلي. وقد كرر الشريف حسين طلبه المساعدة من البريطانيين، في وقت أكدت فيه بريطانيا على الملك عبدالعزيز على الأهمية التي تعلقها في ضمان سلامة الحج والمقيمين البريطانيين، كذلك الحجاج المشمولين برعايتها في الهند وغيرها من الأقطار الإسلامية والعربية الأخرى، التي يرفرف عليها العلم البريطاني^(١٦).

ومع التدهور المستمر لمركز الشريف حسين، أشارت دائرة المستعمرات إلى دائرة الخارجية البريطانية بشأن السياسة التي يجب اتباعها في الفترة المقبلة، فكان رأي وزير الدولة لشؤون المستعمرات، أنه من غير الممكن للحكومة البريطانية في أي الحالات، أن تستخدم القوة ضد الملك عبدالعزيز، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، دفاعاً عن الأماكن الإسلامية المقدسة. وتكرر طلب الحسين للمساعدة البريطانية، مع استعداده للتنازل عن حكم الحجاز. وكانت إجابة المعتمد البريطاني على مطالب الشريف حسين الخاصة بالمساعدات العسكرية، أن الحكومة البريطانية لا تزال تتمسك بسياستها الحيادية التقليدية بعدم التدخل في الشؤون الدينية، وأنها لن تتورط في أي صراع يخص الأماكن المقدسة^(١٧).

لقد كان موقف بريطانيا الذي بقي الشريف حسين يعول عليه حتى في أحلك، موقف يكشف عن عنصر التدبير والقصد في السياسة البريطانية، وإن كان دون ذلك، مجموعة من الأدلة الملموسة في سياسة الحسين وعمله، تحول بينه وبين الظهور. فقد تمادى في مخالفاته حتى جعل من العسير على الحكومة البريطانية أن تؤازره: ولا أدل على ذلك، من رفضه مشروع اتفاق بينه وبين بريطانيا، من ثم رفضه الاعتراف بضم ابن سعود لمنطقة جبل شمر وعسير، وإنكاره لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين^(١٨).

كذلك لم يفلح الشريف حسين في أن يكون الملك المحبوب المهاب، في وقت واحد. فقد أرهق الحجيج بالضرائب. ولم يحسن الهيمنة على الأمن، فانتشر قطاع الطرق في

الحجاز لسلب الحجاج ونهبهم، وكانت له تطلعاته التي تتنافى مع الحجم الذي أرادوه له البريطانيون. ومع أن الملك عبدالعزيز لم يعطهم شيء من ذلك، إلا أنه كان يعرف ماذا يريد وما هو الممكن تحقيقه، في عتمة الهجوم الاستعماري الأوروبي على الوطن العربي، واتضح للبريطانيين، أن طموحاته السياسية تتوقف إلى حد ما عند حدود ما كان أجداده قد وصلوا إليه في حدود الجزيرة العربية. أسباب كلها معقولة ومقبولة بريطانياً لخدلان الشريف حسين، والتزام الحياد بين الطرفين. لكنها - أي هذه الأسباب - تكاد تنطق بالسبب الحقيقي الذي يحرك السياسة البريطانية^(١٩).

لقد اتضحت الرؤيا لدى الحكومة البريطانية، وكشف لمخططي سياستها عن نجم صاعد، أشارت كل الحسابات إلى أنه لم يطلع ليأفل، ولم يشرق ليغرب، ولم يصعد لينزل، ذلك هو نجم الملك عبدالعزيز، فأرادت - كما هو واضح ويتضح يوم بعد آخر، ألا تقطع معه بريطانيا الخيوط، لتمسك بخيط واهٍ تشير كل الدلائل إلى أنه منقطع لا محالة^(٢٠).

في أعقاب السيطرة الكاملة على الطائف، وهزيمة القوات الحجازية للمرة الثانية، بعد محاولة يائسة، فرّ على إثرها، علي بن الحسين إلى مكة، وأصبح موقف الشريف حسين حرج للغاية. وعلى إثر هذه الأحداث اجتمع أشرف وأعيان الحجاز وعلمائها في جدة، للبت في قرار تنازل الشريف حسين عن العرش لصالح ابنه علي، ظناً منهم أن في ذلك الخلاص من الحرب. ولم يكن أمام الشريف حسين بديلاً آخر سوى أن يستجيب لهذا الطلب. فوافق أخيراً، بعد تردد على التنازل عن العرش. وفي ٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ الموافق ٦ أكتوبر ١٩٢٤م، تم تعيين الشريف علي ملكاً دستورياً على الحجاز فقط. ولم يرق ذلك للشريف حسين، وسافر إلى جدة، الذي انعزل أثناء وجوده فيها تماماً عن مقابلة الناس، حتى غادرها بعد ستة أيام إلى العقبة، في منتصف ربيع الأول ١٣٤٣هـ أكتوبر ١٩٢٤م. ورغم أن مغادرته كانت في الحقيقة قسرية، فإن السلطات البريطانية

لم تكن ترحب به في العراق، ولا في شرقي الأردن، وكان لذلك تأثير سلبي على كل من أبنائه عبدالله وفيصل^(٢١).

في تلك الأثناء، ولما كانت مدينة الطائف المدخل الشرقي لمكة، وليست ببعيدة عن قوات الإخوان، فقد تحرك الجيش باتجاه مكة* وانسحب الشريف علي من مكة إلى جدة* وتلقى بولارد Bullard المعتمد البريطاني، خطاباً من قيادة الإخوان في الطائف يفيد بأن الأجانب وممتلكاتهم وأهالي مكة سيكونون في أمان من أي سلب أو إساءة، وجاء بالرسالة أيضاً أن نزاعهم كان مع من منعهم من تأدية فريضة الحج^(٢٢). ثم وصلت نسخ من إعلان موجه إلى سكان مكة وجدة من الملك عبدالعزيز جاء فيه: " أنتم سكان الأماكن المقدسة. ولكم الحق في اختيار أيأ من الحسين أو أحد أبنائه في تولي السلطة على الحجاز وستترك إدارة البلاد لقرار يجمع عليه أهل الحجاز والذي سيكون قراراً نهائياً " ^(٢٣). وبهذا يكون الملك عبدالعزيز قد خطب ودهم، في الوقت الذي يرضي فيه من ينزع إلى الديمقراطية، وهي بريطانيا في المقام الأول، ثم من يعيش تحت ظلها، وتأثر بها من بعض الشعوب الإسلامية من الذين يعيشون تحت كنفها. كما تعهد الملك عبدالعزيز لمعتدي بريطانيا بأنه مسئول عن سلامة الحجاج، وطرق الحج، بسبب ما يمليه عليه الدين والشرف ومسئوليته. وفي ١٨ ربيع الأول الموافق ١٧ أكتوبر دخل الإخوان مكة سلماً خاشعين وتولى الشريف خالد بن لؤي إمارة مكة (٢٤). وكان أشرف مكة وجدة، يعتقدون أنهم يستطيعون إقناع ابن سعود بالانسحاب بمجرد انتخابهم علياً ملكاً على عرش الحجاز، لكن الملك عبدالعزيز كان مصمماً على إخراج الأسرة الهاشمية بكاملها من الحجاز، وبعد السيطرة على مكة، بقيت جدة والمدينة، وميناء ينبع فقط، تحت سلطة الملك علي بن الحسين* وكان الملك عبدالعزيز لا يرغب في تعريض سكان جدة والأجانب للخطر، لهذا قرر الاكتفاء بمحاصرتها وذلك بعد أن وصل إلى مكة المكرمة في جمادى الأولى ١٣٤٣هـ

ديسمبر ١٩٢٤م^(٢٥) . وفي ١٠ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ ٦ يناير عام ١٩٢٥م، وصلت قوات الإخوان إلى جدة لبدء حصارها^(٢٦) .

كانت تلك الأحداث تجري في وقت أكد فيه الملك عبدالعزيز على ضمان الحج وسلامته. وأصدر إعلاناً مكتوباً إلى المسلمين في أنحاء العالم كافة، أوضح فيه أن علي بن الحسين محاصراً في جدة حصاراً محكماً، وأنه يرحب بالحجاج ويبتهج بقدم وفود بيت الله الحرام، بل ويتكفل لهم بالأمان في طريقهم إلى مكة من موانئ رابغ أو الليث أو القنفذة^(٢٧) .

في الوقت نفسه واصل الملك عبدالعزيز ضغطه على الملك علي بن الحسين في جدة، في حين تقدم أهالي جدة بعريضة إلى وكلاء الحكومة الحجازية تضمنت الجنوح إلى التفاوض السلمي وعدم جدوى خطط الدفاع عن جدة، ومع ذلك فقد كان الشريف علي لا يزال مصمماً على الصمود^(٢٨) ، في حين أن الملك عبدالعزيز قد قرر ضم الحجاز، وطرد الهاشميين بعد أن أصبح في موقف قوى، في وقت تراجع فيه موقف خصمه إلى أدنى مستوى له سياسياً واقتصادياً وشعبياً، ولذلك لم يأبه الملك عبدالعزيز بمحاولات الصلح^(٢٩) .

حيث حاول وفد جمعية الخلافة الهندية - في هذا الإطار - أن يرتب نوعاً من التسوية، كما حاول قناصل الاتحاد السوفيتي، وإيران، وهولندا، أن يتدخلوا بصفاتهم الشخصية، لحل هذا الخلاف دون جدوى^(٣٠) وبدأت مناقشات حربية، في رجب ١٣٤٣هـ الموافق يناير ١٩٢٥م، دون أن يقع أي ضرر في أرواح وممتلكات الأجنبي، وهو ما كان يحرص عليه الملك عبدالعزيز، ومضت الشهور تباعاً، دون أن يكون هناك هجوماً سعودياً على جدة، وكان يؤكد دائماً للمعتدين السياسيين من خلال مراسلاته بأنه لن يقتحم جدة، لرغبته في منع أي ضرر قد يلحق بالأجانب رعايا الحكومات الأجنبية^(٣١) ، في وقت سجل فيه الملك عبدالعزيز، نجاحاً في تنظيم أعمال الحج وتيسير قدوم الحجاج دون عناء، حيث وفر التسهيلات اللازمة لوصول آلاف

الحجاج عبر البحار، وكفل لهم الأمان في أرواحهم وأموالهم، وأمن السبل وطرق الحج، واهتم بحج ذلك العام اهتمامه بالنصر، وضم الحجاز^(٣٢) لأن نجاحه، سيضيف سياسياً على المستوى المحلي وعلى المستوى الإسلامي رصيماً إلى أحقيته في حكم الحجاز، كما أن عائدات الحج المالية وإن كانت قليلة بسبب تراجع أعداد الحجاج من جراء الأحداث ستزيد دخله المالي وتعيّنه في مجهوده الحربي في الوقت الذي تضعف فيه مركز خصمه^(٣٣).

أما موقف الملك علي، فقد أصبح في غاية الخطورة، مما اضطره مرة أخرى، لمناشدة بريطانيا للتدخل، وحاولت الحكومة البريطانية أن تقوم بدور الوسيط بين الملك عبدالعزيز وبين الملك علي، واتصلت دائرة الخارجية بالمعتمد البريطاني، الذي أبلغ الملك عبدالعزيز، بأنه يمكن للحكومة البريطانية أن تبذل مساعيها الحميدة، إذا ما قبل ابن سعود وساطتها^٠ مع ذلك، التزمت بريطانيا بالحياد في النزاع، ورفضت إعادة النظر، في موقفها دون موافقة الطرفين على هذه الوساطة، وكرر الملك علي بن الحسين، التماس التدخل من بريطانيا في محرم ١٣٤٤هـ / أغسطس ١٩٢٥م، ولكنها أجابت بأنها ستتدخل فقط إذا ما وافق الملك عبدالعزيز على وساطتها^(٣٤).

نعم لقد أدرك الملك عبدالعزيز أنه لن يحصل على ما يريد من الوساطة البريطانية أو غيرها، في وقت أصبح فيه قاب قوسين أو أدنى من ضم الحجاز بشكل نهائي، وطى صفحة الشريف حسين، ومن ثم ابنه الملك علي. رغم ما تعرض له سكان جدة من معاناة شديدة بسبب الحصار وقلة المؤن^(٣٥)، وكان الملك عبدالعزيز، قادراً على دخول جدة، لكنه تجنب ذلك، لعدة أسباب منها، تجنب حدوث مجابهة دموية، سيكون لها أثر بالغ في العالم الإسلامي، ولدى الدول الأوروبية في حال تعرض رعاياها للخطر، كما أن الملك عبدالعزيز أراد ألاّ يلحق أي ضرر بالأماكن المقدسة، وألاً يعطي المجال للتدخل الخارجي. وفي الحقيقة، فإن هذه الأسباب السياسية مجتمعة، هي التي دعت الملك عبدالعزيز إلى إطالة أمد الحصار الذي دام قرابة العام، حيث كان يأمل في

دخول جدة بأقل الخسائر المادية والمعنوية، وبذلك يتفادى تعقيدات الموقف الدولي، وهذا ما خطط له ونجح فيه^(٣٦).

وبعد الانتهاء من موسم الحج لعام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، كان الوقت مهيئاً لمواصلة الاستيلاء على الحجاز، حيث كان قد كلف الملك عبدالعزيز قوة من جيشه لتحصير المدينة المنورة، بقيادة فيصل الدويش وعبد المحسن الفرم. وقد تلقت القوة أوامر صارمة بعدم الدخول إلى المدينة المنورة، إلا بعد الإذن من الملك عبدالعزيز، ثم أمر ابنه الأمير محمد بن عبدالعزيز للحاق بهذه القوة بناءً على طلب أهالي المدينة، للخشية من تكرار التجاوزات المفترطة على نحو ما حدث في الطائف^٠ وفي يوم السبت ١٩ جمادى الأولى الموافق ١ ديسمبر ١٩٢٥م سلمت المدينة المنورة للأمير محمد عبدالعزيز ودخلها بعد أن أعلن العفو العام والأمان للضباط والجنود والأهالي. وبعد أن تأكد بأن الهدوء ساد المنطقة^(٣٧).

أثار توسع الملك عبدالعزيز ونجاحاته شمالاً وجنوباً، وفي الحجاز قلق بريطانيا، وكانت هناك عدة مشاكل معلقة لا زالت دون حل، بين الملك عبدالعزيز والعراق فيما يخص الحدود والعشائر، وكذلك مشكلة أخرى هي مشكلة حدود شرقي الأردن، وكانت العلاقات البريطانية - السعودية أكثر تعقيداً، خاصة عندما رفض ابن سعود إعطاء القنصل البريطاني في جدة، وضعاً خاصاً ليقينه بأن ذلك يعتبر تدخلاً في شؤونه الداخلية، لذلك اعتبرت بريطانيا أن الوقت ملائم لمناقشة المشكلات الرئيسية مع الملك عبدالعزيز^(٣٨). ومنها أمن العراق والأردن وحدودهما الجنوبية، ومنذ منتصف عام ١٣٤٣هـ الموافق لمطلع عام ١٩٢٥م وهي تسعى إلى ضمان التحكم من شرقي الأردن بمعان والعقبة، لمنع الملك عبدالعزيز من تهديد إمارة عبد الله بن الحسين هناك. حيث نشط جيش الملك عبدالعزيز في منطقة وادي السرحان، بعد ضم حائل، وأصبحت غارات جيشه تصل إلى شرق الأردن وتخوم سوريا^(٣٩).

لهذا حاولت بريطانيا أن تقوي موقفها في معان والعقبة. واعتبرت وزارة المستعمرات البريطانية، أن شرقي الأردن يمتد إلى نقطة في جنوبي معان على سكة حديد الحجاز، ويجب على عبدالله أن يدعو أخاه علياً، لإعادة منطقة معان إلى شرقي الأردن فوراً^(٤٠) وكان الحسين الذي انتقل إلى العقبة بعد تنازله عن عرش الحجاز، قد اتخذ منها مركزاً، لتزويد ابنه الملك علي بالمساعدات في جدة.

وعلى إثر ذلك، هدد الملك عبدالعزيز، باتخاذ عمل عسكري ضد العقبة^(٤١)، فأمرت بريطانيا الحسين، بمغادرة العقبة، لكن الحسين، لم يكن يرغب في المغادرة، حيث إنه كان يرى أن رحيله سيؤدي إلى سقوط جدة وإلى نهاية حكم أسرته للحجاز. وأخيراً نقلت سفينة بريطانية الحسين إلى جزيرة قبرص، كمنفى بعيداً عن أحداث الحجاز^(٤٢) ثم اتجهت بريطانيا لإضفاء الشرعية على إجراءاتها، بالإيحاء إلى الملك علي وحكومته في جدة، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، بالتنازل عن معان والعقبة لإمارة شرق الأردن^(٤٣). وفي ذي الحجة ١٣٤٣هـ الموافق يونيو عام ١٩٢٥م أصدر الملك عبدالله بن الحسين إعلاناً جاء فيه :

"استناداً إلى سلطة جلالة الملك الهاشمي علي بن الشريف حسين ملك الحجاز المقدسة، فإننا نعلن بهذا أن مناطق معان والعقبة، تشكلان جزءاً من إمارة شرقي الأردن، ونياية عن شعبنا وحكومتنا نعبّر عن شكرنا العميق لصاحب الجلالة ملك الحجاز"^(٤٤).

أما بريطانيا فإنها بعد ضمها العقبة ومعان إلى شرقي الأردن، آثرت العودة إلى سياسة الحياد بين ابن سعود والهاشميين، ومالت إلى المناقشة مع الملك عبدالعزيز حول الحدود غير المحددة بين بلاده، وبين بلدان الانتداب البريطاني في العراق والأردن. وكانت بريطانيا قلقة من أن يتوجه الملك عبدالعزيز إلى الشمال بعد ضم الحجاز، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، كان الملك عبدالعزيز يعمل بكل قواه في انتهاز الفرصة

المناسبة حتى يلزم بريطانيا على التفاهم مع فيصل وعبدالله، لتسوية مسألة الحدود مع العراق وشرقي الأردن ٠ لأن أي تسوية واتفاق يوقعه الأخوان في العراق والأردن سينهي حالة التوتر مع الهاشميين في حدوده الشمالية، بل وسيعجل بلا شك في سقوط شقيقهما الثالث المحاصر في جدة ٠ ولهذا تشير بعض المصادر إلى أن الملك عبدالعزيز هو الذي بادر بطلب المفاوضات^(٤٥).

في ضوء هذه التطورات، رشحت الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة العراقية بالإضافة إلى توفيق السويدي مرشح الحكومة العراقية السيد جلبرت كلايتون Sir Gilbert Clayton، الذي فوض لحل المسائل المعلقة بين نجد والعراق ٠ حيث وصل كلايتون Clayton ومرافقوه إلى أم القرون^(٤٦). الواقعة في الوسط بين بحرة وجدة، وكان كلايتون Clayton مكلفاً بمهمة تسوية الحدود بين نجد وشرقي الأردن، والمشكلات بين العراق ونجد التي لم تحل في مؤتمر الكويت^(٤٧). وبدأت المناقشات في ٢١ ربيع الأول ١٣٤٤هـ - ١٠ أكتوبر ١٩٢٥م، في بحرة قرب جدة نظراً لانشغال الملك عبدالعزيز في حصار جدة، ومثل حكومة نجد الشيخ حافظ وهبه والشيخ يوسف ياسين^(٤٨). وكانت مسألة منطقة الجوف ووادي السرحان، أول مشكلة تعترض المناقشات في ذلك اليوم، وكان كلايتون Clayton قد تلقى تعليمات بضم الجوف إلى شرقي الأردن لأسباب استراتيجية، والتعليمات لديه أيضاً تقضي بالأصل بين العراق وشرقي الأردن بإقليم نجد يفصل بينهما. لكن رفض الملك عبدالعزيز بشدة ضم الجوف إلى شرقي الأردن وأعرب عن عدم قبوله هذا الاقتراح، وعارض أيضاً بشدة ترسيم الحدود الشمالية بأسلوب يربط شرقي الأردن والعراق، ويفصل نجد عن سوريا^(٤٩). وأكد أنه سبق أن أبلغ القبائل وجماعة الإخوان وهي القوة الفاعلة في الحياة السياسية، بأن الجوف ومنطقة وادي السرحان جزء من بلاده حسب المفاهيم السابقة مع المعتمد السياسي في البحرين، وإذا تراجع عن هذا الموقف فإن ذلك يزعزع مركزه. بالإضافة إلى إن هذا الترتيب يعزل رعاياه عن أسواق سوريا، في الوقت

الذي ترى فيه بريطانيا أن ربط حدود شرقي الأردن بالعراق هو ضرورة لتعزيز وجودها في شمال الجزيرة العربية، ولضمان مركزها وضمان مواسلاتها وخطوط أنابيبها^(٥٠).

وأخيراً اضطر كلايتون Clayton، أن يقبل بالواقع بأن تكون منطقة الجوف جزء من البلاد الخاضعة لسلطة الملك عبدالعزيز. في حين وافق الملك عبدالعزيز، على الحدود المقترحة من قبل بريطانيا. وكان مبعث هذا التوازن الجديد، هو حاجة الملك عبدالعزيز إلى حياد بريطانيا، لتمرير سيطرته على الحجاز دون تدخل من بريطانيا أو من بعض القوى العربية والإسلامية الخاضعة للعلم البريطاني^(٥١)، وفي ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ الموافق الثاني من ٢ نوفمبر ١٩٢٥م، تم توقيع اتفاقية حدّة^(٥٢)، وتضمن البند الأول منها: ترسيم الحدود الشرقية بين الأردن ونجد، وبموجبه أصبحت الجوف بحكم الواقع المتوج بالاتفاق خاضعة للملك عبدالعزيز، وحصل بموجب البند نفسه على كافة السهول والمنحدرات لوادي السرحان، لتوفير المراعي لسكان المنطقة^٥ وضمنت البنود: ٢، ٤، ٨ سلامة شرقي الأردن من أي هجوم أو غارات سعودية^(٥٣)، في حين أقر البند: ٣ التسسيق الدائم بين الحاكم الإداري السعودي في وادي السرحان، والممثل البريطاني في عمّان^(٥٤). واختصت البنود: ٥، ٦، ٧، ٨ بموضوع وقف الغارات، وبتتظيم تحركات البدو والقبائل، أما البنود: ٩، ١٠، ١١ فخصصت لتنظيم الحدود. وتناول البند: ١٢ موضوع حرية المرور للمسافرين والحجاج من قبل البلدين. وبموجب البند: ١٣ تعهدت بريطانيا بضمان حرية العبور للتجارة بين نجد وسوريا، وإعفاء البضائع العابرة للملك عبدالعزيز ورعاياه من الجمارك. وهكذا فإن اتفاقية حدّة بين الحكومة البريطانية ومندوبها الذي مثل الأردن وحكومته، وبين الملك عبدالعزيز قد حددت الحدود الشمالية الغربية بين الأردن ونجد، وحلت المسائل المرتبطة بها^(٥٥).

أما فيما يتصل بالحدود العراقية، فقد نجح كلايتون Clayton، في أن تتضمن اتفاقية بحرة، كل التعليمات التي لديه من حكومته، باستثناء نقطة واحدة استجذت

تضمنتها اتفاقية بحرة، أما بقية النقاط التي اتفق عليها فقد سبق أن وضعت في مؤتمر الكويت البنود : ١، ٥، ٦، ٧ كذلك حلت هذه الاتفاقية أسباب فشل مؤتمر الكويت، بوضع تسوية لتسليم اللاجئين القبليين، والظروف التي تسمح بتشكيل وحدات مسلحة^(٥٦).

من المعروف أن إبرام اتفاقية بحرة كان بين الملك عبدالعزيز، وبين الحكومة البريطانية نيابة عن الحكومة العراقية، وقد نظمت هذه الاتفاقية المسائل القبلية وحركة المرور للرعي والتجارة، وقد اعتمد النص العربي للاتفاقية كنص رسمي، كما اعتمد النص الإنجليزي في حالة اختلاف التفسير، هذا وقد جرت المفاوضات الخاصة باتفاقيتي بحرة وحدّة في وقت واحد، وكان توقيع اتفاقية بحرة في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤هـ / الموافق لليوم الأول من شهر نوفمبر عام ١٩٢٥م^(٥٧). بينما كانت اتفاقية حدّه في اليوم التالي، بتاريخ الخامس عشر من ربيع الثاني ١٣٤٤هـ / الموافق لليوم الثاني من شهر نوفمبر ١٩٢٥م. وعلى الرغم من أن نقاط الخلاف في اتفاقية بحرة، لم تكن حادة إلى الدرجة التي كانت عليها اتفاقية حدّه، فإن مناقشات اتفاقية بحرة، لم تنجح في الحصول على رضی الملك عبدالعزيز على جميع النقاط. فيما يخص تسليم الجناة، فقد طالب الملك عبدالعزيز بتسليم الجناة القبليين من نجد، الذين لجأوا إلى العراق، لأن شمر نجد كانوا يشنون الغارات داخل أراضيه، ثم يرجعون إلى العراق، حيث لا يتمكن الملك عبدالعزيز من مطاردتهم، لذلك فإنه أكد على البريطانيين بأنه : لا يمكن تسوية هذه النزاعات إلا بالمصادقة على اتفاقيات خاصة لمنع الغارات وتسليم القبليين، على النحو الذي اقترحه الممثلون في مؤتمر الكويت^(٥٨).

أما رأي الحكومة العراقية فكان يتمثل في أنه لا يجب اعتبار شن الغارات جريمة تبرر تسليم مرتكبيها، وأيدت الحكومة البريطانية هذا الموقف، على حين أصر الملك عبدالعزيز على موقفه، واعتبره من مطالبه الأساسية، وقد أبلغ كلايتون Clayton

الملك عبدالعزيز بأنه إما أن يلغي هذا الطلب، أو يواجهه قطع المفاوضات. وأخبر الملك عبدالعزيز أيضاً بأن العراق سيتخذ خطوات جادة لنقل شمر نجد، من الحدود النجدية إلى شمال العراق. لكن أخيراً اقتنع الملك عبدالعزيز بالموافقة على وجهة النظر العراقية، البند ٨ وأشار كلايتون إلى أنه يؤيد تسليم المجرمين العاديين فقط من غير السياسيين. وكان ذلك موضوع البند ١٠ من الاتفاقية، لكنه في الواقع كان تكراراً لوجهة النظر العراقية^(٥٩). ووفقاً لما ورد في البند ٨ فقد وافق الملك عبدالعزيز، على أن تغادر القبائل المجندة مع عائلاتها وممتلكاتها، وجاء في البند ٩ أنه إذا هاجرت قبيلة من إقليم إلى آخر، وقامت بغارات ضد إقليمها السابق، فلا بد لها أن تعطي ضمانات ضد هذا التصرف، وكان ذلك خطوة احتياطية موفقة إضافية^{٦٠} ويلاحظ أن البنود من ١ إلى ٧ من اتفاقية بحرة، كانت مماثلة للبنود: من ٥ إلى ١١ في اتفاقية حدة^(٦١). باستثناء الحدود بين الحجاز التي كان الملك عبدالعزيز على وشك فتحها كذلك بالنسبة لشرقي الأردن، فإنه تم فعلاً تحديد الحدود الشمالية لنجد بشكل نهائي^(٦١)، وليس هناك من شك في أن اتفاقيتا بحرة وحده، قد أدتا إلى تفاهم بريطانيا والملك عبدالعزيز وأوجدت جو من الوئام والاتفاق. وقد أبدت وزارة الخارجية البريطانية تقديرها لمفاوضها كلايتون Clayton وقدرت مهارته وإدارته للتفاوض ونجاحه في الوصول بعد مشقة إلى تلك الاتفاقية^(٦٢)، وفي الواقع كان فيها نجاحاً للملك عبدالعزيز وإن كان لها تأثيرها فيما بعد، على الوضع الداخلي، عندما اتسعت شقة الخلاف مع الإخوان الذين كانوا يرون أنها جاءت على حساب تطلعاتهم إلى الغارات والغزو الذي تعودوا عليه^(٦٣).

يرى الباحث خالد بن ثيان آل سعود - في هذا المقام - أن الملك عبدالعزيز قد أحرز انتصاراً عظيماً في إبرام اتفاقيتي بحرة وحده، حيث حددت الاتفاقيتان الحدود بين كل من نجد وشرقي الأردن والعراق، وساهمت هاتان الاتفاقيتان في وضع حد للغارات القبلية، بالإضافة إلى ذلك، فقد رسمت الحدود بين نجد وبين شرقي الأردن

بطريقة امتلك فيها الملك عبدالعزيز وادي السرحان كميزة استراتيجية^(٦٤). وبالإمكان أن نضيف هنا بأن هذا الانتصار للملك عبدالعزيز لم يحقق فقط تثبيت حدوده الشمالية لبلاده. بل إن هاتين الاتفاقيتين، وإن كانت تخص الحدود وتشبثتها إلا أنها ألفت بظلالها على القضية الساخنة في الحجاز، وهو حصار جدة ورعاية الأماكن المقدسة. فما إن تم توقيع الاتفاقيتين في يومين متتالين، وانفض الاجتماع حتى حرص الملك عبدالعزيز على إعلان هاتين الاتفاقيتين، لما لذلك من أثر فعال على الملك علي بن الحسين المحاصر في جدة والبقية القليلة التي تسانده. حيث أصاب جيشه وأعوانه الخور بعد أن شاع الاتفاق بين الناس. لاشك في أن العرب والبادية على وجه الخصوص، يرون في ذلك تخلي من قبل الأخوين بالأردن والعراق عن محاصرهم الثالث ومن معه في جدة، حيث انفض من كان حول الملك علي، واضطر إلى الجنوح إلى السلم، خلال شهر من توقيع الاتفاقيتين، لاسيما وقد أدى الحصار ثماره ولم يعد لديه إمكانيات للمواصلة بعد أن استنفذ جميع اتصالاته وتوقفت الإمدادات من العراق والأردن. وقد أبلغ عدد من أعيان وعلماء الحجاز الملك عبدالعزيز، بعد عدة أسابيع من انتشار أخبار اتفاقيتي بحره وحده برغبتهم في التسليم والانضمام تحت رايته. عندها أدرك الملك علي أنه وصل إلى نهاية المطاف ولذلك أرسل إلى الملك عبدالعزيز، مفوضاً السيد جوردن Jordan من القنصلية البريطانية، ليلتقي بابن سعود لترتيب شروط الاستسلام، التي كانت شروط الغالب على المغلوب، وان حفظت للملك علي كرامته^(٦٥). لكنها في الواقع كانت جميعاً في صالح الملك عبدالعزيز. وفي ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م تم التوقيع على الاتفاق، على أن يغادر الملك علي بممتلكاته الشخصية، وغادر بالفعل علي بن الحسين جدة، في ٤ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥م إلى عدن ومنها إلى العراق ليدخل الملك عبدالعزيز مدينة جدة في اليوم التالي. ثم أصدر منشوراً، في ٨ جمادى الثانية / ٢٤ ديسمبر يحث الناس فيه على السكون والانصراف إلى أعمالهم^(٦٦). أما أعيان الحجاز ووجهائها فقد طلبوا من الملك عبدالعزيز بعد دخوله جدة، أن يعطيهم الحرية التي وعد بها

للتشاور فيما بينهم لتقرير مصير الحجاز والأماكن المقدسة، ليقرروا هم مصير بلادهم، فأجابهم سلطان نجد لطلبهم في حرية تامة. وأمام رغبة أهل الحجاز الجامعة للوحدة وللخروج بالبلاد من موقف الحرب، وبعد أن عاشروا الملك عبدالعزيز واحتكوا به عن قرب، بعيداً عن الدعاية والإعلام المضاد، أقبِلوا ولسان حالهم يقول نحن أهل مكة أدري بشعابها. ونحن أهل الأماكن المقدسة، ونعيش بين ظهرانيها وهذا هو المؤمن المؤمن على الأماكن المقدسة وأبنائها، الراجع للواء تطبيق الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً، حيث تألفت في جدة، لجنة من أعيانها قدرت بعشرين من الأعيان والوجهاء • ثم سافروا إلى مكة، واجتمعوا مع ثلاثين من أعيانها، وأجمعوا رأيهم على البيعة للملك عبدالعزيز، ملكاً على البلاد، وراعياً للأماكن المقدسة^(٦٧). فأصدر الملك عبدالعزيز على إثر ذلك بياناً في منشوره الثاني، في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / الموافق ٧ يناير ١٩٢٦م يعلن فيه ضمناً أن مصير الحجاز قد قرره أهله وقبل البيعة من يومه^(٦٨). ثم كانت البيعة العامة في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ١٠ يناير ١٩٢٦م. حيث اجتمع الناس عند باب الصفا بالمسجد الحرام، يتقدمهم الأشراف، ثم الوجهاء والأعيان، وتلاههم المجلس الأهلي، فالمحكمة الشرعية، فالأئمة والخطباء فالمجلس البلدي، فأهل المدينة المنورة، فأهل جدة، فبقية خدم الحرم، فالمطوفين والزمازمة فمشايخ جاوة، فأهل الحرف، فمشايخ الحارات وأهل المحلات • فتمت بذلك البيعة العامة للملك عبدالعزيز عند البيت العتيق، ليصبح لقبه ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها^(٦٩).

وفي الواقع إذا نظرنا إلى أهمية البلاد وقديسية المكان فقد كانت تلك البيعة، بيعتين بيعة بالملك، وبيعة برعاية الأماكن المقدسة وباعتماد مسئولية الملك عبدالعزيز عن أم القرى مكة المكرمة. وهي مسئولية بلا شك، كانت ولا زالت عظيمة وشرف تشرف به قادة هذه البلاد ورعيته من خلفهم، منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز • يفاخر

به كل من ينتمي إلى هذه البلاد عمراناً ورعاية وخدمة، عهد بعد عهد، وجيل بعد جيل، ويكفي هذه البلاد وقادتها فخراً، أن العناية بالأماكن المقدسة تحظى باحترام جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها^(٧٠). لهذا لاغرو أن يحمل الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- لقب خادم الحرمين الشريفين، الذي أصبح شرفاً يعرف به ملك هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) في جميع أنحاء العالم^(٧١). نسأل الله أن يديم على هذا الوطن العزيز الغالي عزه وأن يحفظه من كل عابث، وأن يديم علينا نعمة الإسلام والأمن والأمان، إنه سميع مجيب.

ملحق رقم (١) اتفاقية بحرة^(٧٢)

٤ اربيع الثاني ١٣٤٤هـ / نوفمبر ١٩٢٥م

وقد وردت نصوص هذه الاتفاقية كم يلي :

المادة الأولى :

تعترف كل من دولتي العراق ونجد أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الدولة الأخرى اعتداءً يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها ، وأن رئيس العشيرة المعتدية يعد مسؤولاً.

المادة الثانية :

أ - تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي العراق ونجد تجتمع من حين لآخر، للنظر في تفاصيل أي تعد يقع من وراء حدود الدولتين، ولإحصاء الأضرار والخسائر، وتعيين المسؤولية. ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتي العراق ونجد، وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين، تتفق على اختياره الحكومتان، وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافاذة.

ب - بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار والخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك تقوم الحكومة التابعة لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور ووفقاً لعادات العشائر، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الأولى من هذه الاتفاقية.

المادة الثالثة :

لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمتنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى، عملاً بمبدأ حرية الرعي.

المادة الرابعة :

تتعهد حكومتا نجد والعراق بأن تقفا بكل ما لديهما من الوسائل - غير الطرد واستعمال القوة - في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من إحدى القطرين إلى الآخر، إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاها. وتعهد الحكومتان بأن تمتنعا عن تقديم الهدايا أيا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى، وبأن تنظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى.

المادة الخامسة :

ليس لحكومتى العراق ونجد أن تتخابر مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الأخرى في الأمور الرسمية والسياسة.

المادة السادسة :

لا يجوز لقوات العراق ونجد أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضى الحكومتين.

المادة السابعة :

لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أو لهم رايات تدل على أنهم قواد لقوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الدولة الأخرى.

المادة الثامنة :

إذا طلبت إحدى الحكومتين من عشائرها النازلة في أراضي الدولة الأخرى تجريدات مسلحة فالعشائر المذكورة أحرار في تلبية دعوة حكومتهم، على أن يرحلوا بعائلاتهم وأموالهم بكل سكينة.

المادة التاسعة :

إذا انتقلت عشيرة من أراضي إحدى الحكومتين إلى الأراضي التابعة للحكومة الأخرى وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في أراضيها أن تأخذ منها ضمانات كافية حتى إذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الأولى، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذه الاتفاقية.

المادة العاشرة :

تتعهد حكومتا العراق ونجد بأن تقوما بمذكرات ودية لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين، طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابة، وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق.

المادة الحادية عشر :

النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع إليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية.

المادة الثانية عشر :

تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحرة.

ملحق رقم (٢) اتفاقية حدّة^(٧٣)
١٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ / ٢ نوفمبر ١٩٢٥م

وقد وردت مواد الاتفاقية كما يلي :

نصت المادة الأولى على تحديد الحدود بين نجد وشرقي الأردن •

المادة الثانية :

تتعهد حكومة نجد بأن لا تقيم أي حصن في كاف وألا تستعملها والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية • أما إذا رأّت حاجة في حين من الأحيان لاتخاذ تدابير استثنائية بجوار الحدود للمحافظة على الأمن أو لأي غرض آخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة فتتعهد بأن تخبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في أقرب وقت ، وعلاوة على ذلك تتعهد بأن تمنع قواتها من التعدي على أراضي شرقي الأردن بكل ما لديها من الوسائل •

المادة الثالثة :

منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع بقرب الحدود ، وتوثيقاً لعري الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد ، يتفق الطرفان على القيام بمخابرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الأردن أو مندوبه وبين حاكم وادي السرحان •

المادة الرابعة :

تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي السرحان القبائل غير التابعة لنجد ، سواء أكانت حقوق الرعي أو السكن أو الملكية أو ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة ، بشرط أن تخضع تلك القبائل ، مادامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق ، وتعامل حكومة شرقي الأردن نفس معاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الأردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة :

تعترف كل من نجد وشرقي الأردن أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الحكومة الأخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها ، وأن رئيس العشيرة المعتدية يعد مسؤولاً .

المادة السادسة :

أ - تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الأردن تجتمع من حين لآخر للنظر في تفاصيل أي تعدٍ يقع من وراء الحدود ، وإحصاء الأضرار والخسائر ، وتعيين المسؤولية ، ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتي نجد وشرقي الأردن ، وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين ، تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية وناظفة .

ب - بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار والخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة :

لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم، وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً بمبدأ حرية الرعي .

المادة الثامنة :

تتعهد حكومتا نجد وشرقي الأردن بأن تقفا بكل ما لديهما من الوسائل غير الطرد واستعمال القوة في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من أحد القطرين إلى الآخر، إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاها . وتعهد الحكومتان بأن تمتنع عن تقديم الهدايا أيا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى، وبأن تنظرا بعين السخط إلى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى، أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى .

المادة التاسعة :

ليس لحكومتنا نجد وشرقي الأردن أن تتخابرا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الأخرى في الأمور الرسمية أو السياسة .

المادة العاشرة :

لا يجوز لقوات نجد وشرقي الأردن أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضا الحكومتين .

المادة الحادية عشر :

لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أو لهم رايات تدل على أنهم قواد لقوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الحكومة الأخرى .

المادة الثانية عشر :

على كل من حكومتي نجد وشرقي الأردن أن تمنح المرور لجميع المسافرين والحجاج، بشرط أن يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الأردن . وعلى كل من هاتين الحكومتين أن تخبر الحكومة الأخرى بأي قانون قد تسنه في هذه الخصوص .

المادة الثالثة عشر :

تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسوريا ذهاباً وإياباً . وأن تحصل على الإعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الأموال المارة التي تجتاز منطقة الانتداب في مرور من نجد إلى سوريا أو من سوريا إلى نجد . على أن يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي . وأن يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد أنهم تجار مشروعون، ويشترط أن تتبع القوافل التجارية ذات الأموال المحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب أو الخروج منها، مع العلم أن هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الإبل والحيوانات، ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية .

وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشر :

تبقى هذه الاتفاقية نافذة مادامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الأردن .

المادة الخامسة عشر :

قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الإنكليزية واللغة العربية، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي والنسختين من النص الإنكليزي ، ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة، ولكن إذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع إلى النص الإنكليزي .

المادة السادسة عشر :

تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حدّة .

الهوامش :

١. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٤٥.
٢. صالح بن عون الغامدي، ببشة دراسة تاريخية شاملة، مكتبة الحكمي، الرياض، ١٤١٨هـ، ص ٥٦. وانظر كذلك محمد عبدالله آل عمرو، (التعليم الحديث في ببشة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٥٤هـ - ١٣٧٣هـ)، بحث منشور في مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثلاثون، ١٤٢٥هـ، ص ٤١.
٣. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٤٣١. كذلك انظر محمد بن عبدالله آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٥ - ٣٧.
٤. خالد بن ثيان آل سعود، العلاقات السعودية البريطانية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ص ٧٦. انظر كذلك فتوح الخترش، الحرب الحجازية النجدية، ١٩٢٤ - ١٩٢٥م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السادس والعشرون، السنة السابعة، ص ٤٢.
٥. عبدالله بن محمد الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض، دت، ص ١٣٢. للمزيد عن مسألة الحدود وأزماتها والحدود الشرقية تحديداً، انظر J.B.Kelly, Eastern Arabian Frontiers. London 1964. ولأكثر تفصيلاً عن مؤتمر الكويت، انظر موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت، تهامة للنشر، جدة، ١٩٨٢م، ص ١٤٢ - ١٤٥.
٦. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٦. كذلك انظر موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، المصدر السابق، ص ١٤٢ - ١٤٥.
٧. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٢٤ - ٣٢٦.
٨. أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٦٣ - ١٦٤.
٩. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
١٠. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٢٧.
١١. لقد كان الملك عبدالعزيز على علاقة طيبة مع كثير من الشخصيات المؤثرة في مسلمي شبه القارة الهندية المهتمين بشؤون الحجاز والذين هم في الواقع لا يكتفون تقديراً للشريف حسين منذ أن أعلن الثورة العربية على العثمانيين، للمزيد انظر ظهور أحمد أظهر، "الملك عبدالعزيز ابن سعود ومسلمو شبه القارة الهندية"، بحث قدم إلى مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، ٧ - ١١ شوال ١٤١٩هـ / ٢٤ - ٢٨ يناير ١٩٩٩م، ص ٢٣ - ٢٤.
١٢. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٦.
١٣. خير الدين الزر كلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الحادية عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٨٤ أيضاً خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٨.

١٤. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٣١ - ٣٣٣. انظر أيضاً دلال بنت مغلد الحربي، الملك عبدالعزيز واستراتيجية التعامل مع الأحداث (حالة جدة)، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ، ص ٢١. كذلك أنظر السيد عبد الحميد الخطيب. الإمام العادل ص ١٠٠.
١٥. Troeller Gray, The Birth of Saudi Arabia, p218. كذلك انظر خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٨.
١٦. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٨ - ٧٩.
١٧. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٧٩. كذلك انظر دلال مغلد الحربي، المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١.
١٨. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص ٤٩.
١٩. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص ٤٩ - ٥٠.
٢٠. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص ٥٠.
٢١. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٣٩ - ٣٤١. كذلك انظر احمد السباعي، تاريخ مكة، الجزئين الأول والثاني، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٦٣٠ - ٦٣٣.
٢٢. كانت مدة منع أهل نجد من الحج قد بلغت خمسة سنوات، ويبدو أنها كانت على إثر معركة تربة، وعلى إثر تغيير ولاءات بعض القبائل، وضم ببشة والخزعة وتربة، والتوسع ناحية عسير. انظر خير الدين الزر كلي، المصدر السابق، ص ٨٣.
٢٣. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٨٠. كذلك انظر عبدالله بن محمد الشهيل، المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.
٢٤. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الثالثة، ب.ت، ص ٢٦٥.
٢٥. حافظ وهبه، المصدر السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.
٢٦. Troeller Gray, The Birth of Saudi Arabia : Britain and the Rise of the House of Saud. Frank Cass, 1979. p221. كذلك دلال مغلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، ص ٣٣١.
٢٧. محمد سعد الشويعر، رابطة ظفر علي خان ومسلمي الهند بالملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٤٦.
٢٨. دلال مغلد الحربي، الملك عبدالعزيز واستراتيجية التعامل مع الأحداث، ص ١٠٤.
٢٩. عمر الحضرمي، العلاقات الأردنية السعودية، الطبعة الأولى، عمّان، ٢٠٠٣، ص ٧٠ - ٧١.
٣٠. حافظ وهبه، المصدر السابق، ص ٢٦٨.
٣١. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٨٢.
٣٢. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص ٨٣. كذلك أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٤١٤.
٣٣. دلال مغلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، ص ٣٠٨.
٣٤. حافظ وهبه، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

٣٥. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٦٠ كذلك انظر أحمد السباعي، المصدر السابق، ص٦٥٦ .
٣٦. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٨٤ انظر أيضاً دلال مخلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، ص٣٣١ .
٣٧. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٤٢٠ كذلك انظر خير الدين الزر كلي، المصدر السابق، ص٨٧ كذلك عبدالله الصالح العثيمين - تاريخ المملكة العربية السعودية. الجزء الثاني ص١٩٨ .
٣٨. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٨٦ .
٣٩. عبدالله فؤاد الربيعي، قضايا الحدود السياسية للسعودية والكويت ما بين الحربين العالميتين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٥ .
٤٠. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٨٧ .
٤١. مشاري عبدالرحمن النعيم، الحدود السياسية السعودية، دار الساقى، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٣٤٠ .
٤٢. مشاري عبدالرحمن النعيم، المصدر السابق، ص٣٤ - ٣٥ .
٤٣. مشاري عبدالرحمن النعيم، المصدر السابق، ص٣٥ كذلك انظر Leatherdale Clive, Britain and Saudi Arabia, p48-50.
٤٤. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩١ .
٤٥. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩١ كذلك انظر Leatherdale Clive, Britain and Saudi Arabia 1925-1989, p50.
٤٦. أم القرون، المكان الذي كان مقراً للمخيم الذي دارت فيه المفاوضات وقد فضل الملك عبدالعزيز ومساعديه تسمية اتفاقية الحدود السعودية العراقية بإسم بحرة أقرب بلدة لأم القرون، وليس بإسم أم القرون . أما حدّه، التي حملت إسم اتفاقية الحدود السعودية الأردنية فهي قرية صغيرة تقع على بعد ٢٠ كيلو متر من مكة المكرمة .
٤٧. فهد بن عبدالله السماري وآخرين، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسية، ص٢٣٨ كذلك خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٢ .
٤٨. فهد بن عبدالله السماري وآخرين، المصدر السابق، ص٢٣٨ - ٢٣٩ .
٤٩. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٢ .
٥٠. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٢ - ٩٣ .
٥١. فتحي العفيفي، مشكلات الحدود السياسية في شبه الجزيرة العربية، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الإستراتيجية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٣٤١ .
٥٢. انظر نص الاتفاقية بكامل بنودها في الملحق رقم (٢) نقلاً عن موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسية، تولت جمع المادة والإعداد والصياغة، هيئة مكونة من فهد بن عبدالله السماري وآخرين من إعداد مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٤٣ - ٢٤٨ .
٥٣. انظر نص الاتفاقية والبنود المحددة فيها الملحق رقم (٢) .

٥٤. انظر الملحق نص الاتفاقية، كذلك انظر موزي بنت منصور آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت، ص١٣٢ - ١٣٥ .
٥٥. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٣ - ٩٤ . للمزيد انظر المراسلات الخاصة باتفاقية حدّه، سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ص٢٥٤ - ٢٥٦ .
٥٦. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٤ - ٩٥ .
٥٧. انظر نص الاتفاقية بالملحق رقم (١) نقلاً عن فهد السماري وآخرين، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص٢٤٣ - ٢٤٨ . كذلك انظر وقارن سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، جمع وتصنيف سي يو اتجيسون بي سي اس، ترجمة عبدالوهاب عبدالستار القصاب، بغداد، ٢٠٠١، ص٢٥٤ - ٢٥٨ .
٥٨. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٥ .
٥٩. انظر المراسلات الخاصة باتفاقية بحرة بين الملك عبدالعزيز والسيد جلبرت كلايتون، في كتاب مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند البريطانية والخليج والجزيرة العربية، ص٢٥٤ - ٢٥٩ .
- ٠ أيضاً انظر نص الاتفاقية، الملحق رقم (١) .
٦٠. انظر نص الاتفاقيتين في الملحق رقم (١) أو رقم (٢) . كذلك انظر خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٥ ولأكثر تفصيلاً، انظر المراسلات الخاصة بتلك المعاهدة بين الملك عبدالعزيز والسيد جلبرت كلايتون، في كتاب مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند البريطانية والخليج والجزيرة العربية، ص٢٥٤ - ٢٥٩ .
٦١. Troller Gray, The Birth of Saudi, P230.
٦٢. دلال مخلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، ص٣٢٩ .
٦٣. فتحي العفيفي، المصدر السابق، ص٣٤٠ .
٦٤. خالد بن ثيان آل سعود، المصدر السابق، ص٩٦ .
٦٥. انظر قائمة شروط الاستسلام والتنازل عن عرش الحجاز، ورحيل الملك علي، وقد أوردتها الباحثة فتوح الخترش، في ستة عشر بنداً . بينما وردت لدى أمين الريحاني وأحمد السباعي في ١٧ بنداً . للمزيد انظر فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٦٣ - ٦٤ . كذلك أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٤٥١ - ٤٥٣ .
- ٠ انظر أيضاً أحمد السباعي، المصدر السابق، ص٦٥٦ - ٦٥٨ .
٦٦. حافظ وهبه، المصدر السابق، ص٢٧٠ - ٢٧١ .
٦٧. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٤٢٧ . كذلك انظر خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص١٢٥ .
٦٨. حافظ وهبه، المصدر السابق، ص٢٧١ . وقد أضاف خير الدين الزركلي أعيان المدينة مع أعيان مكة وجدة وبأنهم طلبوا جميعاً أن يتناقشوا فيما بينهم في أمر من يحكمهم وأن تكون لهم الكلمة في ذلك، فوافقهم الملك عبدالعزيز على طلبهم، ثم أجمعوا رأيهم على بيعته . خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص١٢٥ .

٦٩. أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٤٢٧- ٤٢٩٠ كذلك انظر وقارن حافظ وهبه، المصدر السابق، ص٢٧١ كذلك انظر فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص١٢٩٠ كذلك انظر مع بعض الفروق بين التاريخ الهجري والميلادي، دلال مخلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، ص٣٣٦٠
٧٠. سعيد بن عمر آل عمر، دراسات وبحوث تاريخية في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة المتنبّي، الدمام، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٤٢- ٤٣٠
٧١. تلقب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بهذا اللقب اعتباراً من مساء يوم ١٤٠٧/٢/٢٤هـ الموافق ١٩٨٦/١١/٢٧م٠ وصدر توجيه ملكي في ١٤٠٧/٢/٢٩هـ بطلب إحلال عبارة خادم الحرمين الشريفين محل عبارة صاحب الجلالة في كل المخاطبات والمكاتبات، بعد النقلة النوعية التي شهدتها الحرمان الشريفان في عهده٠ فقد كانت أكبر وأهم توسعة في التاريخ حيث أعطى الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الحرمين الشريفين عنايته الخاصة توسعة وتعميراً منذ أن تولى الحكم في المملكة لتتسع للمصلين، ولتتفق هذه التوسعة مع النقلة النوعية التي تعيشها البلاد السعودية ومع حركة النقل والمواصلات الحديثة وسهولة الوصول إلى الأماكن المقدسة حجاجاً ومعتمرين من مختلف دول العالم٠ للمزيد عن ألقاب الحكام في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، انظر للباحث نفسه سعيد آل عمر، بحثاً بعنوان: "ألقاب الحكام نشأتها وتطورها ودلالاتها في منطقة الخليج العربي"، مجلة الدارة، العدد الثاني، ١٤٢٠هـ، ص١٦٦٠
٧٢. ملحق رقم (١) اتفاقية بحره نقلاً عن فهد بن عبدالله السماري وآخرين، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص٢٣٧- ٢٤٢٠ مقارنة اختلاف بعض الكلمات، جراء الترجمة عن اللغة الإنجليزية، انظر سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ص٢٥١- ٢٥٤٠ كذلك انظر نص الاتفاقية عند أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٤٣٧- ٤٤٠٠
٧٣. ملحق رقم (٢) اتفاقية حدّه نقلاً عن فهد بن عبدالله السماري وآخرين، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص٢٣٧- ٢٤٢٠ مقارنة اختلاف بعض الكلمات، جراء الترجمة عن اللغة الإنجليزية انظر سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ص٢٦٠- ٢٦٤٠ كذلك انظر نص الاتفاقية عند أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٤٤١- ٤٤٥٠

المراجع :

١. أحمد السباعي، تاريخ مكة، الجزئين الأول والثاني، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢. أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
٤. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الثالثة، دت.
٥. خالد بن ثيان آل سعود، العلاقات السعودية البريطانية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.
٦. خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الحادية عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.
٧. دلال مخلد الحربي، الملك عبدالعزيز واستراتيجية التعامل مع الأحداث (حالة جدة)، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٨. دلال مخلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا، بحث غير منشور مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث لكلية آداب البنات بالرياض، ١٤٠٩هـ.
٩. سعيد بن عمر آل عمر، (ألقاب الحكام نشأتها وتطورها ودلالاتها في منطقة الخليج العربي)، بحث منشور في مجلة الدارة، العدد الثاني لسنة ١٤٢٠هـ، دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
١٠. سعيد بن عمر آل عمر، دراسات وبحوث تاريخية في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة المتنبّي، الدمام، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١١. سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، جمع وتصنيف سي يو اتجيسون بي سي اس، ترجمة عبدالوهاب عبدالستار القصاب، بغداد، ٢٠٠١م.
١٢. السيد عبدالحميد الخطيب. الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود. الجزء الأول - الرياض ١٤١٩هـ.
١٣. صالح بن عون الغامدي، بيشة دراسة تاريخية شاملة، مكتبة الحكمي، الرياض، ١٤١٨هـ.
١٤. ظهور أحمد أظهر، (الملك عبدالعزيز بن سعود ومسلمو شبه القارة الهندية)، بحث قدم إلى مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، ٧- ١١ شوال ١٤١٩هـ / ٢٤ - ٢٨ يناير ١٩٩٩م.
١٥. عبدالله الصالح العثيمين - تاريخ المملكة العربية السعودية. الجزء الثاني - الرياض ١٤١٩هـ.
١٦. عبدالله بن محمد الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض، دت.
١٧. عبدالله فؤاد الربيعي، قضايا الحدود السياسية للسعودية والكويت ما بين الحربين العالميتين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م.
١٨. عمر الحضرمي، العلاقات الأردنية السعودية، الطبعة الأولى، عمّان، ٢٠٠٣م.

١٩. فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
٢٠. فتحي العفيفي، مشكلات الحدود السياسية في شبه الجزيرة العربية، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
٢١. فتوح الخترش، الحرب الحجازية النجدية ١٩٢٤-١٩٢٥م، بحث منشور بمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السادس والعشرون، السنة السابعة .
٢٢. فهد بن عبدالله السماري وآخرون، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، من إعداد مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
٢٣. محمد بن عبدالله آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٢٤. محمد سعد الشويمر، رابطة ظفر علي خان ومسلمي الهند بالملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .
٢٥. محمد عبدالله آل عمرو، (التعليم الحديث في بيشة في عهد الملك عبدالعزيز ١٣٥٤هـ - ١٣٧٣هـ)، بحث منشور في مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثلاثون، ١٤٢٥هـ .
٢٦. مشاري عبدالرحمن النعيم، الحدود السياسية السعودية، دار الساقى، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .
٢٧. موسى بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت، تهامة للنشر، جدة، ١٩٨٢م .
28. J.B.Kelly, Eastern Arabian Frontiers. London 1964.
29. Leatherdale Clive, Britain and Saudi Arabia 1925-1989.
30. Troeller Gray, The Birth of Saudi Arabia : Britain and the Rise of the House of Saud. Frank cass, 1979.

Declaration of Bahra and Hidda and its Political Demensions in the Bai'a of King Abdulaziz in Makkah Al-Mukarramah (1344a.h/1925a.d)

Saeed A. Al-Amr

College of Education , King Faisal University
Al-Hassa – Kingdom of Saudi Arabia

Summary

This paper investigates the political dimensions of the declaration of Bahra and Hidda border agreements in Um Al-quroun near Bahra in the year 1344Hijra 1925A between King Abdulaziz and Jordan and Iraq signed on their behalf by the mandate power, Great Britain. The two originally border agreements influenced the political events in Hijaz, namely the besiege of Al-Shareef Ali bin Al-Husein and his government in Makkah. Upon signing these two agreements on 14 and 15 Rabi' Al-Thani 1344H, 1 and 2 November 1925A.D., King Abdulaziz rushed to announce this event to the public, which demoralized Al-Shareef Ali bin Al-Husein and his followers.

Within a month, King Ali bin Al-Husein requested a peace agreement and surrendered the ruling of Hijaz to King Abdulaziz, and left for Iraq. The dignitaries of Jeddah and Makkah requested time for consultation. Then they decided to give King Abdulaziz the Bai'a (support to be king). This private Bai'a came first and then came the public Bai'a, the Bai'a of the people of Jeddah and Makkah. This brought the holly mosques in Makkah and Madina under the custody of King Abdulaziz, who together with his successors later used the revenue of the newly discovered oil to build and develop the two holly cities to the benefit of Saudi Arabia, all Muslims and the Arab world at large.

مكة المكرمة في العصر القديم قراءة في التاريخ والشعر

ظافر بن عبدالله الشهري

كلية التربية - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص:

يتناول هذا البحث الحديث عن مكة المكرمة في العصر القديم - ما قبل الإسلام - ويتمحور في مقدمة قصيرة عن مدلول الكلمات في سياقها النصي ومحيطها المعرفي ليبين أن مكة ، هذا المسمى الرمزي الذي جمع قداسة الزمان والمكان وحرمة الحياة والأحياء له من الدلالات الروحية والمعاني القدسية ما جعل مقدارها عاليا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويقف عند أسماء مكة من خلال ماورد في القرآن الكريم وما ذكره أصحاب التاريخ ، ويتحدث عن نشأة مكة وتاريخ هذه النشأة ، وبناء البيت الحرام على يد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ويستعرض بعضا من تاريخ القبائل التي سكنت مكة المكرمة بعد بناء الكعبة وظهور ماء زمزم ، ويركز على قريش القبيلة التي اهتمت كثيرا بمكة ، والتي بعث منها النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - عندما أصبحت مكة مهياًة لظهور هذا النبي من أشرف البيوت فيها. ويستعرض البحث بعض الأشعار التي ارتبطت بالأحداث التاريخية كحادثة إجلاء خزاعة لجرهم من مكة ثم غلبة قريش عليها وانتزاع السيادة على مكة من يد خزاعة ، وما قيل في حلف الفضول ، وحادثة الفيل ، وحماية بني هاشم للرسول - صلى الله عليه وسلم - عند بعثته وبعض ما قيل في شرف مكة على ألسنة الشعراء ليصل البحث إلى أهم النتائج التي تم استخلاصها من هذه القراءة.

مقدمة:

إن مدلول الكلمات في سياقها النصي بحر عميق لا يسبر أغواره ولا يسبح في عميق أسرار معانيه وفضاءاتها الواسعة إلا من أتاه الله سعة من العلم ، وبسطة في الفهم ، وعندها يشعر بلذة المعرفة التي لا تتكشف أسرارها وخفاياها إلا لمن يمعن النظر في أودية المعاجم وشعاب الدلالات اللغوية والاصطلاحية ، وإذا زاد اهتمام المرء بالشيء استطاع أن يصل إلى قناعة بان المعاني للكلمات باب من المعرفة قد نحسها أو نشعر بها، ولكننا قد لا نحسن الحديث عنها - أحيانا - وقد سئل بعض المفكرين عن مسألة دقيقة فأجاب إنني أعرفها جيدا ولكن بشرط أن لايسألني عنها أحد^(١)

نخلص مما تقدم إلى أن من الفرضيات الواجبة على كل مسلم أن يعي بالضرورة أن (مكة) هذا الرمز الذي جمع قداسة الزمان والمكان ، وحرمة الحياة والأحياء له من الدلالات الروحية والمعاني القدسية والثوابت التاريخية والحقائق العقلية والنقلية ماجعل مقدار هذه المدينة في نفوس العرب قبل الإسلام عاليا ، وتؤكد هذا المقدار عند ملايين المسلمين منذ بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .فمنذ أن وطئتها قدما إبراهيم - عليه السلام - وأسكن بها من ذريته ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٢) وهي تحفر وجودها في أعماق التاريخ ، وتتغلغل في سويداء القلوب ، حتى - شاء الله - عز وجل أن يحتضن هذا الوادي المجذب نبات التوحيد ، ويتعهده بالسقيا دعوة وجهاداً عبر الحقب والأزمان ، وأن يكون الأمر هناك - في مكة - لله حماية ورعاية ، وليس للبشر على نحو ما توحى به عبارات عبد المطلب " أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه " ^(٣) فكانت حادثة الفيل ، وهلاك أبرهة وجيشه دليلا على هذه الحقيقة الثابتة.^(٤) ولعلنا في الصفحات التالية نقف على مكانة هذه البلدة "مكة" عند المؤرخين والشعراء من خلال مصادر التاريخ والشعر في العصر القديم.

مكة المكرمة ... المسمى والمدلول:

أورد القرآن الكريم لمكة أسماء يمكن بيانها على النحو التالي:

١. (مكة) قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْتُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾^(٥)
٢. (بكة) قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٦)
٣. (البلد الأمين) قال تعالى: ﴿ وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿٦٠﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٦١﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾^(٧)
٤. (أم القرى) قال تعالى: ﴿ وَلْتُنذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾^(٨).
٥. (البلد) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٥).
٦. (البيت) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤).

وقد أورد مؤرخو الإسلام نحواً من اثني عشر اسماً، وكانوا يقولون: إن كثرة الأسماء دليل على شرف المسمى، وإن مكة لذلك^(٩) وقد تعددت كذلك تفسيرات الدارسين قديماً وحديثاً حول سبب تسمية مكة بهذه الأسماء، فيرى بعض علماء المسلمين إنما سميت مكة بذلك لقله مائها يقولون: امتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه، ويقول بعضهم: سميت مكة لأنها تمك الذنوب، أي تذهب بها، أو لأنها تمك الفاجر. أي تخرجه منها. قال الراجز:

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجا وعكا

وقيل لأن العرب في الجاهلية كانت تقول: لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فتمك فيه أي نصفر صفيير المكاء، وهو طائر يأوي الرياض، قال أحد الشعراء:

ألا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيخ فـأين تبيض
فأصعد إلى أرض المكاكي واجتنب قرى الشام لاتصبح وأنت مريض^(١٠)

وقيل إنها سميت "بكه" لأن الناس فيها يبك بعضهم بعضا أي يدفع، ونقل عن بطليموس الجغرافي اليوناني أن اسمها (ماكورابا) وهو مشتق من الاسم السبئي (مكورابا) ومعناه مقدس أو حرام.

وفي مكة أماكن أخرى لها من القدسية عند المسلمين ما يجعلها ماثلة في وجدانهم حاضرة في قلوبهم، وترجع هذه القدسية إلى صلتها المباشرة بالمعتقدات الدينية. ومن أهم هذه الأماكن جبل أبو قبيس، وجبل عرفات، وجبل حراء. فقد قيل إن الكعبة بنيت من تلك الجبال. يقول الحسن البصري في ذلك: (وقيل بنيت الكعبة من أربع جبال، جبل حراء وجبل أبي فبيس وجبل منى وجبل عرفات. فأكرم الخليل بالإجابة على جبل أبي قبيس، وأكرم الذبيح على جبل منى بالفدية، وأكرم آدم - عليه السلام - على جبل عرفات بقبول التوبة، واجتماعه مع حواء، وأكرم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على جبل حراء بالنبوة.^(١١)

مكة المكرمة التاريخ والنشأة :

إن الحديث عن مكة المكرمة - تاريخاً ونشأة - ليس من السهل حصره في وريقات معدودات، ذلك أن المسافة الزمانية بين نشأة مكة كمكان احتضن البشر وبين حوادث التاريخ قد تتفاوت في رواياتها وصحتها تبعاً لعمق المسافة الزمانية والتاريخية التي تفصلنا عن أوليات نشأة مكة، هذه البلدة المهيبة المباركة التي لها من دلالات التقدير والتعظيم عند كل مسلم ما يجعلها مكاناً له خصوصية متأكدة منذ أن وطئتها أقدام البشر في علمه - عز وجل - .

يرى بعض المؤرخين أن مكة عرفت من أحقاب طويلة ممعنة في القدم قبل عصر إبراهيم - عليه السلام - وأنها كانت مدينة قديمة في الطريق الذي يصل ما بين الجنوب والشمال ، كما ذكر بعضهم أيضا أنه كانت هناك مواضع عدة في القسم الغربي من الجزيرة العربية كانت ذات حرمة ووقسية في أنظار العرب ، وكانوا يقصدونها من أماكن بعيدة للتبرك بها ^(١٢) وفي اعتقادي أن المعول عليه في هذا الشأن أن وصول سيدنا إبراهيم مع زوجته وابنه إسماعيل - عليهم السلام - إلى مكة يمكن أن يعتمد بداية واضحة لتاريخ مكة . وقد جاء نص القرآن الكريم موضحا خلو هذا المكان من البشر قبل ذلك. قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (سورة إبراهيم الآية ٣٧)

فالمكان جذب لازرع فيه ، ثم قال تعالى في كمال الآية: ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة إبراهيم الآية ٣٧) فالمكان إذا خلاء وقصر لا يوجد فيه بشر، ومن هنا يمكن القول بكل اطمئنان : أن مكة قبل هذه الهجرة المباركة لأبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وإسكان بعض ذريته بهذا الوادي كانت مكانا مجدبا لاماء فيه ولازرع ولابشر. وفي هذا الوادي المجذب وفي سراديب المجهول في علم البشر ومفهومهم الضيق أسكن إبراهيم - عليه السلام - من ذريته في هذا الوادي الخالي من مقومات الحياة ، وقال عندما ذهب وتركهم هناك ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَحْنُ وَمَا نَحْنُ عَالِمُونَ ﴾ (سورة إبراهيم - آية ٢٨) ولكنه أوكلهم إلى عناية الله وتقدير الرحمن - سبحانه وتعالى - الذي لا تضيع ودائعه، وعندما بدأت الحياة مع هاجر وإسماعيل في مكة ونبتت زمزم هذا الماء المبارك إيذانا بفجر جديد وتاريخ جديد يبدأ لهذه البلدة المقدسة. وكانت قبيلة جرهم تضرب أطناها بمكان ليس بالبعيد عن هذا الوادي "مكة" ، وعلموا بوجود الماء في هذا المكان، وحيث يوجد

الماء توجد الحياة، ولهذا رغب زعماء هذه القبيلة في نقل بيوتهم وقبيلتهم إلى مكة واستأذنوا هاجر - فيما تذكر الروايات - فأذنت لهم واستقرت القبيلة في مكة واحتضنت إسماعيل - عليه السلام - حيث نشأ بينها وأصهر بها، ومنها تعلم العربية، فكان نسله من هذه المصاهرة هم العرب المستعربة.^(١٣)

بناء البيت الشريف :

تذكر مصادر العصر القديم أن الله تعالى أمر إبراهيم - عليه السلام - بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق. ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر، فلم يدر إبراهيم في أي موضع بينيه إذ لم يكن - عز وجل - بين له ذلك، فضاقت ذرعا فقيل: إن الله بعث إليه السكينة لتدله على موضع البيت فمضت به ومعه هاجر وزوجه وابنه إسماعيل وهو طفل صغير إلى مكة. وقال بعضهم إن الله بعث إليه جبرائيل - عليه السلام - حتى دله على موضع البيت وبين له ما ينبغي أن يعمل.^(١٤) وهناك روايات أخرى أغلبها تصب في هذا السياق. ثم إن إبراهيم بعد حين أخذ يبني البيت هو وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٥) وقد رفعا قواعد البيت حيث بدت لهما علامات خاصة في نقطة مختارة للبناء على بعد خطوات من بئر زمزم، وكان هذا إيذانا بإنشاء مكة على يدي إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وبعد أن فرغ إبراهيم من بناء البيت أذن في الناس بالحج امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١٦) فيقال: إنه أسمع صوته من في الدنيا ومن سيولد في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات، فأجابه من سبق في علم الله أنه سيحج لبيك لبيك^(١٧).

وزادت قبيلة جرهم رفعة ومكانة ببركات هذا البيت ردحا من الزمن إلى أن استخفوا بأمره، فسلط الله عليهم من أجلاهم عن مكة، وكان ذلك فيما تذكر

المصادر أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي، وقد ترك ذلك جرحاً غائراً في قلوب الجرهميين كما يصوره أحد زعمائهم وهو عمرو بن مضاء بن عمرو الجرهمي قائلًا: ^(١٨)

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطاً فجنوبه	إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كئنا أهلها فأزالنا	صروف الليالي والجدود العواثر
وكنّا ولاة البيت من بعد نابتٍ ^(١٩)	نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
فأخرجنا منها المليك بقدره	كذاك بأمر الله تجري المقادر

ومن ذلك التاريخ أصبحت مكة عند العرب مساحة تحمل من الدلالات والقيم ما جعلها مكاناً مقدساً. تسند هذه المكانة القيم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي جعلت لهذه البلدة وسكانها خصوصية ليست لسواهم على مر السنين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولما جاء نور الإسلام، ونزل القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة كانت تسكن هذه البلدة قبيلة قريش، فأشرق لها نور جديد وعهد جديد وشرف جديد اكتملت أطرافه في شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة للهجرة عندما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة فاتحاً شاكراً متواضعاً لله رحيماً بقومه مستشعراً حرمة مكة وهيبتها، فحطم أشكال الوثنية في هذه البلدة ليكون الدين كله لله وتبقى مكة بلداً حراماً إلى أن تقوم الساعة ^(٢٠). فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد شجراً لم تحل لأحد كان قبله ولا بعده - صلى الله عليه وسلم - .

مكة المكرمة عند شعراء ما قبل الإسلام:

حينما نبحر من خلال تلك السياقات التاريخية مع الشعراء الذين تحدثوا عن مكة البلد الحرام فيما قبل الإسلام، فإننا سنجد لمكة خصوصية ليست لغيرها من البلدان، هذه الخصوصية استوعبها الشعراء في العصر القديم، فالمقدس مكة - بحدودها المعروفة - على وجه العموم، والكعبة المشرفة على وجه الخصوص، وارتباط مكة بما حولها من القرى المجاورة جعلها حاضرة في وجدان الشعراء، وهو حضور له أبعاد يمكن أن نقول عنها: انها تتمثل في الدلالات الروحية التي لا يعدمها الناقد في جميع الأغراض الشعرية حينما يستدعي الشاعر من أمر مكة ما يجده حاضرا في قاموسه الشعري، وعندها يقفز الجانب الروحي والهيبة الدينية إلى وجدانه، فيتوقف عند مكة الحرم بما أضافته هذه الحرمة على المكان من قداسة ليأمن عندئذ من عاش ويعيش على ثرى مكة . قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٢١) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾^(٢٢)

ولهذا استوعب الشعراء في العصر القديم هذه الحرمة وهذه القداسة لمكة جاء ذلك في جميع أغراضهم الشعرية بما فيها الغزل، فهذا أحدهم يقول في معرض غزله:

حور حرائر ماهممن بريية كظباء مكة صيدهن حرام^(٢٣)

وإذا كان هذا البيت من القصيدة قد جاء في سياق نص غزلي فإنه ليس لمكة من هذا الشعر سوى الدلالة الروحية التي أضفت على المعنى بعدا آخر يمكن أن نقول عنه: إن الشاعر استلهم مكة وهي جماع القيم والمثل العليا في مستواها الروحي الذي صح معه أن توصف بالمكرمة .^(٢٤)

لقد شهدت مكة أحداثا كبيرة قبل الإسلام، وهذه الأحداث ربما أذكتها تلك الصراعات التي كانت تنشأ بين القبائل العربية، وربما كان للأحداث الخارجية أثرها الواضح في وجدان الشعراء الذين علموا بمكانة مكة في النفوس، ولذلك كان الصراع بين القبائل القريبة من مكة يدور حول السيطرة على هذه البلدة المباركة لما يعلمه العرب من أن من يتم له ذلك سوف ينال شرف الرئاسة الروحية فضلا عن الرئاسة السياسية عند العرب فيما قبل الإسلام^(٢٥)، وما يترتب على هذه السيادة من تفوق اقتصادي واجتماعي في ظل الحياة في مكة إذ كان لالتقاء الناس فيها سواء لزيارة الأماكن المقدسة أو للتجارة أهمية في إنعاش الحياة الفكرية والاقتصادية وهو مامنح قريشا دراية بالتجارة سواء على المستوى الخارجي . رحلة الشتاء والصيف . أم على المستوى الداخلي، وبخاصة أن سوق عكاظ كانت تقام كل عام في مكان ليس بالبعيد عن مكة إضافة إلى أنها تقام في الأشهر الحرم مما يعطي الشعراء والخطباء حرية أوسع في القول. وترجع أهمية هذه السوق لمكة . فضلا عن كونها تجمعا تجاريا . إلى أنها كانت إحدى المنابر الأدبية التي يتم من خلالها رفع الصوت شعرا وخطابة بالمظالم والنواح والشكوى والإشادة والمفاخرة والمناقضة وتخليد المآثر في حرية تامة لما للشعر من أهمية عند العرب واتصاله بالمتغيرات السياسية، وإنشاده في المحافل العامة يجعل له من التأثير والصورورة ما يحقق به الشاعر غايته. فهذه (هند بنت عتبة) تفد من مكة إلى سوق عكاظ لكي تماثل (الخنساء) التي صدحت بشعرها باكية على أبيها وأخويها في عكاظ، فإذا بهند تبكي قتلى قريش في بدر وتعاظم من مصيبتها حيث ينتشر شعرها بين العرب . نجدها تقول:

أبكي عميد الأبطحين كليهما	وحاميهما من كل باغٍ يريدُها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي	وشيبية والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب	وفي العزم منها حيث ينمى عديدها ^(٢٦)

وكانت هذه السوق تعقد قبيل الحج، ومن أراد الحج سهل عليه أن يجمع بين هدفه الديني ومآربه التجارية، إذ كان موعد انعقادها من أول ذي القعدة إلى العشرين منه، ثم ينصرف الناس إلى مكة، فيقيمون بها عشرة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز ثم إلى عرفة^(٢٧).

ولا بد أن سوق عكاظ شهدت شعرا كثيرا لم تكن مكة غائبة عنه بشعرائها وأحداثها. فالقبائل العربية في طول الجزيرة وعرضها تتجه أنظارها إلى الكعبة، وإلى من له الغلبة والحكم في مكة من القبائل، ونحن نعلم أن الشعر قد سجل خروج قبيلة جرهم من مكة عندما أجبرتهم خزاعة على الخروج منها، فكان الشعر مصورا لهذه الحادثة، كما مر معنا في قصيدة عمرو بن مضاظ الجرهمي ومنها :

وكتّا ولاية البيت من بعد نابتٍ	نطوف بباب البيت والخيرظاهر
فأخرجنا منها المليك بقدره	كذاك بأمر الله تجري المقادر
فصرنا أحاديثاً وكتّا بغبطة	كذلك عضتنا السنون الغواير
فسحّت دموع العين تجري لبلدة	بها حرم أمن وفيها المشاعر ^(٢٨)

ويرى بعض المؤرخين أن قبيلة جرهم قامت على ولاية البيت ثلاثمائة سنة، ولكنهم استحلوا مكة وأفسدوا في الحرم، فأخرجوا، وفي هذا يقول عمرو بن مضاظ الجرهمي كذلك:

فياليت شعري هل يعمّر بعدنا	جياذ ومفضي سيله والظواهر
وهل فرج يأتي بشيء نريده	وهل جزع ينجيك مما تحاذر ^(٢٩)

ويقول في قصيدة أخرى، يصور عمق المأساة التي خلفها في نفوسهم خروجهم من مكة :

إنا كما كنتم كُنا فغيرنا دهر فسوف كما صرنا تصيروننا
حشوا المطي وأرخوا من أزمتهما قبل الممات وقضوا ماتقضوننا
قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه وبدء الناس تأسوننا^(٣٠)

وهذه الأبيات كما نلاحظ تصور شعور الألم والاستسلام للأمر في قناعة تامة بأن خسارتهم كبيرة، حيث خرجوا من مكة دون أن يكون لديهم أدنى شعور بالعودة إليها مرة أخرى، ثم آل أمر مكة بعد ذلك إلى قبيلة خزاعة، تحت أمره رجل منهم يقال له (عمرو بن لحي بن ربيعة)، وكان قد ذهب شرفه كل مذهب، له كلمة مسموعة في قومه وصيت عند العرب وكان أمره مطاعا، فغير دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى مكة وألحد فيها وتجبر هو وقومه وأفسدوا الحنيفية التي كانت تعبد ربا واحدا فقال أحد شعراء ذلك العصر:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصبا
وكان للبيت رب واحد أبدا فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفي دونكم للبيت حجابا^(٣١)

وقد أراد أحد شعراء جرهم أن ينصحه ويبين له حرمة مكة وأن من أراد أن يظلم فيها أحدا أو يلحد فإن مصيره الهلاك والخروج منها قائلا :

يا عمرو لاتظلم بمكة إنها بلد حرام
سائل بعادٍ أين هم وكذاك تحترم الأنام
وبني العماليق الذين لهم كان السوام

ولكن عمرو بن لحي لم يتعظ من هذه النصيحة الصادقة وإنما أمر بإخراج الشاعر من مكة ، فقال متشوقاً إليها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وأهلي معاً بالمأزمين حلول^(٣٢)
 وهل أرين العيس تنفخ في البرى لها بمنى بالمحرمين ذميل
 منازل كنا أهلها فأزالتنا زمان بنا فيما أراه يحول
 مضى أولونا قانعين بشأنهم جميعاً وغالتنا بمكة غول^(٣٣)

وليس ثمة من شك في أن الظلم والإلحاد بمكة أمره عظيم عند الله عز وجل،
 ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَبْكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ
 ِالْيَمِينِ ﴾^(٣٤)

وقد استشعر عرب ما قبل الإسلام هذه القداسة للبيت ردحا من الزمن وهم يدينون
 بالحنيفية ملة إبراهيم إلى أن جعلوا هناك أصناما اتخذوها وسائط تقربهم إلى الله زلفى
 حسب زعمهم الخاطئ ومن هنا ظهرت الوثنية في جزيرة العرب. ومع هذا كله فإنهم
 كانوا ينهون عن الظلم في مكة بأي شكل من الأشكال ، يظهر هذا من قول (سبيعة
 بنت الأحب) زوج عبد مناف بن كعب تنصح أحد أبنائها وتبين له عاقبة الظلم في مكة:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
 وأحفظ محارمها بني ولا يغرنك الغرور
 أبني من يظلم بمكة يلق أنواع الشرور
 أبني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير
 أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

اللَّهُ أَمْنُهَا وَمَا بَنَيْتَ بِعَرَصَتِهَا قِصُورَ
وَاللَّهُ أَمْنُ طَيْرِهَا وَالْعَصْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرِ
فَاسْمِعْ إِذَا حَدَّثَتْ وَأَفْهَمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^(٢٥)

وهذه الأبيات رغم بساطتها وضعف الصورة الشعرية فيها إلا أن تكرار بعض الصيغ اللفظية جاءت موحية بصدق العاطفة في حركة إيقاعية سريعة على مجزوء الكامل المذال. تتضح فيها العاطفة الممزوجة بالصدق وفق رؤية شعرية يتشكل من خلالها وعي الشاعر بحرمة مكة، وأهمية هذه الحرمة، والحرص على ابنها أن يقع في شيء من محاذير الظلم والبغي في البلد الحرام الذي أمنت فيه جميع الأحياء، قبل أن يصبح أهلاً للسكن وقبل أن تبني على أديمه المنازل والدور.

ولم يدم الأمر في مكة لخزاعة ولم يتعظ زعماءها بما حدث لجرهم، فقد أدى بهم بغيهم في الحرم إلى أن قام (قصي بن كلاب) بانتزاع مكة من الخزاعيين في منتصف القرن الخامس الميلادي، وأصبح المسئول عن حجابة الكعبة وولاية أمر مكة، وهنا بدأت سيطرة قريش على مكة بشكل عام والكعبة بشكل خاص.

يقول قصي بن كلاب مفاخراً:

بمكة مولدي وبها ربيت	أنا ابن العاصمين بني لؤي
ومروتها رضيت بها رضيت	لي البطحاء قد علمت معداً
فما سويت أخى ولا سويت	وفيهما كانت الأبياء قبلي
بها أولاد قيذر والنبييت	فلسنت لغالب إن لم تأشئل
فلسنت أخاف ضيما ما حييت ^(٢٦)	رزاح ناصري وبه أسامي

وحق لقصي أن يفتخر بولاية البيت، وبأحقية في هذه الولاية. ولعل هذا ما أشار له (الأزرقي) في كتابه تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار أن قصياً هذا أول رجل من بني

كنانة أصاب ملكا ، وأطاع له قومه ، فكانت له الخطابة والوفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة ، فلما جمع قصيُّ قريشا في مكة سمي مجمعا وفي هذا يقول حذافة بن غانم الجمحي:

قصيُّ أبوكم كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر^(٣٧)

وبالمقابل نجد أحد الشعراء يقول في إسراف خزاعة في الملمات وضياعها لبيت الله الحرام :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالخمير وانقرضت عن المقام وظل البيت والنادي^(٣٨)

وقد قامت قريش بأعمال كانت تفاخر بها فيما يتعلق بأمر مكة ، فكانت تتحمل إطعام الجياع من أهلها ، وكان هاشم وحده يقوم بتلك الأعباء كما يبين ذلك وهب بن عبد قصي في قوله:

تحمل هاشم ماضاق عنه وأعيان أن يقوم به ابن ييـض
أتاهم بالغرائر متآقاتٍ من ارض الشام بالبر النفـيـض
فاوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريـض^(٣٩)

وقد نقلت المصادر أن رجال قريش في عصر ما قبل الإسلام كانوا يقومون بإغاثة الملهوف وحماية المظلوم في مكة مما رفع شأن هذه القبيلة في نظر قبائل العرب قاطبة ، فلم ينازعهم أحد على أمر مكة ، وقد أخذت قريش تعمل على حسن الجوار ، وخدمة البيت ، فدخلت خزاعة في طاعتها بعد ذلك ولم تنافسها قط على سلطان مكة ، كما أن مكانة قريش في الجاهلية واحترام قبائل العرب في طول الجزيرة

وعرضها لها ، جعلت الأمر لا يبدو غريبا عندهم حينما بعث الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من قريش ومن أشرف بيوتها نسبا ، وفي تقديره أن قريشا لو أسلمت فورا وآمنت بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعثته ، وآزرته ولم تكذبه لدخلت قبائل العرب الأخرى في الإسلام تباعا ، وقد وجدنا قبيلة خزاعة التي بقيت في حلف قريش بعد سيطرتها على مكة تختار جانب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد صلح الحديبية من منطلق الحلف القديم الذي بين هاشم وهذه القبيلة. وفي هذا يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

فلما هبطنا بطن مرو تخزعت	خزاعة منا في حلول كراكر
حموا كل واد من تهامة واحتموا	بسمر القنا والمرهفات البواتر
فكان لها المرباع في كل غارة	تشنّ بنجد والفجاج العوابر
خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة	وأنصارنا جند النبي المهاجر ^(٤٠)

ومن المواقف التي سجلها الشعر لقريش في مكة قبل بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقوفهم مع الغريب المظلوم حتى يأخذ مظلمته ، وقد قرأنا قصة حلف الفضول الذي حضره الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولما يوحى إليه بعد ، وسبب هذا الحلف أن رجلا من زبيد باليمن قدم مكة بتجارة له فاشتراها منه (العاصي بن وائل) ثم حبس ثمنها مما جعل الرجل اليمني يستعدي عليه الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاصي لمكانته فيهم ، فما كان منه إلا أن صعد جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة ، وصاح بأعلى صوته قائلاً:

يا آل فھرٍ لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نائي الدار والنفر
إن الحرام لمن تمّت حرامته	ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
وأشعث محرم لم تقض حرمة	بين المقام وبين الحجر والحجر
أقائم من بني سهم بذمتهم	أو ذاهب في ظلال مال معتمر ^(٤١)

ونحن نلاحظ أن الشاعر قد ركز على الجوانب الدينية المرتبطة بالكعبة والحرم فقد ذكر المقام ، والحجر والحجر ، لما لهذه الأسماء من مهابة وإجلال عند قريش من خلال نبرة الشكوى وصرخة الاستغاثة ، وما كان هذا الرجل المظلوم ليفعل ذلك لولا علمه بأن قريشا سوف يستجيب عقلاؤها لندائه من واقع مسئوليتهم عن الحرم وتأمين الأمن لمن يفد إليه ، ورد المظالم والحقوق فيه لأهلها ، وتذكر بعض المصادر أن (قيس بن شيبه السلمي) ابتاع بمكة متاعا من (أبي بن خلف) ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بني جمح فلم يجره فقال :

يآل قصي كيف هذا في الحرم
 وحرمة البيت وأخلاق الكرم
 أظلم لا يمنع مني من ظلم^(٤٢)

فلما بلغت هذه الأبيات (العباس بن مرداس السلمي) ، وكانت له قرابة بقيس بن شيبه السلمي أجابه بأبيات يبين له الطريقة التي عليه أن يسلكها لاسترداد حقه قائلاً:

إن كان جارك لم تتفعلك ذمته	وقد شريت بكأس الذل أنفاسا
فأت البيوت وكن من أهلها صددا	لاتلق ناديهم فحشاً ولا باسا
وثم كن بفناء البيت معتصما	تلق بن حرب وتلق المرء عباسا
قرمي قريش وحلاً في ذؤابتها	بالمجد والحزم ماعاشا وماساسا
ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج	والمجد يورث أخماسا وأسداسا ^(٤٣)

وبعد هذا اجتمعت هاشم وزهرة وتيم في دار (عبد الله بن جدعان) ، وكان معهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته ، وتعاهدوا على أن يكونوا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي ما عليه ، فسمي هذا الحلف حلف الفضول ، ثم جاءوا إلى

العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي وردوها كما ردوا مظلمة السلمي من أبي بن خلف، وقد أتى الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذا الحلف بعد بعثته وقال: لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت^(٤٤).

وفي هذا الحلف يقول الزبير بن عبد المطلب مشيدا به وبمن قاموا عليه:

حلفت لتعقدن حلفا عليهم	وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا	يُعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا	أباة الضيم نمنع كل عار

وقال أيضا في هذا الشأن :

إن الفضول تحالفوا وتعاهدوا	ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا	فالجار والمعترفيهم سالم ^(٤٥)

ومن الأحداث التي أخذت طابعا سياسيا ودينيا، وعظمت هذه البلدة بعدها عند العرب حملة أبرهة لغزو مكة وهدم الكعبة، وكان ذلك في القرن السادس الميلادي^(٤٦) فلقد أصيب مشروع أبرهة الرامي إلى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة بإخفاق ذريع حينما قدر الله - سبحانه وتعالى - أن يحمي بيته وحرمة من أن يدنسه هؤلاء الأحباش النصارى الذين أرادوا ربط اليمن ببلاد الشام لجعل بلاد العرب في جانبها الغربي والجنوبي تحت حكم النصرانية، وبذلك يتم للروم تأمين خطوطهم الاقتصادية مع الأحباش في اليمن وهم جميعا يدينون بالنصرانية، ولكن تدخلت عناية الرحمن وقدرته فحمى سبحانه وتعالى بيته الحرام وأهلك الأحباش، وأصبحت مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت - بإذن الله تعالى - ملك الحبشة في اليمن وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن وملك البيزنطيين في بلاد الشام والفرس في العراق وفي كل مكان.^(٤٧)

وقد تناقل الشعراء خبر الفيل، وهزيمة أبرهة وزاد اعتزاز العرب بهذا البيت الذي حماه الله تعالى ورد عنه كيد الأعداء، وقد كان لهذه الحادثة صداها في تاريخ هذه البلدة المباركة حيث عظمت قناعة العرب بقداسة هذا البيت ومهابته كما زاد شرف قريش وعزتها عند القبائل العربية دون إستثناء. يقول عبد الله بن الزبير:

تتكلموا عن بطن مكة إنها	كانت قديما لايرام حريمها
لم تخلق الشعري ليالي حرمت	إذ لاعزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى	ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم	ولم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمها ^(٤٨)

وكان (نفيل بن حبيب الخثعمي)، وهو زعيم قبائل خثعم حينذاك، قد وقف هو وقبائله خثعم ومن تبعهم من قبائل شهران وناهس في وجه أبرهه، وأرادوا منعه من الوصول إلى الحرم ولكن أبرهه أسره وألزمه بالمسير معه إلى مكة، وقد شهد نفيل حادثة هلاك هذا الجيش فقال بعد عودته يصور الموقف :

ألا حييت عنا ياردينا	نعمناكم مع الأصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء	فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه	لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لعذرتني وحمدت رأيي	ولم تأس لما قد فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا	وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل	كأن عليّ للحبشان دينا ^(٤٩)

أما (أمية بن أبي الصلت الثقفي) فقد قال شعرا في شأن حادثة أصحاب الفيل صوّر فيها وضوح آيات الله تعالى، والتي من أهمها حادثة الفيل، وكيف حمى الله تعالى الكعبة ومكة المكرمة من صلف الأحباش فقال :

مايماري بهنّ الا الكفور	إن آيات ربنا باقيات
ظل يحبو كأنه معفور	حبسَ الفيل بالمغمس حتى
من صخر ككب محدود	لازما حلقة الجران كما قطر
ملاويث في الحروب صقور ^(٥٠)	حوله من ملوك كندة أبطال

وكان لمكة مكانة قدسية عند العرب منذ عهد قديم، وتأكدت هذه المكانة أكبر بعد حادثة الفيل، فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه^(٥١). يصور هذا عمرو بن مضاخ الجرهمي بقوله :

ونبكي لبيت ليس يؤذى حمامه	تظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لاتزال أبيّة	إذا خرجت منه فليست تغادر ^(٥٢)

ويؤكد هذا الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني بقوله :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها	ركبان مكة بين الغيل والسعد
ماقلت من سيء مما أتيت به	إذا فلا رفعت سوطي الى يدي ^(٥٣)

وكان عرب الجاهلية يحرمون غزو الحرم والقتال فيه، وشاهد ذلك قول (حرب بن أمية) (لأبي مطر الحضرمي) يدعوه إلى حلفه ونزول مكة ليأمن بعيدا عن مواطن الخوف:

أبا مطرٍ هلمَّ إلى صلاح
وتأمن وسطهم وتعيش فيهم
وتسكن بلدة عزّت قديما
فتكفيك الندامى من قريش
أبا مطر هُديت لخير عيش
وتأمن أن يزورك ربّ جيش^(٥٤)

والمتتبع تاريخ العرب قبل الإسلام - وبخاصة قريش - يجد أنهم كانوا يتتاهون عن الظلم في مكة، وكان ذلك شريعة عامة، وقاعدة مرسومة لا يحدون عنها، وإذا حدث اعتداء على النفس أو المال في مكة. فإن ذلك يكون من النادر، ولا يمر دون حساب إما من أحلاف قريش، وإما من مؤسسي حلف الفضول. وربما نذروا أبناءهم لخدمة الكعبة، فقد أورد الأزرقى في أخبار مكة أن امرأة من قبيلة جرهم تزوجها (أخزم بن العاص)، وكانت عاقرا، فنذرت إن رزقت غلاما أن تتصدق به على الكعبة يخدمها ويقوم عليها، فولدت غلاما وتصدقت به عليها، فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، وولي الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة، وكان اسمه (الغوث بن أخزم بن العاص) وقالت أمه حين أتمت نذرها:

إني جعلت ربّاً من بنيّه
فباركن لي بها إليه
ربيطة بمكة العليّة
واجعله لي من صالح البريه^(٥٥)

وعندما بُعث النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وقام بنو هاشم بحمايته تحالفت قريش ضدهم وكانت تلك المحالفة مؤلمة لبني هاشم مما جعل (أبا طالب) عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - يندد بتلك المحالفة الظالمة من قصيدة طويلة قائلاً :

فلما رأيت القوم لاوّدّ فيهم
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طارحوا أمر العدو المزاييل
وأبيض غضب من تراث المعاول

وأحضرت عند البيت أهلي وأخوتي
قياماً معاً مستقبليين رتاجه
أعوذ برب الناس من كل طاعن
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسودّ إذ يمسخونه
وموطئ إبراهيم في الصخر ربطة
فهل بعد هذا من معاذٍ لعائذٍ
كذبتهم وبيت الله نترك مكة
كذبتهم وبيت الله يبزي محمد
ونسلمه حتى نصرع حوله
لقد علموا أن ابننا لامكذب
حدبت بنفسه دونه وحميته

وأمسكت من أثوابه بالوصائل
لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتتفوه بالضحى والاصائل
على قدميه حافياً غير ناعل
وهل من معيذ يتقي الله عادل
ونضعن الا أمركم في بلايل
ولما نطاعن حوله ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل^(٥٦)

وتظهر في هذه القصيدة عقيدة الشاعر في أثناء القسم حيث لم يعتنق الإسلام،
ولكن عاطفته تبدو في هذه الأبيات صادقة، وأي صدق يتجلى أكثر مما هو كائن في
وصفه للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالصدق والبعد عن قول الفحش والباطل.
وأي صدق أيضاً أكثر مما يؤكد الشاعر في هذه الأبيات عندما أستعاذ بالله أولاً من
كل طاعن وصاحب باطل ذا كرا البيت ومكة والحجر الأسود ومقام إبراهيم ليؤكد
كل هذا بالقسم أنهم لن يتركوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - نهياً للأعداء من
قريش ولن يسلموه. ولقد سجل التاريخ هذا الموقف الشجاع لأبي طالب، وكان القسم
بالبيت عند عرب الجاهلية عظيماً، وإذا أراد الشاعر أن يؤكد أمراً أو يقر حقيقة
أقسم برب البيت أو بالبيت كما يظهر من قول زهير بن أبي سلمى:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم^(٥٧)

وقسم الشاعر هنا - رغم ما فيه من محاذير عقديه - يدل دلالة قاطعه على مكانة مكة وبيت الله الحرام فيها، هذه المكانة التي عرفها عرب ما قبل الإسلام. ومكة كما يرى (الدكتور يوسف خليف)، بدأت عصرها الذهبي بنزول قصي ومعه قبيلة قريش فيها بعد أن أجلوا خزاعة عنها. وزاد من تعلق العرب بمكة وارتباطهم الروحي بها ما كانوا يرونه من تغلغل المسيحية واليهودية في بعض مناطق جزيرتهم، وهو تغلغل كانت القبائل العربية تنظر إليه في شيء من الريبة، وزاد من ارتفاع هذه المكانة ما كان كذلك من عجز أبرهة قائد الجيش الحبشي من دخولها عام الفيل مابين سنتي ٥٧٠ - ٥٧١ من الميلاد في أيام عبد المطلب جد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -^(٥٨) وعندها ارتفع شأن مكة وزادت قداستها في نفوس العرب وأصبحت مطمح أنظارهم ومعقد آمالهم، والمدينة الأولى في جزيرتهم التي تتركز فيها مثالية الدين والسياسة والتجارة جميعا، ومن هنا أشرقت الشمس من بين جبال مكة إيذانا ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين النبي القرشي محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أصبحت مكة مهية لهذا الحدث العظيم وهذا الشرف الكبير للعرب عندما أصبحوا يشكلون نقطة هامة لها تأثيرها في الحضارة الإنسانية كما يقول غوستاف لوبون "لا يمكن أن نصف الأمة العربية جميعها في الجاهلية بأنها أمة جهل قد عزلت تماما عن العالم وعاشت غارقة في بداوتها، بما فيها من الفوضى والوحشية، وأنه لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل الإسلام، إذ لو لم يكن للأمة العربية آنذاك قدرة على التفكير والإبداع، والتأثر والتأثير لما كانت أهلا لتقبل رسالة السماء وظهور آخر الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - من العرب، ولما استطاعوا في فترة وجيزة من تكوين دولة ذات كيان عم عدلها أرجاء العالم في فترة قياسية"^(٥٩).

وعندما نقف عند النصوص الشعرية التي وردت في ثنايا هذا البحث نجد أنها قد نظمت في لغة واحدة تكاد تكون لغة قريش، وأن هذه الأشعار تتميز بالخطابية والارتجال وضعف الصورة الشعرية، ووجود بعض الهنات العروضية في هذه الأشعار التي يغلب عليها الطابع الأنبي والمباشرة وقصر النفس، وهذا ما يعطيها صدق العاطفة والمقصد. ومن المعلوم للنقاد والرواة أن الشعر المكي قبل الإسلام لم يكن من حيث الكثرة يوازي شعر القبائل الأخرى في طول الجزيرة وعرضها.

وفي اعتقادي أن قريشا في هذه الحقبة الزمانية التي سيطرت فيها على مكة أصبحت تهتم بأمر البيت وبالجانب الديني والاقتصادي أكثر من اهتمامها بالشعر، كما أنه لم يكن هناك قبائل أخرى تنافسها على السيادة في مكة، فانتفت المناقضات الشعرية في تلك الفترة بين شعراء قريش وسواهم من شعراء القبائل الأخرى، ولم نر شعراء قريش يتحركون إلا بعد بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وتأكد هذا أيضا بعد وقعة بدر وهزيمة قريش فيها.

وباختصار شديد نستطيع القول: أن الشاعر المكي في هذه الحقبة الزمانية كان يمارس عمله الفني في غير تكلف أو تصنع، وفي غير عناء ولا جهد، فهو يعبر عن نفسه تعبيرا مباشرا ينقل فيه إحساساته ويصور مشاعره، ويرسل العبارات كما تخطر على ذهنه دون أن يبذل في سبيل ذلك جهدا أو مشقة. ومن هنا كان الشعر المكي في هذه الفترة عفويا طبيعيا قريب التناول لا نرى فيه أثرا للتكلف وإن كان لم يسلم من بعض المحاذير العروضية التي نجدها في القليل من الأبيات أو المقطعات الشعرية.^(٦٠) وربما كان من أسباب قلة شعر قريش عدم اهتمام الرواة به لأنه كان يتناول المسلمون قبل فتح مكة فأهملوا روايته.

نتائج البحث :

بعد هذه التطوافة السريعة والوقفات القصيرة عن مكة في عصر ما قبل الإسلام من خلال استقراء بعض مصادر التاريخ والشعر بشكل خاص يمكن تسجيل النتائج الآتية:

١. وجود مكة المكرمة كمكان له أهمية دينية واقتصادية وسياسية عند العرب منذ عهود قديمة، وقد تأكدت هذه المكانة بعد هجرة إبراهيم وزوجه وابنه - عليهم السلام - إلى مكة، وإسكان هاجر وابنها إسماعيل - عليهما السلام - في هذا الوادي المقفر.
٢. تعاقب عدد من القبائل في السيطرة على مكة بعد أن نبع ماء زمزم وبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، وارتفع شأن مكة عند جميع عرب الجزيرة العربية دون استثناء.
٣. وقوف جميع القبائل العربية ضد حملة أبرهة على مكة، وإن كان ضعف تلك القبائل وتفرقها لم يمكنها من مواجهته عسكرياً وهزيمته باستثناء قبائل خثعم وشهران وناهس.
٤. لم يكن هدف حملة أبرهة على مكة هدم البيت فقط، بل كانت هناك أهداف سياسية ودينية واقتصادية غير معلنة تتلخص في نشر النصرانية في الجنوب الغربي للجزيرة العربية للربط بين الأحباش في اليمن والدولة البيزنطية - وهم يدينون جميعاً بالنصرانية - وكذلك تأمين القوافل التجارية بين بيزنطة واليمن عن طريق مكة.
٥. زيادة اهتمام العرب بالبيت وبمكة بعد هزيمة الأحباش وحماية الله سبحانه وتعالى لبيته الحرام .
٦. ضعف الصورة الشعرية عند شعراء مكة في هذه الفترة وغلبة الجانب الخطابي والمباشرة وقصر النفس على جميع الأشعار التي قيلت آنذاك .

٧. اهتمام أهل مكة - قريش خاصة - بالجوانب الدينية والاقتصادية والسياسية مما جعل حظهم من الشعر قليلا عندما بدأت رواية وتدوين أشعار القبائل الأخرى بعد الإسلام، وربما أن الرواة قد أهملوا شعر قريش لما فيه من النيل بالمسلمين قبل فتح مكة.
٨. إن ضالة الميراث الشعري لدى المكيين جعلهم يقابلون شعر عمر بن أبي ربيعة فيما بعد بالترحيب والحفاوة برغم ما تضمنه من فجور ومجون.

الهوامش والتعليقات:

١. المنصوري، جريدي سليم، الرمزي والروحي والمقدس، مجلة علامات، ع ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ، ص ١٠٠٢
٢. سورة إبراهيم، الآية ٣٧
٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم - الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء. عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ٣٤٣/١
٤. المصدر السابق ٣٤٢/١ - ٣٤٥
٥. سورة الفتح، الآية ٢٤
٦. سورة آل عمران، الآية ٩٦
٧. سورة التين، الآية ٣
٨. سورة الأنعام، الآية ٩٢
٩. السباعي، أحمد، تاريخ مكة. دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ٦، ١٤٠٤ هـ، ١٥/١
١٠. معجم البلدان ١٨١/٥ " مكة "
١١. تاريخ مكة للسباعي ١٥/١ - ١٦، وكذلك يراجع، غريب، زكي عابدين، الحياة الأدبية في مكة في العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام، طبعة دار المعارف بمصر (ط ١) ١٩٨٣ م ص ١٩ وما بعدها .
١٢. تاريخ مكة للسباعي ١٦/١ وانظر كذلك، الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي (ط ٢) ص ٩٥، وانظر الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، نجيب اليبهيتي ص ٣١ - ٥١
١٣. وإن كان بعض المؤرخين يرى أن العمالقة هم أول من سكن مكة. يراجع في هذا السياق العصامي المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٤٤/١ وما بعدها وكذلك ينظر الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تعليق رشدي صالح، طبعة ١٣٥٧هـ، ٢٤/١
١٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف " ط ٤ " ٢٥١/١ وما بعدها
١٥. سورة البقرة الآية ١٢٧
١٦. سورة الحج الآية ٢٧ وانظر في أمر بناء البيت. قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي. ص ١٣١ - ١٣٢ .
١٧. سمط النجوم العوالي، ١ / ١٤٧ - ١٤٨
١٨. الأندلسي، ابن سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن. مكتبة الأقصى، ١٩٨٢، ٢٩٥/١ - ٢٩٦

١٩. نابت. هو أكبر أبناء إسماعيل - عليه السلام -
٢٠. يراجع في أحداث فتح مكة المصادر التالية :
- تاريخ الرسل والملوك، للطبري ٤٢/٣ - ٨١
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢ / ١١٦ - ١٣٤
- البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٢٧٨ - ٣٢٢
- السيرة النبوية لابن هشام، وبهامشه الروض الأنف للسهيلي ٤ / ٨٤ - ١٢٠
- سيرة النبي العربي محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١٣٤ / ٢ - ١٧٦
٢١. سورة البقرة الآية ١٢٦
٢٢. سورة آل عمران، الآيتان ٩٦، ٩٧
٢٣. النار وطقوس الثقافة، ص ٤٣
٢٤. الرمزي والروحي والمقدس - مرجع سابق ١٠٠٣
٢٥. الحياة الأدبية في مكة ص ١٣١
٢٦. الرشيد، ناصر بن سعد، سوق عكاظ تاريخه ونشاطاته وموقعه، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ. ص ٧١
٢٧. الحياة الأدبية في مكة - مرجع سابق ص ١٣٣
٢٨. الحموي، ياقوت، معجم البلدان " مكة "
٢٩. سمط النجوم العوالي ١ / ١٨٢
٣٠. البداية والنهاية، لابن كثير ٢ / ١٨٦ - ١٨٧
٣١. الحياة الأدبية في مكة في العصر الجاهلي. ص ١٥٨.
٣٢. يقصد الشاعر (بالمأزمين) مكانا في مكة. قال عياض : المأزمان مهموز مثني وهما جبلان في مكة وليسا من المزدلفة، ويرى بعض أصحاب اللغة أن المأزمين هما مضيقا جبلين والواحد مأزم. أنظر معجم البلدان ٥ / ٤٠ "مأزم" وسمط النجوم العوالي ١ / ١٨٥
٣٣. معجم البلدان ٥ / ٤٠ ط مأزم ط وسمط النجوم العوالي ١ / ١٨٥
٣٤. سورة الحج آية ٢٥
٣٥. الروض الأنف للسهيلي ١ / ٤٠ - ٤١ ، ٩٩ ، وانظر شاعرات العرب، عبد البديع صقر ١٥٣ - ١٥٤
٣٦. سمط النجوم العوالي ١ / ١٦١ ، ورزاح المذكور في البيت هو رزاح بن ربيعه، وهو أخو قصي بن كلاب لأمه .
٣٧. الأوائل، لأبي هلال العسكري ١ / ٤٢ - ٤٧
٣٨. المصدر السابق ١ / ٤٣

٣٩. تاريخ الطبري ٢/٢٥٣، ونلاحظ اختلاف حركة الروي في البيت الرابع كما نلاحظ أيضا ضعف الصورة البيانية في هذا الشعر بشكل عام.
٤٠. ديوان حسان بن ثابت، ص ٣٨٦، طبعة دار المعارف بمصر (د.ت)
٤١. الحياة الأدبية في مكة ص ١٤٩
٤٢. هامش ديوان العباس بن مرداس ص ٧٥
٤٣. ديوان العباس بن مرداس ص ٧٥
٤٤. الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/٥٧٠ والروض الأنف ١/١٥٥ - ١٥٨
٤٥. الروض الأنف ١/١٥٦ - ١٥٧
٤٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/٥٠٤
٤٧. المصدر السابق ١/٥٠٣
٤٨. ديوان عبد الله بن الزبير، جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي ص ٣٩١ - ٣٩٢
٤٩. الكامل في التاريخ ١/٣٤٥
٥٠. ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي ٣٩١ - ٣٩٢
٥١. قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٥٨ ص ٥٠٧
٥٢. المصدر السابق ٥٠٧
٥٣. ديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار المعارف (ط٢) ص ٥٢
٥٤. قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ص ٥٠٧
٥٥. أخبار مكة ١/ ٢٢١
٥٦. طبقات فحول الشعراء، لابن سلام ١/٢٤٤ - ٢٤٥، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني. وقصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ٣٣١ - ٣٣٢ والمزهر للسيوطي ١/ ١٧٩
٥٧. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة - بيروت (ط٣) ١٩٨٠م ص ١٤
٥٨. يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر (د.ت) ص ٦٣ - ٦٥
٥٩. لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، طبعة دار إحياء الكتب العربية، ص ٨٧ - ٨٩
٦٠. دراسات في الشعر الجاهلي، ص ٧٣

المراجع :

١. ابن أبي سلمى، زهير ديوان، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م
٢. ابن أبي الصلت، أمية. ديوان، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس بدمشق الطبعة الثالثة (د.ت)
٣. ابن الأثير، محمد عبد الكريم. الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨١م
٤. ابن الزبير، عبد الله. ديوان جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١ - ١٩٨١م
٥. أبو الفداء، الحافظ بن كثير. البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م
٦. الأزرق، محمد بن عبد الله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تعليق رشدي صالح، طبعة ١٣٧٥هـ.
٧. الأندلسي، ابن سعيد. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ١٩٨٢م
٨. الأنصاري، حسان بن ثابت. ديوان، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين، طبعة دار المعارف بمصر (د.ت)
٩. البهيتي، نجيب محمد. الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٠. التاجي، أحمد. سيرة النبي العربي محمد - صلى الله عليه وسلم - مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م
١١. الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية.
١٢. جواد، علي (دكتور). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة بغداد الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
١٣. الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ.
١٤. خليف، يوسف (دكتور). دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة (د.ت)
١٥. الذبياني، النابغة (الشاعر). ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية (د.ت).
١٦. الرشيد، ناصر بن سعد (دكتور). سوق عكاظ، تاريخه ونشاطاته وموقعه. الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ.
١٧. السباعي، أحمد. تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمارة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، الطبعة السادسة ١٤٠٤ هـ.
١٨. السلمي، العباس بن مرداس. ديوان، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، طبعة بغداد ١٩٦٨م.

١٩. السهيلي، عبد الرحمن بن أحمد. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، مطبوعات مكتبة عباس شقرون. القاهرة ١٣٩١هـ .
٢٠. السيوطي، الحافظ جلال الدين. المزهري في علوم اللغة، تحقيق جاد المولى وآخرين، طبعة الحلبي (د.ت)
٢١. الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية (د.ت).
٢٢. صقر، عبد البديع. شاعرات العرب، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
٢٣. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر . الطبعة الرابعة . (د.ت)
٢٤. عامر، فتحي احمد. في مرآة الشعر الجاهلي دراسة فنية تحليلية، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ت)
٢٥. عبد الجبار، عبد الله و خفاجي، محمد عبد المنعم. قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م.
٢٦. العسكري، أبو هلال. الأوائل، تحقيق الدكتور وليد قصاب، طبعة دار العلوم، الرياض . الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م
٢٧. العصامي المكّي، عبد الله بن حسين. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠ هـ .
٢٨. غريب، زكي عابدين. الحياة الأدبية في مكة في العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام، طبعة دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية (د.ت)
٢٩. لوبون، جوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي بمصر . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .
٣٠. المنصوري، جريدي (دكتور). الرمزي والروحي والمقدس، مجلة علامات ع ١٣ ربيع الآخر، ١٤٢٥ هـ. والنار في الشعر وطقوس الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب (ط١) ٢٠٠٢ م.

Makkah Al-Mukarramah in the Old Period: A Reading in History and Poetry

Zafer A. Al-Shihri

Department of Arabic, College of Education, King Faisal University
Al-Hassa, Saudi Arabia

Abstract:

This paper focuses on Makkah in the pre-Islamic period. It first introduces the semantic and referential meaning of the Arabic word "Makkah", showing the sanctity of the place, life and the living in this city and it's vicinity. The paper traces the names of this spiritual city as they are used in The Quran and as they occur in historical references and chronicles. This covers the beginnings of the city, the construction of the Shrine of Ibrahim, the history of some Arab Makkah tribes and the building of the Ka'ba, and the emergence of Zamzam water source. The paper also focuses on the entitlement of the tribe of Quraish to be the custodian of the Holy Shrine of Ka'ba and the impact of being the Prophet Mohamed is from an influential family amongst the tribe of Quraish.

The paper studies a collection of poems which document important events like the ejection of the tribe of Jurhum from Makkah by the tribe of Khuza'a, the reach of Quraish to prominence, the pact of Al-Fudhoul, the event of the Elephant and the protection of Hashem clan to Prophet Mohamed when he advocated Islam, the new religion. The paper also sheds some light on some poems which praise the greatness and holiness of Makkah. The paper oncludes with the main results of reading of these poems and events.

مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي إنجاز و تكافل

غسان بن فايز الطبري، صلاح بن عبد العزيز الشامي، عادل بن إبراهيم العفالق
جامعة الملك فيصل ، كلية الطب البيطري و الثروة الحيوانية ، الأحساء

الملخص :

تبين هذه الدراسة أبعاد الإنجازات والخدمات الهامة التي أولتها المملكة العربية السعودية الاهتمام البالغ بتأسيسها و دعمها السخي و الدائم و تذليل كل الصعاب لمشروع الإفادة من الهدى و الأضاحي في موسم حج كل عام تحت إشراف البنك الإسلامي للتنمية و تطويره لفائدة و خدمة ضيوف الرحمن .

يتميز هذا المشروع بمجازره الخمسة الحديثة و الضخمة و بأنواعها المفتوحة (لخدمة الحجاج لشراء مايرغبون من الأنعام مثل مجزرة الجمال و الأبقار و المجزرة الحديثة)، و المغلقة التي تعمل بنظام التوكيل لأداء النسك مثل المعيصم ١ و ٢ و ٣ .

تتلخص أبعاد هذه الإنجازات و الخدمات في تسهيل أداء نسك الهدى و الأضاحي و الإفادة منها بما يحفظ المردود الصحي و البيئي لها و لمستهلكيها و في الأماكن المقدسة و ذلك من خلال توفير الأنعام المستوفية كامل الشروط الشرعية و الصحية البيطرية، كما يتم ذبح و نحر حوالي ٦٠٠ ألف رأس من الأغنام و الأبقار و الإبل في مكة المكرمة و في الزمن الشرعي المحدد و هو من بعد صلاة عيد الأضحى المبارك وحتى مغرب رابع يوم عيد الأضحى و البالغ حوالي ٨٤ ساعة، و يتواصل العمل بالورديات نهاراً و ليلاً دون توقف، و تُعتبر هذه الكمية من الأنعام التي تُذبح و تُنحر و تُجهز هي الأكبر في العالم في وقت قصير و مكان محدود. و يتم ذلك في مجموعة مجازر المشروع عن طريق التوكيل أو عن طريق الإشراف المباشر في وحدات المجازر الحديثة و من ثم يتم تجهيزها بسلخها و تجويضها و تجميدها و نقلها بأحدث الطرق ليتم توزيع لحومها على الحجاج و المحتاجين من الفقراء خلال أيام التشريق.

وكما هو أساسيا في أبعاد المشروع ضبط إنتاج لحوم عالية الجودة صالحة وسليمة خالية من أي ضارة أو خطورة بصحة الإنسان ، و زيادة عدد الذبائح و توسيع دائرة الإستفادة من المشروع و من جميع أجزاء الذبيحة، لذا تم تأسيس مشروع إنتاج الجلاتين الحلال من مخلفات مجازر المشروع.

وقد تمت مشاركة جامعة الملك فيصل من الأحساء المثلة ببعثة كلية الطب البيطري و الثروة الحيوانية، من عام ١٤١٠هـ إلى ١٤٢٥هـ بمجموعة من المشاركين بلغت ٤١٩ مشاركاً منهم ٣٣٢ طالباً و ٣٠ طبيباً بيطرياً و ٥٧ مُشرفاً و عضو هيئة تدريس (المتخصصين في الرقابة الصحية على اللحوم و أمراض الحيوان وغيرها)، وتراوحت أعدادهم في المشاركة السنوية الواحدة ما بين ١٢- ٥٤ طالباً و طبيباً ومشرفاً في مختلف مواسم حج كل عام. و كانت لمشاركتهم الآثار البالغة و المنافع المشتركة بتقديم الاستشارات و الخبرات العلمية و الخدمات الفنية و تدريب الطلاب وخدمتهم لهذا المشروع المتميز.

ولا شك في إن خدمات كلية الطب البيطري و الثروة الحيوانية " لصحة و سلامة الهدي والأضاحي" مقرونة "بضوابط الصحة العامة" وهي "واجب إسلامي" ضمن الخدمات التي تُقدمها حكومة خادم الحرمين الشريفين لرعاية هذا المشروع.

المقدمة:

أسست المملكة العربية السعودية مشروعها للإفادة من الهدي و الأضاحي محققة بذلك و منفذة أوامر الدين الحنيف ليشهد المسلمون المنافع من الحج و من شعائره. كما بدأت الإفادة من المشروع عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٢م تحت إشراف البنك الإسلامي للتممية.

وبدأت سنوات الخير في أرض الخير والبركات مستمرة بالعطاء لتحقيق الازدهار والتطور الحديث بما نشهده اليوم من قيام هذا الصرح العظيم من المسالخ الحديثة والمجهزة بالسيور و المعدات العالمية لتحقيق ذبح ونحر وتجهيز مئات الألوف من الأضاحي

في أيام معدودات، ساعيةً لصالحية لحومها و علو جودتها التي يتم إرسالها للمسلم الفقير محققة أوامر الدين و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن هذا العطاء و التطوير يستمد جذوره من حضارة و ثقافة الإسلام الذي أنزل عليه الوحي في أرض الخير و البركات في مكة المكرمة حافظها الله.

أ (الإنجازات

١- الحكم الشرعي في الأضحية

تعتبر ذبائح المسلمين قربة لله تعالى و ذلك في قوله عز و جل: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (سورة الحج: ٢٧- ٢٩) وفي قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة الحج: ٣٧). وقال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرِ ﴾ (سورة الكوثر: ٢)

ومن الأحاديث: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الْمُثَنَّى، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ " مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ وَإِنَّهُ لِيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَضْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا " . رواه أحمد و ابن ماجه ٣/٣٢٤٦.

إن حكم الأضحية في الإسلام قربي إلى الله تعالى في صورة ترفع من قدسية يوم عيد الأضحى المبارك، و ترقى بالمسلمين لفعل الخير و التألف و التكاتف، و عصيانا للشيطان الرجيم.

و في الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله عليه الصلاة و السلام : " كلوا و تزودوا " رواه البخاري في كتاب الحج، و مسلم في الأضاحي، و أصحاب السنن و المساندين.

٢- وضع الهدى و الأضاحي قبل بداية المشروع

إن المقصود في الوضع قبل بداية المشروع: هو العودة إلى سنوات ما قبل موسم حج عام ١٤٠٣هـ، و فيها حالة الاستفادة من الهدى و الأضاحي و حالته الصحية و التأثيرات البيئية و الاقتصادية و غيرها من العوامل المؤثرة في تلك الفترة الزمنية.

و يمكن أن تتلخص الصفات الأساسية لوضع الهدى و الأضاحي قبل بدأ المشروع بعدة عوامل نستطيع شملها بالآتي :

- لم يكن عدد ذبائح الهدى و الأضاحي كبيراً بالمقارنة عما هو عليها بعد فترة بدأ المشروع، مع انخفاض الاستفادة منها عامة، حيث كان الهدر بدلاً من عملية الاستفادة القصوى و منافعها الكثيرة.
- اقتصرت الإفادة من اللحوم بتوزيعها على فقراء الحرم فقط.
- لم يُستطاع توسيع دائرة الاستفادة من المشروع (من باب الفضل) خارج المملكة للفقراء في بلاد المسلمين .
- عدم توفر الرقابة الصحية البيطرية على الأنعام الحية و المذبوحة.
- لم يتم عمل حصر و متابعة علمية و تشخيصية للأمراض الوبائية و المشتركة و غيرها من الأمراض الضارة بالحيوان.

- كان يتم فساد اللحوم بسرعة كبيرة نتيجة تكديسها في منطقة ذبحها في المشاعر المقدسة و خاصة في حالات ارتفاع درجات الحرارة العالية للجو مما أدى إلى عدم صلاحيتها للاستهلاك الآدمي.
- كانت جميع الظروف مهيأة للتلوث البيئي خاصة تلوث اللحوم و العدوى و انتقال الأمراض المعدية و انتشارها نتيجة الذبح خارج المسلخ ودفن المخلفات بطريقة غير صحية.
- انخفاض الوعي الصحي عامة بالمقارنة عما هو عليه اليوم.
- كان الحاج يتكلف و يعاني لأداء نُسكه بمشقة كبيرة (المسنين) خاصة في إضاعة الوقت بالانتظار لتأمين ذبائح الهدي و الأضاحي و البحث عن رغبته في شراء الأغنام أو الأبقار أو الإبل التي يرغب في ذبحها أو نحرها حيث لم تتوفر الخدمات المساعدة لراحة حجاج بيت الله الحرام عما هو عليه اليوم.
- لم يحصل الحيوان على التجهيز و المعاملة الصحية السليمة بإراحته قبل الذبح ومنعه من تناول الغذاء لمدة لا تقل عن ١٢ - ٢٤ ساعة، حيث يستحسن عملية تصويم الحيوان لهذه المدة، لخفض هجرة الميكروبات الموجودة في الأمعاء التي تنشط أثناء عمليات الهضم ، و يتحقق إدماء أفضل و تسهيل تجهيز الذبائح و اكتسابها مظهرًا حيويًا و بالتالي نحصل على لحوم ذات كفاءة عالية وفق المواصفات القياسية السعودية (١٥,١, ١٦, ١٧) و العالمية (1,2,5) و ربما قد يكون مُجهداً نتيجة النقل مما يؤثر على جودة و صلاحية اللحوم (1,2,5) حيث يتم الاحتفاظ بالحيوانات و خاصة الأغنام و الماعز في حظائر تجار المشية بجدة و الطائف.
- تم فقد المرحلة الهامة في إمكانية الرقابة الصحية قبل الذبح لكم كبير من الحيوانات في مجزرة معينة و منظمة مثل مجازر المشروع.

٣- تأسيس المشروع

لقد كلفت حكومة خادم الحرمين الشريفين مركز أبحاث الحج لإعداد دراسة شاملة عن المشروع وتبين بعد الدراسات المستفيضة (٢،٣،٨،١٠،١١،١٢،١٣،١٤) بأن الأنعام التي كانت تُذبح و تُنحر في منى في أيام الحج، من الهدى و الفدية ، و الأضاحي، والصدقات لا تتم الإفادة منها على النحو المطلوب، هذا من جهة و من جانب آخر لا تكون مستوفية الشروط الشرعية و البيطرية، وأن كثيراً من الحجاج يجدون مشقة و صعوبة في أداء النحر، لذلك أنشأت حكومة خادم الحرمين الشريفين "مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى و الأضاحي" لتيسير أمور نسك حجاج بيت الله الحرام ، و توصيل اللحوم إلى مُستحقيها من الفقراء و المساكين، وهي صالحة للاستهلاك الآدمي حسب مُتطلبات الحكم الشرعي و الرقابة الصحية البيطرية .

و بدأت التجربة الأولى الموسعة في عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٢م، و في نفس التاريخ بدأ تنفيذ النسك و قد عهدت حكومة خادم الحرمين الشريفين إلى البنك الإسلامي للتمتية تنفيذ هذا المشروع (٢،٣،٨،١٠،١١،١٢،١٣،١٤).

الإنجازات بعد التأسيس

- إنجازات مُتعلقة بحيوانات الهدى و الأضاحي
- توفير أنعام الهدى و الأضاحي لمواسم الحج

يعمل مشروع المملكة العربية السعودية جاهداً قبل موسم حج كل عام على توفير احتياجاته من الأغنام والأبقار والجمال الحية من مختلف بلدان العالم القريبة أو البعيدة (السودان، أمريكا اللاتينية، أورغواي، الصومال، سوريا، أستراليا و غيرها) ويرتبط ذلك عادة بظروف مختلفة متعلقة بالأمراض المعدية و المشتركة و بالحظر الذي يشمل تلك البلدان من تصدير أنعامها (٣ ، ٤ ، ٨). كذلك هنالك تقييد بالمواصفات المطلوبة شرعياً و بيطرياً و ضرورة تحقيقها أثناء الإستيراد. كما يتعرض سوق الأغنام

العالمي خاصة الأغنام بمؤثرات الأسعار المرتفعة، و يبقى هذا السؤال مفتوحاً إلى أن يتم تحقيق الحلول المناسبة و قد يكون إنتاج أضحية خاصة في المشروع مساعداً ومناسباً في حال توفرت فيها الشروط الإنتاجية والاقتصادية والصحية الملائمة (٨،٤،٣). لا سيما إنه حديثاً تتوفر تقنيات مثل التلقيح الاصطناعي أو نقل الأجنة لقطعان الأغنام والأبقار والإبل (أفضل بهيمة الأنعام للهدى و الأضاحي) وينظم إنتاجها حسب حاجة المشروع. والتركيز على أهمية التبادل التجاري العربي والتصدي إلى الأمراض المتفشية التي تُعتبر عائقاً أساسياً في تجارة المواشي و نعتقد بأنه مايزبح في المجازر وغيرها يصل إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ ذبيحة تقريباً.

إقامة الندوات الخاصة بالهدى و الأضاحي

لقد صدرت الموافقة السامية الكريمة رقم ٩/ب/٦٠٦٣ بتاريخ ٢٧/٢/١٤٢٢هـ على عقد "ندوة الأمراض الحيوانية- البشرية المشتركة و أثرها على سوق أنعام الهدى وصحة الحجيج" وموافقة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية رئيس لجنة الحج العليا على رعايتها و إنابة معالي وزير الزراعة لحضور حفل إفتتاحها.

و قام ممثلين من كل من معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بجامعة أم القرى ومشروع المملكة العربية السعودية الممثل بالبنك الإسلامي للتنمية و وزارة الصحة و وزارة الزراعة و كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية- الأحساء من جامعة الملك فيصل و كلية الطب البيطري والزراعة من جامعة القصيم بتحضير ندوة الأمراض الحيوانية - البشرية المشتركة وأثرها على سوق أنعام الهدى وصحة الحجيج (١٢) - ١٤ رجب ١٤٢٤) في مكة المكرمة (٨،٧). وقد أسهمت هذه الندوة في توضيح و نقاش عدد من المواضيع الأساسية عن الهدى والأضاحي، حضرها نخبة من المشاركون من داخل وخارج المملكة، كما شارك فيها منظمات عالمية معنية بالأمر (منظمة الصحة

العالمية- WHO) ومندوبين من تجار وهيئات استيراد الأنعام من خارج وداخل المملكة. وكما قدمت الندوة توصيات هامة ستساهم إنشاء الله في تطوير والحفاظ على المشروع. كما شملت الندوة محاور أساسية تتلخص في ما يلي:

- الأمراض المشتركة و الحج
- الأمراض الفيروسية النزفية بالمملكة العربية السعودية
- الأمراض البكتيرية
- الأمراض الطفيلية و الأمراض المزمنة الأخرى
- إجهاد الحيوان
- المصادر البديلة لأنعام الهدي
- الإجراءات الوقائية بالمملكة العربية السعودية
- الإجراءات الوقائية في البلدان المصدرة.

تحديد الإشتراطات الشرعية والصحية البيطرية الواجب توفرها في أنعام الهدي والأضاحي

- الشروط الشرعية اللازمة:

١- العمر

• الإبل التي بلغت خمس سنوات فأكثر.

• البقر التي بلغت سنتين فأكثر .

• الماعز التي بلغت سنة فأكثر .

• الضأن ستة أشهر فأكثر .

٢- ألا تكون عرجاء بين عرجها.

٣- ألا تكون مريضة بين مرضها

٤- ألا تكون عجفاء لا تُنقي

❖ العجفاء : المريضة ، التي لا تنقي : أي التي لا تنقي لها ، أي لا مخ لها)

٥- ألا تكون عوراء بين عورها.

- ٦- ألا تكون مقطوعة الأذن، أو مكسورة القرن أو الأسنان لأكثر من النصف.
كما أجمعت المصادر العلمية (١٥,١) على أن الذبح أو النحر لا يجوز إلا من بهيمة الأنعام إذا كانت ثيباً، إلا الضأن فإن الجذع منه يجزىء .
- ٧- أن يكون الهدي تام الخلقة، سليماً من العيوب، يشترط فيه ما يشترط في الأضحية.
- لاتجزىء الشاة إلا عن واحد، وتجزىء البقرة أو البدنة عن سبعة على وجه الشراكة.
- **الشروط الصحية البيطرية:**
- يجب توفر الشروط الصحية البيطرية في حيوانات الهدي والأضاحي بعدم تواجد أي أمراض معدية أو ضارة بحياة القطيع أو أي أمراض يُمكن أن تنتقل للإنسان سواء من الحيوان الحي أو عبر اللحوم (١,٣,٤,٦,٨,١٥) و (١,٢). وذلك وفق اللائحة التنفيذية لفحص اللحوم السارية المفعول (١) والهزيلة والمرتفعة حرارتها و المرفوضة لأسباب شرعية و الحيوانات التي يتم ذبحها أو نحرها دون الرقابة الصحية البيطرية ما قبل الذبح أو النحر(١).



خدمات الرقابة الصحية على حيوانات الهدي والأضاحي قبل الذبح



خدمات الرقابة الصحية على لحوم الهدي والأضاحي بعد الذبح

كما تجدر الإشارة إلى حظر المواصفات القياسية السعودية (١٥،١٦،١٧،١٨) والعالمية (1,2) الاستهلاك الآدمي للحوم الحيوانات (عامة) الملوثة بالمواد النشطة الإشعاعية فوق مستوى حدود الجرعات المباحة القصوى (١٨). و لحوم الحيوانات التي تحتوي على بقايا الهرمونات و المعادن الثقيلة و المبيدات الحشرية و المنشطات و الضارات الكيميائية الأخرى فوق المستويات المحددة قانونياً (١٥،١٦،١٧،١٨).

إجراءات إستراتيجية وقائية

تعتبر المحاجر و الإجراءات الوقائية في منافذ و حدود المملكة من الأساسيات الهامة في عملية رصد والحد من إنتشار الوبائيات وأمراض الحيوان خاصة حيوانات الهدي والأضاحي في مواسم الحج (١،٣،٤،٥،٦،٧،٨). وبشكل عام لا بد من تكثيف الجهود

وتطبيق جميع الإجراءات الرقابية الصحية البيطرية لحيوانات الهدي والأضاحي (١,٣,٤,٥,٦,٧,٨) مثل الشهادة الصحية البيطرية والحجر الصحي البيطري والتحصين ضد الأمراض، ومتابعة وضع الأمراض الحيوانية في العالم ومعالجة القصور على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي. وجمع جميع المعلومات الصحية البيطرية المتعلقة بالهدي والأضاحي وتحليلها ودعمها علمياً والإكثار من الندوات واللقاءات العلمية المتخصصة (٣,٤,٥,٦,٧,٨).

إعداد عقد المتطلبات التي يجب توفرها في الهدي والأضاحي

يهيئ البنك الإسلامي للتنمية الممثل الرسمي لمشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدي والأضاحي عقداً قانونياً مُنظماً وذلك قبل مواسم الحج بفترة مناسبة يتوفر فيه جميع المتطلبات الشرعية والبيطرية الواجب توفرها في ذبائح الهدي والأضاحي سواء كانت هذه الأنعام من الحيوانات المحلية أو المستوردة من الخارج ويحتوي هذا العقد على بنود كثيرة تتلخص أهمها في شمولية وتحديد الشروط الشرعية والصحية البيطرية الواجب توفرها في الهدي والأضاحي. بالإضافة إلى وزن الأضحية (بعد الذبح) على أن لا تقل عن ١٢,٥٠ كغ لحم وأن لا تكون نسبة الأغنام الحوامل عالية ولا تتجاوز ٢٠٪ من العدد الإجمالي. ويتم إشعار تجار المواشي بالالتقيد التام بهذا العقد لفائدة المشروع وما يعود على مستهلكي اللحوم من الفقراء والمساكين بالفائدة.

كذلك أن لا تتجاوز نسبة الذبائح التي يتم إتلافها بسبب مرض غير مرئي في الحيوان وهو حتى ٢٪ وفي حالة تجاوزها يقوم المورد بتعويض البنك بلحوم بديلة مماثلة لتوزيعها على الفقراء.

طرح وإعلان مناقصة عامة لتوفير أنعام الهدى والأضاحي لموسم الحج

يتقدم البنك الإسلامي للتنمية بنشر إعلان مناقصة عامة باسم مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي لتوفير حيوانات الذبح والنحر لموسم الحج ويكون ذلك في الصحف و الجرائد الرسمية في المملكة وخارجها. كما يكون ذلك في وقت مبكر من مواسم الحج ليتسنى لتجار المواشي تنظيم وإعداد أنفسهم والمشاركة في المناقصة العامة (١٤،١٣،١٢).

إصدار سندات الهدى والأضاحي

في سبيل المحافظة على مصالح الحجاج، قام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية بإصدار قرار رقم ١٣١ بتاريخ ١٥/٦/١٤١٩هـ الموافق ٥/١٠/١٩٩٨م الذي يقضي بقصر إصدار سندات الهدى والأضاحي، وبيعها و تسويقها. وبناء على ذلك، فإن المشروع قد أصدر خمسة أنواع من السندات حسب نوع النُسك، سواء كان النسك هدياً (هدى قران أم هدي تمتع) أم أضحية، أم فدية، أم صدقة وهناك سند لمن أراد التوكيل عن ثلاثين حاجاً وأكثر (١٤،١٣،١٢).

التوكيل في ذبح الأغنام

لقد سمحت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يوكل أحداً من الأشخاص الموثوقين في أداء نسك الذبح، سواء كان هدياً، أم فدية، أم صدقة أم أضحية، وعلى الوكيل بعد الموافقة أن يلتزم بما وكل إليه ويقوم بما يلزم حسب المتطلبات الشرعية. ويقوم مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي بوظيفة الوكيل عن الحجاج في الذبح، والسلخ والتجويف والتنظيف والتغليظ والنقل، والتوزيع، مطبقاً الأحكام الشرعية الخاصة بذلك والأسس الصحية. كما يحق للأعداد الكبيرة من الحجاج (ثلاثين فأكثر) أن يوكلوا أحدهم للذبح عنهم في بعض المجازر المشروع. كما نظم المشروع إمكانية دخولهم للمجزرة (١٤،١٣،١٢،١١).

هدي تمتع أو قران أو تطوع أو أضحية :

- الهدى

هو ما يتم هديه للحرم، و هو شرع من شرائع الله فإذا كان الحاج متمتعاً أو قارناً فعليه أن يهدي، فإذا عجز عن الهدى صام عشرة أيام ثلاثة منها في الحج و سبعة إذا رجع إلى أهله و يتم ذبح الهدى بعد رمي حجرة العقبة من كان عليه هدياً وهما المتمتع والقارن و وقت الذبح يبدأ بعد طلوع الشمس ومن يوم العيد، ويستمر إلى غروب الشمس من اليوم الثالث عشر.

- الفدية

عندما يترك الحاج واجباً من واجبات الحج مثل الإحرام من الميقات و الوقوف في عرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة ليلة النحر و المبيت بمنى ليالي التشريق و رمي الجمار وطواف الوداع فعليه دم يذبحه في مكة و يوزعه على فقراء الحرم ولا يأكل من شيئاً، فإن لم يقدر صام عشرة أيام ثلاثة في الحج و سبعة إذا رجع إلى أهله. ويُعتبر من الأهمية في الإفادة مما يتم ذبحه أو نحره، التوزيع على فقراء الحرم فقط وذلك إذا كان فدية.

تقديم ذبح الهدى وتأخيره :

الأفضل للحاج أن يبدأ أولاً برمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق أو التقصير ثم الطواف بالبيت و السعي بعده للتمتع و كذلك للمفرد والقارن إذا لم يسعياً مع طواف القدوم.

عن نضر من الصحابة، منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، و ابن عباس، و جابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين. صدق قول رسول الله صلى الله عليه و سلم، أن سائلاً سأله و هو واقف بين الناس في منى يوم النحر، فقال: نحررت قبل أن أرمي، قال: أرم و لا حرج. فما سئل عليه الصلاة والسلام يوماً عن شيء قدم أو خر إلا

قال: "إفعل و لا حرج". أخرج البخاري في مواضع عدة في صحيحه، ومسلم في الحج، وأصحاب السنن و المسانيد. ولأن ذلك مما يقع في النسيان و الجهل و في ذلك تيسير وتسهيل، فإذا رمى الحاج جمرة العقبة يوم العيد، وحلق رأسه أو قصر، وطاف طواف الإفاضة وسعى إن كان عليه سعي، فقد حل حلاً كاملاً، وإن لم يذبح.

وعلى هذا ليس على الحاج أن يذبح هدية قبل أن يتحلل التحلل الكامل. وعليه أن يطمئن بأن مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى و الأضاحي يقوم بالذبح وكالة عنه قبل نهاية أيام التشريق (١٤).

ذبح الهدى خارج حدود الحرم

إن الذبح و النحر يكون في مكة المكرمة و في أيام التشريق ولا يُجزى الهدى المذبح خارج حدود الحرم، ويُعتبر في حكم من لم يهد لقوله تعالى: ﴿ هَدْيًا بَلِّغَ الْكَعْبَةَ ﴾ (المائدة: ٩٥)، وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَهْدَىٰ مَحَلَّهُ ﴾ (البقرة: ١٩٦).

أسعار السندات

يتم تحديد أسعار الأنعام في المجازر المفتوحة بين الحاج و التاجر، بينما في المجازر المغلقة فيتم الإعلان عنها في مناقصة عامة عن طريق مشروع المملكة. كذلك تم توريد ٦٠٠ ألف رأس من الأغنام في موسم حج عام ١٤٢٥هـ، علماً إن البنك يحرص على إدارة أعماله بأقل تكلفة ممكنة لتلافي تحمل الحاج أي أعباء إضافية قد تشق على بعضهم، كما يقوم البنك الإسلامي للتنمية بسد العجز الذي قد يحصل أحياناً. كما يوضح السند قيمة شراء الذبيحة و تكاليف الخدمة البيطرية والذبح والتبريد والنقل والتوزيع (١١، ١٢، ١٣، ١٤).

شراء السندات الخاصة بنسك النحر

لقد قام مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي بتوقيع عقد مع شركة الراجحي المصرفية للاستثمار لبيع سندات الأضاحي للمجازر المغلقة، التي تنتشر فروعها حول الحرم المكي الشريف، وفي المشاعر المقدسة.

كما يرجع الخيار للحاج فله أن يوكل اللجنة الخاصة التي يتم تشكيلها لهذا الغرض في إطار المشروع. وفي هذه الحالة، يتم إعطاء هذا الوكيل تصريحاً يُتيح له دخول مجزرة المعيصم رقم (١) في منى و هي المجزرة الوحيدة المخصصة للوكلاء. ليشرّف الوكيل بنفسه، و له الحق أيضاً في أخذ جزء من الذبيحة أو عدد من الذبائح بعد سلعها و تنظيفها، في حال رغبته ذلك (١٤).

تطور مجازر المشروع

تنقسم المجازر الواقعة تحت إشراف مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي إلى نوعين من المجازر تبعاً لرغبة الحاج في دخولها أو عدمه و هي المجازر المفتوحة ومجازر التوكيل المغلقة (٣، ١٢، ١٣، ١٤).

المجازر المفتوحة:

- مجزرة الجمال والأبقار:

تعتبر أول مجزرة للجمال في المملكة العربية السعودية و هي مجزرة مفتوحة (٩). يتم فيها الذبح و النحر و من ثم يتم عليها الإشراف الشرعي و الصحي البيطري، كما يتم تقطيعها إلى أنصاف و أرباع وأجزاء صغيرة، لكي يتمكن الحاج من حصوله على جزء من الذبيحة ولا سيما الأباضية والأحناف لإصرارهم على الحصول على جزء من نفس الذبيحة ليفطروا به وأغلب الأندونيسيين والماليزيين يتجهوا إلى مجزرة الجمال والأبقار.

- المجزرة الحديثة (البديلة):

بدأ العمل بهذه المجزرة عام ١٤٢٠هـ و تُعد إنجازاً إسلامياً كبيراً، حيث تم تجهيزها بأحدث الآلات والمعدات اللازمة لأداء النُسك بعد الإشراف الشرعي و الصحي البيطري على الأغنام. و بعد الذبح و السلخ و التجويف و تجهيز لحوم الهدى والأضاحي يتم غسلها و تبريدها و تكون صالحة للاستهلاك الآدمي.

سعة المجزرة

تتكون هذه المجزرة من أربع وحدات و هي :ب،د،هـ و . كما تستوعب كل وحدة منها ما لا يقل عن مائة ألف رأس من الأغنام. هذه المجزرة مفتوحة للحجاج، يستطيع الحاج أن يشتري ما يرغب مباشرة و ذبحها أو الإشراف على ذبحها، أو توكيل البنك في ذبحها نيابة عنه إذا رغب في ذلك. و يوجد في هذه المجازر عدة أنواع من الأغنام (أسترالي، أوروغواي، سوداني و غيره) أما السعر فهو موحد للجميع. يكون السعر شاملاً ثمن الذبيحة، و كلفة الإشراف الشرعي والبيطري، و تكاليف الذبح و التنظيف، و إيصال اللحوم إلى مُستحقيها.

- المجازر المغلقة

و هي مجازر للأغنام فقط منها:

- مجزرة المعيصم النموذجية رقم (١) و تبلغ سعتها حوالي ٢٥٠ ألف ذبيحة
- مجزرة المعيصم (٢) و تبلغ سعتها حوالي ١٥٠ ألف ذبيحة
- مجزرة المعيصم رقم (٣) لقد تم إنشاء هذه المجزرة عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ ، و سيتم إفتتاحها بإذن الله تعالى في موسم حج عام ١٤٢٦هـ. و قد تم إنشائها بعد قرار إغلاق مجزرة وادي محسر٣. و تبلغ سعتها حوالي ١٠٠ ألف ذبيحة. وهي من المجازر التي تعمل بنظام التوكيل .

التجهيزات الفنية للمجازر :

تُشكل مجازر المشروع بتجهيزاتها الحديثة من السيور النظامية الأوتوماتيكية دوراً هاماً في سرعة حركة الذبائح خلال عمليات الذبح والسلخ والتجويف (٣،٤،٦،٨،٩،١٠،١١،١٢،١٣،١٤). كما يستعمل المشروع مختلف الأدوات والآليات من معدات الذبح و السلخ و التجويف والغسيل و التجميد ووسائل النقل الحديثة لنقل اللحوم المجمدة براً وجواً وبحراً إلى مُختلف بلدان العالم الإسلامي والتي تبلغ حوالي ٢٧ بلداً. وهذا دليل على سياسة المملكة العربية السعودية الرشيدة وتجدر الإشارة إلى أن مجموع ما أنفقته حكومة خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله لإنشاء مجازر المشروع وتجهيزها بلغ ما يزيد على مليار ريال سعودي (١٢).

الإفادة من لحوم الهدى والأضاحي

بعد دراسات متعددة قامت بها الجهات المعنية بالمملكة العربية السعودية فيما يخص الإفادة المثلى من لحوم الهدى والأضاحي ، تم تكوين لجنة خاصة للإشراف على تنفيذ المشروع بأمر من خادم الحرمين الشريفين - أثابه الله - وتضم هذه اللجنة في عضويتها مندوبين من عدد من الوزارات ومن جامعة أم القرى والبنك الإسلامي للتنمية الذي يتعاون مع جميع هذه الجهات المختصة والمعنية بهذا المشروع لتحقيق أهدافه (١٢).

وقد بدأت التجربة الأولى الموسعة في موسم حج عام ١٤٠٣هـ وتم الإفادة من نحو ٦٣,٠٠٠ رأس من الغنم شحن معظمها بواسطة الطائرات إلى اللاجئين في السودان وجيبوتي والمهاجرين الأفغان في باكستان (٢، ٣، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤).

وبناءً على ضوء تجربة العام الأول في مجزرة المعيصم النموذجية ، تم قرار التوسع في التجربة عام ١٤٠٤هـ والأعوام التي تليها .

وفي عام ١٤١١هـ تم إنشاء مجزرة الجمال والأبقار وأصبحت تعمل في إطار المشروع اعتباراً من موسم حج عام ١٤١١هـ إذ تمت الإفادة في ذلك العام من نحو ١١١٧٤ رأساً

من الإبل والأبقار ، وفي عام ١٤١٢هـ تمت الإفادة من ١٤٣٨١ رأساً وزعت كلها في منى وعلى فقراء الحرم (٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤) .

كذلك في موسم حج عام ١٤١٢هـ بلغ مجموع ما تمت الإفادة منه ٥٢٥,٣٩٠ رأساً من الأغنام المذبوحة، وزع منها على حجاج بيت الله الحرام في منى وعلى فقراء الحرم ٢٨٢,٨٩٨ ذبيحة، ونقل منها إلى خارج المملكة ٢٤٢,٤٩٢ ذبيحة (١٤) .

وفي عام ١٤٢٠هـ تم إنشاء المجزرة الحديثة، وتعد إنجازاً رائعاً للمشروع تم في وقت قياسي . وعلى مستوى رفيع .

و في عام ١٤٢٦هـ ستمكن حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - من إفتتاح مجزرة حديثة و هي مجزرة معيصم رقم ٣ .

وقد وفرت المملكة لهذا المشروع جميع المتطلبات اللازمة للتأكد من توافر كل الشروط الشرعية والصحية في الأنعام التي تعرض في جميع المجازر الواقعة تحت إشراف المشروع .

وقد بلغ مجموع ما تمت منه الإفادة من الأغنام حتى عام ١٤٢٤هـ ٩,٧٧٢,٢٣٣ رأساً (أنظر جدول ١) .

أما بالنسبة لعدد ذبائح الجمال والأبقار البالغ مجموعه ١١٧,٨٨٨ ذبيحة، فقد تم توزيعها بالكامل على فقراء الحرم ، بالإضافة إلى ما وزع عليهم من لحوم الأغنام .

جدول (١): بيان بأعداد ذبائح الأغنام التي تمت الإفادة منها منذ تأسيس المشروع

١٤٠٣هـ وحتى موسم حج ١٤٢٤هـ (٤)

السنة	العدد الذي تمت الإفادة منه	الموزع منها على فقراء الحرم والجمعيات الخيرية في المملكة	ما تم نقله للدول الإسلامية	عدد الدول المستفيدة
١٤٠٣هـ	٦٣,٠٠٠	٨,١٥٦	٥٤,٨٤٤	٣
١٤٠٤هـ	١٨٦,١٩٥	٤٢,٧٤٢	١٤٣,٤٥٣	٦
١٤٠٥هـ	٣٠٧,٣٦٦	١٢٦,٨٠٨	١٨٠,٤٥٨	٨
١٤٠٦هـ	٣٥٠,١٤٠	١٢٩,٠٣٢	٢٢١,١٠٨	١٥
١٤٠٧هـ	٤٧٨,٩٤٤	١٨٦,٩٣٣	٢٩٢,٠٦١	٢٠
١٤٠٨هـ	٤٧٣,٦٧٣	١٣٩,٥٩٣	٣٣٤,٠٧٩	٢٢
١٤٠٩هـ	٤٩٥,٥٩١	١٧٣,٨٧٩	٣٢١,٧١٢	٢٢
١٤١٠هـ	٤٨٥,٣٥٥	١٦٨,٦٢٩	٣١٦,٧٢٧	٢٣
١٤١١هـ	٤١٠,٥٥٦	١٠٩,٠٧٠	٣٠١,٤٨٦	٢٣
١٤١٢هـ	٥٢٥,٣٩١	٢٨٢,٩٠٠	٢٤٢,٤٩١	٢٣
١٤١٣هـ	٤٣٤,٠٨٥	١٥١,٧٦٥	٢٨٢,٣٢٠	٢٣
١٤١٤هـ	٥٢٠,٠٧٤	٢٤١,٠٧٤	٢٧٩,٩٠٠	٢٦
١٤١٥هـ	٤٣٤,٤١٤	٢٠٦,٨٦٠	٢٢٧,٥٥٤	٢٦
١٤١٦هـ	٤٣١,٩٩١	١٥٨,٤١١	٢٧٣,٥٠٠	٢٦
١٤١٧هـ	٤١٦,٩٨٥	١٤٥,٤٨٥	٢٧١,٥٠٠	٢٦
١٤١٨هـ	٤٤٠,٧٥٢	١٧٢,٢٥٢	٢٦٩,٥٠٠	٢٤
١٤١٩هـ	٤٦٩,١٥٠	١٨٧,١٥٠	٢٨٢,٠٠٠	٢٦
١٤٢٠هـ	٤١٥,٣٦٩	١٣٧,٣٦٩	٢٧٨,٠٠٠	٢٦
١٤٢١هـ	٦١٧,٦٧١	٣٨٠,٦٧١	٢٣٧,٠٠٠	٢٣
١٤٢٢هـ	٥٩٧,٢٠٨	٣٩٨,٤٠٨	١٩٨,٨٠٠	٢٢
١٤٢٣هـ	٦٢٩,٧٠٠	٣٧٧,٧٠٠	٢٥٢,٠٠٠	٢٣
١٤٢٤هـ	٥٩٣,٠٩٢	٢٣١,٠٩٢	٢٤٢,٠٠٠	٢٢
مجموع الإفادة من الأغنام	٩,٧٧٢,٢٢٣	٤,٢٤٣,٢٣٠	٥,٥٢٩,٩٩٣	

برنامج توزيع لحوم الهدى

يتولى البنك الإسلامي للتنمية عمليات توزيع لحوم الهدى والفدية على فقراء الحرم، ثم نقل الفائض منها عن طريق البر والبحر والجو إلى المستحقين داخل وخارج المملكة العربية السعودية (أنظر جدول رقم ٢) .

جدول (٢)

برنامج توزيع لحوم الهدى لمواسم حج أعوام ١٤٢٠هـ - ١٤٢٤هـ (١١) (3)

الدولة	١٤٢٠هـ	١٤٢١هـ	١٤٢٢هـ	١٤٢٣هـ	١٤٢٤هـ
أذربيجان	٢٥٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
الأردن	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠
البوسنة والهرسك ❖	١٠٠٠٠	-	-	-	-
السنغال	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
السودان	٢٠٠٠٠	١٨٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
النيجر	-	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠
إيران ❖	-	٢٠٠٠٠	-	-	-
باكستان	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
بنغلاديش	٥٧٠٠٠	٦٩٠٠٠	٥٩٠٠٠	٥٩٠٠٠	٥٩٠٠٠
بوركينافاسو	-	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠
تشاد	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
تنزانيا	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠
جامبيا	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
جزر القمر	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠
جيبوتي	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٧٠٠٠
سوريا	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
سيراليون	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
غانا	-	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠
غينيا بيسار	٥٠٠٠	٥٠٠٠	-	٥٠٠٠	٥٠٠٠

تابع جدول (٢)

الدولة	١٤٢٠هـ	١٤٢١هـ	١٤٢٢هـ	١٤٢٣هـ	١٤٢٤هـ
غينيا كوناكري	٥٥٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
فلسطين	١٠٠٠٠	-	١٨٠٠	٣٠٠٠٠	-
لبنان	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	٣٥٠٠٠	٥٥٠٠٠
مالي	-	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠
مصر	٣٠٠٠٠	-	-	-	-
موريتانيا	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
موزمبيق	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠
مجموع ما تم توزيعه خارج المملكة	٢٦٠٠٠٠	٢٣٧٠٠٠	١٩٨٨٠٠	٢٥٢٠٠٠	٢٤٢٠٠٠
مجموع ما تم توزيعه على فقراء الحرم	١٥٥٣٦٩	٣٨٠٦٧١	٤١٣٩٢٢	٣٧٧٧٠٠	٢٣١٠٩٢
الإجمالي العام	٤١٥٣٦٩	٦١٧٦٧١	٦١٢٧٢٢	٦٢٩٧٠٠	٥٩٣٠٩٢

- تم إرسال عدد (٢٠,٠٠٠ ذبيحة) من الأغنام لجمهورية العراق في موسم حج ١٤٢٤هـ .
- ❖ لم يتمكن البنك من إرسال اللحوم إلى البوسنة و الهرسك و إيران في تلك الفترة بسبب الأوضاع السياسية هناك .

تطوير العنصر البشري

لا شك في إن هذا الكم الهائل من الذبائح والبالغ ٦٠٠ ألف ذبيحة (يتم ذبحه في الوقت الشرعي المحدد البالغ حوالي ٨٤ ساعة فقط) في موسم حج كل عام يحتاج إلى عنصر بشري من مختلف الفئات الفنية والعلمية والكوادر المتميزة في إدارة وتشغيل هذا المشروع كما يحتاج المشروع إلى طاقم تقني مميز وعمالة قادرة على إنجاز هذه الأعمال الإدارية والفنية و البيطرية من الذبح والسلخ والتجوييف والغسل والتجوييف والتعبئة

والنقل وغيرها من الإجراءات اللازمة لتجهيز ذبائح الهدى والأضاحي صالحة للإستهلاك الآدمي.

ويعمل في مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي أعداد كبيرة من المشرفين والأطباء البيطريين والإداريين والجزارين ومساعدى الجزارين والعمالة الفنية المساعدة وعمال النظافة الذي يتبعون أمانة العاصمة المقدسة ، وقد بلغ إجمالي عدد العاملين في المشروع في موسم حج هذا العام ١٤٢٥هـ نحو ٣٥٤٠٠ شخص وذلك وفق الجدول رقم (٣) ، كما يتم تأمين الملابس والمآكل والإقامة والخدمات الصحية والمكافآت المادية لجميع العاملين في المشروع (١٤) (3,4) .

جدول (٣)

بيان بعدد العاملين بمجازر مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي حج عام ١٤٢٥هـ (١٢)

الرقم	نوع العمالة	العدد
١	طلبة العلم	٤٠٠
٢	الأطباء البيطريين	٧٠٠
٣	الجزارون والعمالة المساندة والفنيين من خارج المملكة وعمال النظافة	٣٠,٠٠٠
٤	موظفون من داخل البنك	٤٠٠
٥	موظفون من خارج البنك	١٥٠٠
٦	مشرفوا فني الصيانة	٢٠٠٠
٧	عمال موردي الأغنام	٤٠٠
المجموع الكلي		٣٥,٤٠٠ مشاركاً

والجدير بالذكر إن المشروع يتيح التدريب العملي وخدمة أضحية الحجاج والإحتكاك العلمي مع تبادل الآراء والمنافع العلمية بين طلبة العلم من الكوادر المحلية

والإسلامية العالمية (طلاب كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية من جامعة الملك فيصل في الأحساء وكلية الطب البيطري والزراعة من جامعة القصيم وطلبة كليات الشريعة من مختلف جامعات المملكة وغيرهم) مع مجموعة الأطباء البيطريين من الخارج (مصر وسوريا والأردن) ومختلف البلاد الإسلامية (٣، ٦، ٨) حيث يصل أعدادهم حوالي ٧٠٠ طبيباً بيطرياً .

وسنشير هنا إلى التجربة الناجحة لجامعة الملك فيصل في المشاركة السنوية في هذا المشروع المتميز .

مشاركة جامعة الملك فيصل الممثلة في كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية من الأحساء :

بناءً على طلب معالي رئيس البنك الإسلامي للتنمية - حفظه الله، قبل حلول موسم حج كل عام من معالي مدير جامعة الملك فيصل - أثابه الله، الاستعانة بمجموعة من طلاب المرحلة النهائية للتخرج من كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية في الأحساء الذين نجحوا في مادة الرقابة الصحية على اللحوم لتدريبهم في مجازر مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدي والأضاحي.

تمت مشاركة الجامعة الممثلة ببعثة كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية، منذ عام ١٤١٠هـ - ١٤٢٥هـ بمجموعة من المشاركين بلغت ٤١٩ مشاركاً منهم ٣٣٢ طالباً و ٣٠ طبيباً بيطرياً و ٥٧ مشرفاً و عضو هيئة تدريس (المتخصصين في الرقابة الصحية على اللحوم وأمراض الحيوان وغيرها)، و تراوحت أعدادهم في المشاركة السنوية ما بين ١٢ - ٥٤ طالباً وطبيباً ومشرفاً في مختلف مواسم حج كل عام.

يقوم الطلاب والأطباء البيطريين والمشرفين في مواسم حج كل عام بعمل الرقابة الصحية على الحيوانات قبل الذبح بتطبيق جميع متطلبات الشريعة الإسلامية و علوم الطب البيطري، وعلى لحومها بعد الذبح ومراقبة عملية الذبح والتأكد أنه يتم وفق

الأسس الشرعية كإستقبال القبلة والتكبير والإحسان إلى الذبائح أثناء ذبحها أو نحرها ونحوه . و في ذلك للطلبة تثبيت و تطبيق الشرائع الإسلامية و القواعد الصحية والعلمية في علم اللحوم .كما يقوم الطلبة في المشاركة التامة في جميع الأعمال الصحية البيطرية الفنية اللازمة في مراقبة الإدماء الكامل للذبائح بعد ذبحها أو نحرها وضبط صحة عملية السلخ والتجفيف والتجهيز والغسيل والتعبئة والتجميد والتقطيع والنقل وغيرها . و لا سيما يشارك الطلاب و الأطباء البيطريين تحت إشراف مشرفيهم، أثناء الرقابة الصحية على الحيوانات قبل الذبح و النحر، برفض وعزل جميع الحيوانات المرفوضة شرعياً و صحياً بيطرياً قبل الذبح بوضع علامة مميزة عليها بالون الأخضر أو الأحمر. أما بعد الذبح فيشاركون أيضاً (تحت الإشراف) بتشخيص مختلف الأمراض التي قد تُصيب حيوانات الهدي و الأضاحي .



مشاركة الطلبة في مسلخ المعيصم ١ في منى

وكما أدت المشاركة إلى التفاعل التام بين بعثة الجامعة و البعثات الخارجية والداخلية الأخرى من الأطباء من الدول الإسلامية في المناقشات العلمية المفيدة للمشروع.

و كما تعتبر مشاركة جامعة الملك فيصل بالكادر الوطني من الطلاب و الأطباء خطوة مُستمرة من عشرات السنوات لدعم المشروع الذي يتم تنفيذه تحت إشراف فضيلة المشايخ و تنفيذ البنك الإسلامي للتنمية ، و أتاحت فرصة المشاركة إلى بلورة العديد من الإيجابيات المُتمثلة في مضمار علوم الرقابة الصحية على اللحوم خاصة التشريعات والأحكام وتطبيقها وتقديم الإقتراحات الهامة للمشروع المتعلقة بالرقابة الصحية على حيوانات الهدي و الأضاحي قبل و بعد الذبح و الطرق المثلى لغسيل لحومها وإدخال الإختبارات المعملية السريعة والضرورية في المشروع وغيرها...حيث تم تقديم هذه الدراسات الموثقة من بعض أعضاء هيئة التدريس الخاصة بصحة وسلامة الهدي والأضاحي ، في الندوات العلمية (٦،٧).

و قد أتى البنك الإسلامي للتنمية على الأداء المتميز ، الذي قام به فريق الجامعة الطبي و الذي كان له الأثر الكبير في إنجاح المشروع .

أبعاد مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدي والأضاحي

لقد خص الله تعالى هذا البلد الأمين ببيته المعمور و حرمه المقدس و مسجد نبيه المصطفى المختار صلى الله عليه و سلم الذي يقصده ملايين المسلمين من فجاج الأرض قاطبة من حجاجاً و معتمرين و زوار .

أهداف المشروع ومنافعه :

تولي المملكة العربية السعودية أدامها الله اهتماماً خاصاً ومتابعة وعناية مخصصة بمشروعها للإفادة من الهدي والأضاحي ، بل في كل ما يتعلق بالحج والحجيج كما

يعتبر تأسيس ورعاية هذا المشروع الإسلامي الخيرية في المساعدة والتكافل الاجتماعي والأخلاقي للمسلمين وفي تحسين وتسهيل نسكهم .

أولاً : البعد الديني

تتجلى أبعاد المشروع (٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤) في منافع نبيلة الغايات هامة للمسلمين حيث هي أهداف الإسلام وتنفيذ أوامر الدين الحنيف ليشهد المسلمون المنافع من الحج ومن شعائره ومن أهمها الإفادة من اللحوم بتوزيعها على فقراء الحرم، ونقل ما يفيض منها إلى فقراء المسلمين في أنحاء العالم وتحقيق التكافل الإسلامي بمتابعة أحوال الفقراء و توسيع دائرة المستفيدين من المشروع.

ثانياً : البعد الصحي والبيئي

- ١- تحقيق المتطلبات الشرعية والصحية البيطرية في الأنعام التي تذبح واللحوم التي توزع.
- ٢- المحافظة على صحة البيئة والحد من العدوى وإمكانية التلوث وانتقال الأمراض المعدية وانتشارها بسبب الذبح العشوائي و الغير صحي خارج مجازر المشروع والتلوث البيئي بمخلفات الهدي والأضاحي .
- ٣- تتحقق صحة الإفادة من اللحوم خلال الحصول على الجودة العالية للحوم مع تأمين عمليات التغليف والتجميد والحفظ والنقل لتبقى صالحة للاستهلاك الآدمي.
- ٤- الرعاية المتواصلة للرقابة الصحية البيطرية على صحة الأنعام سواء قبل الذبح أو بعد الذبح في مواسم الحج والتخطيط على رعايتها على مدار السنة .
- ٥- نشر الوعي الصحي بين الفقراء المستفيدين والمسلمين وغيرهم عامة بالإرشاد و التوعية .

٦- تأمين جميع المتطلبات الصحية والفنية (الماء والكهرباء والمعدات والكادر والأيدي العاملة والغذاء) اللازمة لإنجاح المشروع .

ثالثاً : الانعكاسات التكافلية للمشروع

الاستفادة من مخلفات الهدى والأضاحى وتوزيع عائدها على فقراء الحرم ومثال ذلك نذكر :

- مشروع إنتاج الجيلاتين الحلال من مخلفات مجازر المشروع (١٤,١٢).
في إطار سعي مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحى إلى الاستفادة الكاملة من جميع أجزاء الذبيحة ، ووفقاً لتوجيه العلماء الأجلاء ، فإن الجلود والأمعاء يمكن بيعها ، و توزيع ثمن البيع على فقراء الحرم ، وبناء على ذلك ، فإن ثمن بيع الجلود والأمعاء يتم توزيعه على فقراء الحرم سنوياً ، بمعرفة لجنة يرأسها رئيس المحكمة الشرعية الكبرى في مكة المكرمة (١١) .

وقد واجه المشروع صعوبات في بيع جلود الأغنام التي تذبح في مجازر المشروع بسبب ما يلحق بهذه الجلود من شقوق ناتجة عن سرعة الجزارين في عملية السلخ، حيث إن الجزارين يتقاضون أجورهم على عدد رؤوس الأغنام التي يتم ذبحها وسلخها، وذلك لتشجيعهم لإنجاز أكبر عدد ممكن في الزمن الشرعي المحدد، وهو من بعد صلاة عيد الأضحى المبارك حتى مغرب رابع يوم عيد الأضحى، أي حوالي ٨٤ ساعة، يتواصل فيها العمل بالتناوب ليلاً ونهاراً . وقد أدت هذه السرعة في العمل لأنها و الذبح في الوقت الشرعي و كذلك لخدمة مصلحة الجزار المادية في إنجاز أكبر عدد ممكن من الذبائح في الوردية، إلى تقطيع نسبة كبيرة من الجلود، مما جعل تجار الجلود يعزفون عن شرائها . لذلك فكر البنك في الاستفادة من الجلود لتصنيع الجلاتين فتم إنشاء شركة يُساهم فيها. ومن المعروف أن معظم الجيلاتين الموجود في أسواق العالم يؤخذ

من الخنزير وبقية الحيوانات الأخرى المحرمة كالكلاب وغيرها، سواء أكان لأغراض طبية مثل كبسولات الأدوية أم للاستعمال في المواد الغذائية.

وقد اشترى المشروع في عام ١٤١٨ هـ قطعة أرض مساحتها تزيد على ٣٠٠ ألف متر مربع في منطقة العسييلة، على بعد حوالي ٢٠ كم من مجزرة المعيصم رقم ١، وتم تجهيز جزء من هذه الأرض لاستقبال الجلود من المجازر، حيث يتم تمليحها وتجفيفها وتهيئتها لاستخراج الجيلاتين منها (١١).

رابعاً : البعد الاقتصادي

لا شك أن المشروع له أبعاد اقتصادية نبيلة في الحد من عمليات الهدر والتبذير في رمي الذبائح الصالحة وانتشارها كما كان يحصل سابقاً. والآن يتم توزيعها على المسلمين في عدد من دول العالم الإسلامي وصدق قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (سورة الفرقان: آية ٦٧) وصدق أيضاً قوله تعالى: ﴿ ... وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الأنعام: آية ١٤١) وفي قوله تعالى: ﴿ ... أَجَلَتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَتْعِمِ ... ﴾ (سورة المائدة: آية ١)، وفي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ... ﴾ (سورة المائدة: آية ٣). وصدق قوله تعالى: ﴿ وَاللَّاتَّعَمَرَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (سورة النحل: آية ٥ - ٦). وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴾ (سورة الإسراء: آية ٢٧).

خامساً : تأمين الوظائف للعاملين في المشروع

يؤمن مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي عدداً كبيراً من الوظائف الموسمية للعاملين (حوالي ٣٥ ألف عامل) في هذا المشروع العملاق. وكما يتم تطويره وتوسيعه في المشاعر المقدسة وهذا دليل على بعده الخيري الكريم .

الخاتمة :

يتم في موسم حج كل عام ذبح ونحر مئات الألوف من حيوانات الهدى والأضاحي في فترة وجيزة تتطلب مختلف التجهيزات والإجراءات الصحية والوقائية في هدف المحافظة على صحتها ومطابقتها للأحكام الشرعية والصحية البيطرية . كما تتميز مختلف هذه الإنشاءات و التجهيزات والإجراءات الصحية والوقائية التي تقدمها المملكة العربية السعودية لمشروع الإفادة من الهدى والأضاحي بالجودة والخاصية . كما يتم تطوير هذه الخدمات منذ إنشاء مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي وذلك بالجهود التي تقدمها المملكة العربية السعودية في الحج وخدمة المسلمين .

كما يعتبر مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي إنجازاً عملاقاً وتكافلاً إسلامياً سهل فيه نسك المسلمين وقفزة نوعية تم فيها تحقيق مردوداً صحياً وبيئياً هاماً في مكة المكرمة قبلة المسلمين حاضرة الماضي والمستقبل .

المراجع :

المراجع العربية

١. أنظمة وتعليمات (١٩٧٥): صحة البيئة في بلديات المملكة العربية السعودية، إعداد الجهاز الفني بالإدارة العامة لصحة البيئة، الرياض .
٢. التقارير السنوية لعام ١٤١٥هـ - ١٤٢٥هـ مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي، جدة .
٣. الطبري، غسان فايز (١٩٩٥/١٤١٥): مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الحوم الهدى والأضاحي، الخدمات والإجراءات الصحية البيطرية، البنك الإسلامي للتنمية، جدة .
٤. الطبري، غسان فايز (٢٠٠٠/١٤٢١): محتوى الرقابة الصحية البيطرية على اللحوم، الندوة الأولى لسلامة الأغذية، كلية العلوم الزراعية والأغذية، الأحساء ٤٤ - ٤٧ .
٥. الطبري، غسان فايز والدغيم، عبدالله محمد : التسمم الغذائي ودور الأجهزة الرقابية في الحد منه ندوة سلامة الأغذية ن دور المواطن والمسؤول، الدمام المملكة العربية السعودية، ٢١ - ٢٤ محرم ١٤٢٢هـ الموافق ١٥ - ١٨ أبريل ٢٠٠١م .
٦. الطبري، غسان فايز وغيره (٢٠٠٣/١٤٢٤): إجراءات الرقابة الصحية البيطرية لحيوانات الهدى والأضاحي . ندوة الأمراض الحيوانية - البشرية المشتركة ١٢ - ١٤ رجب ١٤٢٤هـ الموافق ٩ - ١١ سبتمبر ٢٠٠٣م، جامعة أم القرى، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج .
٧. الطبري، غسان فايز، الشامي، صلاح عبدالعزيز (٢٠٠٥/١٤٢٥): تأثير غسيل لحوم الهدى والأضاحي بالماء على انخفاض نسبة التلوث بالبكتيريا ١٢ - ١٤ رجب ١٤٢٤هـ الموافق ٩ - ١١ سبتمبر ٢٠٠٣م . جامعة أم القرى، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج .
٨. الطبري، غسان فايز (٢٠٠٢هـ/٢٠٠٢م) الإفادة من لحوم الهدى والأضاحي في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - ندوة التنمية الزراعية و الموارد المائية في عهد خادم الحرمين الشريفين، ص ١ - ١١، جامعة الملك فيصل، الأحساء.

٩. الطبري، غسان فايز (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) مسالخ الإبل، مجلة العلوم و التقنية، مدينة الملك عبد العزيز، السنة الثالثة عشر، العدد ٧٠، الجزء الثالث، ص ٥٠ - ٥٤ .
١٠. مشروع (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي، إدارة البنك الإسلامي للتنمية، ص ١ - ٥ .
١١. مشروع (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي خلال عشر سنوات، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ص ١ - ١٥ .
١٢. مشروع (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي، إدارة البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ص ١ - ٥ .
١٣. مشروع (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي، إدارة البنك الإسلامي، جدة، ص ١ - ٥ .
١٤. مشروع (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدى والأضاحي خلال عشرين عاماً، البنك الإسلامي للتنمية، جدة .
١٥. المواصفة القياسية السعودية (م ق س) ١٩٩٢: اشتراطات ذبح الحيوان طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية رقم ٦٣٠/١٤١٠هـ، الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس، الرياض.
١٦. م ق س ١٩٨٨/٤٤ : لحوم البقر والجاموس والضأن والماعز الطازجة، الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس، الرياض .
١٧. م ق س ١٩٩٨/١١٦: لحوم البقر والجاموس والضأن والماعز المبردة والمجمدة، الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس، الرياض .
١٨. م ق س ١٩٩٩/١٥٤٢: حدود المستويات الإشعاعية المسموح بها في المواد الغذائية، الجزء الأول. الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس، الرياض .

المراجع الأجنبية

18. Gracy J.F and Collins D.S (1999): Meat Hygiene, Ninth Edition, Bailiere Tindall, London Philadelphia, Toronto, Mexico City , Rio De Janeiro, Hong Kong.
19. H. Beganovic A. (1983): Veterinarsko-sanitarni nadzor proizvodnje i promenta mesa., Sarajevo.
20. Islamic Development Bank (1425H/2004): The Saudi project for utilization of sacrificial animals. Managed By The Islamic Development Bank, Jeddah, 1425 H .
21. Islamic Development Bank (1425H/2004): The Saudi project for utilization of sacrificial animals. Managed By The Islamic Development Bank, Jeddah, pp- 1-15 .
22. Wilson A. (1998): Practical Meat Inspection, Sixth Edition, Blackwell Scientific Publications, oxford London , Edinburgh, Melbboourne .

The Project of Kingdom of Saudi Arabia for the Utilization of Hadi and Sacrificial Meat: Achievement and Solidarity

Gassan F. Al-Tabri , Salah A. AL-Shami and Adel I. AL-Afaleq
College of Veterinary Medicine and Animal Resources,
King Faisal University, Al-Ahsa, Saudi Arabia

Abstract :

This paper stresses on the significance, benefits and services offered by the Saudi Arabia project for benefiting from sacrificed animals during pilgrimage under the supervision of the Islamic Development Bank. It also emphasizes the importance of veterinary inspection services as an integral part of the project.

The services and achievements fulfilled by the project every Hajj season, especially with regards to veterinary hygiene and public health aspects, are unique. This is because of the large numbers of animals sacrificed in a very limited period. During this period various procedures concerning meat inspection and hygiene strictly applied to guarantee a safe and disease free meat for human consumption, complying with Islamic rules and standard hygiene measures. This project is only a part of the tremendous facilities and services rendered by the Kingdom for Moslems during Hajj season.

The paper puts forward some recommendations which include: intensifying Veterinary inspection services for animals entering Makkah during Hajj period; setting specific format for veterinary health certificate to be implemented in the kingdom ; appointment of an advisory committee of specialists in the field of meat hygiene, production and technology ; setting standard specifications for animals to be sacrificed at pilgrimage, and establishment of animal production farms to be sponsored and supervised by the project authorities .

مقومات وعوامل تنشيط السياحة في منطقة مكة المكرمة

عبدالمحسن بن حسين العرفج

كلية العلوم الإدارية والتخطيط - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

المخلص :

أجريت هذه الدراسة على عينة ميسرة مكونة من ٧٥ مفردة وذلك لغرض التعرف على خصائص الشريحة التي تزور منطقة مكة المكرمة (مكة المكرمة وجدة والطائف) لغير غرض الحج أو العمرة في رمضان، وللتعرف على دوافعها ومستوى رضاها عن الخدمات السياحية المقدمة بها. وقد اقترحت الدراسة بعض الخصائص لهذه الشريحة من حيث عدد مرات الزيارة ووقتها ومتوسط المدة التي يتم قضاءها ووسيلة النقل المستخدمة ونوع السكن وحجم المصروف اليومي والمرافقين.

وجدت الدراسة أن أهم سبب لزيارة منطقة مكة المكرمة هو أداء العمرة والتعبد إلى الله تعالى، كما اقترحت الدراسة أن مستوى الرضا عن المغريات السياحية غير مرتفع. وقد أوصت الدراسة بأن على القطاعين العام والخاص العمل على الارتقاء بعوامل الإنتاج وتطويرها، وبما ينعكس على تقديم خدمات سياحية متميزة وذات قيمة مضافة مرتفعة. كما ينبغي أن يتم تشكيل طبقة سياحية مكونة من مكة المكرمة وجدة والطائف بحيث تقتصر المغريات السياحية في مدينة مكة المكرمة على المغريات الدينية فقط، وأن يتم بناء المغريات الترفيهية والمغريات السياحية الأخرى كالمغريات الثقافية والرياضية في جدة والطائف.

المقدمة:

تولي معظم دول العالم اهتماماً كبيراً بالسياحة باعتبارها مصدراً رئيساً من مصادر الدخل وعاملاً مهماً في تحسين ميزان المدفوعات. وتشير بعض الإحصاءات إلى أن أوروبا تعتبر أكبر مستفيد من السياحة بنسبة ٥٢,٧٪ من إجمالي عوائد السياحة العالمية تليها أمريكا الشمالية بنسبة ٢٧٪ في حين تبلغ نسبة عوائد كل من جنوب آسيا

والشرق الأوسط ١٪ و ٢٪ على التوالي وذلك في عام ١٩٩٨م. كما تشير الإحصاءات إلى أن عوائد السياحة على المستوى العالمي زادت بمعدل متوسط بلغ ٩٠٪ خلال الستة عشر سنة الماضية لتصل إلى ٤٧٦ بليون دولار عام ٢٠٠٠م. وفي تلك الفترة زاد عدد السياح بمعدل ٤٦٪ سنوياً ليصل إلى ٦٩٨ مليون سائح، تمثل الولايات المتحدة الأمريكية أكبر الدول على المستوى العالمي في عائدات السياحة حيث بلغت حصيلتها ٧٤,٤ بليون دولار، تليها كل من أسبانيا وفرنسا وإيطاليا حيث بلغت عوائد كل دولة منها حوالي ٣٠ بليون دولار تقريبا (الهيئة العليا للسياحة، ١٤٢٢: Munoz, 2004).

وفي المملكة العربية السعودية بدأت صناعة السياحة تشغل أهمية متزايدة في الاقتصاد السعودي، حيث يعول عليها كثيراً في تحفيز النمو الاقتصادي وتنويع مصادر الدخل وخلق المزيد من فرص العمل وتحسين وضع ميزان المدفوعات (وزارة التخطيط، ١٤٢٠). وتشير بعض الدراسات إلى أن حجم السياحة داخل المملكة سواء من السياح المحليين أو الدوليين عام ٢٠٠١م يقدر بحوالي خمسة وثلاثين مليار ريال، وأن مساهمة السياحة في الناتج المحلي الإجمالي في نفس العام بلغت حوالي ٥,٥٪، مما يدل على أهمية هذا القطاع وأنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد قطاعي النفط والصناعات التحويلية (الطيبار، ٢٠٠١، بواعنه، ٢٠٠٢، داغستاني، ٢٠٠٢).

وقد توقعت الهيئة العليا للسياحة إمكانية مضاعفة إنجازات قطاع السياحة في المملكة خلال فترة العشرين عاماً المقبلة بمعدل نمو سنوي يقدر بنحو ٤٪. كما أشارت في أحد تقاريرها إلى خطورة ارتفاع معدل نمو السياحة الخارجية إلى مستوى أعلى من معدل نمو السياحة الداخلية، مما يؤدي إلى انعكاسات سلبية على استثمارات القطاع الخاص. كما أوصت بترتيب أولويات شرائح السوق كالأتي: سياحة المواطنين ثم الزوار الخليجين والعرب الوافدين لأداء العمرة ثم السياحة المتخصصة لأغراض الترفيه والسياحة البيئية وغيره (الهيئة العليا للسياحة، ١٤٢٣هـ).

والسياحة صناعة لها مقوماتها وخصائصها كأى صناعة أخرى، لذلك كان لزاماً اللجوء للدراسات والأبحاث لفهم واستيعاب أبعادها، واتخاذ القرارات المتعلقة بها بناءً على النظريات العلمية والممارسات الناجحة ونتائج الدراسات. ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتبحث في بعض الجوانب المتعلقة بالسياحة في المملكة وعلى وجه الخصوص السياحة في منطقة مكة المكرمة، وذلك لغرض مساعدة أصحاب العلاقة من متخذي القرارات في كل من القطاع العام والخاص في اتخاذ القرارات السليمة. تبحث الدراسة ثلاث جوانب استراتيجية تتعلق بالسياحة هي: نوعية العملاء الأكثر احتمالاً لزيارة منطقة مكة المكرمة والسياحة بها من حيث خصائصهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية، الأسباب والدوافع التي تدعوهم لزيارة منطقة مكة المكرمة، وأخيراً مستوى رضاهم عن الخدمات المقدمة في منطقة مكة المكرمة والخصائص التي تتصف بها.

تشمل الدراسة الأجزاء التالية :

أهداف الدراسة :

تعتبر السياحة إحدى الدعائم الرئيسة لاقتصاديات الكثير من دول العالم نظراً للتأثير الذي تحدثه على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومنطقة مكة المكرمة والتي تشمل كل من مكة المكرمة وجدة والطائف تزخر بأصول تاريخية ودينية وبالعديد من المكتسبات الجمالية والترفيهية، والتي يمكن أن تكون زيارتها والسياحة فيها مصدراً اقتصادياً هاماً وأحد بدائل السياحة الخارجية للعديد من مواطني المملكة. ومع كل هذه الإمكانيات تظل تلك المنطقة، وإن حققت بعض النجاحات غير قادرة على استقطاب سياح من داخل المملكة بالحجم وبالإنفاق الذي يوازيهما في الخارج (كامل، ١٤١٩؛ الهيئة العليا للسياحة، ١٤٢٣هـ).

ومن هذا المنطلق ومما سبق ذكره تأتي هذه الدراسة لتبحث في المقومات والعوامل الداعمة للنشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة، وذلك بهدف مساعدة متخذي القرار في القطاعين العام والخاص لاتخاذ القرارات المناسبة التي من شأنها تطوير منطقة مكة المكرمة بحيث تكون مكاناً مناسباً لقضاء الإجازات بها لبعض شرائح المجتمع بدلاً من السفر لخارج المملكة، وبما يسهم في تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية. وهي في تحقيقها لهذا الهدف تحاول الإجابة على الأسئلة الثلاثة الاستراتيجية التالية:

١. ما هي خصائص الشرائح الأكثر احتمالاً لزيارة منطقة مكة المكرمة لغير غرض الحج أو العمرة في رمضان والمكوث فيها لمدة خمسة أيام فأكثر؟
٢. ما هي حاجات هذه الشرائح والأسباب و الدوافع التي تدعوها لاختيار منطقة مكة المكرمة لقضاء خمسة أيام فأكثر فيها أثناء الإجازات؟
٣. ما درجة رضا هذه الشرائح عن خصائص منطقة مكة المكرمة ومستوى الخدمات المقدمة بها؟

أهمية الدراسة :

تعد السياحة الداخلية في المملكة من المصادر الرئيسية للدخل بعد النفط والمنتجة لفرص وظيفية والمؤدية لنمو اقتصادي. كما أنها تلعب دوراً هاماً في تحفيز الطلب على العديد من الصناعات. ولقد أكدت خطة التنمية السابعة على ضرورة تطوير قطاع السياحة ليصبح أحد القطاعات الاقتصادية الهامة القادرة على تنمية مصادر دخل ذاتية وعلى الإسهام في التقدم الاقتصادي والاجتماعي (وزارة التخطيط، ١٤٢٠، داغستاني، ٢٠٠٢). هذا يعني أن النجاح في صناعة السياحة يعني نجاحاً لخطط المملكة التنموية، وبالتالي فإن النتاج العلمي لهذه الدراسة له أهميته.

كما تتضح أهمية هذه الدراسة من النتائج التي سيتم الوصول إليها والتوصيات التي سيتم اقتراحها. إن معرفة أنواع الناس التي يمكن أن تستهويها منطقة مكة

المكرمة ومعرفة رغباتهم ومستوى رضاهم عن الواقع الحالي لمنطقة مكة المكرمة سيكون مفيداً لمتخذي القرار في القطاع العام والخاص في تحديد ما يفترض اتخاذه من قرارات من شأنها دعم السياحة الداخلية في منطقة مكة المكرمة. المنافسة في صناعة السياحة قوية، سواء كانت بين الدول أو بين المناطق أو بين الشركات، لذا فمن المهم اتخاذ القرارات بناء على أسس علمية.

يضاف لما سبق أن الباحث وجد ندرة في الدراسات التي أجريت على السياحة الداخلية في المملكة، وبالتالي فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تسهم في سد ثغرة في هذا المجال.

الإطار النظري

يمكن تقسيم الإطار النظري للدراسة إلى أربعة محاور؛ يتضمن المحور الأول النظريات المتعلقة بتجزئة السوق وصولاً لبناء ميزة تنافسية وصورة ذهنية واضحة لدى العملاء، ويغطي المحور الثاني بعض الأدبيات المتعلقة بالسياحة بوجه عام وذلك لغرض تحديد الأسباب والعوامل المؤثرة في تقرير زيارة منطقة ما لغرض السياحة. أما المحور الثالث فيستعرض أهم إنجازات وتجارب دول مجلس التعاون الخليجي في صناعة السياحة. أخيراً يناقش المحور الرابع السياحة في المملكة العربية السعودية وذلك لإلقاء الضوء على واقع السياحة في المملكة والتعرف على نتائج بعض الدراسات ذات العلاقة.

تجزئة السوق وبناء الصورة الذهنية

تؤكد أدبيات الإدارة المتعلقة بالتسويق (Pride and Ferrell, 1995; Kotler and Armstrong, 1996) والإدارة الإستراتيجية (Hamel, 1996; Hill and Jones, 1995) وبناء الصورة الذهنية (Kaplan and Norton, 2004; Lehmann and Winer, 2002;) (Quelech, 1999; Tracy and Wiersema, 1995) وبتسويق الدول أو المناطق (Kotler, 1997; Porter, 1990) على أهمية أن يكون لصناعة ما (ولتكن صناعة السياحة) في

بلد أو منطقة ما مزايا مختلفة عن نفس الصناعة في بلد أو منطقة أخرى، وأن يكون ذلك التميز أو الاختلاف مرغوباً به لشريحة معينة من الناس (العملاء) وواضحاً لديهم.

كما تؤكد الأدبيات على أهمية أن يكون للصناعة في منطقة معينة تميز واضح في أحد المجالات بالإضافة إلى توفر الحد الأدنى في المجالات المختلفة حتى يمكن التسويق بنجاح لتلك الصناعة والمنطقة سياحياً (Kaplan and Norton, 2004; Tracy and Wiersema, 1995). من المهم لمنطقة ما أن تتميز السياحة بها مثلاً بالترفيه كميزة رئيسية، على أن تتوفر فيها كذلك الحدود الدنيا من المزايا الأخرى كالاسترخاء والتكلفة المناسبة. إن القدرة على تحديد ميزة واضحة لصناعة ما في منطقة معينة هي شرط لبناء صورة في أذهان الناس وعلامة تجارية مرموقة لتلك الصناعة والمنطقة (Branding) وهي شرط لتحديد رؤية (Vision) فعالة لهما.

وحيث إن لكل مجموعة من العملاء رغبات ومعايير يقومون بتقويم درجة توافرها مقارنة بالعروض المنافسة، وحيث أن لكل دولة (منطقة) خصائص معينة تجعلها غير قادرة على النجاح في كل شيء مقارنة بالمنافسين، لذا لا بد من التعرف على أنواع الناس الذين يمكن أن تستهويهم السياحة في منطقة مكة المكرمة والتركيز على الشرائح الواعدة وتحقيق رغباتها بشكل أفضل من المناطق الأخرى داخل وخارج المملكة من خلال بناء الميزة التي تتوافق و رغبات الشريحة المستهدفة.

ولقد خلصت أدبيات التسويق المتعلقة بمعايير تجزئة السوق إلى المعايير التالية:

١) وضع الاستعمال

قد يكون هناك اختلافات في طرق وأوضاع استعمال السلعة أو الخدمة من قبل العملاء، مما يتطلب أن تقوم الإدارة كخطوه أساسيه لتحديد العملاء بالتعرف على متى وأين وكيف يتم الشراء.

٢) رغبة العميل والفائدة التي يريجوها

يتم بعد معرفة وضع الاستعمال التعرف على رغبة العميل و الفوائد الرئيسية التي تجعله يلجأ لمنظمة أو منطقة ما للحصول منها على ما يريده. يقوم العملاء باستخدام تلك الفوائد كمعايير للمقارنة بين البدائل المختلفة. يرى الباحثون أن معيار رغبة العميل والفائدة المرجوة هو أهم المعايير التي يفترض استخدامها لتقسيم العملاء، وأن على المنظمات العاملة في صناعة ما لكي تجذب العملاء المستهدفين إليها أن تقوم بتوجيه كافة جهودها نحو تحقيق توقعات العملاء والفوائد المرجوة.

٣) حجم الشراء :

معيار آخر في تجزئة السوق هو تقدير ما إذا كان يمكن تمييز العملاء بناء على درجة الاستخدام وبالتالي حجم الشراء. هذا التقدير يفيد في تحديد أولويات الإدارة التي تركز غالباً على المستخدمين الكبار (الذين يشترون كمية كبيرة في المرة الواحدة، أو الذين يشترون مرات عديدة).

٤) صورة العميل المرغوب

يتضمن هذا المعيار وصف كل شريحة من العملاء بناء على بعض الخصائص، والتي قد تشمل واحداً أو أكثر من التالي: أ) ديموغرافية كالجنس، العمر، الحالة الاجتماعية، الديانة، الحالة التعليمية، وغيره. ب) جغرافية (المنطقة التي يقطن بها الزبون). ج) اقتصادية كمستوى الدخل، ونوع الوظيفة. د) اجتماعية والتي تتعلق بالشخصية، طبقة المجتمع، والجماعات المرجعية التي يتأثر بها العميل.

السياحة :

ظهرت قفزة سياحية على مستوى العالم نتيجة عدة متغيرات منها بروز ظاهرة العولمة وانضمام أكثر من ١٤٠ دولة لمنظمة التجارة العالمية والتي تتضمن إحدى اتفقاتها تحرير الخدمات، والتوجه نحو تقليل ساعات العمل وتوفير إجازات أكثر،

وبروز دور الإعلام السياحي. تشير إحدى الدراسات إلى أن النشاط السياحي على المستوى الدولي سوف يستمر في النمو بمعدلات كبيرة في المستقبل، حيث يتوقع أن تبلغ حجم الحركة السياحية الدولية حوالي ١٠١٨ مليون سائح عام ٢٠١٠م. كما تشير نفس الدراسة إلى أن دول الشرق الأوسط مقبلة على طفرة سياحية، حيث يتوقع أن يصل عدد زوارها إلى حوالي ١٨ مليون عام ٢٠١٠م بنسبة نمو تبلغ ٥٪ سنوياً في الفترة بين ٢٠٠٠-٢٠١٠م (World Tourism Organization, 1995).

و السياح في الداخل هم الأفراد الذين يتقلون داخل حدود بلدهم ويمكنون بعيداً عن المنزل لفترة تزيد عن ٢٤ ساعة (Mathieson and Wall, 1987). وتعد السياحة الداخلية من النشاطات الهامة التي تشجعها الدول وتعمل على تنميتها، حيث تساهم في زيادة الدخل و الرفاهية. لذا تمثل السياحة الداخلية نسبة مرتفعة من حجم النشاط السياحي العالمي، حيث أشارت تقديرات منظمة السياحة الدولية أن معدل الإنفاق السياحي على السياحة الداخلية يتراوح بين ٨٠.٧٥٪ من إجمالي الإنفاق السياحي العالمي، ويختلف هذا المعدل من بلد لآخر، حيث يبلغ هذا المعدل حوالي ٩٠٪ في الولايات المتحدة الأمريكية، وحوالي ٧٠٪ في المملكة المتحدة (World Tourism Organization, 1995; Munoz, 2004).

أنواع السياحة :

للسياحة أنواع، يمكن تحديدها تبعاً لمجموعة من الأبعاد حسب التالي (السياسي، ٢٠٠١؛ كامل، ١٩٧٥، عبيدات، ٢٠٠٠، العدوان، ١٩٩٦):

- المكان الذي يختاره السائح، وهنا قد تكون السياحة داخلية أو واردة أو صادرة. تتضمن السياحة الداخلية انتقال المواطن أو المقيم داخل الحدود السياسية لدولة معينة، ويمكن بعيداً عن منزله لفترة تزيد عن ٢٤ ساعة. أما السياحة الواردة فهي تتضمن حركة المسافر غير المواطن إلى دولة غير دولته، وهي تعرف بالسياحة الإيجابية فمجيء السياح الأجانب إلى دولة ما يساهم في تحسين الوضع المالي لتلك

الدولة عبر العملات الأجنبية التي يدخلها السائح إليه. أما السياحة الصادرة فهي تعني حركة المواطن إلى دولة غير دولته، و تعرف بالسياحة السلبية حيث أن خروجه إلى دولة أخرى يؤثر سلباً على ميزان مدفوعات دولته.

• عدد الأشخاص المسافرين، حيث قد تكون السياحة فردية أو جماعية. تتضمن السياحة الفردية سفر شخص أو اثنين أو عائلة. أما السياحة الجماعية فتعني سفر عدة أشخاص يربطهم رابط معين (نادي، جماعة، شركة، نقابة، وزارة، رحلة تنظمها إحدى شركات السياحة).

• وسيلة المواصلات المستخدمة، حيث قد تكون السياحة برية (السيارات الخاصة، القطار، الحافلات العامة والخاصة)، وقد تكون سياحة بحرية أو نهريّة (اليخوت، البواخر)، وقد تكون سياحة جوية من خلال استخدام الطائرات المختلفة.

• عمر السائح، وهذا البعد يقسم السياحة إلى سياحة الشباب (بين ١٦ وثلاثين عاماً)، سياحة متوسطي الأعمار (بين ٣٠ وستين عاماً)، سياحة كبار السن (فوق ستين عاماً).

• مستوى الإنفاق والطبقة الاجتماعية، كأن تكون السياحة سياحة أصحاب الملايين (الذين يسافرون بوسائلهم الخاصة كالطائرات واليخوت)، سياحة الطبقة المتميزة (تستخدم النوعيات الممتازة من الخدمات كفنادق الخمس نجوم ومقاعد الدرجة الأولى في الطائرات)، السياحة الاجتماعية أو العامة (ذوي الدخل المحدودة).

• طبيعة الموسم السياحي، كأن تكون السياحة شتوية (تتم عادة بين ديسمبر و مارس) أو صيفية (تتم عادة بين جون و سبتمبر).

• الهدف والدافع من الرحلة، كأن تكون السياحة تاريخية، ثقافية، علاجية، ودينية (ستناقش لاحقاً).

الأسباب والدوافع التي تدعو للسياحة :

تقترح الأدبيات ذات العلاقة بأن السياحة كمنتج تتكون من مزيج من العناصر، التي يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين هما؛ عناصر الجذب السياحي وعناصر الخدمات والتسهيلات السياحية (الجلاد، ٢٠٠٠، عبيدات، ٢٠٠٠، سماره، ٢٠٠١). يمكن تصنيف عناصر الجذب السياحي تبعاً للهدف أو الدافع إلى عدة تقسيمات تشمل التالي (Huybers, 2003; Niininen et al., 2004):

- مغريات ترفيهية، حيث يبحث السائح عن الراحة والاستجمام بعيداً عن روتين الحياة المعتاد.
- مغريات ثقافية، ينشد السائح التعرف على عادات الشعوب جديدها وماضيها).
- مغريات علاجية (يرغب السائح الاستفادة من المقومات الطبيعية الموجودة بالبيئة كالمناخ الجيد والرمال الدافئة والعيون الكبريتية والمعدنية، كما يعد توافر الكوادر والكفاءات البشرية المتخصصة كالأطباء من العوامل المساعدة على نمو هذا النوع من السياحة).
- مغريات دينية (تلبية نداء الدين كزيارة مكة لغرض الحج و العمرة).
- مغريات رياضية (الرغبة في ممارسة أنواع معينة من الرياضة كالغوص).
- حضور المؤتمرات والاجتماعات (حضور اللقاءات والمؤتمرات والدورات العلمية).
- المعارض (حيث يرغب السائح حضور معرض أو مهرجان معين).

أما بالنسبة للخدمات والتسهيلات السياحية المصاحبة لعناصر الجذب السياحي فتشمل التالي:

- الإقامة كالفنادق والمخيمات والمساكن الخاصة.
- صناعة تقديم خدمات الطعام والشراب من خلال المطاعم والكافيتريات.
- الخدمات الداعمة كتوفير محال التذكارات السياحية والمحلات التجارية وخدمات الغسيل وكي الملابس وخدمات الإرشاد إجمالاً.

- النقل بوسائله المختلفة، سواء كان ذلك على المستوى العالمي (وسائل النقل المستخدمة في نقل المسافرين من بلادهم إلى الجهة السياحية المقصودة) أو على المستوى الوطني (وسائل النقل الوطنية التي تنقل المسافرين من نقاط الوصول أو من مدنهم إلى المناطق السياحية) أو على المستوى المحلي (وسائل النقل التي يستخدمها الزائرون في داخل جهة السياحة في الزيارات والانتقالات الداخلية).
- مظاهر الضيافة ويقصد بها معاملة الناس ومقدمي الخدمات للسياح، فهناك جهات سياحية يشعر فيها السائح أو الزائر بالأمان وأنه مقبول ومرحب به حيثما كان.
- قوة العمل المؤهلة، حيث تتطلب السياحة عدداً كبيراً من الخدمات الشخصية، وبالتالي فإن توفر الأيدي العاملة بالكفاءة المطلوبة له أهميته في تقديم الخدمات السياحية.
- التيسيرات السياحية، وهي مجموعة التدابير اللازمة لتبسيط الإجراءات الرسمية المتعلقة بدخول وخروج السائح وتنقله داخل الدولة أو المدينة.

السياحة في دول مجلس التعاون الخليجي :

لم يكن للسياحة في دول مجلس التعاون الخليجي - باستثناء البحرين ودبي - أهمية قبل منتصف التسعينات، وذلك لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية (Gulf Business, 2000 ; اسماعيل، ٢٠٠٠). لقد كان من الصعب على الحكومات في دول الخليج أن تهتم بالسياحة في عقد الثمانينات بسبب حرب الخليج الأولى والثانية، وما تتضمناه من خطورة على السائح. كما أن مجتمعات دول مجلس التعاون الست هي من المجتمعات المحافظة التي تتمسك بعاداتها وقيمها، وهي ترى في السياحة تجاوزاً لتلك العادات والقيم، وبالتالي عمدت كافة دول المجلس - ربما باستثناء البحرين ودبي - إلى وضع قيود على التأشيرات السياحية. لم تكن المملكة العربية السعودية على سبيل المثال تصدر أية تأشيرات بغرض السياحة. أخيراً لم يكن الوضع الاقتصادي

لتلك الدول محفزاً لفتح حدودها أمام السائحين نتيجة ارتفاع عائدات النفط المتراكمة طوال الثمانينات وعدم حاجتها إلى مصادر دخل إضافية من السياحة.

بعد توقف حرب الخليج الثانية، بدأت دول مجلس التعاون الخليجي الاهتمام بالسياحة، وظهرت البحرين ودبي كتجارب سياحية نامية خاصة دبي التي أنشأت مجلس ترويج السياحة عام ١٩٨٩م، وتمكنت بعد حوالي عشر سنوات من أن تصبح مدينة سياحية رائدة في الخليج، تذكر الإحصاءات أن عائدات السياحة في دبي تجاوزت ٤ مليارات درهم وتجاوز عدد السائحين ٣ ملايين سائح (Gulf Business, 2000 اسماعيل, ٢٠٠٠)

تمتلك دول الخليج مقومات سياحية عديدة تؤهلها إلى أن تكون واحدة من مناطق الجذب السياحي، فلديها مناطق طبيعية عديدة كالجبال والغابات والشواطئ كتلك الموجودة في أبها وعسير وصلالة مثلاً. كما أنها تزخر بالآثار التاريخية كالقلاع والحصون. يضاف لما سبق تطور العمران والبنية التحتية والخدمات السياحية ووصولها إلى مستوى جيد في تلك الدول.

مع هذا فهناك بعض التحديات التي تواجهها السياحة الخليجية، منها غياب التنسيق حيث يلحظ تشابه الأنشطة والفعاليات السياحية في دول المجلس وقيام كل دولة منفردة بالترويج لمقوماتها السياحية. يقام على سبيل المثال في دول المجلس في نفس الفترة من صيف كل عام تقريباً مهرجانات كصيف دبي ومهرجان أبها. كما أنه لا يوجد حتى الآن تأشيرة سياحية واحدة بين دول الخليج مما يضع صعوبة لتتقل السائح بينها، ويستثنى من ذلك دبي وسلطنة عمان حيث اتفقتا على منح تسهيلات للسائحين للتنقل بين الجانبين بيسر. أخيراً تواجه السياحة في دول المجلس تحدياً يتعلق بالموسمية حيث أن الموسم السياحي في الخليج يتركز في الشتاء، فمن بين ٣٥٣ معرضاً في دول الخليج خلال العام المنصرم مثلاً تقام ١٠٣ منها في الربع الأخير من العام ولا يقام أي

منها في شهري يوليو وأغسطس (Gulf Business, 2000 ; اسماعيل, ٢٠٠٠, Ritter, 1986)

السياحة في المملكة العربية السعودية :

اهتمت المملكة مؤخراً بالسياحة الداخلية نظراً لكبر عدد المواطنين الراغبين بالسياحة والذين كان جلهم يتجه لخارج البلاد، ولذلك كانت الرؤية لخلق وتعزيز المقومات السياحية الداخلية لجذب جزء من السياح السعوديين لقضاء عطلاتهم داخل المملكة. وقد وضع ذلك الاهتمام بموافقة مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٧ إبريل عام ٢٠٠٠م على إنشاء الهيئة العليا للسياحة، والتي تهدف إلى تشجيع النشاط السياحي وتذليل العقبات التي تواجه القطاع السياحي. كما دعمت الدولة قطاع السياحة حيث أصدرت مجموعة من القرارات المنظمة للعمرة وتمديد فترتها إلى تسعة شهور بدلاً من ستة شهور سنوياً والسماح للمعتمدين بزيارة بقية مدن المملكة والسماح للمستثمرين الأجانب بالدخول في مشروعات استثمارية. وقد حققت السياحة الداخلية في المملكة نتيجة لذلك التوجه نمواً جيداً خلال السنوات الأخيرة، وشهدت البلاد العديد من المشاريع والمنشآت السياحية بشواطئ المملكة ومناطق الاصطياف (داغستاني، ٢٠٠٢).

تركيبة السياح والدوافع المحتملة للسياحة في المملكة :

تشير بعض إحصاءات منظمة السياحة العالمية إلى تنامي عدد السياح القادمين للمملكة من ٢,٥٨٢ مليون سائح عام ١٩٩٢م إلى ٤,٨ مليون سائح في عام ١٩٩٩م، وأن نصيب المملكة من إجمالي السياح القادمين إلى الشرق الأوسط يصل لحوالي ٢٥٪. وفي جانب عوائد السياحة تشير الإحصاءات إلى ازدياد حصة المملكة خلال الفترة نفسها من ٣,٨ بليون ريال عام ١٩٩٢م إلى ٦,١ بليون ريال عام ١٩٩٩م، بمعدل نمو متقلب بين ١٢,١٪ و ١,٧٪. مع هذا يلاحظ استمرار انخفاض حصة المملكة من عوائد السياحة في

الشرق الأوسط من ٢٠,٦٨٪ إلى ١٦,٩٪ خلال الفترة نفسها، وبأخذ متوسط إنفاق السائح نجد أنه يتأرجح حول ٣٦١ دولار.

و قد أصدرت الهيئة العليا للسياحة المخرج رقم (١,٠٣) من خطة تنمية السياحة المستديمة (دراسة السوق) معلومات هامة توضح أنواع السياح وذلك على النحو التالي (الهيئة العليا للسياحة، ١٤٢٣هـ):

- بلغ عدد المسافرين في داخل المملكة حوالي ١٤,٥ مليون مسافر في عام ١٤٢٠هـ، وتقدر المصروفات المرتبطة بذلك بنحو ٢٢,٤ بليون ريال.
- بلغ عدد المسافرين السعوديين إلى الخارج حوالي ٤,٦ مليون مسافر في عام ١٤١٩هـ، وتقدر المصروفات المرتبطة بذلك بنحو ١٩,٧ بليون ريال.
- بلغ عدد الزائرين من الخارج إلى المملكة حوالي ٦,٣ مليون زائر في عام ١٤٢٠هـ، وتقدر المصروفات المرتبطة بذلك بنحو ١٢,٨ بليون ريال.
- أغلب الزائرين إلى المملكة هم من مواطني دول مجلس التعاون الخليجي، حيث يقدر عددهم ٣ مليون، ثم مواطني الدول العربية الأخرى وعددهم ١,٧ مليون.

وفي دراسة أعدها صالح كامل استعرض بعض المعوقات التي من شأنها أن تحد من تطور صناعة السياحة في المملكة بشكل عام و منطقة مكة المكرمة على وجه الخصوص، و قد شملت تلك المعوقات النظرة الاجتماعية السلبية للقدامين من الخارج، عدم توحيد الجهة المشرفة على السياحة، انخفاض القيمة المضافة باستهلاك منتجات الغير، و أخيراً انعدام الكوادر الفنية القادرة على العمل في المجال السياحي. كما قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات التي من الممكن أن تحد من تأثير تلك المعوقات و تقود بالتالي إلى تطور النشاط السياحي في المملكة ككل. يأتي في مقدمة تلك التوصيات ضرورة العمل على تسهيل الدخول إلى المملكة، إطالة فترة الزيارة، العمل على زيادة المنتجات المحلية وبخاصة فيما يتعلق بالحجاج والمعتمرين، وتطوير أعمال المطوفين بحيث تشمل الجوانب السياحية المختلفة كالسكن والإعاشة والتنقل

بالإضافة إلى الإرشاد الديني ويتم ذلك عن طريق إنشاء شركات سياحية كبرى (كامل، ١٤١٩).

وفي دراسة شملت ٤٥٠ مواطناً بهدف التعرف على اتجاهات سلوك السائح السعودي في أربع مدن هي جدة والطائف وأبها والباحة، وجدت أن أهم العوامل المؤثرة على اتجاهات السائح المحلي هي العوامل الطبيعية والجغرافية، ويأتي بعدها العوامل الاقتصادية، ثم العوامل الترفيهية، ثم العوامل الثقافية، وأخيراً العوامل الاجتماعية. كما توصلت الدراسة إلى أن العوامل السياحية تختلف باختلاف العمر والحالة الاجتماعية حيث يفضل العزاب الأماكن غير المكلفة مادياً، بينما يفضل المتزوجون المناطق الترفيهية. ولعل أهم ما توصلت إليه الدراسة هو عدم وجود علاقة بين مستوى الدخل وبين قرار مكان السياحة حيث لم يؤثر ارتفاع مستوى الدخل في قرار السياحة الخارجية وتفضيلها على السياحة الداخلية (التركستاني، ١٤١٩).

وفي دراسة أخرى أجراها الصيعري للتعرف على معوقات السياحة الداخلية في المملكة ودور القطاع الحكومي في تنمية قطاع السياحة، وجد الباحث أن أهم المعوقات هي المنافسة الخارجية وانعدام الإدارة المركزية للقطاع السياحي وضعف التمويل والكوادر البشرية، وقد أوصت الدراسة بأهمية وجود جهاز مستقل للسياحة ووضع البرامج الدراسية والتدريبية في المؤسسات التعليمية لتأهيل السعوديين وزيادة الدعم الحكومي المتمثل في الاستمرار في تطوير البنى التحتية وتوفير التمويل وكذلك زيادة التوعية والإعلام بالإضافة إلى دعم القطاع الخاص للمشاركة في الاستثمار في القطاع السياحي (الصيعري، ١٤٢٠).

- منطقة مكة المكرمة

تشمل منطقة مكة المكرمة ثلاث مدن رئيسية هي مكة المكرمة والطائف وجدة، وفيما يلي بعض المعلومات عن هذه المدن (إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية بمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية، ١٩٩٨):

- مكة المكرمة

هي منشأ الرسالة المحمدية ومهبط الوحي، ويوجد بها بيت الله الحرام بما يحويه من آثار و معالم ذات قيمة إسلامية كبيرة كالكعبة المشرفة ومقام سيدنا إبراهيم وحجر إسماعيل عليهما السلام وبئر زمزم والصفاء والمروة. كما يوجد بالقرب منها المشاعر المقدسة كمنى ومزدلفة وعرفات، حيث يفد المسلمون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ومناسك العمرة.

وقد قامت الدولة بجهود جبارة لتطوير محافظة مكة المكرمة وبالذات منطقة الحرم المكي الشريف، حيث أنفقت مئات الملايين من الريالات لتوسعة الحرم وتطوير البنية التحتية وتطوير بعض الخدمات. كما استثمر القطاع الخاص في توفير الشقق المفروشة والمطاعم والمواصلات التي يحتاجها الزائرون من حجاج ومعتمرين. ومن المتوقع أن يكون دخل المملكة من عائدات العمرة ٢٣ مليار ريال سعودي وذلك من إنفاق عدد ٦ ملايين متوقع زيارتهم للعمرة خلال العام الواحد.

- الطائف

هي إحدى مصايف المملكة التي تتميز بجمال الطبيعة و ببرودة الجو في الصيف. وقد حظيت باهتمام من الدولة منذ وقت بعيد، حيث أنفق بسخاء على البنية التحتية خاصة الطرق. وقد ترتب على ذلك تحويلها إلى منطقة سياحية تجذب العديد من المصطافين. ومن أهم مناطق الترويح في الطائف الشفا والهدا والحوية وغدير البنات. كما أنها تزخر بالعديد من الآثار التاريخية كسوق عكاظ ومسجد العباس وقصر شبرا وسار السملقي. كما أنها تتميز بقربها من مكة المكرمة (حوالي ١٠٠ كم)،

حيث يطيب لمصطافيهما التوجه إلى المسجد الحرام لأداء مناسك العمرة، والعودة لمقر إقامتهم بالطائف في غضون ساعات قليلة.

- جده

تقع مدينة جدة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر و بطول ٨٥ كم ، حيث يكثُر وجود الشعب المرجانية الكثيفة التي تمتد على شاطئه. ويتوزع عليه ٣٦٠ مجسماً جمالياً مستوحاة من التراث العربي الإسلامي، وورق خضراء تتخللها أحواض الزهور بألوانها المختلفة. وتنتشر على الشاطئ العديد من المدن الترفيهية والمتنزهات الجميلة والمطاعم التي تقدم شتى المأكولات البحرية والعربية والغربية، إضافة إلى انتشار الفنادق التي تقوم بتنظيم رحلات بحرية وتسوقية.

ويوجد بمدينة جدة العديد من المنتجعات السياحية مثل منتجع درة العروس ومدينة البحيرات وخليج سلمان. كما ينتشر فيها ما يزيد على ١٠٠ سوق تجاري بمختلف الأحجام والخدمات المتناسقة التوزيع الجغرافي وأصبحت المجمعات التجارية المغلقة مكاناً جيداً للتسوق وهي غاية العديد من السياح مثل الترفيه وقضاء وقت جميل في مكان مكيف خاصة وأن بعض المجمعات صممت بطريقة هي أقرب إلى التحفة المعمارية أكثر منها إلى السوق، وكان هدفها في ذلك كسب العملاء وتحقيق متعة التسوق، وفي بعض الأحيان تنافس المجمعات التجارية في هذا الأمر المدن الترفيهية فنجد ما تقدمه تلك المجمعات من هدايا وجوائز في المسابقات التي تقام على هامش المهرجانات السياحية فضلاً عن توفير ألعاب للأطفال تعد من أساليب الترويج الناجحة التي تتبعها تلك المجمعات لكسب المزيد من الزوار و المرتادين.

منهج الدراسة وحدودها :

تعتبر هذه الدراسة استطلاعية، حيث تهدف للتعرف على أوصاف الناس الذين يزورون منطقة مكة باستمرار ودوافعهم ومستوى رضاهم. ولقد بدأت الدراسة بمراجعة للأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وكان الغرض من ذلك تكوين أسئلة البحث. كما تم استخدام مقابلة مجموعة التركيز Focus Group Interview، لتحقيق نفس الهدف ولتحديد مواصفات عينة الدراسة. ضمت مجموعة التركيز سبعة من أعضاء هيئة التدريس والموظفين العاملين بنفس مكان عمل الباحث، وتم عقد لقاء واحد معهم.

وقد تم للإجابة على أسئلة البحث تبني الأسلوب الإحصائي (الكمي) مقارنة بأسلوب الحالات (النوعي) لأن هذا الأسلوب يناسب هدف البحث. كما تم استخدام الاستبيان البريدي لجمع المعلومات المطلوبة وذلك لتمييزه بسهولة التطبيق وسرعة الحصول على الإجابات في ظل محدودية الوقت المتاح لإنجاز الدراسة.

وقد استخدمت عينة ميسرة Convenience Sample تتمثل في تسليم الاستبيان لعينة من موظفي وأعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل وبعض الأصدقاء والأقارب القاطنين في محافظة الأحساء. وسلم البعض منهم مجموعة من الاستمارات لتوزيعها على من تتطبق عليه مواصفات العينة. ولقد تم الحرص عند توزيع الاستبانات على وصولها إلى نوعيات مختلفة من الناس من حيث المستوى الاقتصادي والتعليمي والعمر مثلاً لضمان تمثيل العينة لمجتمع البحث. تعتبر العينة الميسرة مناسبة عند إعداد الدراسات الاستطلاعية وعند عدم وجود إطار للعينة (الغيص، ١٤٢١هـ؛ Zikmund, 1994).

تم بناء على نتائج مقابلة مجموعة التركيز وتقدير الباحث تقرير أن تقتصر الدراسة على عينة من المواطنين السعوديين الذين زاروا منطقة مكة المكرمة (مكة المكرمة أو جدة أو الطائف) على الأقل مرة واحدة خلال الخمس سنوات الماضية، ولم

تكن زيارتهم لها لغرض الحج أو العمرة في رمضان. تم تقرير اختيار دراسة هذه العينة لعدة أسباب تشمل التالي؛ اختيار المواطنين مقارنة بالمقيمين تم بسبب تمثيلهم للشريحة الكبيرة القاطنة في المملكة. كما أن دوافعهم - غير غرض العمرة - قد تكون مختلفة عن دوافع المقيمين. أما اختيار العينة التي تتصف بأنها زارت منطقة مكة المكرمة على الأقل مرة واحدة خلال الخمس سنوات الماضية فيأتي لأن هذه الشريحة هي التي قد يكون لها انتماء للسياحة الداخلية في كل أو إحدى المدن الرئيسية بمنطقة مكة المكرمة، ومن المعروف أن استهداف العملاء الحاليين هو أقل تكلفة وفعالية من استهداف شرائح جدد. وهذا كذلك يتوافق مع مبدأ ٨٠/٢٠ والذي يدعي أن ٨٠٪ من الإيراد يأتي من ٢٠٪ من العملاء، لذا أعطت هذه الشريحة الأولوية في الاختيار لقياسها. أخيراً فإن زيارة مكة المكرمة لغرض الحج أو لغرض العمرة في رمضان كما يفعله الكثير من المواطنين لا يتوقع أن يكون بديلاً عن السياحة في الخارج أو في إحدى مناطق المملكة، والذي يتم عادة أثناء الأعياد أو الإجازة الصيفية.

بالنسبة للأسئلة التي شملها الاستبيان (أنظر الاستبيان المرفق) فإن المجموعة الأولى من الأسئلة تتعلق بنوعية الناس التي تسافر إلى منطقة مكة المكرمة وضمت ١٣ سؤالاً، بينما غطت المجموعة الثانية وعددها ١٦ سؤالاً على الأسباب المحتملة وراء اختيار منطقة مكة المكرمة، وأخيراً تضمنت المجموعة الثالثة ٢٠ سؤالاً وهدفت لقياس مستوى رضا عينة البحث عن خصائص منطقة مكة المكرمة والخدمات المقدمة بها. وقد تم استخدام أسئلة ذات ردود مغلقة في المجموعتين الثانية والثالثة وذلك لمزية ثبات الإجابات مما يسهل إدارتها وتحليلها. كما تم استخدام مقياس "ليكرت" المكون من خمس مستويات.

وقد تم مراجعة الاستبانات المجمع للتحقق من اكتمالها وصحة معلوماتها قبل تحليلها. وقد تم التحليل باستخدام التكرار والنسب المئوية بالنسبة للمجموعة الأولى من

الأسئلة نظراً لمناسبة هذه القياسات لطبيعة البيانات التصنيفية (Nominal data). أما بالنسبة للمجموعتين الثانية والثالثة فتم استخدام المتوسطات الحسابية (Means) واختبار t. وقد تم وضع أسئلة البحث الواردة في المجموعتين الثانية والثالثة على شكل افتراضات بالشكل التالي:

Ho: U = 3

Ha: U = 3 (لا يساوي 3)

إن للدراسة الحالية عدد من المحددات التي تتطلب معاملة النتائج بحذر. تشمل تلك

المحددات التالي:

- صغر حجم العينة والذي يعود لمحدودية الوقت الذي أجريت فيه.
- اعتمد البحث على عينة ميسرة مما قد لا يمثل مجتمع البحث بدقة.
- اعتمدت الدراسة على رأي المواطنين القاطنين في مدينة الأحساء فقط، وهذا يعني عدم إمكانية تطبيق النتائج على كافة المواطنين في المملكة بالذات القاطنين في أو قرب منطقة مكة المكرمة حيث قد يكون لهم دوافع مختلفة.
- تم معاملة مكة المكرمة وجدة والطائف كوحدة واحدة مع أنه لاشك أن لكل مدينة خصائصها.
- شريحة المواطنين فقط هي التي تم دراستها مع أن زيارة منطقة مكة المكرمة من قبل المقيمين لغرض السياحة هي من الاختيارات المفضلة لهذه الشريحة (كما أكدت على ذلك إحدى نتائج مقابلة مجموعة التركيز)،

يمكن من المحددات السابقة اقتراح مجموعة من الأبحاث المستقبلية، تشمل إجراء الدراسة على شريحة أكبر من المواطنين، واختيار عينة احتمالية طبقية لضمان تمثيل العينة لكافة مناطق المملكة المختلفة. كما يمكن دراسة كل مدينة من مدن منطقة مكة المكرمة للحصول على معلومات أكثر دقة عن نوعية الناس التي تزور كل مدينة وعن الأسباب المحتملة للاختيار و مستوى الرضا عن الخدمات المقدمة في كل

منها. كما أن إجراء دراسة على المقيمين في المملكة هي لاشك أنها من الأبحاث المستقبلية الواعدة.

مع وجود المحددات السابقة، إلا أن الباحث يؤكد على توفر معياري الشرعية validity والتعميمية reliability في البحث وبالتالي فإن الدراسة حققت أهدافها و أعطت مؤشرات هامة لنوعية الشرائح التي تستهدفها زيارة منطقة مكة المكرمة لغير غرض الحج أو العمرة في رمضان ودوافعهم لزيارة منطقة مكة المكرمة ومدى رضاهم عن خصائص تلك المنطقة و الخدمات السياحية المقدمة بها. إن درجة التماثل في البيئة الاجتماعية والدينية بالإضافة إلى الخلفية الثقافية لجميع مناطق المملكة، وتمثيل عينة الدراسة لشرائح مختلفة من الناس من حيث المستوى الاقتصادي والتعليمي والعمر يعني تمثيل العينة لمجتمع البحث و بالتالي يمكن تعميم النتائج.

النتائج :

تم استلام ٧٨ استمارة، وقد استبعدت ٣ منها لعدم اكتمالها، وبذلك يكون العدد الإجمالي للحالات التي تم تحليلها ٧٥.

(١) صفات الشريحة التي تزور منطقة مكة المكرمة لغير أغراض الحج أو العمرة في رمضان :

يوضح الجدول ١ أن ٥٦,٠% من عينة الدراسة زارت منطقة مكة المكرمة باستمرار في الخمس سنوات الماضية خلال إجازة العيدين أو إجازة العطللة الصيفية، حيث زار ٢٦,٦% من العينة منطقة مكة المكرمة خلال الخمس سنوات الماضية ثلاث إلى أربع مرات و ٢٩,٤% من العينة زارها خمس مرات فأكثر.

كما يوضح الجدول ١ أن ٧٢,٠% من العينة يكتفي بزيارة منطقة مكة المكرمة كبديل للسياحة في الخارج، حيث لا يقوم بالسفر إلى خارج المملكة عند سفره إلى منطقة مكة المكرمة. ويبدو أن من يسافر للخارج لغرض السياحة هو ممن يعيش

السفر و السياحة أصلاً، حيث يوضح الجدول ١ أن نسبة من سافر للخارج أكثر من مرتين خلال الخمس سنوات الماضية تبلغ ٣٢,٠٪ من العينة.

وعند زيارة منطقة مكة المكرمة فإن ٥٠,٧٪ من عينة البحث تقتصر على زيارة مدينة واحدة فقط، وأن مدينة مكة المكرمة هي الوجهة الوحيدة لما يمثل ٩٤,٧٪ من تلك الشريحة. ومع أن ٤٩,٣٪ من العينة زارت أكثر من مدينة، إلا أن نسبة من زار مكة المكرمة والطائف من بين تلك الشريحة هي الأكبر حيث بلغت ٤٠,٥٪، يليهما مكة وجدة والطائف بنسبة ٣٢,٥٪، ثم مكة وجدة بنسبة ٢٧,٠٪ (جدول ١).

وقد كانت الإجازة الصيفية هي الوقت المفضل للسفر إلى منطقة مكة المكرمة، حيث يوضح الجدول ١ أن نسبة من يسافر إلى منطقة مكة المكرمة في تلك الفترة هي ٨٥,٣٪. ويتضح من الجدول ١ أن ٨٨,١٪ من عينة الدراسة تمكث فترة قصيرة في منطقة مكة المكرمة لا تتجاوز العشرة أيام.

بالنسبة لوسيلة النقل والسكن المفضلين فيوضح الجدول ١ أن الوسيلة الأكثر استخداماً للسفر إلى منطقة مكة المكرمة هي السيارة ثم الحافلة ثم الطائرة (٤٢,٦٪، ٣٠,٧٪، ٢٦,٧٪). أما بالنسبة للسكن فإن الشقق هي الأكثر استخداماً (٦٥,٣٪)، تليها الفنادق (٣٣,٣٪).

إن تفضيل السيارة الخاصة والحافلة للنقل والشقق للسكن يمكن تفهمه بسبب ارتفاع نسبة الشريحة التي تسافر مع الأسرة والأقارب، حيث بلغت نسبة من يزور منطقة مكة المكرمة مع زوجته وأبنائه ٥٣,٣٪، ونسبة من يزور المنطقة مع أسرته وأقاربه ٢٩,٣٪.

و ينفق ٤٢,٥٪ من عينة الدراسة ٥٠٠ ريال فأقل يومياً، بينما تبلغ نسبة ممن ينفق أكثر من ٥٠٠ ريال وأقل من ١٠٠٠ ريال يومياً ٢٥,٥٪. أما من تبلغ مصروفاتهم اليومية

أكثر من ١٠٠٠ فتبلغ نسبتهم ٣٢,٠٪. وبالنظر إلى الجدول ١ يتضح أن ٦٥,٣٪ من عينة الدراسة يبلغ متوسط دخلها الشهري ٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ريال.

تبين من الجدول ١ كذلك أن ٨٥,٤٪ من مجموع العينة يقع بين ٣٠ - ٦٠ عاماً، وأن عمر ٥,٣٪ منها أصغر من ٢٩ عاماً و أكبر من ١٦ عاماً، بينما بلغت نسبة من هم أكبر من ٦٠ عاماً ٩,٣٪. هذه النتائج تدل على أن أغلب من يزور منطقة مكة المكرمة لغير غرض الحج أو العمرة في رمضان هم من متوسطي الأعمار.

وقد وجدت الدراسة كما يوضح الجدول ١ أن غالب من يزور منطقة مكة المكرمة هم ممن لديهم ٣ - ٥ أبناء (٦٢,٣٪)، تليهم ممن لا يوجد لديه أبناء أو لديه ابنين فأقل (٣٧,٣٪)، ثم من لديه ٦ أبناء فأكثر (١٨,٧٪).

٢) الأسباب والدوافع التي تدعو لزيارة منطقة مكة المكرمة لغير أغراض الحج أو العمرة في رمضان

يوضح الجدول ٢ أن من بين الستة عشر سبباً محتملاً لزيارة منطقة مكة المكرمة تم قبول ثماني أسباب (P-value أقل من ٠,٠٠٠١) على أنها أسباب هامة تدعو عينة الدراسة لزيارة منطقة مكة المكرمة لغير أغراض الحج أو العمرة في رمضان. وقد كان أداء فريضة العمرة وعبادة الله تعالى هو السبب الرئيس وراء زيارة منطقة مكة المكرمة (المتوسط ٤,٨٨)، يليه ثلاث أسباب ترتبط بطبيعة المملكة من حيث الأمن (٤,٢٨) وعدم الخوف على الأبناء من التأثير سلباً بالمجتمعات الأخرى (٤,٠٦) والإحساس بالكرامة في المملكة مقارنة بالدول الأخرى (٤,٠٠).

يلي تلك المجموعة من الأسباب (مرتبة حسب المتوسط) كل من الترفيه على الأبناء (٣,٩٧)، تغيير الروتين (٣,٥٨)، فرصة السفر مع بعض الأقارب والأصدقاء (٣,٤١)، وأخيراً استجابة لرغبة الزوجة و الأبناء (٣,٣٨).

كما يوضح الجدول ٢ أن افتراض زيارة منطقة مكة المكرمة لأسباب حضور المهرجانات والتعرف على عادات وتقاليد الناس والتسوق لم يتم قبولها، بل يوضح الجدول ٢ من قيمة P-value (٠,٠٠) أنها أسباب تم - من اختبارها إحصائياً - غير مهمة أو غير مهمة إطلاقاً. ولقد جاء حضور المهرجانات الأقل أهمية من حيث المتوسط (١,٨٥) ثم التعرف على عادات وتقاليد الناس (٢,٥٨) ثم التسوق (٢,٩٠). ومع أن زيارة منطقة مكة المكرمة بسبب انخفاض التكلفة حصل على متوسط منخفض (٢,٣٤)، إلا أنه لم يتم قبول هذا الافتراض إحصائياً. يمكن تفسير ذلك بسبب التفاوت في عينة الدراسة من حيث الإمكانيات المالية وبالتالي ما يراه شخص أنه مرتفع التكلفة قد لا يراه شخص آخر على أنه كذلك (الانحراف المعياري ٠,٨٢).

٣) مستوى الرضا عن خصائص منطقة مكة المكرمة والخدمات المقدمة بها

وجد البحث إحصائياً أن عينة الدراسة راضية عن الإجراءات النظامية كنقاط التفتيش والالتزام الديني، وراضية كذلك عن جودة السكن في منطقة مكة المكرمة (P-value أقل من ٠,٠٥)، مع هذا فقد حصلت جميعها على مستوى منخفض من الرضا، حيث بلغ متوسط الرضا عن الإجراءات النظامية والالتزام الديني ٣,٣٧ لكل منهما، وجودة السكن ٣,٣٢ (الجدول ٣).

بينما يوضح الجدول نفسه أن مستوى الأسعار وتنوع عوامل الجذب السياحي والمهرجانات غير مرضي عنها من قبل عينة الدراسة (P-value 0.00)، حيث مستوى الأسعار هو الأقل قبولاً (متوسط ٢,٢٦) ثم تنوع عوامل الجذب السياحي (٢,٦١) ثم المهرجانات والأحداث والأنشطة المختلفة (٢,٦٢). المطاعم والكفاتيريات هي الأخرى من الخدمات السياحية التي لم ترضى عنها عينة الدراسة (P-value أعلى من ٠,٠٥ وأقل من ٠,١٠)، وقد جاء ترتيبها من حيث عدم الرضا رابعاً (المتوسط ٢,٧٧).

المناقشة والتوصيات :

سيتم مناقشة نتائج الدراسة من خلال عدة محاور بناء على أدبيات إدارة الأعمال وذلك على النحو التالي:

(١) دراسات بورتر وكتر

وجد بورتر في بحث أجراه على أكثر من مائة صناعة في ثمان دول أن لكل بلد (أو منطقة) خصائص يمكن أن تدعم تميز ونجاح الشركات المشكلة لصناعة ما والموجودة في تلك المنطقة. وقد قسم بورتر تلك الخصائص إلى أربعة عوامل هي كما يلي (Porter, 1990):

- عند البلد مزيج من عوامل الإنتاج الأولية والمتقدمة التي تدعم تلك الصناعة. تتكون عوامل الإنتاج من عوامل أولية كرأس المال، الأرض، المناخ، المواد الخام، العمالة الغير ماهرة وغيره. كما أن هناك عوامل إنتاج متقدمة، تشمل الإدارة والعمالة الماهرة، البنية التحتية المتخصصة، والتقنية المتقدمة. ولقد أكد بورتر في بحثه على أهمية عوامل الإنتاج المتقدمة في القدرة على المنافسة وأنها هي التي تؤدي لخلق مزايا تنافسية صعبة التقليد.
- المنافسة شديدة بين المنشآت المحلية في تلك الصناعة، والتي تجبر تلك المنشآت على أن تكون أكثر فعالية وكفاءة.
- قوة الطلب المحلي، والذي يؤدي لتقوية تلك الصناعة والضغط على المنشآت العاملة فيه بعمل منتجات أكثر فعالية وكفاءة.
- الصناعات الموردة والمرتبطة منافسة عالمياً، حيث تقدم تلك الصناعات للمنشآت العاملة في الصناعة مدخلات ذات تكلفة منخفضة وذات نوعية عالية. ولقد وجد بورتر في دراسته أن الصناعات الموردة و المرتبطة تتمركز عادة في مدينة أو منطقة معينة، مشكلة ما أسماه طبقة "Cluster".

وقد أيد كتلر في كتابه (The Marketing of Nations) ما اقترحه بورتر من أهمية أن تتوفر في البلد الذي يرغب أن ينافس عالمياً في صناعة معينة عوامل إنتاج متقدمة حتى يمكن تقديم سلع أو خدمات متميزة وذات قيمة مضافة مرتفعة لا يمكن للمنافس الإتيان بمثلاها، وحتى يمكن في نفس الوقت استهداف الشرائح ذات الإمكانيات المالية العالية وبالتالي تحقيق أرباح جيدة (Kotler et al., 1997).

وبتطبيق ما ذكره كل من بورتر وكتلر على منطقة مكة المكرمة، وبالنظر لنتائج الدراسة التي تم استعراضها في الجزء السابق يتضح جلياً أن صناعة السياحة في منطقة مكة المكرمة لازالت تعتمد على عوامل الإنتاج الأولية المتمثلة بوجود الأماكن المقدسة كالكعبة الشريفة والمسجد الحرام. إن الاعتماد على هذا السبب دون الحرص على تقديم خدمات ذات قيمة مضافة كالمهرجانات والمطاعم، يعني محدودية عدد السياح الزائرين لمنطقة مكة المكرمة وقلة عدد الأيام التي يقضونها وانخفاض حجم الإنفاق واقتصار السياحة على الشرائح ذات الدخل المتدني. هذا يعني انخفاض العائد من السياحة في منطقة مكة المكرمة وبالتالي عدم قدرة القطاع الخاص على الاستثمار في التطوير والارتقاء بالخدمات السياحية التي يقدمها.

ولقد وجد البحث أن العديد من عوامل الإنتاج الأولية الأخرى هي كذلك لازالت تحتاج إلى تطوير، فمستوى رضا الزائرين لمنطقة مكة المكرمة عن العديد من الخدمات كالنظافة والرعاية الطبية والمواصلات داخل المنطقة غير مرتفع.

وبناء على ما سبق، يمكن الخروج بالتوصية التالية:

"على القطاعين الحكومي والخاص العمل على الارتقاء بعوامل الإنتاج وتطويرها، وبما ينعكس على تقديم خدمات سياحية متميزة وذات قيمة مضافة مرتفعة"

إن تحقيق التوصية السابقة يمكن أن يتحقق من خلال الاستثمار في البنية التحتية المتخصصة كنقل السياح بين مدن منطقة مكة المكرمة بوسائل مواصلات تكون

مريحة وسريعة وأمنة كالقطارات، ومن خلال تهيئة موارد بشرية ماهرة، وتقديم معلومات ودراسات يمكن الاستفادة منها في اتخاذ القرارات. وحيث أن الارتقاء بمستوى عوامل الإنتاج يتطلب استثمارات عالية وتقنية متطورة، لذا يقترح أن يتم التحالف بين القطاعين الحكومي والخاص لتحقيق ذلك. كما أن من المفيد تحفيز الشركات الأجنبية المتخصصة للعمل والاستثمار في منطقة مكة المكرمة - وفي جميع مناطق المملكة - وذلك من خلال تقديم كافة التسهيلات الممكنة لها.

بناء الصورة الذهنية واستهداف الشريحة المناسبة

تؤكد الأدبيات كما ذكر في الجزء ١ - ٤ على أن التميز بخاصية واحدة والتركيز على ميزة رئيسة - مع توفر الحد الأدنى من المزايا الأخرى - هو أساس في بناء صورة ذهنية وعلامة تجارية للصناعة (كما هو الحال في الشركة أو المنطقة أو البلد أو حتى الفرد)، وأن تلك الميزة يجب أن تلبي رغبات السوق المستهدف وتكون أفضل مما لدى المنافسين.

ولقد بينت نتائج الدراسة أن الميزة الأساسية التي تتصف بها منطقة مكة المكرمة والتي تغري المواطنين على زيارتها هي التعبد لله تعالى من خلال القيام بأداء العمرة والصلاة في الحرم المكي الشريف. لقد وجدت الدراسة أن مدينة مكة المكرمة هي محور زيارة منطقة مكة المكرمة، سواء كانت الزيارة لمدينة مكة المكرمة فقط أو لزيارة أكثر من مدينة من مدن المنطقة.

وحيث أن حوالي نصف عينة الدراسة تقوم بالإضافة لزيارة مدينة مكة المكرمة بزيارة محافظتي جدة والطائف، وحيث أن نسبة كبيرة منها لديها أبناء ترغب أن تحقق السياحة لهم - بالإضافة إلى العمرة والعبادة - فرصة الترفيه والمتعة، ونظراً لأن المغريات الترفيهية كالمجمعات التجارية والمدن الترفيهية قد تتعارض مع الدافع الرئيس وراء زيارة منطقة مكة المكرمة، لذا يمكن الخروج بالتوصية التالية:

"يتم تشكيل طبقة سياحية مكونة من مكة المكرمة وجدة والطائف بحيث تقتصر المغريات السياحية في مدينة مكة المكرمة على المغريات الدينية فقط، وأن يتم بناء المغريات الترفيهية والمغريات السياحية الأخرى في جدة والطائف"

تؤكد التوصية السابقة على أهمية التعامل مع منطقة مكة المكرمة على أنها وحدة واحدة (طبقة Cluster) بحيث تكمل كل مدينة المدينة الأخرى من حيث المغريات و الخدمات السياحية. إن وجود مدينة مكة المكرمة بين جدة و الطائف وعلى بعد لا يزيد عن ١٠٠ كم منهما هو عامل إيجابي يدعم النجاح في بناء تلك الطبقة. ولو تم إضافة ما اقترح سابقاً من أهمية الاستثمار في بناء شبكة مواصلات حديثة بين تلك المدن لأصبح من السهل تحقيق مؤازرة بينها بحيث تكمل كل واحدة منها الأخرى.

لابد للنجاح في بناء صناعة سياحة داخلية منافسة في منطقة مكة المكرمة تكون قادرة على جذب المواطنين والمقيمين ممن يتصفون بخصائص الشريحة التي تم عرضها في هذه الدراسة من التركيز على المغريات الدينية في منطقة مكة المكرمة بوجه عام وفي مدينة مكة المكرمة على وجه الخصوص، وأن يتم في نفس الوقت تحقيق الحدود المقبولة من المغريات الأخرى و بالذات الترفيهية منها، على أن تكون جدة و الطائف مكانها. إن محاولة جذب أكثر من شريحة (الآباء الراغبين في العبادة والأبناء الراغبين بالترفيه) ومحاولة إرضاء كل واحدة منهما بنفس القدر قد تؤدي لمؤازرة سلبية تؤثر سلباً على الصورة الذهنية لمدينة مكة المكرمة وبالتالي تؤدي لقلّة عدد الزائرين و السائحين لمنطقة مكة المكرمة.

المراجع

المراجع العربية

١. إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية بمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية (١٩٩٨)، السياحة الداخلية: رؤية مستقبلية، إصدار ندوة السياحة الداخلية الثالثة، الدمام.
٢. إسماعيل، عبدالرحمن (٢٠٠٠)، السياحة في الخليج، من موقع إسلام أون لاين.
٣. بواعنه، رياض (٢٠٠١)، السياحة في المملكة: الإمكانيات الواعدة، مجلة الراجحي، (٧٠)، ٢٢.
٤. التركستاني، حبيب (١٤١٩)، اتجاهات سلوك السائح السعودي نحو السياحة الداخلية، إصدار ندوة تنمية السياحة في منطقة مكة المكرمة.
٥. الجلاذ، أحمد (٢٠٠٠)، التنمية السياحية المتواصلة، عالم الكتاب، القاهرة.
٦. داغستاني، عبدالعزيز (٢٠٠٢)، إسهام قطاع السياحة في الاقتصاد السعودي، عالم الاقتصاد، (٢٠)، ٦٢.
٧. سماره، فؤاد (٢٠٠١)، تسويق الخدمات السياحية، دار المستقبل للنشر و التوزيع، الأردن.
٨. السيسي، ماهر (٢٠٠١)، شركات السياحة ووكالات السفر، مطابع الولاء الحديثة، القاهرة.
٩. الصيعري، عامر (١٤٢٠)، دور القطاع الحكومي في تنمية الصناعة السياحية بالمملكة، إصدار ندوة تبوك للسياحة الداخلية بالمملكة العربية السعودية.
١٠. الطيار، ناصر (٢٠٠١)، أثر السياحة على اقتصاديات المملكة، مكتبة العبيكان، الرياض.
١١. عبيدات، محمد (٢٠٠٠)، التسويق السياحي، دار وائل للنشر، الأردن.
١٢. العدوان، مروان (١٩٩٦)، الخدمات السياحية، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن.
١٣. الغيص، منى (١٤٢١هـ)، مبادئ التسويق، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
١٤. كامل، صالح (١٤١٩)، معوقات تنمية السياحة في المملكة، إصدار ندوة تنمية السياحة في منطقة مكة المكرمة.

١٥. كامل، محمود (١٩٧٥)، السياحة الحديثة علماً وتطبيقاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٦. الهيئة العليا للسياحة (١٤٢٢هـ)، الخطة الوطنية للسياحة، الرياض.
١٧. الهيئة العليا للسياحة (١٤٢٣هـ)، مشروع تنمية السياحة الوطنية في المملكة العربية السعودية - المرحلة الأولى الإستراتيجية العامة، الرياض.
١٨. وزارة التخطيط (١٤٢٠هـ)، وثيقة خطة التنمية السابعة ١٤٢٠ - ١٤٢٥هـ.

ثانياً: المراجع الإنجليزية

19. Gulf Business, (May 2000), Hospitality and Tourism, (5). 2-3.
20. Hamel, G. (July 1996), Strategy as Revolution, Harvard Business Review, 69-75.
21. Hill, C. and Gareth, j. (1995), Management Theory, Houghton Co, Boston.
22. Hill, C and Jones, G. (1995), Strategic Management Theory, Boston: Houghton Mifflin Co.
23. Huybers, T. (2003), Domestic Tourism Destination Choices- a Achoice Modeling Analysis, International Journal of Tourism Research, 445-459.
24. Kaplan, R. and Norton, D. (2004), Strategy Maps: Converting intangible Assets into tangible Outcomes, Harvard Business School Press.
25. Kotler, P. and Armstrong, G. (1996), Principles of Marketing, Prentice-Hall International, Inc.
26. Kotler, P. et al. (1997), The Marketing of Nations, Free Press.
27. Lehmann, D. and Winer, R. (2002), Product Management, McGraw-Hill.
28. Mathieson, A. and Wall, G. (1987), Tourism Economic: Physical and Social Impacts, Longman, New York.
29. Munoz, T. (2004), Madrid as a Tourist Destination: Analysis and Modelization of Inbound Tourism, , International Journal of Tourism Research, 289-302.
30. Niininien, O. et al. (2004), Destination Loyalty and Repeat Behaviour: An Application of Optimum Stimulation Measurement, , International Journal of Tourism Research, 439-447
31. Porter, M. (1990), The Competitive Advantage of Nations, Hong Kong: The Macmillan Press Ltd.
32. Quelch, J. (1999), Global Brands: Taking Stock, Business Strategy Review, (10), 1-14.

33. Ritter, W. (1986), Tourism in the Arabian Gulf Region, GeoJournal, (13), 237-244.
34. Tracy, M. and Wiersema, F. (1995), Discipline of Market Leaders, Addison-Wesley.
35. World Tourism Organization (1995), Global Tourism Forecasts to the Year 2000 and Beyond, The World, (1).
36. Zikmund, W. (1994), Exploring Marketing Research, Florida: The Dryden Press.
37. Pride, W. and Ferrell, O. (1995), Marketing, Houghton Mifflin Co.

الجدول (١)

صفات الشريحة التي زارت منطقة مكة المكرمة على الأقل مرة خلال الخمس السنوات

الماضية لغير غرض الحج أو العمرة في رمضان

النسبة %	التكرار	الصفة
		عدد مرات زيارة منطقة مكة المكرمة خلال ٥ سنوات الماضية
٤٤,٠	٣٣	• ١ - ٢
٢٦,٦	٢٠	• ٣ - ٤
٢٩,٤	٢٢	• ٥ فأكثر
		مدى اقتصار الزيارة على مدينة واحدة أم أكثر من مدينة؟
٥٠,٧	٣٨	• مدينة واحدة
٩٤,٧	٣٦	- مكة فقط
٥,٣	٢	- جدة
	٠	- الطائف
		• أكثر من مدينة
٤٩,٣	٣٧	- مكة و جدة
٢٧,٠	١٠	- مكة و الطائف
٤٠,٥	١٥	- جدة و الطائف
٠,٠	٠	- مكة و جدة و الطائف
٣٢,٥	١٢	
		وقت الزيارة
٨٥,٣	٦٤	• الإجازة الصيفية
١٤,٧	١١	• إجازة العيدين
٠,٠	٠	• أخرى
		الاكتفاء بزيارة منطقة مكة المكرمة بدلاً من السفر للخارج
٧٢,٠	٥٤	• تم الاكتفاء
٢٨,٠	٢١	• تم السفر للخارج

تابع جدول رقم (١)

النسبة %	التكرار	الصفة
		عدد مرات السفر للخارج خلال ٥ سنوات الماضية
١٣,٣	١٠	• ٠
٥٤,٧	٤١	• ١ - ٢
١٨,٧	١٤	• ٣ - ٤
١٣,٣	١٠	• ٥ فأكثر
		متوسط المدة التي يتم قضاؤها في منطقة مكة المكرمة
٤١,٤	٣١	• ١ - ٥ أيام
٤٦,٧	٣٥	• ٦ - ١٠ أيام
١١,٩	٩	• أكثر من ١٠ أيام
		وسيلة النقل المستخدمة
٤٢,٦	٣٢	• سيارة خاصة
٢٦,٧	٢٠	• الطائرة
٣٠,٧	٢٣	• الحافلة
		المرافقين في الرحلة
٤,٠	٣	• مفرد
٥٣,٣	٤٠	• الزوجة و الأبناء
٢٩,٣	٢٢	• الزوجة و الأبناء و الأقارب
١٣,٣	١٠	• الأصدقاء
		السكن
٣٣,٣	٢٥	• فندق
٦٥,٣	٤٩	• شقة مفروشة
١,٣	١	• أقارب أو اصدقاء

تابع جدول رقم (١)

النسبة %	التكرار	الصفة
		متوسط المصروف اليومي (يدخل ضمنه النقل)
٤٢,٥	٣٢	• ٥٠٠ ريال فأقل
٢٥,٥	١٩	• أكثر من ٥٠٠ و أقل من ١٠٠٠
٣٢,٠	٢٤	• ١٠٠٠ فأكثر
		مستوى الدخل الشهري
١٨,٧	١٤	• أقل من ٥٠٠٠ ريال شهرياً
٦٥,٣	٤٩	• من ٥٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠
١٤,٧	١١	• أكثر من ١٢٠٠٠
		عدد الأبناء
٣٧,٣	٢٨	• أبين فأقل
٤٢,٧	٣٢	• ٣ - ٥
١٨,٧	١٤	• ٦ فأكثر
		العمر
٥,٣	٤	• أقل من ٣٠ عاماً
٨٥,٤	٦٤	• ٣٠ - ٦٠
٩,٣	٧	• أكبر من ٦٠ عاماً

الجدول (٢)

الأسباب و الدوافع التي تدعو لزيارة منطقة مكة المكرمة على الأقل مرة خلال الخمس السنوات الماضية لغير أغراض الحج أو العمرة في رمضان (حيث ١ غير مهم إطلاقاً، ٢ غير مهم، ٣ متوسط الأهمية، ٤ مهم، ٥ مهم جداً)

التسلسل حسب ترتيب المتوسط	الأسباب	المتوسط الحسابي	اختبار t	P-value
١	أداء العمرة و العبادة	٤,٨٨	٢٩,٩١	٠,٠٠
٢	الأمن	٤,٢٨	١٠,٨٥	٠,٠٠
٣	عدم الخوف على الأبناء من التأثير سلباً بالمجتمعات الأخرى	٤,٠٦	٨,١٦	٠,٠٠
٤	الاحساس بالكرامة و العزة في المملكة مقارنة بالدول الأخرى	٤,٠٠	٧,٣٠	٠,٠٠
٥	الترفيه على الأبناء	٣,٩٧	٨,٤٣	٠,٠٠
٦	تغيير الروتين	٣,٥٨	٤,١٦	٠,٠٠
٧	فرصة السفر مع بعض الأقارب أو الأصدقاء	٣,٤١	٢,٨٠	٠,٠٠
٨	استجابة لرغبة الزوجة و الأبناء	٣,٣٨	٢,٩٧	٠,٠٠
٩	سهولة السفر كإمكانية استخدام السيارة أو السفر مع أقارب بدون الزوج	٣,٢٢	١,٤٦	٠,١٥
١٠	الاسترخاء	٣,١٣	٠,٨٦	٠,٣٨
١١	زيارة أماكن جديدة	٣,١٠	٠,٧١	٠,٤٧
١٢	الاستمتاع بالجو و جمال الطبيعة	٣,٠٢	٠,١٦	٠,٨٧
١٣	التسوق	٢,٩٠	-٢,٩٦	٠,٠٠
١٤	التعرف على عادات و تقاليد الناس	٢,٥٨	-٤,٢٨	٠,٠٠
١٥	انخفاض التكلفة	٢,٣٤	-٠,٥٨	٠,٦١
١٦	حضور المهرجانات	١,٨٥	-٨,٤٨	٠,٠٠

الجدول (٣)

مستوى الرضا عن الخدمات المقدمة و الخصائص التي تشترك فيها مكة المكرمة وجدة والطائف
بناء على رأي من زار منطقة مكة المكرمة على الأقل مرة خلال الخمس السنوات الماضية لغير
أغراض الحج أو العمرة في رمضان

(حيث ١ غير راضي أبداً، ٢ غير راضي، ٣ محايد، ٤ راضي، ٥ راضي تماماً)

التسلسل حسب ترتيب المتوسط	الأسباب	المتوسط الحسابي	اختبار t	P-value
١	الإجراءات النظامية (نقاط التفطيش مثلاً)	٣,٣٧	٢,٩٧	٠,٠٠
٢	الالتزام الديني	٣,٣٧	٢,٥٨	٠,٠١
٣	جودة السكن	٣,٣٢	٢,٣٥	٠,٠٢
٤	اللوحات الإرشادية وخدمات الإرشاد إجمالاً	٣,٢٢	١,٥٣	٠,١٢
٥	الطقس	٣,٢١	١,٧٩	٠,٠٧
٦	معاملة الناس	٣,١٨	١,٥٢	٠,١٣
٧	جمال الطبيعة (جبال و بحر ...)	٣,١٨	١,٣٣	٠,١٨
٨	المطارات (جدة أو الطائف)	٣,١٧	١,٣٥	٠,١٧
٩	الأسواق و متعة التسوق	٣,١٤	-١,٦٩	٠,٠٩
١٠	المواصلات داخل تلك المدن	٣,١٣	٠,٩٨	٠,٣٣
١١	الرعاية الطبية (مستشفيات و عيادات)	٣,٠٦	٠,٥١	٠,٦٠
١٢	الحملات الإعلانية لتشجيع السياحة في مكة المكرمة و جدة و الطائف	٢,٩٧	-٠,٢٠	٠,٨٤
١٣	الآثار التاريخية (ترتيبها و سهولة الوصول إليها).	٢,٨٤	-٠,٩٩	٠,٣٢
١٤	المدن الترفيهية و القرى السياحية و المنتزهات	٢,٨١	-١,٥٣	٠,٦٠
١٥	النظافة	٢,٨٠	-١,٢٠	٠,٢٣
١٦	الزحام	٢,٨٠	-١,٤٦	٠,١٤
١٧	المطاعم والكافيتريات	٢,٧٧	-١,٦٩	٠,٠٩

تابع جدول (٢)

التسلسل حسب ترتيب المتوسط	الأسباب	المتوسط الحسابي	اختبار t	P-value
١٨	المهرجانات و الأحداث و الأنشطة المختلفة	٢,٦٢	-٢,٦٨	٠,٠٠
١٩	تنوع عوامل الجذب السياحي	٢,٦١	-٢,٩١	٠,٠٠
٢٠	مستوى الأسعار	٢,٢٦	-٥,٥٥	٠,٠٠

Determinants of Tourism in Makkah Al-Mukarramah Province

Abdulmohsen Husein Al-Arfaj

College of Administration Studies and Planning, King Faisal University
Al-Ahasa, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract :

The study is conducted on a convenience sample of 75. The objectives are identifying the characteristics of the market segment that visit "Makkah Al-Mukarramah' region" (Makkah Al-Mukarramah, Jeddah and Altaif) for tourism purposes and determining its motives and attitudes towards visiting Makkah Al-Mukarramah' province.

The study suggests some characteristics for this segment, such as numbers and time of visits, transport mode, expenditure, and age. Moreover, the findings reveal that the most important determinants for visiting Makkah Al-Mukarramah' region is worshipping "ALLAH". Satisfaction's levels on the attributes of Makkah Al-Mukarramah' region are also investigated, and the study finds them on low levels.

Two strategic recommendations are provided in order to attract domestic tourisms, one is that the public and the private sectors have to invest on the advanced factors of production that relate to tourism and, the second is that Makkah, Jedah and Altaif should be treated as one cluster, where Makkah focuses on religious determinants and Jeddah and Altaif focus on other determinants.

الاستثمار في قطاع السياحة وأهميته للاقتصاد السعودي مع إشارة لملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة

حسن بن رفدان الهجوج

كلية العلوم الإدارية والتخطيط - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة وتحليل واقع الاستثمار السياحي وأهميته لاقتصاد المملكة العربية السعودية مع الإشارة إلى ملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة. ولتحقيق ذلك الهدف تم استخدام أسلوب التحليل الكيفي Qualitative Analysis من خلال استعراض الدراسات والبيانات ذات الصلة باقتصاد المملكة. لقد أتضح من خلال ذلك التحليل أن القطاع السياحي في المملكة العربية السعودية، أصبح يحتل دوراً هاماً في الاقتصاد السعودي. وذلك لكونه يأتي في المرتبة الثالثة بعد قطاعي النفط والصناعات التحويلية من حيث المساهمة في إجمالي الناتج المحلي. كما أن القطاع السياحي له تأثير مباشر وغير مباشر على القطاعات الاقتصادية. مما يؤدي إلى زيادة مساهمته في الاقتصاد الوطني. كما أتضح أيضاً أن متوسط نسبة استثمارات القطاع السياحي من إجمالي الاستثمارات في المملكة يقترّب من المتوسط العالمي. كذلك تبين في هذه الدراسة أن منطقة مكة المكرمة تأتي في المرتبة الأولى من حيث الجذب السياحي. إضافة إلى احتوائها على أغلب المرافق السياحية الخدمية. مما جعل القطاع السياحي يلعب دوراً اقتصادياً بارزاً في المنطقة. كما أتضح أيضاً من خلال هذه الدراسة أن هناك العديد من المعوقات التي تواجه القطاع الاستثماري السياحي، والتي تحتاج إلى تكاتف الجهود لتذليلها، من أجل تطوير قطاع السياحة، نظراً للتزايد المضطرد لأعداد السياح المحليين والدوليين، والطلب المتزايد على الخدمات السياحية.

المقدمة:

يعد الاستثمار مصدراً هاماً لتوفير رأس المال اللازم لدفع عجلة النمو الاقتصادي، وزيادة الطاقات الإنتاجية في أي دولة من الدول، وذلك لما له من فاعلية وتأثير قوي على التنمية الاقتصادية بصفة عامة، وعلى الناتج المحلي بصفة خاصة. وتؤدي الزيادة في الإنفاق الاستثماري إلى زيادة مضاعفة في الناتج المحلي، الذي يعد محصلة تضافر مجموعة من عناصر الإنتاج المتاحة في الاقتصاد. لذلك فإن الأثر التتموي والتوسعي للإنفاق الاستثماري هو التوسع في توظيف مختلف عناصر الإنتاج المادية والبشرية، وزيادة عوائدها وزيادة النمو الاقتصادي.

ومن منطلق الدور الهام والحيوي الذي يلعبه الاستثمار في تطوير الاقتصاد وزيادة معدلات نموه، أولت خطط التنمية المتتالية في المملكة العربية السعودية أهمية كبيرة لزيادة المدخرات الوطنية وتعبئتها للاستثمار، بالإضافة إلى تكريس الجهود للإجراءات الرامية لزيادة تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وعودة رؤوس أموال المواطنين السعوديين المستثمرة في الخارج، وذلك بهدف تشكيل مصدر إضافي لتوفير الموارد المطلوبة لتحقيق معدلات الاستثمار المستهدفة. وفي إطار ذلك، استهدفت خطة التنمية السابعة (٢٠٠١ - ٢٠٠٥م) زيادة مشاركة القطاع الخاص في الاستثمارات من خلال زيادة نصيبه في إجمالي التكوين الرأسمالي (Total Capital Formation) من ٦٦,٨٪ عام ١٩٩٩م إلى ٧٢,٦٪ في عام ٢٠٠٤م مقابل انخفاض الاستثمارات في قطاعي الخدمات الحكومية والنفط من ٣٢,٢٪ إلى ٢٨,٤٪ خلال نفس الفترة (وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية السابعة (٢٠٠١ - ٢٠٠٥م)).

ويلعب الاستثمار السياحي دوراً كبيراً في النشاط الاقتصادي، لكونه من أكثر القطاعات الاقتصادية جذباً للاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتأثيره الإيجابي على تطوير الخدمات العامة كوسائل النقل والاتصالات، مما يحرك عجلة التنمية وينشرها في الأقاليم المختلفة. ويؤدي نمو القطاع السياحي إلى زيادة فرص العمل، وفتح المجال أمام

تطور مهن جديدة، ورفع درجة التكامل الرأسي والأفقي بين القطاعات الاقتصادية المختلفة. كما يساهم قطاع السياحة بفاعلية في تحسين ميزان المدفوعات من خلال زيادة تدفق العملات الأجنبية للبلاد.

ولقد أدركت الكثير من الدول ومنها المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة من القرن المنصرم أهمية القطاع السياحي في تحسين معدل النمو الاقتصادي، وأولت أهمية قصوى لتمويل المشاريع الاستثمارية السياحية، وتوفير العناصر الأساسية لتنشيط القطاع السياحي، ومن أهمها البنية الأساسية والاستقرار السياسي، ووضع السياسات والاستراتيجيات طويلة المدى، التي تساعد على تنمية القطاع السياحي.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة من أن القطاع السياحي في كثير من الدول، وبخاصة المملكة العربية السعودية، يمكن أن يلعب دورا هاما في مسيرة التنمية الاقتصادية للمملكة . ومن هنا تبدو أهمية هذا الدراسة للأسباب التالية:

١. اعتبار القطاع السياحي احد القطاعات الخدمية الهامة في أنشطة الاقتصاد السعودي.
٢. إمكانية مساهمة القطاع السياحي في تحسين ميزان المدفوعات للمملكة.
٣. النمو المتسارع للقطاع السياحي في السنوات الأخيرة (مع بداية ١٤٢١هـ وإنشاء الهيئة العليا للسياحة).
٤. ندرة المصادر المحلية التي تتناول دور القطاع السياحي في التنمية الاقتصادية للمملكة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى معرفة مقومات القطاع السياحي، من خلال تحقيق الأهداف التالية:

١. دراسة وتحليل واقع ومستقبل القطاع السياحي في المملكة.
٢. تحليل الاستثمار في قطاع السياحة وأهميته للاقتصاد السعودي.
٣. التعرف على ملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة.
٤. التعرف على أهم مقومات الاستثمار في القطاعات الاقتصادية بشكل عام والقطاع السياحي بشكل خاص.
٥. التعرف على المعوقات التي تواجه القطاع السياحي.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج النظري والكيفي لتحقيق أهداف الدراسة.

المنهج النظري

في هذا المنهج تم الرجوع إلى الدراسات السابقة وتحديد الدولية نظراً لندرة الدراسات المحلية في هذا المجال. كما تم الاستعانة بأوراق العمل التي أعدتها الهيئة العليا للسياحة.

المنهج الكيفي

يعتمد منهج التحليل الكيفي Qualitative Analysis، على تحليل الدراسات والتقارير والإحصائيات والبيانات المحلية والدولية ذات الصلة بالموضوع، من أجل الخروج منها بمعلومات مفيدة تساعد في التوصل إلى نتائج منطقية، يتم عن طريقها إعطاء توصيات ذات جدوى تساعد في تطوير القطاع السياحي في المملكة العربية السعودية.

حدود الدراسة

نظراً لندرة بيانات القطاع السياحي في المملكة العربية السعودية، نتيجة لحدثة هذا القطاع، سوف يعتمد التحليل الكيفي في هذه الدراسة على ما هو متوفر من معلومات وبيانات يكون مصدرها الاساسي الهيئة العليا للسياحة، وبعض الجهات ذات العلاقة والمجلس العالمي للسفر والسياحة (WTTC).

خطة الدراسة :

لتحقيق أهداف الدراسة، تتضمن الدراسة تسعة أجزاء - بما فيها المقدمة، وذلك على النحو التالي:

- يتناول الجزء الثاني واقع قطاع السياحة في المملكة.
- يشمل الجزء الثالث الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة.
- يستعرض الجزء الرابع الاستثمار في قطاع السياحة على المستويات المختلفة (العالمية، والإقليمية، والمحلية).
- يتناول الجزء الخامس الآثار الاقتصادية للقطاع السياحي
- يغطي الجزء السادس ملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة
- يشمل الجزء السابع مقومات الاستثمار السياحي في المملكة
- يتناول الجزء السابع معوقات الاستثمار في القطاع السياحي.
- يختتم الجزء التاسع الدراسة بالخلاصة والتوصيات.

واقع قطاع السياحة في المملكة :

الإنفاق السياحي

يعتبر الاستهلاك السياحي هو جميع المنتجات والخدمات التي تستهلك لغرض السفر والسياحة. ويشمل الإنفاق السياحي المحلي الأنشطة الترفيهية والسياحية، والإنفاق على سياحة الأعمال الخاصة والحكومية، والخدمات المقدمة للسائحين الأفراد، مثل الخدمات الثقافية والترفيهية، وحتى الجمارك والجوازات. كما تشمل بالإضافة لذلك ما يسمى صادرات السياح، وهو ما ينفقه السائحون الدوليون على المنتجات والخدمات، من جهة أخرى فهناك مكونات للقطاعات التي تقدم خدمات للسياح، والتي يعتبر النشاط السياحي محركاً هاماً لها، مثل النفقات الحكومية على خدمة القطاع السياحي، والتي تدخل ضمن الخدمات العامة مثل المياه والكهرباء والصرف الصحي

للمشاريع السياحية، وأيضا الاستثمار الحكومي والخاص في البنية الأساسية التي تقدم خدمات للزائرين.

لقد قدرت الهيئة العليا للسياحة حسب المسوحات التي قامت بها، وكما يشير جدول رقم (١)، بأن أنفاق السياح المحليين والدوليين لعام ٢٠٠١م بلغ حوالي ٣٥ مليار ريال سعودي، وبالتالي فإن مساهمة القطاع السياحي في إجمالي الناتج المحلي بلغت ٥,٥٪ وهو بذلك يقترب من حجم ما يسهم به قطاع الصناعات التحويلية الذي بلغ في عام ٢٠٠١م حوالي ٥,٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي. مما يعني أن قطاع السياحة يلعب دوراً هاماً في اقتصاد المملكة، حيث يأتي في المرتبة الثالثة بعد قطاعي النفط والصناعات التحويلية (الهيئة العليا للسياحة، ٢٠٠٢م) (١).

كما يشير جدول رقم (١) أيضاً إلى توزيع الإنفاق على السياحة في المملكة بين السياح المحليين والسياح الدوليين. حيث يتضح من الجدول أن إنفاق السياح المحليين قد بلغ في عام ٢٠٠١م حوالي ٢٢,٤ مليار ريال سعودي، وإنفاق السياح الدوليين حوالي ١٢,٨ مليار ريال. أي أن نسبة إنفاق السياح السعوديين بلغت حوالي ٦٤٪ من الإنفاق الكلي، بينما بلغت نسبة إنفاق السياح الدوليين حوالي ٣٦٪ من الإنفاق الكلي. ويتضح أيضاً، من الجدول رقم (١) بأن غالبية إنفاق السياح المحليين يتم عن طريق الإنفاق على الأجازات، ويأتي بعد ذلك الإنفاق على الزيارات لأسباب دينية تليها زيارة الأقارب والأصدقاء. بينما يتجه السلوك الإنفاقي للسياح الدوليين على الزيارات (العمرة والحج) لأسباب دينية، يليها الإنفاق على زيارة العمل ومن ثم الإنفاق على زيارة الأقارب والأصدقاء.

أما جدول رقم (٢) فيشير إلى توزيع السياح من حيث مصدر قدومهم لعام ٢٠٠١م، حيث يتضح أن حوالي ٧٠٪ يمثلون السياح من الداخل، يليهم في الترتيب سياح دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية بنسبة حوالي ٢٣٪، ثم السياح من دول أخرى والذين يمثلون حوالي ٧٪. كما يتضح من الجدول أن غرض الحج والعمرة للسياح من

خارج المملكة يشكل النسبة الأكبر بينما يمثل غرض الإجازة والترفيه المرتبة الأولى للسياحة الداخلية متقدماً بذلك على غرض الحج والعمرة.

جدول رقم (١)

توزيع الإنفاق على السياحة في المملكة حسب الغرض لعام ٢٠٠١م

الإنفاق الكلي		إنفاق السياح الدوليين		إنفاق السياح المحليين		السوق السياحي
%	مليون ريال	%	مليون ريال	%	مليون ريال	
18.54	6535	19.15	2452	18.2	4083	العمرة
11.35	4000	28.11	3600	1.78	400	الحج
32.02	11283	1.69	217	49.32	11066	الأجازات
19.16	6751	18.15	2324	19.73	4427	زيارة الأقارب والأصدقاء
12.7	4474	19.24	2464	8.96	2010	الأعمال
4.53	1598	11.59	1484	0.51	114	التسوق
1.71	601	2.08	266	1.49	335	أخرى
100	35242	100	12807	100	22435	المجموع

المصدر: الهيئة العليا للسياحة (٢٠٠٢)، "حوافز الاستثمار السياحي بالمملكة العربية السعودية"، ورقة عمل مقدمة إلى المنتدى السياحي الرابع، الأمانة الفنية للمجلس الوزاري العربي للسياحة، القاهرة.

جدول (٢)

أغراض السياحة في المملكة لعام ٢٠٠١م

السياح من دول أخرى		السياح من الدول العربية		السياح الداخليين		غرض الزيارة
النسبة المئوية	العدد (ألف سائح)	النسبة المئوية	العدد (ألف سائح)	النسبة المئوية	العدد (ألف سائح)	
80	1,207	50.7	2,427	30.5	4,440	الحج والعمرة
-	-	5.4	260	44	6,400	الترفيه والعطلات
-	-	22	1,053	19.3	2,800	زيارة الأقارب
-	-	9.1	434	4.8	700	العمل
20	301	12.8	614	1.4	200	الصحة/التسوق/أخرى
100	1,508	100	4,788	100	14,540	المجموع
7.2		23		69.8		إجمالي السياح (%)
20,840						إجمالي عدد السياح

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، ووزارة الحج، ٢٠٠٢م

جدول رقم (٣)

رحلات السياح المحليين في المملكة حسب الغرض من الزيارة لعام ٢٠٠٣م

النسبة %	الإجمالي (بالألف)	الغرض من الزيارة
36	17,035	قضاء العطلات وأوقات الفراغ
32	15,124	زيارة الأقارب والأصدقاء
18	8,447	أسباب دينية
8	3,785	العمل والمؤتمرات
2	1,034	لأسباب صحية
4	2	أخرى
100	47,425	المجموع

المصدر: الهيئة العليا للسياحة : مركز ماس، ٢٠٠٣م

كما يشير جدول رقم (٣). بأن رحلات السياح المحليين حسب الغرض من الزيارة لعام ٢٠٠٣م ارتفعت بشكل كبير جداً، حيث بلغت تلك الرحلات حوالي ٤٧,٤٣ مليون رحلة. وقد تمثلت النسبة الكبرى من تلك الرحلات في قضاء العطلات وأوقات الفراغ التي شكلت ٣٦٪، بينما يأتي زيارة الأقارب والأصدقاء في المرتبة الثانية بنسبة ٣٢٪، أما الرحلات لأسباب دينية فقد شكلت في تلك الفترة ١٨٪ فقط من إجمالي رحلات السياح السعوديين.

ويوضح جدول رقم (٤) توزيع الإنفاق السياحي على القطاعات السياحية في المملكة. حيث يتضح بأن أنفاق السياح المحليين على التسوق بلغ ٣٢,٣٪، وعلى الإقامة والسكن ٢١,٤٪، وعلى الطعام والمشروبات ١٧,٣٪. وبلغ إنفاقهم على الانتقال ١٤,١٪ من إجمالي أنفاقهم السياحي الكلي. أما السياح الدوليين فقد تمثل أنفاقهم على التسوق ٤٠,٨٪، وعلى الإقامة والسكن ٢٤,٢٪، وعلى الطعام والمشروبات ١٣,٩٪ من إجمالي أنفاقهم السياحي. أما نسبة إنفاق السياح المحليين والدوليين على القطاعات السياحية بالنسبة للإنفاق الكلي فيأتي في المرتبة الأولى الأنفاق على التسوق (٣٥,٤٪). وفي المرتبة الثانية الإنفاق على الإقامة والسكن (٢٢,٤٪). وفي المرتبة الثالثة الإنفاق على الطعام والمشروبات (١٦,١٪).

كما شهد القطاع السياحي نمواً متزايداً للسياح القادمين للمملكة. حيث يبين الشكل رقم (١)، بأن معدل نمو السياح الدوليين السنوي الذين قاموا بزيارة المملكة خلال الفترة من ٢٠٠٠ - ٢٠٠٣م بلغ حوالي ٣,٦٪. وبلغ عدد السياح الدوليين لزيارة المملكة عام ٢٠٠٠م حوالي ٦,٦ مليون سائح، بينما أرتفع عددهم عام ٢٠٠٣م إلى حوالي ٧,٣ مليون، علماً بأن عدد السياح الدوليين القادمين للمملكة بلغ عام ٢٠٠٢م ذروته وهو حوالي ٧,٥ مليون سائح. وكما يوضح تقرير ماس (الهيئة العليا للسياحة ٢٠٠٣م) أن النسبة الأكبر من السياح الدوليين القادمين للمملكة هم من دول الشرق الأوسط،

حيث تجاوزت نسبتهم ٥٠٪، يليهم السياح القادمين من دول جنوب آسيا بنسبة ٢٦٪. كما يوضح التقرير أيضاً بأن أعداد السياح القادمين للمملكة من دول الشرق الأوسط ودول جنوب آسيا في ازدياد. أما السياح القادمين من بقية الدول فقد انخفض في عام ٢٠٠٣م عما كان عليه في عام ٢٠٠٠م. تشير تلك الإحصاءات السابقة، بان قطاع السياحة ممكن أن يلعب دوراً مهماً في أنشطة الاقتصاد السعودي وتحديداً نشاط قطاع الخدمات، الذي أصبح هاماً وتعتمد عليه الكثير من الدول في رفع معدل التنمية الاقتصادية. (٢)

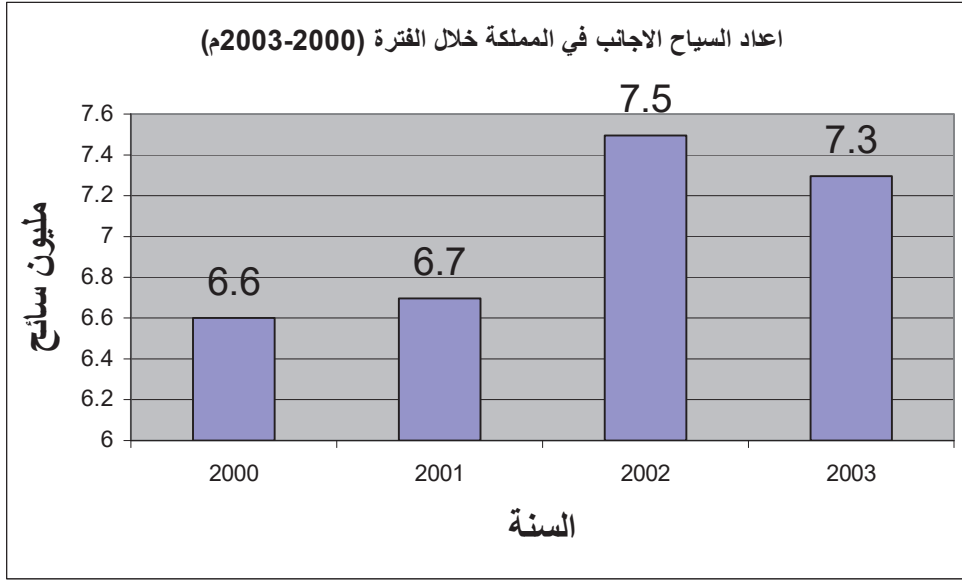
جدول رقم (٤)

توزيع الإنفاق السياحي على القطاعات السياحية في المملكة لعام ٢٠٠١م

الإنفاق الكلي		إنفاق السياح الدوليين		إنفاق السياح المحليين		السوق السياحي
%	مليون ريال	%	مليون ريال	%	مليون ريال	
22.4	7895	24.2	3097	21.4	4798	الإقامة والسكن
16.1	5667	13.9	1785	17.3	3882	الطعام والمشروبات
13.4	4728	12.2	1567	14.1	3161	الانتقال
8.1	2860	4.9	625	10	2235	الترفيه
35.4	12475	40.8	5224	32.3	7251	التسوق
4.6	1617	4	509	4.9	1108	أخرى
100	35242	100	12807	100	22435	المجموع

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، حوافز الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق

شكل رقم (١)



المصدر: الهيئة العليا للسياحة: مركز ماس، ٢٠٠٤م

تشير بيانات عام ٢٠٠٢م بأن إجمالي أنفاق السياح على الأنشطة السياحية بلغ حوالي ٦٤ مليار ريال وذلك بنسبة ٩٪ من إجمالي الناتج المحلي (الهيئة العليا للسياحة، ٢٠٠٣م). (٣) كما يتوقع أن يبلغ الأنفاق السياحي المباشر المحلي والدولي حسب استراتيجية التنمية السياحية للهيئة العليا للسياحة عند نهاية الخطة عام ٢٠٢٠م إلى ١٠١ مليار ريال، مما قد يولد مليارات الريالات من المبيعات والدخول والقيم الاقتصادية المضافة (المرجع السابق).

كما يشير جدول رقم (٥)، أن القطاع السياحي السعودي يتوقع له في عام ٢٠٠٤م أن يولد ما قيمته حوالي ٨٤ مليار ريال سعودي (حوالي ٢٢,٥ مليار دولار) للأنشطة الاقتصادية. وتأثير القطاع السياحي سوف يكون له أثر على القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل قطاع العمل، والخدمات، والصادرات، والاستثمارات، والإنفاق الحكومي.

والقطاعات الاقتصادية الأخرى المصاحبة. أما معدل النمو الحقيقي للقطاع السياحي في المملكة من عام ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٤م، كما أشار له تقرير (WTTC, 2004) وصل إلى ٦,٩٪ وذلك من خلال ارتفاع الطلب على خدمات القطاع السياحي.

كما أشار التقرير إلى النمو المتوقع للقطاع السياحي في المملكة خلال السنوات العشر القادمة الذي يشمل الطلب على خدمات السفر والسياحة، وسوق العمل في القطاع السياحي، والصادرات للسياح، والاستثمارات والإنفاق الحكومي (انظر جدول رقم ٦).

جدول رقم (٥)

تأثير القطاع السياحي السعودي على الأنشطة الاقتصادية لعام ٢٠٠٤م

التأثير في الاقتصاد السعودي	القطاع
71,000 فرصة وظيفية	العمل في قطاع السياحة
12.9 مليار ريال	السياحة
255,000 فرص وظيفية	العمل في القطاعات الأخرى المصاحبة للقطاع السياحي
63.8 مليار ريال	القطاعات الاقتصادية المصاحبة لنظام السياحة
47.8 مليار ريال	الخدمات والصادرات والبضائع
11.7 مليار ريال	حجم الاستثمارات في القطاع السياحي
1.8 مليار ريال	الإنفاق الحكومي

المصدر: (2004). World Travel and Tourism Council (WTTC)، المجلس العالمي للسفر والسياحة

جدول رقم (٦)

توقع نمو القطاع السياحي لعام ٢٠١٤م

القطاع	معدل النمو %
الطلب على خدمات السفر والسياحة	4.1
السياحة	2.6
سوق العمل في القطاع السياحي	2.9
الصادرات للسياح	3.3
الاستثمارات	6.3
الأنفاق الحكومي	4.1

المصدر : (2004) WTTC , نفس المرجع

توزيع النشاط السياحي

تستأثر المنطقة الغربية التي تضم الحرمين الشريفين بأكبر قدر من الرحلات، حيث تعتبر السياحة الدينية (الحج والعمرة) هي المصدر الأساسي للطلب على السياحة في تلك المنطقة، بينما يتميز الطلب على السياحة في المناطق الأخرى لأغراض الأعمال التجارية أو زيارة الأقارب أو قضاء الإجازة.

وتتركز السياحة في المملكة في المنطقة الغربية حول منطقة الحرمين الشريفين، حيث اجتذبت سنة ٢٠٠١م حوالي ٨,٦ مليون سائح من الداخل و٣,٦ مليون سائح من الخارج. وشكلت المنطقة الشرقية مصدر الجذب الثاني للسائحين من الخارج وخاصة من دول الخليج، حيث اجتذبت حوالي ١,٤ مليون سائح من الخارج أغلبهم من دول الخليج. بينما احتلت المنطقة الجنوبية المركز الثاني في جذب السائحين من الداخل بحجم زاد عن ٢,٣ مليون سائح عام ٢٠٠١م (الهيئة العليا للسياحة، ٢٠٠٢م).

الدراسات السابقة

يتطلب القطاع السياحي العديد من السلع والخدمات، التي من أهمها الإقامة، والطعام، والنقل والتسليّة، وزيارة الأماكن الأثرية السياحية والدينية، التي يتم توفيرها من خلال زيادة الإنتاجية، التي تؤدي إلى زيادة الدخل. وهذا ما يؤدي إلى زيادة تشغيل الأيدي العاملة وخفض معدل البطالة، لأن القطاع السياحي يعتمد على تقديم الخدمات المختلفة، التي تعتمد بشكل كثيف على عنصر العمل (Labor Intensive Services)

وكما يشير نموذج كينز - الاقتصادي (Keynesian Model) في الاقتصاد المفتوح، أن القطاع السياحي يعتبر أحد عناصر الصادرات (الصادرات غير المنظورة) وبالتالي فإن زيادة معدل نمو القطاع السياحي يؤدي بدوره إلى زيادة الدخل (٤). كما يمكن اعتبار القطاع السياحي عامل محفز لزيادة القطاع الاستهلاكي، وبالتالي يؤدي ذلك إلى زيادة الإنتاجية والنتائج المحلي الإجمالي مع افتراض ثبات أسعار السلع وسعر صرف العملة المحلية. لذلك يعتبر القطاع السياحي من القطاعات الاقتصادية الهامة التي تساعد على زيادة معدل النمو الاقتصادي.

لقد أشارت الكثير من الدراسات الاقتصادية إلى وجود علاقة إيجابية ومؤثرة بين تطور القطاع السياحي والنمو الاقتصادي، حيث أشارت دراسة كليور، وباك، وسينكلير (Clewer, Pack and Sinclair, 1990)، ودراسة دارماراتني (Dharmaratne, 1995)، ودراسة ماورلي (Morley, 1998)، ودراسة ساميرال وويبر (Smeral and Weber, 2000) إلى أن تطور عناصر القطاع السياحي التي تشتمل على البنية الأساسية، والتعليم والأمن والاستقرار السياسي تؤدي إلى زيادة معدل نشاط ذلك القطاع الذي يساعد بدوره على زيادة معدل إنتاجية القطاعات الاقتصادية الأخرى مما يؤدي إلى رفع وتنشيط معدل النمو الاقتصادي.

كما أشارت دراسة كوش، وبيير وإيليفي (Koch, Beer and Eliffe, 1998) لبعض الدول الأفريقية والآسيوية مثل كينيا، جامبيا، وبوتان في الهملايا، وساحل قوا في

الهند وجزر المالديف إلى أن القطاع السياحي يساعد في إيجاد تنمية اقتصادية مستدامة عن طريق خلق فرص وظيفية للأيدي العاملة في المدى الطويل، وتعظيم الاستثمارات المحلية ومناطق توزيعها، وتوزيع ملكيات المشاريع على شريحة كبيرة من المستثمرين وعدم اقتنارها على فئة قليلة منهم. لذا فإن هذه الدراسة أكدت على أهمية تنمية القطاع السياحي لإعطائه الفرص لإيجاد مشاريع اقتصادية أساسية أو مساندة لمشاريع اقتصادية قائمة، وخصوصاً في مجال المشاريع الصغيرة والتي تساعد على تشغيل عدد كبير من الأيدي العاملة.

كذلك أشارت دراسة شاربلي (Sharpley , 2001) إلى الدور الذي يلعبه القطاع السياحي في اقتصاد قبرص. حيث تشير الدراسة إلى أن القطاع السياحي أصبح الركن الأساسي لتحقيق نمو اقتصادي متسارع في الجزيرة. وبالتالي أصبحت قبرص تعتمد في اقتصادها على السياحة والأسواق الصغيرة المصاحبة لذلك القطاع. ونبهت هذه الدراسة إلى ضرورة العمل على تنويع مصادر الدخل في الجزيرة والعمل على خلق أسواق أساسية لاقتصاد الجزيرة لتحقيق تنمية اقتصادية مستدامة وليست موسمية .

وتناولت دراسة بالقوير وجوردا (Balaguer and Jorda, 2002) دور السياحة في النمو الاقتصادي لأسبانيا في المدى الطويل، حيث كانت فرضية الدراسة تعتمد على أن القطاع السياحي يقود إلى تنمية الاقتصاد. وقد ثبت صحة هذه الفرضية عن طريق الاختبارات الإحصائية والقياسية التي تمت في تلك الدراسة. حيث أوضحت اختبارات التكامل المشترك والسببية أن خلال العقود الثلاثة الماضية من القرن الماضي كان النمو الاقتصادي الأسباني متأثراً بشكل كبير بمدى تطور نمو القطاع السياحي والسياحة الدولية. حيث أن نشاط القطاع السياحي يؤثر بشكل مضاعف على الأنشطة الاقتصادية الأخرى في أسبانيا. لذا كانت نتائج الدراسة تشير إلى أن هناك تأثير إيجابي لتطوير وزيادة نشاط القطاع السياحي على معدل النمو الاقتصادي لأسبانيا.

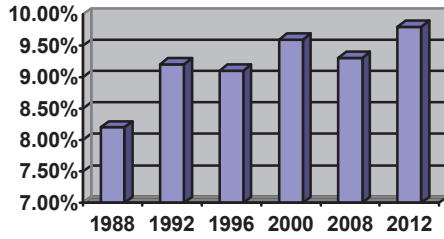
وأخيراً تناولت دراسة دريتساكيس (Dritsakis , 2004) تأثير السياحة على النمو الاقتصادي لليونان، حيث أشارت تلك الدراسة أن هناك علاقة قوية وإيجابية بين عائدات السياحة الدولية في اليونان والنمو الاقتصادي. كما أشارت الدراسة إلى أهمية تطوير القطاع السياحي ليصبح أكثر منافسة في الأسواق العالمية السياحية.

الاستثمار في القطاع السياحي:

ولتكوين فكرة عامة عن الاستثمارات في القطاع السياحي ونسبة حجمها من تكوين رأس المال، فإن الرسم البياني التالي يوضح تطور الاستثمار في القطاع السياحي العالمي من عام 1999م وتوقعات نموه حتى عام 2012م ونسبة هذا الاستثمار من تكوين رأس المال العالمي.

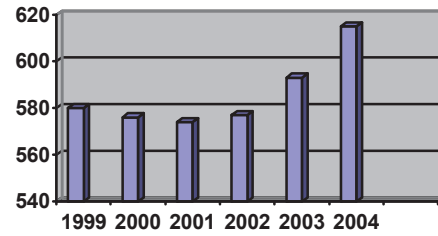
شكل رقم (٣)

نسبة الاستثمار السياحي في إجمالي تكوين رأس المال



شكل رقم (٢)

الاستثمارات بمليارات الدولار (بأسعار سنة 1990)



المصدر: WTTC, 2003

يتضح من الشكل رقم (٢)، أن هناك تزايداً ملحوظاً في معدل حجم الاستثمارات في القطاع السياحي العالمي خصوصاً مع حلول عام 2002م. حيث يتبين من الشكل ارتفاع معدل هذه الاستثمارات بحوالي 6,27% خلال الفترة (2001 - 2004م). حيث قدرت

حجم الاستثمارات في القطاع السياحي العالمي من ٥٧٤ مليار دولار عام ٢٠٠١ إلى ٦١٠ مليار دولار عام ٢٠٠٤م.

كما يتضح من الشكل رقم (٣). أن نسبة الاستثمارات السياحية في تكوين رأس المال في العالم ارتفعت من ٨,٢٪ إلى ٩,٢٪ خلال أربع سنوات فقط (من سنة ١٩٨٨ إلى سنة ١٩٩٢). كما وصلت في سنة ٢٠٠٠م إلى ٩,٥٪ من إجمالي تكوين رأس المال ويتوقع أن تتجاوز نسبة ١٠٪ بعد عشر سنوات. إن هذه الإحصائيات تدل على الاهتمام العالمي بالاستثمار السياحي بشكل متزايد نظرا لأهمية هذا القطاع وتأثيره المباشر على قطاعات التنمية الاقتصادية.

ونلقي نظرة في هذا الجزء على الاستثمار السياحي في العالم. وفي الدول العربية. وفي المملكة العربية السعودية كما يلي:

الاستثمار السياحي العالمي

هناك العديد من المنظمات والجهات العالمية التي تقوم بنشر إحصاءات ومقارنات بين الدول المختلفة في مجال السياحة. ومن أهم هذه الجهات المجلس العالمي للسفر والسياحة (WTTC) والذي يشير تقريره (Travel and Tourism- A World of Opportunities) عن سنة ٢٠٠٣م إلى إحصاءات هامة عن الاستثمارات العالمية في القطاع السياحي حسب الدول وتوقعات النمو للاستثمارات في هذا القطاع. ويشير الجدول (٧). بأن الولايات المتحدة تصدر وبفارق كبير كافة الدول في حجم الاستثمار السياحي حيث وصل هذا الحجم في سنة ٢٠٠٣م إلى أكثر من ٢٠٤ مليار دولار وهو ما يزيد بأربعة أضعاف تقريبا عن الصين واليابان. أما نسبة ذلك الاستثمار إلى تكوين رأس المال فإن المناطق التي تعتمد على السياحة كمصدر للإيرادات بشكل رئيسي تتفوق فيها مثل هذه النسب. فمثلا تصدر أوروبا (البحر الكاريبي) ومكاو (بحر الصين) المناطق حيث يبلغ الاستثمار السياحي نسبة ٧٧٪ من إجمالي الاستثمارات

فيهما. وهناك أماكن في العالم تصل هذه النسبة فيها إلى ٦٦٪ مثل جزر ألبيهاماز و ٥٣٪ مثل جزيرة فيرجن آيلندز البريطانية (WTTC, 2003).

وهناك العديد من البلدان التي تسعى لزيادة استثماراتها السياحية بسرعة كبيرة بغرض المنافسة على جذب السياح والحصول على حصة أكبر من السوق السياحي العالمي. ويظهر جدول رقم (٨) أكبر عشر دول في سرعة نمو الاستثمارات السياحية في عام ٢٠٠٣م. ومن أهم هذه الدول: تركيا التي وصل نسبة نمو الاستثمار السياحي فيها عام ٢٠٠٣م إلى ١٨٪، وتليها مكاو، وماليزيا، وكولومبيا، وهونج كونج. أما جدول رقم (٩)، فيوضح أكبر النسب المتوقعة للاستثمارات السياحية خلال السنوات العشر القادمة. حيث يتوقع أن تصل نسبة نمو الاستثمارات في القطاع السياحي خلال العشر سنوات القادمة للمكسيك ١٠,٥٪ تليها تركيا، وفنلندا والصين على التوالي.

جدول (٧)

حجم الاستثمارات في القطاع السياحي العالمي لعام ٢٠٠٣م

الدولة	حجم الاستثمار (ملايين الدولارات)
الولايات المتحدة	204,874
الصين	55,831
اليابان	44,259
ألمانيا	36,509
أسبانيا	27,741
المملكة المتحدة	27,219
فرنسا	26,652
إيطاليا	22,056
المكسيك	16,583
أستراليا	13,900

المصدر: WTTC, 2003

جدول رقم (٨)

نسبة النمو الحقيقي للاستثمارات العالمية في السياحة، ٢٠٠٣م

الدولة	نسبة النمو %
تركيا	18
مكاو	15.1
ماليزيا	11.7
كولومبيا	11.6
هونغ كونج	11
إندونيسيا	10.9
الصين	10.5
مدغشقر	10.1
الأرجنتين	10
بلغاريا	9.7

جدول رقم (٩)

النسبة السنوية المتوقعة من الاستثمارات العالمية في السياحة

خلال الفترة ٢٠٠٤ - ٢٠١٤م

الدولة	نسبة النمو %
المكسيك	10.5
تركيا	8.5
فنلندا	8
الصين	8
الأرجنتين	7.7
ماليزيا	7.6
الهند	7.5
سنغافورة	7.4
تايوان	6.9
هونغ كونج	6.8

المصدر: WTTC, 2003

الاستثمار السياحي في الدول العربية

تعد دول الخليج من أكثر الدول العربية استثماراً في القطاع السياحي، وهي في معظمها استثمارات في المجمعات التجارية الضخمة التي تضم المشاريع السكنية السياحية (الفنادق والوحدات السكنية المفروشة). وأبرز المحلات والأسماء العالمية كسلاسل المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، وفي مدن الترفيه والحدائق والمنتزهات المتطورة. ويتبادر إلى الذهن مدينة دبي كمركز سياحي وترفيهي بارز بين المدن المختلفة لدول الخليج فهي ذات نشاط ملحوظ في تنظيم المهرجانات والفعاليات المختلفة وما تضمه من مراكز وتجهيزات سياحية وترفيهية. كما ازدهر الاستثمار السياحي في البحرين من خلال رؤوس الأموال الخليجية المشتركة، وخاصة بعد إنشاء جسر الملك فهد الذي سهل الوصول إليها برا (اتحاد الغرف التجارية الصناعية العربية، ٢٠٠٢م).

أما في الدول السياحية العربية الأخرى، فقد قدرت هيئة الاستثمار المصرية الاستثمارات السياحية في مصر لسنة ٢٠٠٠م بما يزيد على ٢٨ مليار جنيه مصري. كما تتميز دول عربية أخرى مثل لبنان وتونس والمغرب بأنشطة سياحية متطورة ومقومات سياحية جذبت العديد من الاستثمارات العربية وبعض الاستثمارات الأوروبية (الناجم، ٢٠٠٤)

الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية

يتضح مما سبق بأن القطاع السياحي أصبح يلعب دوراً هاماً في اقتصاديات العديد من المناطق والدول، فقد أصبح جلياً ومن خلال إحصائيات المجلس العالمي للسفر والسياحة، وكما يوضح الجدول رقم (١٠)، بأن نسبة مساهمة قطاع السياحة في إجمالي الناتج المحلي لعام ٢٠٠٤م بلغت ما متوسطه حوالي ١٥٪ في مناطق مثل منطقة الكاربي وشمال أفريقيا. كما أن مساهمة القطاع السياحي في إجمالي الناتج المحلي للمملكة العربية السعودية لعام ٢٠٠٤م بلغت ٨,٤٪، علماً بأن متوسط مساهمة القطاع السياحي في إجمالي الناتج المحلي الإجمالي العالمي بلغت ١٠,٤٪ خلال نفس الفترة.

كما أن نسبة مساهمة القطاع السياحي السعودي في إجمالي الناتج المحلي قد تجاوزت متوسط مساهمة هذا القطاع في كل من دول الشرق الأوسط، وجنوب شرق آسيا، وأمريكا اللاتينية، وجنوب آسيا. مما يؤكد على أن أنشطة القطاع السياحي أصبحت تلعب دوراً رئيسياً وحيوياً في الاقتصاد السعودي، علماً بأن هذا القطاع مازال يعتبر حديثاً ولديه إمكانيات ومؤهلات مستقبلية ليصبح أكثر فعالية ومشاركة ومساهمة في أنشطة الاقتصاد المختلفة.

جدول رقم (١٠)

متوسط مساهمة قطاع السياحة في إجمالي الناتج المحلي لعام ٢٠٠٤م

المنطقة	مساهمة قطاع السياحة (%)
الكاربيبي	14.8
شمال أفريقيا	13.2
الاتحاد الأوروبي	11.5
شمال أمريكا	10.7
شمال شرق آسيا	9.3
الشرق الأوسط	9
جنوب شرق آسيا	7.4
أمريكا اللاتينية	7.3
جنوب آسيا	5
دول العالم	10.4
السعودية	8.4

المصدر : (WTTC, 2004)

جدول رقم (١١)

متوسط نسبة استثمارات القطاع السياحي من إجمالي الاستثمارات لعام ٢٠٠٤م

المنطقة	نسبة استثمارات القطاع السياحي (%)
الكاربيبي	21.7
شمال أفريقيا	14.2
الشرق الأوسط	11.8
شمال أمريكا	10.4
جنوب شرق آسيا	10.4
الاتحاد الأوروبي	9.5
أمريكا اللاتينية	9.4
جنوب آسيا	7.4
شمال شرق آسيا	7.2
دول العالم	9.4
السعودية	8.7

المصدر : (WTTC, 2004)

كما يشير جدول رقم (١١). بأن نسبة استثمار قطاع السياحة إلى إجمالي الاستثمارات في المملكة العربية السعودية بلغت نسبة ٨,٧٪ في عام ٢٠٠٤م، وهو ما يقارب متوسط النسبة العالمية ويتجاوز بذلك متوسط نسبة استثمارات منطقة شمال شرق آسيا وجنوب آسيا في القطاع السياحي، مما يدل على أن قطاع السياحة في المملكة لديه قدرة وطاقات استيعابية لمزيد من الاستثمارات لما تمتلكه المملكة العربية السعودية من إمكانيات سياحية في العديد من المجالات وتحديداً في مجال قضاء الأجازات للسياح المحليين ومجال السياحة الدينية للسياح المحليين والدوليين. وهذا مما يتطلب المزيد من الاستثمارات في هذا القطاع.

لذا تتوقع الهيئة العليا للسياحة أن يصل احتياج قطاع السياحة في المملكة إلى استثمارات ضخمة خلال العشرين سنة القادمة. حيث يمثل القطاع الخاص محور عملية تنمية السياحة في المملكة، وذلك لما يتمتع به من كفاءة إدارية وخبرات استثمارية وقدرة تنافسية عالية ومرونة في العمل تمكنه من تقديم الخدمات التي يطلبها سوق السياحة بمستوى عالي وأسعار تنافسية.

وعلى الرغم من حداثة النشاط السياحي في المملكة - إذا استثنينا السياحة الدينية - فإن الوضع التنافسي للمملكة يمكن أن يصنف على أنه متوسط. فقد قام مجلس السفر والسياحة العالمي بتصميم سبع مؤشرات تنافسية وهي (١) مؤشر الأسعار ويشمل الفنادق والمعيشة، و(٢) الموارد البشرية وتشمل التعليم، و(٣) البنية التحتية وتشمل الطرق والصرف الصحي ومياه الشرب، و(٤) مؤشر البيئة ويشمل الازدحام السكاني والتلوث والمشاركة في الاتفاقات البيئية، و(٥) مستوى التقنية ويشمل الانترنت والاتصالات، و(٦) مؤشر درجة الانفتاح ويشمل سهولة التأشيرات والانفتاح التجاري والسياحي ومستوى الضرائب والتجارة الدولية، و(٧) المؤشر الاجتماعي ويشمل التطور الاجتماعي واستخدام الكمبيوتر والصحافة. وقد عقدت مقارنة بين الدول في هذه المؤشرات التنافسية لعام ٢٠٠٢م وسجلت مؤشرات التنافس في المملكة في كل من السعر والموارد البشرية والتقنية والمؤشر الاجتماعي درجة متوسطة، ومؤشرا البيئة والانفتاح أقل من المتوسط، وسجل مؤشر التنافس في البنية التحتية درجة أعلى من المتوسط. كما بينت إحصائيات هذا المجلس نفسه أن المملكة تصدر دول العالم في النمو المتوقع للسياحة الخارجية لعام ٢٠٠٣م، حيث بلغت توقعات النمو الحقيقي ١٥,٤٪ (WTTC, 2004).

وعلى الرغم من الاستثمارات الكبيرة في القطاع السياحي في المملكة من جانب الحكومة ومن جانب القطاع الخاص في المملكة، إلا أننا نجد في المقابل أن

الاستثمارات السعودية في القطاع السياحي خارج المملكة بلغت أكثر من ثلاثين مليار ريال سعودي، كما بلغ حجم إنفاق السائح السعودي في الخارج حوالي خمسة وعشرون مليار ريال سنوياً (الغامدي، ٢٠٠٢م). وهذا ما يستلزم نظرة فاحصة إلى مقومات الاستثمار في المملكة في مقابل المعوقات التي تواجه المستثمرين الوطنيين والأجانب، وهذا ما سنتناوله الأجزاء الأخيرة من الدراسة.

الآثار الاقتصادية للقطاع السياحي

أصبح القطاع السياحي يمثل محددًا رئيسياً في العديد من اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية على حدٍ سواء نتيجة لتطور هذا القطاع وزيادة الطلب على خدماته خلال الفترة الماضية، وما يحققه من عوائد اقتصادية على أنشطة الاقتصاد المختلفة. حيث أصبحت مساهمة القطاع السياحي في إجمالي الناتج المحلي وحسب إحصائيات المجلس العالمي للسياحة والسفر تصل إلى ١٠,٤ على المستوى العالمي في عام ٢٠٠٤م وبذلك يصبح قطاع السياحة كأحد القطاعات الخدمية الهامة في تنشيط اقتصاديات الدول .

إن رفع مساهمة قيمة القطاع السياحي في اقتصاديات الدول يساعد على زيادة الفرص الوظيفية، و زيادة معدل الاستثمارات الرأسمالية، وتحسين ميزان المدفوعات، والحصول على النقد الأجنبي، وإحداث تنمية جغرافية (إقليمية) وخصوصاً في المناطق والأقاليم التي تحتوي على مواقع جذب للسياح.

كما أن للقطاع السياحي تأثيراً مباشراً وغير مباشر، يتم عن طريق إنفاق السياح المحليين والدوليين. حيث يتم الأثر المباشر لإنفاق السياح من خلال الإنفاق على الفنادق، والمطاعم والنقل والمتاحف وبائعي التجزئة بينما يمثل الأثر غير المباشر لإنفاق السياح من خلال التأثير على الدخل والتوظيف (الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، ٢٠٠١م). ويوضح شكل رقم (٤) الآثار المباشرة وغير المباشرة لإنفاق السياح وكذلك أنواع

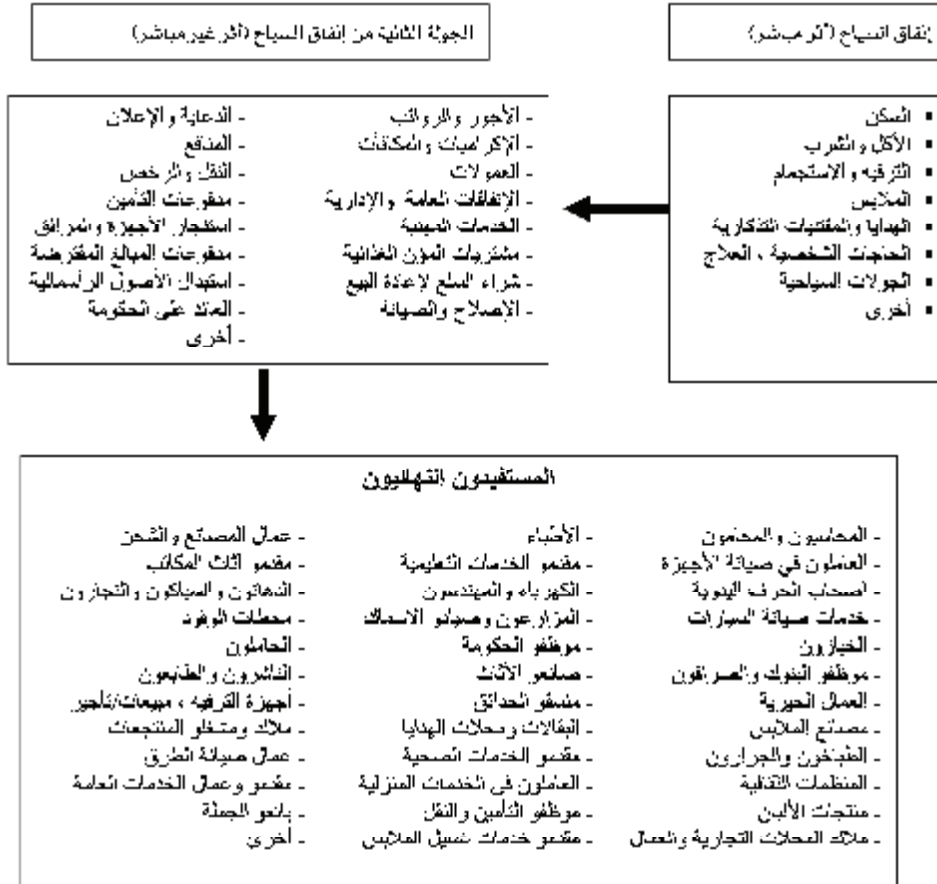
المستفيدون النهائيون. حيث يوضح ذلك الشكل أن هناك ثلاث جولات لهذه الآثار الاقتصادية وهي كالتالي (المرجع السابق):

١. الإنفاق الأول المباشر على السكن والأكل والترفيه والجولات السياحية.
 ٢. الإنفاق الثانوي غير المباشر عبر مضاعفات السياحة: الأجور والرواتب والمكافآت والعمولات وغيرها.
 ٣. المستفيدون النهائيون: المهندسون ورجال الأعمال، أصحاب الأعمال الصغيرة، مختلف قطاعات الاقتصاد (أصحاب المهن المختلفة، الموظفين في القطاعين العام والخاص، الحرفيون، ونطاقاً واسعاً من الأنشطة الاقتصادية).
- وبذلك يتضح قوة التأثير المباشر للقطاع السياحي على نفس القطاع والتأثير غير المباشر على القطاعات الاقتصادية الأخرى.

كما أشارت الهيئة العليا للسياحة في مسحها للسياحة المحلية (٢٠٠٣م). أن مصروفات السياحة المحلية بلغت حوالي ٤١ مليار ريال سعودي خلال العام ٢٠٠٣م، كما قدرت أيضاً نفقات السياح الدوليين بحوالي ١٢,٦ مليار ريال سعودي. عليه فان القيمة المضافة للاقتصاد السعودي من النفقات للسياح المحليين قد قدرت بحوالي ٢٥ مليار ريال سعودي، بينما بلغت القيمة المضافة لنفقات السياح الدوليين بحوالي ٥,٩ مليار ريال سعودي. وبذلك تبلغ القيمة المضافة ٣٠,٩ مليار ريال (من إجمالي الإنفاق للسياح ٥٣,٤ مليار ريال سعودي). وحيث أن الناتج المحلي الإجمالي قد تم تقديره بحوالي ٧٩٤ مليار ريال سعودي في عام ٢٠٠٣م، لذا القطاع السياحي يسهم بنسبة ٣,٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي للمملكة في العام ٢٠٠٣م (راجع جدول رقم ١٢ وشكل رقم ٥).

شكل رقم (٤)

الآثار الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة لأنفاق السياح



المصدر: الهيئة العليا لسياحة، البرنامج الاقتصادي، ٢٠٠١م

كما أن هناك دراسات توقعت أن يرتفع حجم العائد من نظام العمرة للعام الحالي (٢٠٠٥م) بنحو ٨ مليار ريال عبر ثلاثة ملايين معتمر متوقع وصولهم إلى المشاعر المقدسة لهذا العام على أن يستفيد من هذه المبالغ الفنادق والوحدات السكنية والمطاعم وشركات النقل والأسواق التجارية. كما توقعت تلك الدراسات أيضا أن العائد من نظام العمرة في عام ٢٠١٣م سوف يرتفع إلى ١٣ مليار ريال ويتوقع أن يصل عدد

المعتمرين حينها إلى خمسة ملايين معتمر سنوياً. كما قدرت تلك الدراسات أيضاً الحد الأعلى للإيرادات لكل معتمر بنحو ٤٥٠٠ ريال والحد الأدنى ٢٥٠٠ ريال بينما متوسط الإيرادات لكل معتمر ٣٥٠٠ ريال، وبذلك يصبح العائد الاقتصادي لنظام العمرة على الناتج المحلي الإجمالي ١,٢٢٪. كما يسهم نظام العمرة حسب تلك الدراسة في توفير عشرة آلاف فرصة عمل للمواطنين السعوديين ويتقاضون شهرياً نحو ٢٦ مليون ريال. إذ يقدر الدخل من هذا النظام بنحو خمسة مليارات ريال (مجلس الغرف التجارية الصناعية، ٢٠٠٤م).

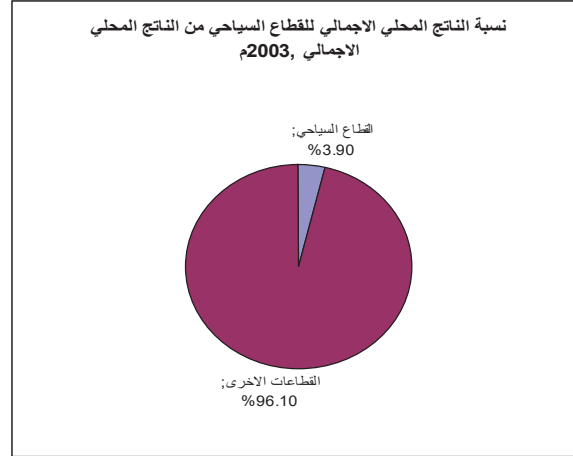
جدول رقم (١٢)

القيمة المقدرة المضافة من السياحة حسب نوع الإنفاق، ٢٠٠٣م (القيمة بالمليار ريال)

المجموع	السياحة القادمة			السياحة المحلية			نوع الإنفاق
	القيمة المضافة (%)	القيمة المضافة	الإنفاق	القيمة المضافة (%)	القيمة المضافة	الإنفاق	
6.7	35.6	2.1	3	18.4	4.6	6.6	الإيواء
6.1	20.3	1.2	1.8	19.2	4.8	6.9	المأكولات والمشروبات
4.9	18.6	1.1	1.6	15.6	3.9	5.5	النقل
10.6	6.8	0.4	0.6	40.8	10.2	14.5	الترفيه
1.9	16.9	1	5.1	3.6	0.9	4.3	التسوق
0.7	1.7	0.1	0.5	2.4	0.6	3	أخرى
30.9	100.0	5.9	12.6	100	25	40.8	المجموع

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

شكل رقم (٥)



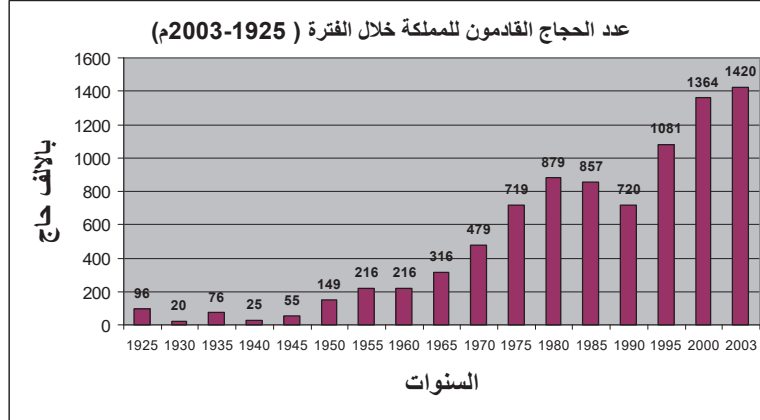
المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

ملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة

تعتبر مكة المكرمة مهوى أفئدة الملايين من المسلمين في شتى أرجاء الأرض وهي مهبط الوحي وموقع المسجد الحرام المبارك وكعبته المشرفة التي هي مقصد ملايين الحجاج والمعتمرين والزائرين. لقد شاءت قدرة الله عز وجل أن يجعل الكعبة المشرفة والمسجد الحرام في مكة المكرمة والتي كانت لها الآثار والنتائج الايجابية من حيث تعمير مدينة مكة المكرمة وتطويرها. لقد كانت لهذه الصفات التي من الله بها على مكة المكرمة من الأسباب التي أدت إلى ازدهار وتطور منطقة مكة المكرمة (جدة، ومكة المكرمة، والطائف). كما أن مدينة مكة المكرمة أصبحت موقعاً يرغب اغلب زوار المملكة زيارته، كما أصبح هؤلاء الزوار مصدراً اقتصادياً هاماً لمنطقة مكة المكرمة نتيجة لما يقومون به من إنفاق على السلع والخدمات التي يحتاجونها أثناء زيارتهم.

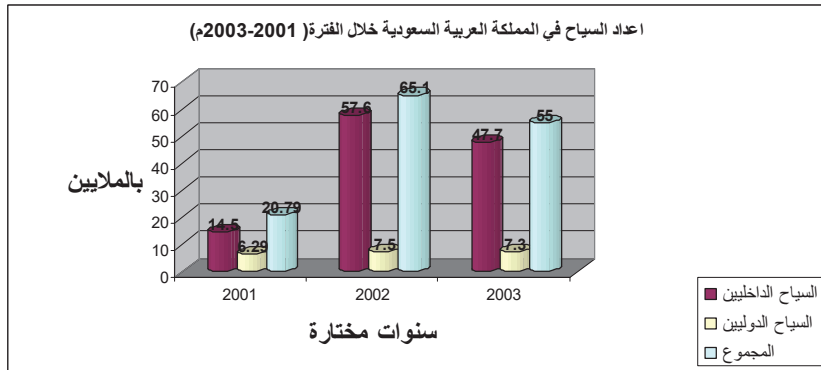
لقد تزايد أعداد زوار مكة المكرمة من الحجاج مع بداية تأسيس الدولة السعودية، حيث تشير الإحصائيات كما في الشكل رقم (٦)، أن أعداد الحجاج قد تزايد بشكل كبير خلال الفترة (١٩٢٥ - ٢٠٠٣م). حيث تزايد أعداد الحجاج من ٩٦ ألف حاج في عام ١٩٢٥م إلى ٤٧٩ ألف حاج في عام ١٩٧٠م. بنسبة زيادة تقدر بحوالي ٤٠٠٪. لقد أدركت الحكومة السعودية الطلب الكبير على زيارة مكة المكرمة والأعداد الكبيرة من الحجاج والمعتمرين الذين يرغبون في زيارة الأماكن المقدسة. وبهذا تم العمل على تطوير مرافق الخدمات للوصول إلى مدينة مكة المكرمة والأماكن المقدسة مما استلزم استحداث مشاريع تطويرية لمكة المكرمة من خلال خطط التنمية التي بدأتها المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٠م. ويوضح الشكل رقم (٦) زيادة أعداد الحجاج القادمين للمملكة، حيث ارتفعت نسبتهم بمقدار ٥٠٪ خلال الفترة (١٩٧٠ - ١٩٧٥م). واستمرت زيادة أعدادهم حتى وصلت إلى مليون وأربعمائة وعشرون ألف حاج في عام ٢٠٠٣م. لقد كان للاهتمام الكبير الذي أولته الدولة السعودية بهذه المنطقة ومدينة مكة المكرمة تحديداً الدور الكبير في استقبال واستيعاب هذه الأعداد الكبيرة من الحجاج والمعتمرين من داخل وخارج المملكة التي وصلت في عام ٢٠٠١م إلى حوالي ٢١ مليون زائر (سائح) وفي عام ٢٠٠٢م إلى حوالي ٦٥ مليون زائر وفي عام ٢٠٠٣م إلى حوالي ٥٥ مليون زائر على التوالي (راجع شكل رقم ٧).

شكل رقم (٦)



المصدر: وزارة الحج ومصالح الإحصاء العامة، التقرير السنوي أعداد متفرقة.

شكل رقم (٧)



المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

ولقد لعب القطاع الخاص دوراً هاماً وبارزاً في مقابلة طلبات زوار مكة المكرمة من حيث توفير الخدمات التي يحتاجها السياح المحليين والدوليين. بالإضافة إلى الدولة السعودية التي قامت بتوفير العديد من مشاريع البنية الأساسية لزوار المنطقة. و كما هو معروف عن السوق السعودي وهو تطبيق آلية السوق الحر. لذلك فقد استشعر القطاع الخاص الطلب الكبير على الخدمات السياحية التي يتطلبها زوار منطقة مكة

المكرمة وتحديدًا مدينة مكة المكرمة. حيث قام القطاع الخاص بإنشاء العديد من المشاريع السكنية السياحية (الفنادق والوحدات السكنية) ومشاريع خدمات المأكولات والمشروبات والنقل والتسويق ووكالات السفر السياحية التي كان لها الأثر الواضح على اقتصاد منطقة مكة المكرمة.

لقد أتضح لنا من الإحصاءات السابقة اتجاهات السياح المحليين والدوليين وحجم سوق السياحة في المملكة العربية السعودية والطاقات الكامنة التي يتمتع بها هذا السوق. والذي يمكن له الاستفادة من المقومات السياحية فيه، وأهمها زيارة الأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وما يصاحب ذلك من أنشطة سياحية مختلفة. تستلزم توفير العديد من المشاريع السياحية الاستثمارية المتعددة مثل المرافق السكنية السياحية، والمعارض والمؤتمرات، والمهرجانات، وخدمات الأكل والمشروبات، ووكالات السفر والسياحة وخدمات المعلومات السياحية والإرشاد السياحي. لذا يمكن للقطاع الحكومي والخاص توجيه القرارات الاستثمارية المناسبة التي تلبى حاجة وطلب القطاع السياحي.

ويشير جدول رقم (١٣) بأن هناك حوالي ٦٥,١ مليون سائح في عام ٢٠٠٢م قاموا برحلات سياحية في المملكة (٥٧,٦ مليون سائح من الداخل، ٧,٥ من الخارج). شكل أنفاق هؤلاء السياح ما قيمته ٦٣,٥ مليار ريال (٥٠,٧ مليار ريال أنفاق من السياح من الداخل، ١٢,٨ مليار ريال أنفاق السياح من الخارج). لقد كانت منطقة مكة المكرمة وتحديدًا مدينة مكة المكرمة من أكثر الجهات جذباً لجميع السياح وخصوصاً السياح الدوليين.

جدول رقم (١٣)

الرحلات السياحية في المملكة لعام ٢٠٠٢م

الرحلات السياحية	عدد الرحلات السياحية	أفضل ٣ وجهات	إنفاق السياح
الداخلية	57.6 مليون	مكة المكرمة جدة الرياض	50.7 بليون ريال
القادمة للمملكة	7.5 مليون	مصر الكويت سوريا	12.8 بليون ريال
المجموع	65.1 مليون		63.5 بليون ريال

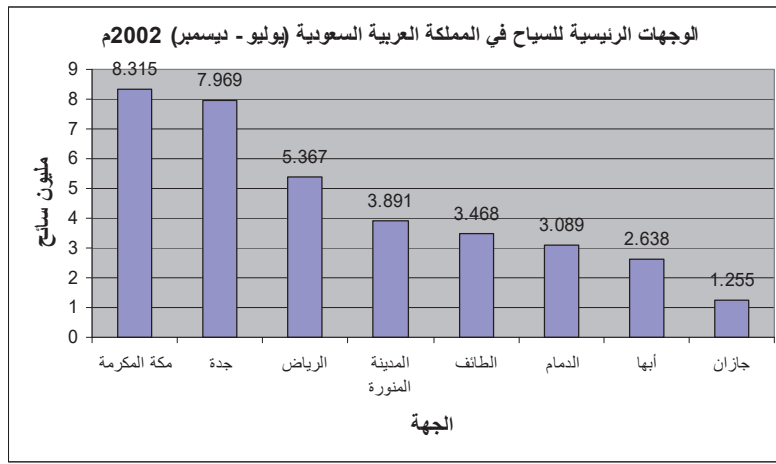
المصدر: الهيئة العليا للسياحة، الملف الإحصائي للسياحة ٢٠٠٢م، .

ويتضح أيضاً من إحصائيات الهيئة العليا للسياحة لعام ٢٠٠٢م، أن من بين ٤٣,٨ مليون رحلة سياحية داخلية قام بها المقيمون في المملكة خلال النصف الثاني من العام ٢٠٠٢م، أن هناك حوالي ٤٦% من الرحلات كانت وجهتها منطقة مكة المكرمة، بحيث شكلت كل من مدينتي جدة ومكة المكرمة أكثر الرحلات اجتذاباً للسياح داخل المنطقة. وبالنظر إلى شكل رقم (٨) نجد أن أكثر المدن جذباً للسياح داخل المناطق الإدارية ثمان جهات رئيسية هي على التوالي: مكة المكرمة، وجدة، والرياض، والمدينة المنورة، والطائف، وأبها وجازان. حيث استحوذت مدينة مكة المكرمة فقط خلال تلك الفترة على ٨,٣ ملايين سائح وذلك يمثل ما نسبته حوالي ٢٣% من مجموع رحلات السياحة الداخلية خلال النصف الثاني من العام ٢٠٠٢م. علماً بأن، كما تم ذكره سابقاً، زيارة مدينة مكة المكرمة تأتي في أولوية السياح الدوليين، وتأتي في المرتبة الثالثة بالنسبة لأولويات السياح الداخلين، حيث أن السياحة الدينية شكلت ما نسبته ٢٥% من الرحلات الداخلية في المملكة العربية السعودية حسب الغرض من الزيارة لعام (٢٠٠٢م)، كما يشير شكل رقم (٩). وهذا إشارة واضحة بان

المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)

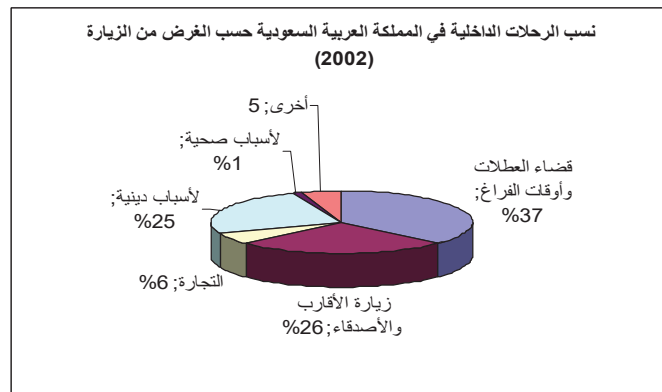
مدينة مكة المكرمة تعتبر مصدراً أساسياً للطلب على السياحة في منطقة مكة المكرمة.

شكل رقم (٨)



المصدر: الهيئة العليا للسياحة، الملف الإحصائي لعام ٢٠٠٢م.

شكل رقم (٩)



المصدر: الهيئة العليا للسياحة، الملف الإحصائي لعام ٢٠٠٢م.

لا بد الإشارة هنا إلى أن الاقتصاد السعودي يستفيد بشكل أساسي من السياح الدوليين في الحصول على النقد الأجنبي وتحديداً في شكل عوائد سفر الحجاج والمعتمرين والذين وجهتهم الرئيسية مكة المكرمة. حيث أوضح تقرير الهيئة العليا للسياحة لعام ٢٠٠٢م أن عوائد النقد الأجنبي للنشاط السياحي من الحجاج والمعتمرين متضمنةً عوائد وكالات السفر الجوية بلغت في عام ٢٠٠١م حوالي ١٤ مليار ريال توزعت بنسبة ٤٢,٣٪ من المعتمرين ، ٣٦,٦٪ من الحجاج و ٢١,١٪ من تدفقات شركات الطيران (جدول رقم ١٤) .

كما اتضح من خلال إحصائيات وزارة التجارة والهيئة العليا للسياحة، أن منطقة مكة المكرمة وتحديداً مدينة مكة المكرمة تمثل النسبة الكبرى في توزيع الفنادق حسب المناطق والدرجة، حيث أوضحت تلك الإحصائيات لعام ٢٠٠٢م ، أن مكة المكرمة تحتوي على ٤٦٩ فندق (جميع الدرجات) وذلك يمثل ما نسبته ٥٩٪ من إجمالي الفنادق في جميع المناطق الإدارية للمملكة. هذه الفنادق توفر ما يقارب ٥٤ ألف غرفة للسياح الداخليين والدوليين من الإجمالي المقدر بحوالي ٨١ ألف غرفة (جدول رقم ١٥).

كما أن قطاع الوحدات السكنية المفروشة واكب التطور الملحوظ في أعداد الرحلات السياحية في المملكة. حيث يشير جدول رقم (١٦) ، أنه في عام ٢٠٠٣م هناك ٢٤٦٥ مجمع للوحدات السكنية تشتمل على حوالي ٥٣,٧٠٠ وحدة سكنية، يتركز منها ٢٠,٦٨٧ وحدة سكنية في مكة المكرمة وهذا ما يمثل نسبة ٣٨,٥٪ من حصة مجموع الوحدات السكنية في السوق السعودي .

أيضاً يلعب قطاع وكالات السفر والسياحة دوراً هاماً في تشغيل القطاع السياحي في المملكة. حيث يتطلب تطوير القطاع السياحي زيادة في مستوى وأداء وكالات السفر والسياحة. لقد بلغت تلك الوكالات عام ٢٠٠٣م في السوق السعودي ما مجموعه ١٠٩٧ وكالة. ونظراً لأهمية منطقة مكة المكرمة في جذب السياح فقد بلغ عدد وكالات

السفر والسياحة ٣٩٠ وكالة وهذا يمثل ما نسبته ٣٥,٥٪ من عدد الوكالات في المملكة (جدول رقم ١٧).

كما تسعى الشركات والمؤسسات العاملة في خدمات العمرة إلى استكشاف أسواق جديدة لزيادة المعتمرين في ضوء نظام العمرة الجديد والنتائج المرضية التي حققها تطبيق ذلك النظام والطلب الكبير على خدمات تلك الشركات والمؤسسات. ووفقاً لإحصائيات وزارة الحج، بلغ عدد تأشيرات العمرة في عام ٢٠٠٣م حوالي ١,٦٧٠,٠٠٠ تأشيرة بينما بلغ عدد تأشيرات العمرة في عام ٢٠٠٢م حوالي ١,٦٧٠,٠٠٠ تأشيرة مما يعني أن هناك زيادة في نسبة المعتمرين تصل إلى أكثر من ٥٠٪.

كما أن منطقة مكة المكرمة أيضاً يتركز فيها ما يقارب ٥٠٪ من عدد المطاعم في جميع مناطق المملكة. وهذا بحد ذاته مؤشر اقتصادي هام على حجم الطلب على خدمات المطاعم والذي بدوره يشير إلى أن هناك أعداد كبيرة من الزيارات للمنطقة (السياح) يحتاجون إلى خدمات المأكولات والمشروبات والتي كانت ضمن صناعة المطاعم التي تعتبر رافداً من روافد الخدمات السياحية (جدول رقم ١٨).

بناء على ما ورد أعلاه، يتضح جلياً بأن مدينة مكة المكرمة تتمتع بنشاط سياحي ملحوظ على مدار العام وذلك يعود لرغبة أغلب السياح في زيارتها وزيارة المكان المقدس فيها (المسجد الحرام) والذي يعود على هذه المدينة بعوائد اقتصادية عديدة. حيث قدرت مصروفات السياح المحليين في عام ٢٠٠٣م ما قيمته حوالي ٤١ مليار ريال. كما بلغت نسبة المصروفات في منطقة مكة المكرمة ٤٠٪ (١٦,٥ مليار ريال) (انظر جدول رقم ١٩).

جدول رقم (١٤)

عوائد النقد الأجنبي من النشاطات السياحية للمملكة لعام ١٤٢١هـ

المصدر	حجم العائد	%
الحجاج	5.070	36.56
المعتمرين	5.876	42.31
تدفقات شركات الطيران	2.930	21.13
المجموع	13.865	100

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، حوافز الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية: ٢٠٠٢م. مرجع سابق

جدول رقم (١٥)

توزيع الفنادق حسب المناطق والدرجة، ٢٠٠٢م

اسم المنطقة	فنادق الدرجة الممتازة	فنادق الدرجة الأولى	فنادق الدرجة الثانية	فنادق الدرجة الثالثة	فنادق الغير مصنفة	مجموع الفنادق	النسبة المئوية (%) للفنادق	مجموع الغرف
مكة المكرمة	23	70	214	162	0	469	59	53,902
الرياض	7	20	26	17	3	73	9	7,261
المنطقة الشرقية	6	12	30	23	0	71	9	5,067
المدينة المنورة	9	21	17	7	2	56	7	9,662
عسير	2	4	23	5	1	35	4	1,764
تبوك	0	1	11	8	4	24	3	898
الحدود الشمالية	0	1	8	6	5	20	3	559
نجران	0	1	3	8	0	12	2	420
جيزان	0	2	5	3	0	10	1	472
القصيم	0	5	2	1	2	10	1	560
الجوف	0	1	3	3	0	7	1	197
الباحة	0	3	1	2	0	6	1	265
حائل	0	1	2	0	0	3	0	170
المجموع	47	142	345	245	17	796	100	81,197

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

جدول رقم (١٦)

توزيع الوحدات السكنية المفروشة حسب المناطق، ٢٠٠٣م

اسم المنطقة	مجموع البنائيات للوحدات السكنية	مجموع الوحدات السكنية	النسبة المئوية (%) للوحدات السكنية من حصة السوق
مكة المكرمة	994	20,687	38.5
المدينة المنورة	364	13,119	24.4
الرياض	367	7,160	13.3
المنطقة الشرقية	225	4,722	8.8
عسير	195	2,841	5.3
الباحة	81	1,738	3.2
القصيم	102	1,681	3.1
حائل	63	739	1.4
نجران	48	610	1.1
تبوك	10	303	0.6
الجوف	8	100	0.2
المجموع	2457	53,700	100

المصدر: الهيئة العليا للسياحة , مركز ماس , ٢٠٠٤م

جدول رقم (١٧)

توزيع وكالات السفر والسياحة المرخصة حسب المناطق، ٢٠٠٣م

اسم المنطقة	وكالات السفر	النسبة المئوية للعرض (%)
مكة المكرمة	390	35.50%
الرياض	352	32.1
المنطقة الشرقية	208	18.9
المدينة المنورة	35	3.2
عسير	34	3.2
الحدود الشمالية	15	1.4
نجران	13	1.2
القصيم	13	1.2
تبوك	12	0.1
حائل	9	0.8
جازان	9	0.8
الجوف	6	0.5
الباحة	1	0.1
المجموع	1097	100%

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ - (٢٠٠٥م)

جدول رقم (١٨)

المطاعم في المملكة لعام ٢٠٠٢م

النسبة %	العدد	المناطق
46.4	2481	مكة المكرمة
16.6	889	الشرقية
10.5	562	الرياض
9.3	498	المدينة المنورة
17.1	915	المناطق الأخرى
100	5345	المجموع

المصدر: الهيئة العليا للسياحة . حوافز الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية . ٢٠٠٢م.
مرجع سابق.

جدول رقم (١٩)

إنفاق السياح المحليين حسب وجهة الزيارة ونوع الإنفاق، ٢٠٠٣م

(القيمة بالمليون ريال سعودي)

النسبة (%)	الإجمالي	أخرى	الترفيه	التسوق	النقل	المأكولات والمشروبات	الإيواء	المنطقة
2	648	61	110	165	54	182	75	الباحة
0	79	13	7	13	15	27	3	الجوف
6	2,691	211	271	712	256	577	664	المدينة المنورة
1	518	23	67	174	80	119	55	القصيم
19	7,691	749	749	3,265	1,079	1,054	786	الرياض
7	2,781	135	430	668	375	634	539	عسير
9	3,627	142	587	999	552	698	648	المنطقة الشرقية
1	390	29	56	136	59	85	25	حائل
2	867	29	101	269	171	229	69	جازان

تابع جدول رقم (١٩)

النسبة (%)	الإجمالي	أخرى	الترفيه	التسوق	النقل	المأكولات والمشروبات	الإيواء	المنطقة
40	16,498	881	1,807	5,493	2,240	2,905	3,172	مكة المكرمة
0	206	5	28	57	40	38	39	نجران
0	192	39	24	61	20	32	17	الحدود الشمالية
1	621	63	83	146	102	146	80	تبوك
10	3,999	641	0	2,310	448	223	378	غير محدد
100	40808	3021	4320	14468	5491	6949	6550	الإجمالي

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز ماس، ٢٠٠٤م

مقومات الاستثمار السياحي في المملكة

كما تم الإشارة إليه سابقاً، يلعب الاستثمار عموماً والاستثمار الأجنبي المباشر بصفة خاصة دوراً محورياً في توفير التمويل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وبما أن القطاع السياحي أحد القطاعات التي تحتاج إلى استثمارات محلية وأجنبية مباشرة للنهوض بالبنية الأساسية للقطاع وتوفير المتطلبات المختلفة التي يحتاجها القطاع السياحي، فإن هناك العديد من المقومات التي تساعد القطاعات الاقتصادية السعودية وتحديداً القطاع السياحي في جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية المباشرة ومنها ما يلي:

١. التزام المملكة بمنهج اقتصاد السوق، وتشجيع مساهمة القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي، وتهيئة كل ما من شأنه تعزيز المنافسة في أسواقها الداخلية. ونلاحظ في هذا الخصوص أن المملكة ظلت وما تزال تلتزم التزاماً تاماً بصياغة وتنفيذ سياستها الاقتصادية وفقاً لمبادئ السوق الحر، كما تؤكد استراتيجيات خطط التنمية المتعاقبة على ضرورة إتباع هذا المنهج لتوفير أفضل الظروف لتنمية واستقطاب الاستثمار وتوظيفه بما يخدم أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٢. تتمتع المملكة بالاستقرار السياسي منذ توحيدها في عام ١٩٣٢م، وقد انعكس هذا الاستقرار في ناحية منه في المحافظة على حقوق المستثمرين الأجانب حيث لم يعرف تاريخ المملكة الطويل في ميدان الاستثمار الأجنبي أي إجراءات تتعلق بالصادرة أو التأميم أو نزع ملكية الاستثمارات الأجنبية أو المحلية إلا للصالح العام وبمقابل تعويض مجزي على أساس القيمة السوقية.
٣. كما يمثل الاستقرار الاقتصادي في الدول المضيفة ركيزة أساسية لجذب الاستثمارات الأجنبية وذلك لان دافع الربحية الذي يحدد إلى درجة كبيرة أماكن توطين هذه الاستثمارات يتأثر مباشرة بالاستقرار الاقتصادي في الدول المستقبلة للاستثمارات. ونلاحظ هنا جاذبية الاقتصاد السعودي للاستثمارات الأجنبية من حيث انخفاض معدلات التضخم ومحافظة العملة الوطنية على استقرار سعر صرفها من عام لآخر. مما يؤدي إلى تحييد أي آثار سلبية على المستثمرين الأجانب قد تنجم من تذبذب سعر الصرف مقابل العملات الأجنبية. كما شهد الحساب الجاري في النصف الثاني من العقد الماضي تحسنا كبيرا يعضد، مع التحسن في الموازنة العامة، من الاستقرار الاقتصادي في البلاد.
٤. يعتبر حجم الاقتصاد في الدولة المضيفة وحجم السوق فيها أيضا من المؤثرات الهامة في توجيه الاستثمارات الأجنبية نحو دول بعينها. ومرة أخرى نلاحظ أن المملكة تتمتع بجاذبية كبيرة للاستثمارات الأجنبية حيث تحظى بأكبر اقتصاد في منطقة الشرق الأوسط - بعد تركيا - إذ بلغ إجمالي الناتج المحلي فيها حوالي ٧٩٤ مليار ريال في عام ٢٠٠٣م، وهو ما يعادل حوالي ربع الناتج الإجمالي لكل الدول العربية مجتمعة وأكثر من ٥٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي لدول مجلس التعاون الخليجي.
٥. تتمتع المملكة بموقع استراتيجي متميز حيث تقع على ملتقى الطرق التجارية بين الشرق والغرب ولها منافذ بحرية على الخليج العربي تطل منها على آسيا والشرق

- الأقصى وأخرى على البحر الأحمر تمكّنها من النفاذ إلى أسواق أوروبا وأفريقيا بسهولة ويسر.
٦. توجد بالمملكة شبكة واسعة من مكونات البنية التحتية من مطارات وطرق مرصوفة ومحطات لتوليد الكهرباء وتحلية المياه، بالإضافة إلى قطاع مصرفي متطور. وينتظر أن تؤدي جهود المملكة الحالية لتوسيع وإعادة تأهيل مكونات البنية التحتية والمرافق الخدمية إلى رفع درجة تنافسية المملكة إلى مستويات أعلى.
٧. تتمتع المملكة كذلك بوفرة في الموارد الطبيعية وعلى رأسها النفط، كما تحظى باحتياطيات كبيرة من الغاز، الأمر الذي يجعل المملكة من بين أرخص مصادر الطاقة الحفرية في العالم. وبما أن تكلفة الطاقة تشكل عادة جزءاً غير يسير من إجمالي تكاليف الإنتاج مما يجعلها من بين العوامل الهامة التي تؤثر على قرارات المستثمرين، نجد على هذا الأساس أن المملكة توفر بيئة ملائمة لجذب الاستثمارات بكافة أنواعها.
٨. تطور النظام المصرفي في المملكة والذي يعد من أفضل الأنظمة المصرفية في المنطقة ويتمتع أيضاً بمستوى تقني وإداري على مستوى عالي من الكفاءة. كما أن المملكة لديها قدرات تمويلية تسمح بالحصول على رؤوس الأموال المطلوبة لإقامة المشاريع الصناعية والتجارية.
٩. تواجد الحرمين الشريفين (في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة) على أرض المملكة ورغبة جميع مسلمي العالم لزيارتها على مدار العام يشكل قطاع حيوي للسياحة الدينية حيث تشير الإحصائيات أن غالبية السياح الدوليين القادمين للمملكة يأتون لغرض الحج والعمرة.
- كل هذه المقومات التي يتمتع بها الاقتصاد السعودي تشكل دعائم مهمة في سعي الدولة لجذب المزيد من الاستثمارات (المحلية والأجنبية المباشرة)، كما ساهمت التشريعات التي سنتها المملكة مؤخراً لتشجيع الاستثمار الأجنبي في توفير الإطار

المؤسسي والقانوني لتنظيم وتحفيز وحماية الاستثمارات الأجنبية في البلاد. أضافت المملكة بذلك حلقة هامة في إطار جهودها الرامية للإصلاح الاقتصادي بتوفير البيئة الملائمة للاستفادة من مميزاتا المختلفة وتعبئة مواردها المتعددة واستغلالها.

عليه فإن المقومات والميزات التنافسية التي تزيد من جاذبية الاستثمار في قطاع السياحة في المملكة أدت إلى فتح الباب أمام مجالات عديدة للنشاطات السياحية الأولية مثل الإقامة والسكن والمعارض والمؤتمرات ووكالات السياحة وخدمات التموين والمطاعم، بالإضافة للنشاطات المساعدة مثل تجارة التجزئة والحدائق والمنتجعات والخدمات المصرفية والاتصالات، والخدمات الصحية والطبية.

معوقات الاستثمار في القطاع السياحي

في مقابل المقومات السابقة، هناك العديد من المعوقات أمام الاستثمار السياحي في المملكة. ولأهمية الموضوع فقد سبق دراسة معوقات الاستثمار من قبل عدة جهات مختصة مثل الهيئة العليا للسياحة، ومجلس الغرف التجارية والصناعية. وسنعمد في هذا الجزء من الدراسة على أوراق عمل سابقة قامت بها تلك الجهات، إضافة إلى الجهود الجادة والمكثفة التي قامت بها الهيئة العامة للاستثمار والتي منها دراسة المعوقات الإدارية للاستثمار في المملكة والعديد من التقارير والمسوحات التي أولت معوقات الاستثمار بالبحث والدراسة.

على الرغم من اختصاص الاستثمار في القطاع السياحة بمعوقات تختص بسوق السياحة في المملكة إلا أنها تواجه تقريباً المعوقات نفسها التي يواجهها الاستثمار بشكل عام. ولغرض التوضيح قسمت تلك المعوقات إلى ثلاثة أقسام بحسب مصدرها أو منشئها. حيث يضم القسم الأول المعوقات التي تنشأ عن الأنظمة والإجراءات النظامية المطلوبة لتسجيل وترخيص ومباشرة العمل، والتي في معظمها تؤثر على مناخ الاستثمار بشكل عام، بينما يتضمن القسم الثاني المعوقات التي تؤثر على سوق

السياحة، أما القسم الثالث فيتناول المعوقات الثقافية والاجتماعية والأحداث العالمية (الهيئة العليا للسياحة، ٢٠٠٢م. محمد والهجهوج، ٢٠٠٣م. والهجهوج، ٢٠٠٣م).

معوقات إدارية وتنظيمية: تضم هذه المعوقات ما يسمى بالبيئة النظامية والإجرائية في البلد المضيف ومقدار ما تساهم به في التقليل من عوامل الجذب السياحي. وسيتم الإشارة هنا إلى أهم هذه العوامل وهي:

أ. قصور بعض الأنظمة المتعلقة بالسياحة: وذلك نتيجة لحدثة هذا النشاط في المملكة. ويؤدي قصور الأنظمة والإجراءات المتعلقة بالخدمات السياحية مثل تنظيم المعارض والمؤتمرات وعدم وجود الرقابة الكافية على الخدمات التي تقدمها النشاطات السياحية المختلفة إلى فقدان العديد من الفرص التي يمكن استثمارها بتحسين البيئة النظامية والإجرائية.

ب. العوائق الإدارية: هي تلك القيود البيروقراطية التي يواجهها المستثمرون بدرجة أو بأخرى في كل معاملة حكومية وينتج عنها شكاوى المتعاملين من القطاع الخاص مع الجهات الحكومية. وقد تظهر هذه القيود بسيطة وغير مهمة، ولكنها على صغرها تستهلك وقتنا وموارد كان من الممكن أن تكرر لأغراض أكثر فائدة وإنتاجية، مما يكلف الكثير من الأموال لكل من المستثمر والاقتصاد الوطني ويخلق بيئة طاردة للاستثمار في القطاع السياحي ويؤدي إلى صعوبة توطین الاستثمارات السياحية فضلاً عن جذب الاستثمارات الأجنبية. كما قد يتسبب كل ذلك في تعطيل مشاريع استثمارية ناجحة أو إحباط مشاريع ترفيهية إبداعية نتيجة لعدم معرفة الموظف المسبقة بها أو عدم ورودها في تصنيف الجهات الحكومية.

ج. عدم تفعيل نظام تملك الأجانب للأراضي: فقد صدر نظام يسمح للأجانب بتملك العقارات اللازمة لإقامة مشروعاتهم الاستثمارية ولسكن العاملين بها، أو تملكها وتطويرها كاستثمار عقاري أو سياحي، ولكن هذا النظام لم يُفعل

حتى الآن ولا يوجد إقبال على شراء الأراضي أو العقارات من قبل الأجانب. كما أن هناك عدم وضوح لإجراءات تنفيذ هذا النظام حتى بالنسبة لموظفي الدولة المختصين بهذا الأمر. فخلافاً لما كان متوقعاً، فشل هذا النظام في تحريك الاستثمارات في مجال العقارات أو السياحة ولم يؤدي إلى حدوث الانتعاش المتوقع فيهما على الرغم من أن النظام الجديد يعتبر خطوة إيجابية تجاه تشجيع الاستثمار.

د. السعودية: تفرض سياسة السعودية على الشركات أن تقوم بتوظيف المواطنين السعوديين والعمل على تحقيق نسب محددة ومتزايدة من المواطنين ضمن تركيبة القوى العاملة بالشركات دون التفريق بين القطاعات ودون اعتبار لمدى توفر العمالة المحلية في هذا المجال. مما يضطر معه الشركات على تدريبهم وبالتالي يؤدي ذلك إلى رفع تكاليف الإنتاج مما ينعكس على سعر المنتج وضعف المنافسة. كما أن تعيين موظفين سعوديين للوفاء بنسب السعودية المطلوبة وليس من أجل القيام ببعض الأعمال والمسؤوليات المحددة يؤدي إلى تنامي ما يسمى ظاهرة "الفيل الأبيض" أو البطالة المقنعة والآثار السلبية المترتبة عليها وعلى الاقتصاد الوطني.

هـ. الإجراءات التنظيمية في منافذ السفر والعودة: الإجراءات التنظيمية في منافذ السفر والعودة في المطارات والموانئ والمراكز الحدودية يجب أن تكون أكثر مرونة وسهولة وخصوصاً للمستثمرين وللقادمين بغرض السياحة حيث أنها تمثل النقطة الأولى للتعرف على مدى الترحيب. حيث أنه من الضرورة التعامل ببسر مع الوافدين من قبل موظفي إدارة الجوازات والجمارك. وتؤدي عدم مرونة الإجراءات التنظيمية إلى إحساس القادمين بأنهم غير مرحب بهم.

و. التأشيرات ونظام الإقامة: صعوبة حصول رجال الأعمال والراغبين في زيارة المملكة على تأشيرات الدخول إلى المملكة وبطء الإجراءات المتبعة وتعقيدها وبالرغم من الجهود التي تبذلها وزارتي الخارجية والداخلية إلا أن النتيجة ما زالت غير مرضية للمستثمرين. يمثل هذا العائق حاجزاً حقيقياً للاستثمار والمستثمرين وللراغبين في

زيارة المملكة مما يعطي انطباعاً بأن المملكة لا ترحب بالمستثمرين أو الزائرين وهو ما يتعارض مع ما صدر من أنظمة جديدة ويخلق وضعاً طارداً للمستثمرين.

ز. ضعف الشفافية ونقص المعلومات: عدم توفير الأنظمة واللوائح المتعلقة بالأنشطة الاستثمارية في متناول الجميع حيث لا يتم نشر الأنظمة والقرارات في وسائل الإعلام فضلاً عن عدم وجود سجل عام يشمل قوائم مصنفة ومفهرسة بكل الأنظمة والقرارات واللوائح والسوابق القضائية المنظمة لكل نشاط استثماري، إضافة إلى تردد موظفي الدولة في تزويد المستثمرين بنسخ مما هو منشور منها وسيطرة فكرة أن الأنظمة واللوائح هي خاصة بموظفي الدولة وليس من حق المستثمر الإطلاع عليها. ويؤدي هذا المعوق بالتالي إلى الشعور بالشك والتردد في اتخاذ قرار الاستثمار في المملكة وإلى صعوبة التنبؤ بنتائج أي قضية على أساس السوابق القانونية. إضافة إلى ظهور الكثير من الصعوبات النظامية مما يؤدي إلى تكبد المستثمر خسائر مالية كبيرة بسبب عدم الوضوح وضياع الفرص البديلة منه.

ح. ضعف البنية التحتية: على الرغم مما وفرتة الحكومة السعودية خلال السنوات السابقة إلا أنه ظهر نقص في توفير الخدمات والمرافق الأساسية للمشاريع الاستثمارية وخاصة في الأماكن النائية التي يمتلك بعضها مقومات سياحية جاذبة، وهذا من شأنه أن يرفع من تكاليف إنشاء وتشغيل المشروعات السياحية وبالتالي ارتفاع تكلفة الخدمات السياحية بالمملكة مقارنة مع الدول الأخرى وخاصة الدول المنافسة. إن عدم توفر البنية التحتية بشكل جيد لإقامة الاستثمارات سيرفع من تكاليف الإنشاء والتشغيل لهذه الاستثمارات وبالتالي ارتفاع مجمل التكاليف وانخفاض صافي الأرباح مقارنة مع دول أخرى وبالتالي عزوف الاستثمارات الأجنبية عن الاستثمار السياحي بالمملكة.

معوقات سوقية: وتشمل - كما سبق أوضحنا - عدم ملائمة بعض ظروف سوق العمل لمتطلبات الاستثمار السياحي ومن ذلك:

أ. الموسمية وانخفاض نسب الأشغال: يتميز المنتج السياحي -مثل بقية المنتجات الخدمية- بعدم قابليته للتخزين، لذا يتأثر سوق السياحة بموسمية المناخ بشكل كبير وخاصة في بعض المناطق التي تجتذب السياح بجوها المعتدل في بعض فصول السنة، إضافة إلى تأثر سوق السياحة بمواسم العطلات والأجازات. إن الظروف الموسمية مع عدم توفر برامج سياحية على مدار السنة يؤثر على نسب إشغال الفنادق والشقق السياحية بشكل واضح، مما يرفع أسعار هذه الخدمات السياحية الأساسية.

ب. عدم توفر بدائل التمويل: تقف نقص البدائل التمويلية كعائق يؤثر على المشاريع الاستثمارية السياحية بشكل عام، وعلى المنشآت الصغيرة والمتوسطة بشكل خاص. إن ارتفاع المخاطر وعدم توافر الضمانات القانونية الكافية لاسترداد القروض تؤدي على فرض المصارف شروط صعبة وأحيانا تعجيزية وخاصة إذا تعلق الأمر بمنشأة صغيرة.

ج. صعوبة توفير عمالة مدربة: يصعب استقدام العمالة المدربة نتيجة لإتباع سياسة الحصص، إضافة إلى أن إصدار تأشيرات الدخول يتطلب انتظارا طويلا مما يؤدي إلى تحول العمالة المدربة إلى دول أخرى ذات أنظمة أسهل وأسرع في الحصول على تأشيرة الدخول. فإذا أضيف لذلك عدم استقرار العاملين السعوديين في وظائفهم بعد حصولهم على التدريب المناسب من قبل المنشآت السياحية، فإن ذلك يشكل أعباء وتكلفة إضافية تتعلق بالحصول على العمالة المؤهلة والتي تمثل أساسا هاما للخدمة السياحية.

د. معوقات هيكلية: تشتمل على غموض التوجهات المستقبلية للاقتصاد السعودي نتيجة لاعتماد اقتصاد المملكة على مورد أساسي وهو قطاع النفط. ونظرا لتغير

السياسات الحكومية الاقتصادية نتيجة للتقلبات التي تحدث في أسواق النفط بين الحين والآخر وضعف المعلومة المتوفرة في السوق. يؤدي ذلك إلى التردد والتذبذب في القرارات الاستثمارية للمستثمرين مما يضعف مساهمتهم الاستثمارية في القطاعات الاقتصادية وخصوصا السياحية. كما تشمل المعوقات الهيكلية أيضا على ضعف البنية الأساسية للمناطق غير الرئيسية مثل الكهرباء والصرف الصحي، والنقل و الخدمات الصحية مما يعيق الاستثمارات السياحية في تلك المناطق. علماً بأن بعض المناطق تعتبر أماكن جذب للسياح.

معوقات أخرى: هناك عوامل أخرى لا يمكن التقليل من آثارها من خلال التأثير الإعلامي ومنها:

أ. معوقات ثقافية واجتماعية: يرى البعض من أفراد المجتمع عدم أهمية النشاط السياحي فلا يعتبر الإنفاق على الترفيه والسياحة العائلية إنفاقاً مثمراً بل يفضل توجيه الإنفاق إلى مجالات أخرى. ومن جانب آخر، فإن الأسر لا تتوفر أمامها خيارات وبدائل سياحية متنوعة بشكل كاف. إن تأثير ذلك على صناعة السياحة وعلى حجم الاستثمارات الموجهة إليها يمثل أحد العوائق المؤثرة على الاستثمارات السياحية في المملكة.

ب. الأحداث العالمية: تلعب الأحداث العالمية مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب على العراق دوراً مؤثراً على الاقتصاد العالمي والاقتصاد المحلي أيضاً. كما تؤثر مثل هذه الأحداث سلباً على عوامل الجذب السياحي للمنطقة بشكل عام.

ج. العمليات الإرهابية: أثرت العمليات الإرهابية التي شهدتها المنطقة على القطاع السياحي بشكل كبير وتحديداً في حجم الاستثمارات المتدفقة إلى المملكة وعدد الزوار من الدول غير الإسلامية.

الخلاصة والتوصيات :

أستهدف هذا الدراسة تحليل الاستثمار في قطاع السياحة وأهميته لاقتصاد المملكة مع الإشارة للملامح النشاط السياحي في منطقة مكة المكرمة. وأتضح من خلال التحليل الكيفي Qualitative Analysis أن القطاع السياحي أصبح يلعب دوراً هاماً في الاقتصاد السعودي. وذلك من خلال مساهمته في الناتج المحلي الإجمالي. وحجم الاستثمارات المتوقع أن تستثمر فيه. وتشير جميع الدلائل أن القطاع السياحي أصبح له تأثير مباشر وغير مباشر في الاقتصاد السعودي من خلال زيادة أعداد السياح. مما يستلزم دعم المقومات الاستثمارية والسياحية في المملكة. والعمل على تذليل المعوقات التي تواجه القطاع الاستثماري السياحي.

لذلك فإن تطوير القطاع السياحي في المملكة واستقبال ملايين السياح المحليين والدوليين سنوياً يتطلب المزيد من الاستثمارات في صناعة وخدمات القطاع السياحي. لاستمرار تقديم خدمات سياحية ذات جودة عالية تحتوي على البنية الأساسية والمقومات الرئيسية لاحتياجات السياح بجميع فئاتهم. وهذا يتطلب مشاركة القطاع الخاص بجانب القطاع الحكومي. مع رسم خطط واستراتيجيات من قبل المخططين وأصحاب القرار من ذوي العلاقة للوصول إلى أهداف القطاع السياحي المستقبلية .

ولابد من الإشارة إلى أهمية تنمية القطاع السياحي في المملكة من أجل تحقيق أهداف خطط التنمية التي تستهدف تنوع مصادر الدخل. وتقليل الاعتماد على القطاع النفطي كمصدر أساسي للدخل. وتخفيف الآثار السلبية التي تحدثها تقلبات أسعار النفط على خطط التنمية والأنفاق الحكومي. كما تساعد أنشطة هذا القطاع على تنمية المناطق الريفية. وتوفير العديد من فرص العمل للمواطنين وخفض معدل البطالة . ويساعد ذلك الإمكانيات الكبيرة التي تزخر بها المملكة في القطاع السياحي الديني والترفيهي. والتي تؤهله أن يصبح محوراً رئيسياً في دعم مسيرة النمو الاقتصادي. كما

أن موقع ومساحة المملكة وحجم اقتصادها ومعدل دخل الأفراد فيها يؤهل القطاع السياحي للمساهمة في تحقيق متطلبات التنمية في أنشطة القطاع السياحي والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بها.

بناء على ماسبق، يمكن اقتراح التوصيات التالية لمساعدة المملكة العربية السعودية في زيادة مساهمة القطاع السياحي في الاقتصاد السعودي، والعمل على تطوير ورفع مستوى أدائه:

- (١) أهمية العمل على تنمية الاستثمارات في قطاعات البنية التحتية والمرافق وقطاع التدريب السياحي من بين قطاعات عديدة أخرى نظرا لما لهذه القطاعات من دور أساسي في تعزيز السياحة. وعلى الرغم من تمتع المملكة بثروات طبيعية ضخمة وتدني تكاليف الطاقة فيها، إلا أن الاتجاه العالمي نحو التحرير والانفتاح الاقتصادي جعل الاستثمار الأجنبي أكثر استجابة لتوفر منشآت البنية التحتية الحديثة في الدول المضيئة ولتوفر العمالة الماهرة وكفاءة قطاعات الخدمات، ومنها القطاع السياحي، وهذا يؤكد ضرورة الاهتمام بتطوير قطاع البنية التحتية والمرافق وقطاع التدريب بصفة عامة والتدريب السياحي بصفة خاصة من أجل رفع مستوى كفاءة القوى العاملة الوطنية.
- (٢) ضرورة تشجيع الاستثمار الأجنبي في مختلف القطاعات وبالتحديد في القطاعات ذات العلاقة الترابطية مع القطاعات الأخرى مثل القطاع السياحي. وذلك بغرض تعظيم المردود من هذه الاستثمارات لتخفيف حدة الاعتماد الحالي على الإيرادات النفطية. وقد يتطلب ذلك النظر مستقبلا في ضرورة إيجاد حوافز انتقائية (selective) لتفعيل هذه الاستراتيجية كما هو الحال في العديد من الدول. ويجدر أن نشير هنا إلى أهمية أن تتوخى جهود حشد الاستثمارات الأجنبية مشاركة رؤوس الأموال الوطنية (crowding in) لا أن تحل محلها (crowding out) وذلك للحصول على أكبر عائد ممكن من إجمالي الاستثمار في البلاد.

٣) لابد الالتزام بسياسة واضحة وطويلة المدى بشأن تشجيع الاستثمار الأجنبي في المملكة خلال العقدين القادمين، على أن تكون هذه السياسة مرنة بما يكفل استيعابها لأي تطورات قد تستجد مستقبلا. وعلى الرغم من أن الامتيازات والضمانات المختلفة التي جاء بها نظام الاستثمار الأجنبي وإنشاء الهيئة العامة للاستثمار تصب في اتجاه صياغة سياسة مستقرة لتحفيز الاستثمارات الأجنبية إلا أن ذلك يجب أن يصحبه تناسق تام على صعيد النظم والضوابط الأخرى ذات العلاقة بالاستثمار (مثل الضرائب وإجراءات الاستقدام) حتى لا تفرغ جهود الهيئة في إيجاد بيئة استثمارية مستقرة من محتواها.

٤) يتطلب الأمر صياغة استراتيجية طويلة المدى للطاقة وخدمات المرافق (مثل الماء والكهرباء) لوقاية المستثمرين من أي زيادات مستقبلية قد تطرأ في أسعار هذه الخدمات والتي تشكل عنصرا هاما من عناصر التكلفة بالنسبة للمشاريع الاستثمارية.

٥) نظرا لان منطقة مكة المكرمة وتحديداً مدينة مكة المكرمة تشكل منطقة الجذب الرئيسية للسياح المحليين والدوليين ونتيجة لزيادة أعداد السياح الراغبين في زيارة المنطقة سنويا، فإن ذلك يستدعي مشاركة القطاع الحكومي والخاص لتهيئة السبل الكفيلة لمواكبة الطلب المتزايد على الخدمات السياحية. حيث يتمثل مساهمة القطاع الحكومي في تهيئة وتحسين البنية الأساسية بينما يتمثل مساهمة القطاع الخاص في زيادة الاستثمارات في مرافق الخدمات السياحية بأنواعها. علما بان ضعف توفر الخدمات السياحية قد يقلل من عدد الليالي السياحية وبالتالي انخفاض حجم الإنفاق السياحي الذي يؤدي بدوره إلى خفض الدخل للقطاعات الاقتصادية الأخرى.

٦) حتمية دعم الاتجاه للإسراع بتنفيذ بعض الإجراءات التي ينتظر أن يكون لها مردود إيجابي كبير على مناخ الاستثمار في المملكة ومن بينها توقيع اتفاقيات منع

الأزدواج الضريبي مع الدول الرئيسية المصدرة للاستثمارات الأجنبية وتحسين شفافية النظام الضريبي بتوحيد التشريعات الضريبية الخاصة بالمستثمرين الأجانب. كذلك تهتم الهيئة بتشجيع اتفاقيات الاستثمار الثنائي والتي تلعب دوراً هاماً في استقطاب رؤوس الأموال الأجنبية لما تنطوي عليه مثل هذه الاتفاقيات من ضمانات وحوافز للاستثمارات الأجنبية.

(٧) يشكل برنامج التخصيص مجالاً خصباً لمشاركة رؤوس الأموال الأجنبية في مختلف القطاعات الإنتاجية والخدمية بالبلاد. ومع اعتزام المملكة تخصيص العديد من المؤسسات الاقتصادية الحكومية وبعد إنشاء لجنة وزارية لهذا الغرض والشروع الفعلي في تخصيص بعض المؤسسات، لا بد من تضافر الجهود المشتركة بفاعلية في تحقيق إنجازات كبيرة في هذا المجال والإسراع ببرنامج التخصيص حتى تتمكن المملكة من تقديم إشارات واضحة وصرحة لمجتمع المستثمرين حول جديتها بشأن التخصيص وترحيبها بالمشاركة الأجنبية في المجالات المختلفة.

(٨) الإسراع في دعم المساعي الرامية لجعل ضوابط فض النزاعات التجارية، وخاصة الضوابط المتعلقة بالتحكيم، والضوابط المرتبطة بحقوق الملكية الفكرية أكثر شفافية وأوسع نطاقاً حيث أن مثل هذه القضايا تستحوذ على اهتمام خاص من قبل المستثمرين الأجانب وتؤثر بشكل مباشر في قرارات توطين استثماراتهم في البلدان المضيفة.

(٩) ضرورة تدريب موظفي الجوازات والجمارك على تقديم أفضل الخدمات وحسن الاستقبال للقادمين عموماً والسائحين والمستثمرين خصوصاً، والعمل على استخدام البطاقة الذكية للمستثمرين وخلق بيئة عمل أكثر مرونة لإجراءات إصدار تأشيرات الدخول، بالإضافة إلى منح تأشيرات الدخول والخروج متعددة السفرات. وفي هذا الإطار يفضل توقيع اتفاقيات ثنائية (خصوصاً مع الدول المتقدمة) تسمح بالدخول دون تأشيرات لمواطني البلدين ولفترة محدودة لتقييم التجربة.

١٠) أهمية تبسيط إجراءات ومتطلبات التراخيص الاستثمارية بشكل كبير وجعلها أكثر شفافية، ومن ذلك تدوين كافة المتطلبات والشروط ونشر المعلومات عنها والتنسيق بين الأجهزة الحكومية ذات العلاقة بإصدار التراخيص وربطها بواسطة الحاسب الآلي. كما يجب وضع مدة زمنية محددة لمنح التراخيص في جميع المراحل والجهات المختلفة.

١١) يتطلب الأمر العمل على وضع نظام لشفافية المعلومات وخاصة في المجالات الخدمية ومنها قطاع السياحة حتى تساعد المستثمر على تقييم دقيق للسوق المحلي ومتطلباته وصولاً إلى القرار الاستثماري الصحيح، بالإضافة إلى نشر المعلومات بوسائل متعددة من بينها الشبكة المعلوماتية (الانترنت). كما توصي الورقة بأهمية تحديد مصدر نشر المعلومة وتوحيدها بين الجهات الحكومية المختلفة من خلال ربط مراكز نشر المعلومات بالجهات الحكومية مع بعضها البعض. وينبغي الإشارة هنا إلى أهمية تشجيع مراكز البحث العلمي ومساندتها، والتواصل مع مستخدمي المعلومات لمعرفة احتياجاتهم ومحاولة تلبيتها.

١٢) أولوية مراجعة لائحة الحوافز بصفة دورية ومقارنتها مع ما تقدمه الدول الأخرى مع العناية بتقديم حوافز خاصة ومشجعة للمنشآت الصغيرة. ولتحقيق التنمية المتوازنة ولتشجيع المستثمرين على الاستثمار في المناطق النائية لابد أن تكون هناك حوافز للمشاريع السياحية في المناطق النائية ومن بينها منح إعفاء من الضرائب على أرباح الشركات ومنح تسهيلات في الحصول على أراضي وتخفيض أسعار الخدمات مثل الكهرباء.

١٣) كما توجد حاجة لاتخاذ خطوات إضافية بشأن تنفيذ النظام الجديد الذي يسمح للأجانب بتملك الأراضي في المملكة، ولا بد من توجيه الموظفين في البلديات وتزويدهم بالمعلومات عن هذا النظام. كما يجب أن يكون هناك نموذج إجرائي وتدريب للموظفين على فهم وتنفيذ هذا النظام. مع التنبية هنا إلى ضرورة تطوير

ويعي موظفي الحكومة بالأثر الإيجابي للاستثمار والمنافسة الدولية في هذا المجال. (١٤) ضرورة العمل الجاد على إيجاد آلية تضمن حقوق الممولين من بنوك وغيرها لتشجيعها على تمويل الاستثمارات السياحية وغيرها من المشاريع وخاصة الصغيرة والمتوسطة منها ، وكذا العمل على وضع نظام للرهن العقاري والذي يساعد على حل مشكلة ضمان التمويل.

الهوامش :

١. لمزيد من التفاصيل. راجع: الهيئة العليا للسياحة (٢٠٠٢). "الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية" ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
٢. يشير تقرير البنك الدولي (World Bank, World Development Indicators, 2004). بأن مساهمة قطاع الخدمات في إجمالي الناتج المحلي (GDP) للدول المتقدمة يمثل معدلات مرتفعة. مقارنة بمساهمة القطاعات الاقتصادية الأخرى.
٣. هذا يدل على أن مساهمة القطاع السياحي السعودي في إجمالي الناتج المحلي أرتفعت من ٥,٥٪ في عام ٢٠٠١م الى ٩٪ في عام ٢٠٠٢م. قد يكون من الاسباب التي ادت الى حدوث هذا الارتفاع هو الاهتمام بالقطاع السياحي من خلال انشاء الهيئة العليا للسياحة في ١٢/١/١٤٢١هـ. حيث يلاحظ ايضا ارتفاع اعداد رحلات السياح المحليين والدوليين في السنوات الاخيرة (راجع جدول رقم ٣ وشكل رقم ١)
٤. لمزيد من التفاصيل. أنظر بارو (Barro, 1991). و بالقويروجوردا (Balaguer and Jorda, 2002)

المراجع

المراجع العربية:

١. اتحاد الغرف التجارية الصناعية العربية، (٢٠٠٢م). بيروت. جمهورية لبنان.
٢. الغامدي، سالم بن مطر. (٢٠٠٢م) "معوقات التوظيف للسعوديين في قطاع السياحة"، [ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودي](#)، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٣. الناجم، اعتدال محمد، (٢٠٠٢م) "آفاق صناعة الترفيه كأحد العوامل المؤثرة على جذب السياح في المملكة"، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤. الهجوج حسن رقدان، (٢٠٠٣م) "الاستثمار الأجنبي والبيئة التنظيمية في المملكة العربية السعودية"، المجلة المصرية للدراسات التجارية، كلية التجارة، جامعة المنصورة.
٥. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠١م). البرنامج الاقتصادي "النظرة المستقبلية لصناعة السياحة بالمملكة العربية السعودية وآليات تنفيذها" ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المدينة المنورة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
٦. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠١م). البرنامج الاقتصادي "الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية"، ورقة عمل مقدمة لندوة الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقاتها على المملكة، أبها، المملكة العربية السعودية.
٧. الهيئة العليا لسياحة، (٢٠٠٢م). خطة تنمية السياحة المستقبلية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٨. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠٢م) "الاستثمار السياحي في المملكة العربية السعودية"، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٩. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠٢م). الأمانة العامة، الملف الإحصائي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٠. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠٢م). الأمانة العامة "حوافز الاستثمار السياحي بالمملكة العربية السعودية" ورقة عمل مقدمة إلى المنتدى السياحي الرابع. الأمانة الفنية للمجلس الوزاري العربي للسياحة، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
١١. الهيئة العليا للسياحة، (٢٠٠٤م). مركز ماس، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢. الهيئة العامة للاستثمار، (٢٠٠٢م) "الإصلاحات الاقتصادية وأثرها على الاستثمار"، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٣. الهيئة العامة للاستثمار، (٢٠٠٢م) "تنمية الاستثمار في القطاع السياحي بالمملكة العربية السعودية"، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى السياحي السعودي الأول، ٢٠٠٣ جدة، المملكة العربية السعودية.
١٤. الهيئة العامة للاستثمار، (٢٠٠٣م)، المعوقات الإدارية للاستثمار في المملكة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٥. مجلس الغرف التجارية الصناعية، (٢٠٠٤م) "القطاع السياحي بالمملكة العربية السعودية"، إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٦. محمد، محمد عبدالواحد و حسن رفدان الجهوج، (٢٠٠٣) "اتجاهات ومحددات الاستثمار الأجنبي في دول مجلس التعاون الخليجي"، مجلة البحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة الزقازيق.
١٧. وزارة التخطيط، (٢٠٠١م)، خطة التنمية السابعة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٨. وزارة الحج الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٩. وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية

المراجع الأجنبية:

20. Balaguer, J. and Manuel Cantavella-Jorda (2002). "Tourism as a long-run economic growth factor: The Spanish case." *Applied Economics* , Vol.34, No.7, pp. 877-99.
21. Barro, R. J. (1991). "Economic Growth in a cross section of countries." *Quarterly Journal of Economics*, Vol.106, No.2, pp.407-43.
22. Clewer, A., A. Pack and M.T. Sinclair (1990). "Forecasting Models for Tourism Demand in City Dominated and Coastal Areas." *Papers of the Regional Science Association*, Vol. 69, pp.31-42.
23. Dharmaratne, G.S. (1995). "Forecasting tourist arrivals in Barbados." *Annals of Tourism Research*, Vol.22, No.4.
24. Divisekera, S. (2003). "A model of demand for international tourism." *Annals of Tourism Research*, Vol.30, No.1, pp.31-49.

25. Dritsakis, N. (2004). "Tourism as a long-run economic growth: an empirical investigation for Greece using causality analysis." *Tourism Economics*, Vol.10, No.3, pp.305-33.
26. Koch, E. and G. de Beer and S. Elliffe (1998). "International perspectives on tourism-led development: some lessons for the SDIs." *Development Southern Africa*, Vol.15, No.5, pp.907-15.
27. Morley, C.L. (1998). "A dynamic international demand model." *Annals of Tourism Research*, Vol.25, No.1, pp.70-84.
28. Sharpley, R. (2001). "Tourism in Cyprus: challenges and opportunities." *Tourism Geography*, Vol.3, No.1, pp.64-86.
29. Smeral, E. and A. Weber (2000). "Forecasting international tourism trends to 2010." *Annals of Tourism Research*, Vol.27, No.4, pp.982-1006.
30. World Bank, (2004), World Development Indicators, Washington D.C. U.S.A
31. World Travel and Tourism Council (WTTC), Travel and Tourism: A World of Opportunity, 2003.
32. World Travel and Tourism Council (WTTC). (2004).

Investment in Tourism Sector and its Importance to the Saudi Arabian Economy with a Concentration on the Tourism Activities in Makkah Al-Mukarramah Province

Hassan R. Alhajhoj

College of Management Sciences and Planning
King Faisal University
Alhassa, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

The goal of this study is to analyze the importance of investment tourism sector in the Saudi economy with a concentration on the tourism activities in Makkah Province. In order to achieve the aforementioned goal, the qualitative analysis approach was adopted through researches and data that related to the Saudi economy. Throughout the analysis, the tourism sector was shown that it plays an importance role in the Kingdom economy. The tourism sector was found that it came after the oil and manufacturing sectors respectively, in terms of gross domestic product (GDP) sharing. In addition, the study was shown that the average sharing of tourism investment in total investment level in the kingdom of Saudi Arabia was similar to the average international level. Regarding Makkah province, it was found that Makkah province came first in attracting tourists compare to other provinces in Saudi Arabia. Makkah province also had most of services facilities among other areas in the kingdom. Obstacles of tourism investment were covered in the study.

ملاحم الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في الاقتصاد السعودي: دراسة خاصة على المنشآت الصناعية بمنطقة مكة المكرمة

خالد بن عبدالعزيز السهلاوي

كلية العلوم الإدارية والتخطيط - جامعة الملك فيصل
الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

تهدف الدراسة إلى تحليل ملاحم وطبيعة الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة. وذلك خلال الثلاثين سنة الماضية. وقد اعتمدت الدراسة أسلوب المنهج التحليلي الوصفي الذي يستند إلى المصادر المكتبية والدراسات والوثائق المنشورة المتعلقة بواقع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي منطقة مكة المكرمة بشكل خاص. وقد توصلت الدراسة إلى ارتفاع معدل انتشار المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة. كما توصلت الدراسة إلى أن قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة قطاع تنموي له مقومات وجذور متأصلة في منطقة مكة المكرمة، وأنه يبشر بمستقبل واعد يساهم في حل العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها المنطقة، حيث أن هذا القطاع يتميز بقدرته الفائقة على توفير فرص عمل لنسبة كبيرة من الأيدي العاملة العاطلة وبرؤوس أموال مناسبة.

إن نتائج هذه الدراسة من شأنها أن تثير شهية الجهات المخلصة والمرتبطة بتنمية قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة بضرورة إيجاد الآليات المناسبة لدعم هذا القطاع وتفعيل دوره ليس في منطقة مكة المكرمة وحسب وإنما في جميع مناطق ومدن المملكة، وأن تعيد النظر في السياسات والأنظمة القائمة التي لا تلبى احتياجات المنشآت الصغيرة والمتوسطة وتعمل على تحديثها.

مقدمة :

يتجه الواقع العملي في ظل المتغيرات الحالية التي يشهدها اقتصاد المملكة نحو دعم قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة ومساندته وذلك لنمو وإنتشار هذه المنشآت في كافة القطاعات الاقتصادية بالمملكة. ويشكل عدد المنشآت الصغيرة والمتوسطة نسبة كبيرة بالمقارنة بعدد المنشآت الكلي في أي مدينة من مدن المملكة. كذلك تبين التجربة المحلية أن معظم مناطق المملكة بأجهزتها المختلفة كالغرف التجارية، ومراكز البحث، والجامعات، ظلت تبحث في السنوات القليلة الماضية عن كافة الطرق الرامية إلى دعم وتفعيل قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة، نظرا لأهميته اللامتناهية وقدرته على تعبئة الموارد وتحقيق أعلى قيمة مضافة منها، بالإضافة إلى إحداث التحول في علاقات وقيم العمل والإنتاج. ومما لا شك فيه أيضا أن درجة بطالة الموارد البشرية والطبيعية في المملكة وفي أي منطقة من مناطقها تتناسب بشكل طردي مع درجة تخلف قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة. كما تعتبر المنشآت الصغيرة والمتوسطة المصدر الرئيس للابتكار والتجديد وأداة للمحافظة على استمرارية المنافسة وتدعيمها من خلال استجابتها السريعة وبأقل تكلفة للتغيرات التي تطرأ على السلع والخدمات والعمليات والأسواق. بالإضافة إلى ذلك فإن المنشآت والشركات الكبيرة تعتمد على المنشآت الصغيرة والمتوسطة في شراء احتياجاتها وترويج منتجاتها. إن أهمية قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة للاقتصاد الوطني غني عن البيان والتعريف.

وتوضح النظرة المتفحصه لواقع قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في مختلف مناطق المملكة الضعف في معالجة هذا القطاع وتفعيل دوره (السهلاوي، ٢٠٠١م، السهلاوي وعبد القادر، ٢٠٠٢م، السهلاوي، ٢٠٠٤م). ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى حقيقة مفادها أن الحديث عن تنمية هذا القطاع لا يمكن أن يتم بمعزل عن القطاعات الاقتصادية الأخرى. بمعنى أن الخلل الحاصل في هذه القطاعات لا بد وان ينعكس على قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة، وان معوقات التنمية الاقتصادية بمفهومها الشامل

وتناقضاتها لا بد أن ترثها تنمية قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة. ولكي ينجح قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المملكة العربية السعودية في مواجهة التحول القادم في عهد ما بعد النفط، يجب إعداده وبجدية وفي وقت مبكر وذلك من خلال العمل على إدخال تعديلات جذرية على معالم بنية هذا القطاع.

من هنا فإن هذه الدراسة تأتي في إطار الجهود التي يمكن أن تسهم في النهوض بواقع قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة التي تتسم بسمات وخصائص تميزها عن غيرها من مناطق المملكة العربية السعودية.

أهمية الدراسة وهدفها :

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية الدور الذي تلعبه المنشآت الصغيرة والمتوسطة في رفع مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ليس في منطقة مكة المكرمة وحسب وإنما في جميع مناطق المملكة. هذا فضلا عن أن عددها في تزايد مستمر ويشكل نسبة كبيرة من إجمالي المنشآت العاملة في المملكة. كما أن هذه المنشآت يمكن أن تسهم كثيرا في توجيه المدخرات الخاصة للسكان المحليين، مما يساعد على زيادة وتنويع مصادر الدخل ورفع مستوى معيشة الأفراد وتوظيف القسم الأكبر من القوى العاملة المحلية. إن الدور الحقيقي للمنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة ما زال غير واضح شأنها في ذلك شأن باقي مناطق المملكة. انطلاقا من ذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى توضيح هذا الدور وتفعيله من خلال دراسة ملامح وطبيعة الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في هذه المنطقة الغالية على قلب كل مسلم.

لقد بدأت المنشآت الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة في الانتشار تلبية لاحتياجات السكان من السلع والخدمات في جميع القطاعات الاقتصادية وانسجاما مع ما يتمتع به أبناء هذه المنطقة من مهارات عالية في كثير من المهن والحرف. هذا إلى

جانب الدور الكبير الذي تلعبه بعض المدن في هذه المنطقة، كمكة المكرمة، في ازدهار بعض الصناعات بإعتبارها سوقا دائما للعديد من الرواد والزائرين من مختلف بقاع الأرض. من ناحية أخرى، فإن تبني خطط التنمية السعودية المتعاقبة لموضوع خصخصة منشآت الأعمال وتعميق دور القطاع الخاص في كافة المجالات الاقتصادية وخاصة الصناعية أدى إلى زيادة انتشار المنشآت الصغيرة والمتوسطة حتى أصبحت هذه المنشآت تشكل شريحة كبرى من مجموع منشآت القطاع الخاص في منطقة مكة المكرمة من حيث عددها ومستوى إسهامها. وما جاءت به خطتنا التنمية الاقتصادية الأخيرتين من تركيز كبير واهتمام اكبر بدعم هذا النوع من المنشآت ورفع مساهمتها في المجالات المقترحة أمام القطاع الخاص إلا تعبيرا عن الدور الحيوي الهام والمأمول من هذه المنشآت.

أمام واقع وآفاق المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة هذا تتبلور إمكانية دراسة ملاحح الاستثمار في هذا النوع من المنشآت في منطقة مكة المكرمة. ولعل في رصد هذه الملاحح جل الفائدة للباحثين والمهتمين بموضوع المنشآت الصغيرة والمتوسطة وسبل تطويرها والارتقاء بها نحو الأفضل.

أسئلة الدراسة :

في ضوء الهدف المحدد للدراسة والمشكلة السابقة تحاول الدراسة الحالية الوصول إلى إجابات محددة للأسئلة التالية:

- ١- ما حجم الاستثمار في قطاع المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة وذلك خلال الثلاثين سنة الماضية ؟
- ٢- ما هي أهم الصناعات الصغيرة والمتوسطة الأكثر انتشارا في منطقة مكة المكرمة؟

٣- ما ملامح ومدلولات الاستثمار في قطاع المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة ؟

٤- ما هي أهم التوصيات التي يمكن تقديمها للمساهمة في دعم وتطوير قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة على ضوء ما جاءت به الدراسة من نتائج؟

منهجية الدراسة :

تنتهج هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي الذي يستند إلى المصادر المكتبية والدراسات والوثائق المنشورة المتعلقة بواقع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي منطقة مكة المكرمة بشكل خاص.

تنظيم الدراسة :

للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها، فقد تم تقسيم الدراسة إلى أربعة أجزاء أساسية: تضمن الجزء الأول مقدمة الدراسة، أهميتها وأهدافها، أسئلة الدراسة، ثم منهجية الدراسة. في حين تناول الجزء الثاني الإطار النظري للدراسة، وتناول الجزء الثالث تحليل ملامح وطبيعة الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة. وفي الجزء الرابع جاءت الخلاصة والتوصيات.

الإطار النظري للدراسة :

مفهوم المنشآت الصغيرة والمتوسطة :

تمثل المنشآت الصغيرة والمتوسطة نسبة كبيرة من مجموع المنشآت والشركات الاقتصادية العاملة بالاقتصاد الوطني لمعظم الدول المتقدمة والنامية على حد سواء. وعلى الرغم مما تعانيه هذه المنشآت من مشكلات ومعوقات هنا وهناك، إلا أنها تبقى من أهم المجالات التي تعتمد عليها اقتصاديات هذه الدول. ونظرا للدور الذي يلعبه

الحجم الاقتصادي للمنشأة في تحديد مكانتها داخل الاقتصاد الوطني، فقد جرى العرف على تقسيم المنشآت من حيث حجمها إلى:

Handicrafts and Cottage Industries	منشآت أسرية
Small Scale Enterprises	منشآت صغيرة
Medium Scale Enterprises	منشآت متوسطة
Large Scale Enterprises	منشآت كبيرة

وتختلف الآراء حول وجود تعريف دقيق للمنشآت الصغيرة والمتوسطة، حيث يختلف التعريف بين دولة وأخرى باختلاف إمكانياتها وقدراتها الاقتصادية ومراحل نموها ومستوى التقدم التقني بها. ويعتبر التعريف التالي أحد أهم التعاريف الجيدة التي وردت في هذا الشأن (غرفة تجارة وصناعة وزراعة الفجيرة، ١٩٩٨م)

"تعتبر المنشآت الصغيرة والمتوسطة تلك المنشآت التي تتميز بانخفاض رأسمالها وقلة العدد الذي تستخدمه من العمال وصغر حجم مبيعاتها وقلة الطاقة اللازمة لتشغيلها، كما تتميز بارتباطها الوثيق بالبيئة واعتمادها على الخامات المتوفرة محليا وعلى تصريف وتسويق منتجاتها في نفس المنطقة التي تنشأ بها والمناطق المجاورة لها".

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن هناك مجموعة من المعايير التي ربما تساعد في الوصول إلى مفهوم مشترك نسبيا للمنشآت الصغيرة والمتوسطة. من هذه المعايير ما هو كمي ومنها ما هو نوعي. فالمعايير الكمية تهتم بتصنيف المنشآت اعتمادا على مجموعة من السمات الكمية التي تبرز الفروق بين الأحجام المختلفة للمشروعات، مثل حجم العمالة وقيمة الأصول وحجم المبيعات وحجم الاستهلاك السنوي من المواد الخام ومقدار القيمة المضافة. في حين تهتم المعايير النوعية بتصنيف المنشآت بصورة موضوعية استنادا إلى عناصر التشغيل الرئيسية، مثل نمط الإدارة، والملكية، والتقنية المستخدمة (السهلاوي، ٢٠٠١م).

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم استخدام التصنيف الذي اقترحه الدراسة التي أعدتها منظمة الخليج للاستشارات الصناعية والمقدمة إلى ندوة أساليب تنمية الصناعات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (منظمة الخليج للاستشارات الصناعية، ١٩٩٤م). فلقد اقترحت الدراسة تصنيفا كمياعتمادا على معياري العمالة ورأس المال. حيث اعتبرت المنشأة التي لا يتجاوز عدد العمالة فيها ٣٠ عاملا منشأة صغيرة، وصنفت المنشآت التي لا تزيد العمالة فيها عن ٦٠ عاملا على أنها متوسطة. وبالنسبة لرأس المال، فقد صنفت المنشآت التي لا يتجاوز الاستثمار فيها المليون دولار أمريكي على أنها صغيرة، والمنشآت التي لا يزيد رأس المال المستثمر فيها عن ٥.٥ مليون دولار أمريكي على أنها منشآت متوسطة. وتشير العديد من الدراسات إلى أن معيار رأس المال أكثر ملائمة في التطبيق من معيار العمالة على منشآت الأعمال في القطاع الصناعي. إذ أنه في المنشآت ذات الكثافة الرأسمالية تزداد التقنية فتكون العمالة قليلة، وفي المنشآت الصغيرة يكون حجم رأس المال قليل والتقنية المستخدمة محدودة وعدد العمالة كبير، لذا فإن تطبيق معيار العمالة على منشآت القطاع الصناعي سيعطي نتائج عكسية حيث تصبح المنشآت الكبيرة صغيرة والمنشآت الصغيرة كبيرة (مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية، ١٩٩٤م). ونظرا إلى كون الدراسة التي نحن بصددنا دراسة تطبيقية على المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة، فإن المعيار المستخدم في تعريف المنشأة الصغيرة والمتوسطة هو معيار رأس المال المشار إليه أعلاه.

الاقتصاد السعودي والتحديات المستقبلية

انعكست الأوضاع الاقتصادية الدولية خلال الأعوام القليلة الماضية على نمط النمو الاقتصادي العام في المملكة العربية السعودية، حيث تشير التقديرات الأولية إلى أن الناتج المحلي الإجمالي للمملكة ككل بالأسعار الجارية قد سجل نموا نسبته ٢,٨٪ ليبلغ ٦٩٨,٥ مليار ريال عام ٢٠٠٢م مقارنة بالعام الذي قبله. ويبين الهيكل القطاعي

للناتج المحلي الإجمالي للمملكة لعام ٢٠٠٢م ارتفاع الأهمية النسبية للقطاعات النفطية وغير النفطية، حيث تشير البيانات إلى أن الناتج المحلي للقطاع غير النفطي قد نما بنسبة ٣,١ ٪ ليبلغ ٤٣٦,٧ مليار ريال وبما يعادل ٦٢,٥ ٪ من إجمالي الناتج المحلي. وفيما يتعلق بمكونات الناتج المحلي للقطاع غير النفطي فقد ارتفع نمو القطاع الخاص غير النفطي بنسبة ٤ ٪ ليبلغ ٢٨٦,١ مليار ريال، إلى جانب ارتفاع ناتج القطاع الحكومي بنسبة ١,٤ ٪. أما ناتج القطاع النفطي فقد ارتفع بنسبة ٢,٥ ٪ عام ٢٠٠٢ مقارنة بانخفاض نسبته ١١,٦ ٪ عام ٢٠٠١م. (مؤسسة النقد العربي السعودي، ١٤٢٤هـ).

وتشير التقديرات الأولية المتوفرة عن المملكة العربية السعودية إلى أن معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة بالريال السعودي قد ارتفع كذلك خلال العام ٢٠٠٢م مقارنة بالعام ٢٠٠١م بنسبة قدرها ١ ٪ فقط. وهذا يشير إلى أن معدل النمو الحقيقي في المملكة على الرغم من ارتفاعه لا يزال متواضع جدا ولا يتناسب مع طبيعة وحجم التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها الاقتصاد السعودي في ظل ارتفاع معدل النمو السكاني وزيادة معدلات البطالة والمطالبة بالمزيد من الفرص الوظيفية للأعداد المتزايدة الداخلة إلى سوق العمل. فعلى الرغم من زيادة متوسط نصيب الفرد السعودي من الناتج المحلي الإجمالي مقارنة بالعديد من الدول العربية، فإن التقديرات تشير إلى أن هذا المتوسط قد انخفض من ٨٥٦٠ دولار عام ٢٠٠٠م إلى ٨٠٥٣ عام ٢٠٠٢م وذلك نتيجة لنمو السكان بمعدل يفوق معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي (الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٣م). هذا مع الأخذ في الاعتبار إلى أن المتوسط العام لنصيب الفرد السعودي لا يعكس توزيع الدخل بشكل حقيقي حسب فئاته أو حسب التوزيع الجغرافي بين الريف والحضر، مما يعني أن نسبة كبيرة وربما كبيرة جدا من أفراد المجتمع ينخفض دخلها عن المتوسط سالف الذكر.

وإذا نظرنا إلى توزيع الهيكل القطاعي للناتج المحلي الإجمالي نلاحظ الأهمية النسبية لقطاع الزيت ومنتجاته في توليد الناتج، حيث وصلت النسبة إلى ما يقارب ٤٠ ٪

في العام ٢٠٠٢م. لذلك فمن الطبيعي أن يتأثر الاقتصاد السعودي بالتطورات والأحداث العالمية بشكل كبير وبخاصة التقلبات التي تحدث في أسعار النفط والمنتجات البترولية التي تؤثر مباشرة على حصيللة الدولة من الإيرادات. ونتيجة للموارد المالية الضخمة التي حصلت عليها المملكة من القطاع النفطي، فقد تمكنت الدولة في العقود القليلة الماضية من ضخ استثمارات مالية ضخمة وتحقيق معدلات نمو عالية وإنجازات ملحوظة في مجالات البنى التحتية وتطوير العديد من الأنشطة الإنتاجية الصناعية والزراعية، إضافة إلى تطوير قطاع الخدمات، وبصفة خاصة الصحة والتعليم والإسكان. وقد ارتبطت تلك الاستثمارات بما سمي بالثورة النفطية الناتجة من ارتفاع أسعار النفط في بداية السبعينيات التي كانت المحرك الأساسي للنمو العام خلال تلك الفترة، والتي نتج عنها ارتفاع حركة تشغيل العمالة السعودية على نطاق واسع في جميع قطاعات الاقتصاد. ومع انخفاض أسعار النفط في منتصف الثمانينيات تراجعت العائدات النفطية وانخفض حجم الاستثمار العام وتباطأ معدل النمو الاقتصادي واتسعت فجوة الموارد وانخفض الطلب على الأيدي العاملة وبدأت مشكلة البطالة في الظهور. ولا يزال الاقتصاد السعودي يعاني من تباطؤ النمو الاقتصادي ومحدودية القاعدة الإنتاجية وضعف القدرة على توليد وظائف جديدة تتناسب والإعداد المتزايدة من الراغبين في الحصول على فرص وظيفية. وقد ساهمت عوامل عديدة في تفاقم هذه المشكلة من أهمها تنامي العجز في ميزانية الدولة، والسلبيات الناشئة عن الاعتماد المفرط على القطاع العام، وبطء نمو القطاعات الإنتاجية الأخرى في الاقتصاد السعودي، إضافة إلى عدم وضوح السياسات والبرامج التنموية، وضعف القدرة التنافسية للقطاع الخاص الناتجة عن انخفاض الإمكانيات والقدرات الفنية والتقنية والتنظيمية. كل هذه العوامل أدت إلى رفع معدلات البطالة إلى أرقام عشرية أثرت على الوضع الاجتماعي لغالبية سكان المملكة وزادت نسبة الفقر وانخفضت مستويات المعيشة في مختلف المناطق. ويزيد الأمر خطورة الميل المستمر لهذه المشكلة نحو الارتفاع بحيث أصبحت

مشكلة البطالة مشكلة حقيقية وهاجس يورق الكثير من المواطنين ومنتخذي القرار في المملكة.

المنشآت الصغيرة والمتوسطة وأهميتها في الاقتصاد السعودي

استنادا للدور التاريخي والحيوي الذي تلعبه المنشآت الصغيرة والمتوسطة في صياغة تاريخ التطور الاقتصادي والصناعي في العديد من الدول المتقدمة، فقد لاقى قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة اهتماما لا بأس به من الجهات الرسمية المختلفة في المملكة العربية السعودية. فلقد جاءت خطة التنمية الرابعة (١٩٨٥م - ١٩٩٠م) لتمثل بداية الاهتمام بقطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة، حيث أشارت الخطة إلى ضرورة إيجاد نوع من التوازن عند تقديم القروض المصرفية الحكومية وتسهيل حصول المنشآت الصغيرة والمتوسطة على القدر الكافي من هذه القروض (وزارة التخطيط، ١٩٨٥م). كما انعكس هذا الاهتمام بصورة أكثر وضوحا في خطط التنمية المتعاقبة، فلقد طرحت خطة التنمية الخامسة على سبيل المثال العديد من المبادرات التي يجب الأخذ بها لدعم وتنمية قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة. من هذه المبادرات ما يلي (وزارة التخطيط، ١٩٩٠م):

- تشجيع اندماج المنشآت الصغيرة والمتوسطة في شكل شركات مساهمة للاستفادة من الوفورات الداخلية والخارجية وتحسين مقدرتها التنافسية محليا وإقليميا.
- تسهيل الأنظمة واللوائح الخاصة بمنح العقود الحكومية للمنشآت الصغيرة والمتوسطة.
- النظر في إمكانية زيادة التمويل وتنفيذ برامج مساعدات فنية واستشارية ذات تكلفة منخفضة من خلال بنك التسليف السعودي أو من خلال إنشاء بنك متخصص للمنشآت الصغيرة.

- تشجيع الصناعات التعدينية من خلال تقديم المساعدات المالية والعينية للمنشآت الصغيرة والمتوسطة وكذلك شراء الخامات المعدنية والمركبات، والمساعدة في توفير التجهيزات الأساسية والخدمات المساندة.
- إعادة النظر في واقع المنشآت الصغيرة واستحداث الأنظمة واللوائح التي تدعم مساهمتها في الاقتصاد الوطني.

وقد صاحب هذا الاهتمام تهيئة البنية التحتية المناسبة مما ساعد على إنتشار هذه المنشآت في جميع القطاعات الاقتصادية (دحلان ، ١٩٩٧م). كما قامت الدولة بمحاولة دعم هذه المنشآت من خلال محاولة تطوير الخدمات الائتمانية التي تقدمها بنوك التنمية والبنوك التجارية (صندوق التنمية الصناعية السعودي، ١٩٩٩م ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٩٩٩م). كما أن انخفاض تكلفة عوامل الإنتاج بشكل نسبي أسهم في خفض التكلفة الإنتاجية للمنشآت الصغيرة والمتوسطة وتقوية قدراتها التنافسية. إن هذه التسهيلات في مجملها ساهمت بشكل ملحوظ في رفع حجم الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة وخلق فرص استثمار جديدة ساهمت في دعم الاقتصاد الوطني.

البيئة الاقتصادية والاستثمارية لمنطقة مكة المكرمة :

تتمتع منطقة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية بمجموعة من العوامل والمبررات، التي تجعل منها موطنًا مميّزًا لنجاح العديد من الفرص الاستثمارية في كثير من المجالات. من أبرز هذه العوامل وجود مدينة مكة المكرمة المدينة المقدسة الأولى عند المسلمين في هذه المنطقة، فهي مهبط الوحي وموقع المسجد الحرام والكعبة المشرفة. ويفد على هذه المدينة المقدسة الملايين من المسلمين من شتى بقاع العالم لأداء فريضة الحج ومناسك العمرة. كما تتميز منطقة مكة المكرمة بإطلالتها على البحر الأحمر من الغرب وامتدادها من مملكة الأردن وجمهورية مصر شمالاً إلى جمهورية

اليمن جنوبا. أما من الجهة الشرقية فتحددها مدينة الرياض بما فيها من كثافة سكانية تتعكس إيجابا على بيئتها الاستثمارية الواعدة.

وتتمتع منطقة مكة المكرمة بوجود شبكة من الطرق السريعة بمواصفات جيدة بين مدنها المختلفة من ناحية وبين هذه المدن والدول المجاورة من ناحية أخرى. أما من حيث النقل الجوي، فيوجد بالمنطقة العديد من المطارات الدولية والمحلية بطاقات استيعابية كبيرة جدا. هذه المطارات إضافة إلى قدرتها الاستيعابية الكبيرة للمسافرين والركاب، فإنها مزودة كذلك بمراكز تحميل وتفريغ للبضائع من جميع الأنواع. كما يوجد بالمنطقة، على خلاف المناطق الأخرى بالمملكة، العديد من الموانئ البحرية المخصصة لأغراض النقل المختلفة والمرتبطة بمختلف أسواق العالم في أوروبا والمحيط الأطلسي. من أهم هذه الموانئ ميناء جدة الإسلامي والذي يعد من أضخم الموانئ في المملكة. ويتوفر بمنطقة مكة المكرمة شبكات ومرافق عامة لدعم حركة الاستثمار في جميع المجالات، حيث تقوم الشركة السعودية الموحدة للكهرباء بإمداد معظم مدن المنطقة وقراها بالطاقة الكهربائية اللازمة على مدار ٢٤ ساعة. كما أن المياه، على الرغم من بعض الصعوبات، يتم توصيلها بشكل جيد إلى المستفيدين من الأفراد والمؤسسات الخاصة والعامة وبأسعار مناسبة. وتتنعم المنطقة كذلك بوسائل اتصال جيدة جدا تربطها بجميع مدن ودول العالم سواء بالهاتف أو التلكس أو الفاكس أو البريد والبرق أو خدمات الانترنت.

ومن أهم ما اشتهرت به منطقة مكة المكرمة عمل أهلها في مجال التجارة بمختلف أنواعها من تجارة الجملة والتجزئة وخدمات الأعمال. وقد توجهت استثمارات ضخمة من القطاع الخاص في السنوات القليلة الماضية نحو إنشاء المزيد من المنشآت لمواجهة متطلبات الأفراد المتزايدة في هذا القطاع. وقد نما القطاع التجاري في هذه المنطقة في السنوات الماضية بشكل ملفت للنظر سواء في عدد المؤسسات والشركات المسجلة العاملة أو في عدد العمالة المنتسبة لهذا القطاع. وأصبحت منطقة مكة المكرمة تتمتع

بقدره فائقة في تهيئة الجو المناسب للاستثمار وكسب ثقة المستثمر المحلي والأجنبي في هذا القطاع الهام والحيوي. والى جانب هذا القطاع هناك قطاعا آخر لا يقل عنه أهمية ونموا هو القطاع السياحي، الذي حظي في السنوات القليلة الماضية باهتمام خاص من قبل القطاع الخاص والمؤسسات والأجهزة الحكومية المختلفة في الدولة. فقد أصبحت منطقة مكة المكرمة ملاذا للعديد من الأفراد من داخل المملكة ومن خارجها من دول الخليج لقضاء إجازاتهم والاستمتاع بأداء مناسك العمرة والاستفادة من المرافق السياحية المتوفرة في بعض المدن المجاورة لمدينة مكة المكرمة كالتائف وجدة. فعلاوة على توفر الإمكانيات والمرافق السياحية العامة كالفنادق والمواقع الأثرية المنتشرة في مختلف مدن المنطقة، هناك أيضا الشواطئ الممتدة على ضفاف البحر الأحمر في الصيف وكذلك الأراضي الجميلة في الطائف التي استطاعت في الآونة الأخيرة أن تجذب أعداد كبيرة من مواطني الدول المجاورة للمملكة.

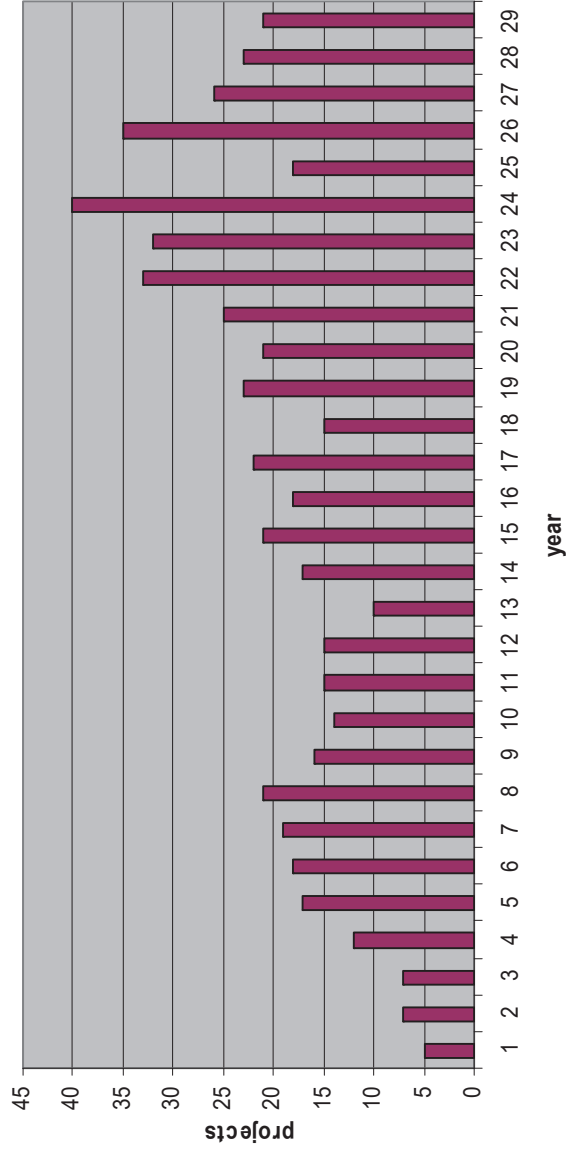
إضافة إلى ذلك فقد أنعم الله على هذه المنطقة بموارد بشرية وطبيعية متنوعة وكبيرة يمكن استغلالها اقتصاديا والاستثمار فيها، فقد عرفت بعض مدن المنطقة منذ القدم بشغف أهلها بحرف يدوية متنوعة واعتبارها مورد رزق وغذاء جيد. فوجود مدن المنطقة على ضفاف البحر الأحمر منحها ميزة توفر الثروة السمكية، التي يمكن استغلالها في عمليات الصيد والصناعات السمكية المتنوعة. كما تتمتع المنطقة بوجود أراضي زراعية خصبة لمجموعة من المحاصيل الزراعية التي يمكن استغلالها كمدخلات لصناعات غذائية متعددة. ولقد استطاع القطاع الزراعي في منطقة مكة المكرمة أن يحقق إنجازات لا بأس بها على الرغم من الشح النسبي والمتزايد في مصادر المياه وظروف المناخ، حيث شهد الاستثمار في هذا القطاع توسعا كبيرا نتيجة القروض الزراعية التي تم ضخها في السنوات الأخيرة في مجالات وصناعات زراعية متعددة.

من هنا يمكن القول إن منطقة مكة المكرمة بما تتمتع به من مقومات فريدة ومتنوعة في جميع الاتجاهات لديها القدرة والإمكانية بأن تصبح قاعدة استثمارية متميزة في المملكة للمبادرين الواعدين من رجال الاعمال. إن المناخ الاستثماري في منطقة مكة المكرمة اليوم مهياً أكثر من أي وقت مضى لجذب المزيد من الاستثمارات المحلية في هذا القطاع الهام والحيوي. ويبقى على الأجهزة المعنية بالدولة وضع السياسات المناسبة وتوجيه مزيد من الدعم والجهود التي من شأنها استغلال هذه الفرصة بما يعود على الاقتصاد السعودي بالمنفعة والنمو.

ملاحح الاستثمار في المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة

تلبية لاحتياجات منطقة مكة المكرمة من المنتجات الهامة والضرورية شأنها في ذلك شان باقي مناطق المملكة، تم إقامة وتأسيس العديد من المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة المرتبطة بسمات وخصائص المنطقة. وقد كانت البدايات الأولى للصناعات الحديثة في منطقة مكة المكرمة في عام ١٣٧٣هـ، وذلك بإنشاء ثلاث مصانع هي مصنع الحجاز للمعادن، ومصنع ثلج الخياط، ومصنع النهدي للمكرونة (الدار السعودية للخدمات الاستشارية، ١٩٩٩م). هذا وقد توالى وانتشرت بعد ذلك المصانع الصغيرة والمتوسطة في مختلف المدن التابعة لمنطقة مكة المكرمة لتصل إلى ٥٦٧ مصنعا بنهاية العام ١٤٢٣هـ. ويقدر حجم الاستثمار في هذه المصانع ما يقارب ٤٦٣٨ مليون ريال سعودي، ويعمل بها حوالي ٢٤٤٨٥ عامل. ويوضح الشكل رقم (١) أعداد المصانع الصغيرة والمتوسطة الذي نشأت في منطقة مكة المكرمة في كل سنة منذ بداية العام ١٣٩٤هـ حتى عام ١٤٢٣هـ. كما يوضح الجدول رقم (١) توزيع أعداد المصانع الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة وعدد العمالة وحجم الاستثمارات بها طبقا لنوع الصناعة وذلك حتى نهاية عام ١٤٢٣هـ.

شكـل (١)
أعداد المصانع الصغيرة والمتوسطة التي أنشأت في كل عام
من ١٣٩٤هـ - ١٤٢٣هـ في منطقة مكة المكرمة



المصدر: دليل المصانع السعودية، ١٤٢٤هـ.

الجدول رقم (١)

توزيع أعداد المصانع الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة
وعدد العمالة وحجم الاستثمارات

م	نوع الصناعة	عدد المصانع	عدد العمالة	حجم الاستثمار
١	صناعة المواد الغذائية والمشروبات	٧٦	٣٠٤٢	٦٢٨,٤ مليون
٢	صناعة المنسوجات والملابس الجاهزة والجلود	٣٤	١٩٠٢	٢٦١,٣
٣	صناعة الخشب ومنتجاته والاثاث	٢٩	١٣٣٣	٢٤٦,٥
٤	صناعة الورق والطباعة والنشر	٣٤	١٦٢٨	٣١٨,٥
٥	الصناعات الكيماوية والمنتجات البلاستيكية	١٣٥	٥٢٥١	١٠٥٩,٩
٦	صناعة مواد البناء والخزف والزجاج	٦٧	٢٩٠٢	٥٩٥,٦
٧	الصناعات المعدنية الاساسية	٣	١١١	٣٠,٨
٨	صناعة المنتجات المعدنية المصنعة	١٦٩	٧٨٤٧	١٤٢٠,٤
٩	صناعات متنوعة (الذهب ، الدعاية والاعلان ..)	١٧	٥١٩	٩٩
١٠	النقل والتخزين	٣	٦١	٢٢,٥٨
	إجمالي عدد المصانع الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة	٥٦٧	٢٤٤٨٥	٤٦٣٨
	إجمالي عدد المصانع الصغيرة والمتوسطة في المملكة		٢٣٨٦	
	نسبة منطقة مكة المكرمة إلى المملكة		٢٣,٧%	

المصدر: دليل المصانع السعودية، ١٤٢٤هـ

ويمكن من خلال الشكل والجدول السابقين الخروج ببعض النقاط الهامة المتعلقة بملامح الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة التي تمثل هدف هذه الدراسة وهي:

١. يشير الشكل رقم (١) إلى انتشار المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة، وأن هذا الانتشار بدأ سريعاً في السنوات الأولى التي شملتها الدراسة (١٣٩٤هـ - ١٤٢٣هـ) وبعد فترة من الوقت تناقصت سرعة هذا الانتشار ثم عاد مرة أخرى إلى التسارع، حيث زادت نسبة المنشآت التي تم تأسيسها كل عام وذلك في الأعوام من ١٤١٥هـ - ١٤٢٠هـ تقريباً. وهذا يتناسب وحالة المملكة العربية السعودية حيث تسارع نمو القطاع الصناعي بشكل عام في فترة الطفرة الاقتصادية وبالتحديد في بداية السبعينات الميلادية. ثم تباطأ بعد ذلك لفترة من الوقت في فترة تميزت بالركود الاقتصادي ثم عاود نموه السريع في بداية التسعينات.

٢. يلاحظ من الشكل أن المدة الزمنية اللازمة لانتشار المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة تراوحت بين ١٠ - ١٥ سنة. وهذه فترة زمنية قصيرة نسبياً، مما يدل على سرعة انتشار هذه المنشآت وشيوعها. ولعل ذلك يعود إلى حقيقة مفادها هو أن معظم أصحاب هذه المنشآت يعتبرون ان الاستثمار في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة وفي القطاع الصناعي وبالتحديد استثماراً خطراً في مراحله الأولى، وبعد فترة من الوقت وعند ازدياد المعلومات والخبرات المتراكمة لدى المستثمرين في هذا القطاع، ومع نجاح العديد من المنشآت، يبدأ مستوى الخطورة في الانخفاض ويبدأ المستثمر الصغير في التفكير في الدخول في هذا النوع من الاستثمار وبالتالي تزداد سرعة انتشار هذه المنشآت.

٣. أن هناك تنوعاً في طبيعة عمل المنشآت الصغيرة والمتوسطة العاملة في منطقة مكة المكرمة (انظر الجدول رقم ١). كما أن عددها يمثل نسبة كبيرة (٢٣,٧%) من

إجمالي عدد المنشآت الصغيرة والمتوسطة في عموم مناطق ومدن المملكة العربية السعودية. وهذا يمكن فهمه من خلال النظر إلى ضخامة حجم الأموال المستثمرة في هذا القطاع، حيث بلغت الأموال المستثمرة في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة ٤٦٣٨ مليون ريال. وهذا مؤشر واضح على أهمية منطقة مكة المكرمة كمنطقة خصبة لاستقطاب المزيد من الاستثمارات في هذا القطاع وفي مختلف النشاطات. وربما يعود ذلك إلى تمتع المنطقة بمناخ استثمار ايجابي وجيد نظرا لتوفر مقومات عديدة ذكرناها سلفا، منها وجود سوق استهلاكي كبير يعتبر من اكبر الأسواق الاستهلاكية بالمملكة. كما أن وجود أكثر من ١٠ مليون حاج ومعتمر يفيدون إلى منطقة مكة المكرمة سنويا من خارج وداخل المملكة أمر محفز لنمو هذا النوع من المنشآت. هذا إلى جانب وجود حركة سياحية متطورة في بعض مدن المنطقة كمدينتي جدة والطائف الأمر الذي ساعد على انتعاش الحركة التجارية وزيادة فرص الترويج والتسويق للمنتجات الصناعية.

والجدير ذكره هنا إن تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة يشكل عقبة أمام انتشار هذا النوع من المنشآت ليس في منطقة مكة المكرمة وحسب وإنما في جميع مناطق المملكة العربية السعودية (الغرفة التجارية الصناعية للمنطقة الشرقية، ١٩٩٨م). حيث تشير الدراسات إلى ان التمويل الشخصي والتمويل العائلي الذي يأتي من الأهل والأصدقاء من المصادر التمويلية الأكثر استخداما وشيوعا عند البدء بمشروعات استثمارية صغيرة نتيجة لبساطة هذه المصادر وسهولة شروط الحصول عليها (السهلاوي وعبد القادر، ٢٠٠٢م). أما التمويل المتاح من البنوك التجارية ومؤسسات التمويل الحكومية المتخصصة فيأتي في المرتبة الثانية. وبغض النظر عن الأسباب المؤدية إلى محدودية العمليات الإقراضية الممنوحة من البنوك التجارية والمؤسسات الحكومية المتخصصة والتي تختلف وجهات النظر فيها من فريق لآخر، فإننا نؤكد على ضرورة تذليل جميع الصعوبات التمويلية التي يمكن ان تكون عائقا أمام مساهمة البنوك

التجارية السعودية ومؤسسات التمويل المتخصصة كصندوق التنمية الصناعية السعودي وبنك التسليف السعودي في دعم وتقديم التمويل المطلوب للمنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة وجميع مناطق المملكة إلى حين إيجاد المؤسسية التمويلية المناسبة لنمو هذا النوع من المنشآت وبالتالي إمكانية ان تقوم هذه المنشآت بدورها المطلوب في دعم مسيرة الاقتصاد السعودي.

٤. ارتفاع عدد العمالة في قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة ليصل إلى ٢٤٤٨٥ فرصة عمل في ٥٦٧ منشأة صناعية صغيرة أو متوسطة. وهذا يؤكد الدور الرائد الذي يمكن أن تلعبه المنشآت الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة في إيجاد آفاق وفرص عمل جديدة للشباب من أبناء هذه المنطقة وممن هم حديثي التخرج من البنين والبنات بعيدا عن الوظائف العامة التي أصبحت في أيامنا هذه بعيدة المنال. وبالتالي التقليل بشكل كبير من حدة مشكلة البطالة وخلق فكر جديد لدى الشباب بعدم الانتظار والبحث عن أسلوب جديد للعمل من خلال القيام بإنشاء مشاريع خاصة بهم والإسهام في الوقت نفسه في توفير وظائف جديدة للآخرين في شتى مجالات الإنتاج وتكوين جيل جديد من المستثمرين على مستوى عال من الإبداع والكفاءة. وهذه الفرص الوظيفية الكبيرة التي يوفرها قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة والتي هي اليوم مشغولة بعمالة غير سعودية تؤكد ما توصل إليه العديد من الباحثين من أن المنشآت الصغيرة والمتوسطة في مختلف القطاعات الاقتصادية أحد أهم الآليات التي يمكن الاعتماد عليها لاستيعاب أكبر عدد ممكن من العمالة الوطنية المتاحة في سوق العمل (العمار، ١٩٩٩م، سليمان، ١٩٩٩م). ويبقى على الجهات الرسمية في منطقة مكة المكرمة سواء غرف تجارية أو مؤسسات تعليمية مختلفة أن تولي هذه المنشآت الأهمية القصوى التي تستحقها وتضعها ضمن استراتيجياتها، وان تسعى كذلك من خلال برامجها وفعاليتها المتنوعة إلى إعداد وتهيئة الكوادر السعودية

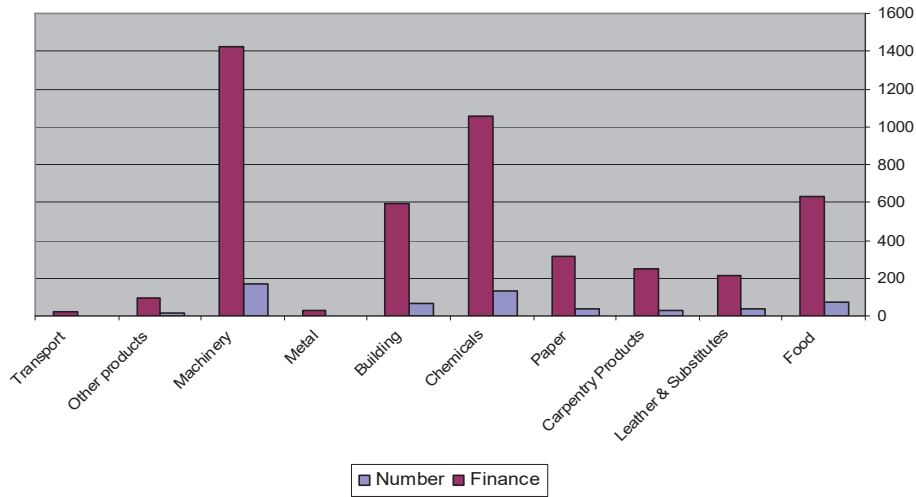
لدخول مجال العمل الحر وذلك من خلال نشر الوعي بأهمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة في مختلف القطاعات الاقتصادية. كما يجب أن تقوم جميع الجهات ذات العلاقة بتوفير كل المقومات اللازمة لنجاح هذه المنشآت التي لا غنى عنها للاقتصاد السعودي.

٥. وجود توجه لدى صغار المستثمرين المحليين في منطقة مكة المكرمة للاستثمار في قطاعات صناعية معينة أكثر من غيرها. فقد جاء قطاع صناعة المنتجات المعدنية المصنعة في المرتبة الأولى بحجم استثمار قدره ١٤٢٠,٤ مليون ريال وبعده منشآت صغيرة ومتوسطة قدرها ١٦٩ منشأة. وجاء في المرتبة الثانية قطاع الصناعات الكيماوية والمنتجات البلاستيكية بحجم استثمار قدره ١٠٥٩,٩ مليون ريال وبعده منشآت قدرها ١٣٥ منشأة. في حين جاء في المرتبة الثالثة قطاع المواد الغذائية باستثمارات مالية قدرها ٦٢٨,٤ مليون ريال في ٧٦ منشأة صغيرة و متوسطة. وفي المرتبة الرابعة من حيث الأهمية يأتي قطاع مواد البناء والخزف والزجاج ليشمل ٦٧ منشأة وباستثمارات إجمالية قدرها ٥٩٥,٦ مليون ريال. ومن ثم تأتي القطاعات الصناعية الأخرى (انظر الشكل ٢). وهنا يمكن القول أن هذه القطاعات الفرعية ربما تتميز بجاذبية ومنافسة عالية من قبل صغار المستثمرين في منطقة مكة المكرمة، الأمر الذي يتطلب بذل المزيد من الجهد من المسؤولين في هذه المنطقة كالغرف التجارية مثلا لدراسة هذه القطاعات والتركيز عليها وجعل منطقة مكة المكرمة ذات بيئة مناسبة لتطويرها ودعم مقدراتها على النجاح والاستمرار. فمثلا يتضمن قطاع المنتجات المعدنية المصنعة مجموعة من الصناعات التي يجب دراستها بشكل مفصل كصناعة المكيفات والأفران والغسالات وغيرها. كما يجب دراسة أوجه القصور إن كان هناك قصورا في بعض الجوانب المتعلقة بخصائص مكة المكرمة ومحاولة معالجتها وتطويرها. فربما يلحظ أن معظم المنشآت الصغيرة والمتوسطة العاملة في القطاعات الأربع الأولى والتي تميزت بأهمية واضحة من قبل

المستثمرين في منطقة مكة المكرمة تعاني من محدودية تسويق منتجاتها وتركيزها على السوق المحلي فقط ولا يوجد لديها استراتيجيات واضحة تهتم بالأسواق الدولية مما يستوجب العمل على مساعدة هذه المنشآت في رسم الاستراتيجيات المناسبة من خلال توفير ما تحتاجه من متطلبات أساسية كتوفير المعلومات والكادر السعودي المؤهل. أو قد تشير الدراسات إلى ضعف التنسيق والتعاون والتحالف الاستراتيجي بين المنشآت العاملة في القطاع الواحد وبينها وبين المنشآت العاملة في القطاعات الأخرى المرتبطة بها. الأمر الذي يستوجب تعزيز مجالات التعاون بين هذه المنشآت في جميع المجالات والعمل على تطويرها سواء في مجال تدريب الموظفين وتهيئتهم أو في توفير المعلومات والمشاركة في الجهود التصديرية وغير ذلك من مجالات.

شكل رقم (٢)

توزيع المنشآت الصغيرة والمتوسطة بمنطقة مكة المكرمة
حسب القطاعات الصناعية



المصدر: دليل المصانع السعودية، ١٤٢٤هـ

٦. النقطة الأخيرة التي يمكن ملاحظتها في الشكل (١) والتي نعتبرها في غاية الأهمية هي انخفاض واضح في عدد المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة العاملة في منطقة مكة المكرمة منذ بدء العام ١٤٢٠هـ تقريبا. هذه الظاهرة لا تقتصر على ما يبدو على منطقة مكة المكرمة وإنما تمتد لتشمل جميع مناطق المملكة. وهذا يدل على وجود عزوف واضح لدى المستثمر السعودي في الانخراط في إقامة مشاريع جديدة في القطاع الصناعي. وعلى الرغم من عدم وجود دراسات تفسر أسباب ذلك، فأنا نعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى توجه المستثمرين وخاصة صغار المستثمرين نحو الاستثمار في سوق الأسهم السعودي الذي استطاع في الآونة الأخيرة من أن يحقق مكاسب كبيرة لهذه الفئة من المستثمرين. وهذا بدون شك ظاهرة خطيرة جدا يجب التوقف عندها ودراستها بشيء من التفصيل لما لها من آثار سلبية على الاقتصاد السعودي والأهداف التي وضعت له والتي من أهمها توجيه مدخرات الافراد إلى الاستثمار في قطاعات اقتصادية تحقق قيمة إضافية حقيقية للاقتصاد الوطني وتزيد من متانته. إن استمرار الاستثمار في سوق الأسهم السعودي وانخفاض حجم الاستثمارات الموجهة نحو القطاعات الإنتاجية من شأنه أن يؤثر سلبا على توقعات المبادر السعودي وعلى معدل انتشار المنشآت الصغيرة والمتوسطة.

الخلاصة والتوصيات :

قدمت هذه الدراسة ولأول مرة بحسب علم الباحث تحليلا لملامح الاستثمار في قطاع المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة. وقد اعتمدت الدراسة أسلوب المنهج التحليلي الوصفي الذي يستند إلى المصادر المكتبية والدراسات والوثائق المنشورة المتعلقة بواقع المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المملكة العربية السعودية بشكل عام، وفي منطقة مكة المكرمة بشكل خاص. ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة قطاع تنموي له مقومات وجذور متأصلة في منطقة مكة المكرمة، وأنه يبشر بمستقبل واعد يساهم في حل العديد من

المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها الاقتصاد السعودي. ذلك أن هذا القطاع يتميز بقدرته الفائقة على توفير فرص عمل لنسبة كبيرة من الأيدي العاملة العاطلة عن العمل وبرؤوس أموال مناسبة. فقد توصلت الدراسة إلى ارتفاع معدل انتشار المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة في منطقة مكة المكرمة، حيث اتضح أن انتشار هذا النوع من المنشآت بدأ سريعاً في السنوات الأولى التي شملتها الدراسة وبعد فترة من الوقت تناقصت سرعة هذا الانتشار ثم عاد مرة أخرى إلى التسارع حيث زادت نسبة المنشآت التي تم تأسيسها. وفي السنوات الثلاث الأخيرة لوحظ وجود انخفاض في وتيرة هذا الانتشار لأسباب كثيرة أهمها انخراط صغار المستثمرين في منطقة مكة المكرمة وفي مختلف مناطق المملكة نحو الاستثمار في سوق الأسهم السعودي.

كما قامت الدراسة بتحليل ملامح وطبيعة الاقتصاد السعودي، حيث لوحظ إن توفير فرص عمل جديدة للمواطن السعودي من الجنسين يعتبر من أهم التحديات التي تواجه الاقتصاد السعودي في السنوات القليلة القادمة، وهي مهمة تتطلب نوايا حقيقية للإصلاح ومجهودات نوعية في ظل ظروف سياسية واقتصادية غير مستقرة تمر بها المنطقة الخليجية واقتصاديات دولها. إن زيادة فرص العمل هدف يتطلب استثمارات إضافية تفوق المعدلات التي كانت سائدة خلال السنوات الماضية، ويتطلب كذلك تعزيز حقيقي لقطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة وتهيئة المناخ المناسب لنموه من خلال توفير المزيد من السياسات الاقتصادية والمالية الناجعة وتقديم كافة التسهيلات الرامية إلى تحسين مناخ الاستثمار. فالسياسات الاقتصادية والاجتماعية التي طبقت خلال العقود القليلة الماضية لم تؤد إلى توفير فرص عمل كافية ولا إلى خلق كادر سعودي باستطاعته المنافسة عالمياً والصمود أمام تحديات العولمة وانفتاح الأسواق على بعضها البعض، بل ربما بعض هذه السياسات كانت سبباً في تفاقم العديد من المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد السعودي اليوم. إن الحلول والسياسات التي تستهدف تصحيح مسار الاقتصاد السعودي ومعالجة مشاكل الفقر والبطالة يتعين النظر إليها على أنها

حزمة متكاملة تشمل سياسات تنمية في مجال التعليم والصحة والإنتاج والنظام المالي والتشريعات والأطر والإجراءات وغيرها من سياسات. وإذا لم يتم تحقيق ذلك، فإن القوى العاملة السعودية ستصبح عنصر ضعف في تباطؤ وتيرة التنمية وتحقيق انعكاسات سلبية على الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والثقافية والسياسية في الدولة.

إن نتائج هذه الدراسة من شأنها أن تثير شهية الجهات المختصة والمرتبطة بتنمية قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة بضرورة إيجاد الآليات المناسبة لتشجيع المنشآت العاملة في هذا القطاع الهام على النمو والتطور وتفعيل دورها في الاقتصاد السعودي، وأن تقوم بوضع السياسات الناجعة لتطوير هذا القطاع وتعيد النظر في السياسات والأنظمة القائمة التي لا تلبى احتياجات المنشآت الصغيرة والمتوسطة وتعمل على تحديثها ليس على مستوى منطقة مكة المكرمة وحسب وإنما في جميع مناطق ومدن المملكة.

المراجع

١. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، (٢٠٠٣م)، التقرير الاقتصادي العربي الموحد.
٢. الدار السعودية للخدمات الاستشارية (١٩٩٩م)، "الصناعات التقليدية المرتبطة بالحج والعمرة في مكة المكرمة"، ندوة فرص الاستثمار بمكة المكرمة ، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة.
٣. دحلان، عبد الله صادق (١٩٩٧م). " نحو إطار امثل للتكامل بين الصناعات الصغيرة والصناعات الكبيرة في المملكة العربية السعودية" ، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي العاشر لجمعية الاقتصاد السعودية حول واقع ومستقبل الصناعة السعودية، الرياض: جامعة الملك سعود.
٤. سليمان، محمد حبيب عبد الكريم (١٩٩٩م). " ازدياد أعداد المنشآت الفردية وأثرها في اختلالات سوق العمل" ، ورقة عمل أعدتها الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة لندوة المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم وطرق تمويلها، الرياض: وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
٥. السهلاوي، خالد عبد العزيز و عبد القادر محمد احمد عبد الله (٢٠٠٢م)، "خصائص ودوافع أصحاب المنشآت الصغيرة والمتوسطة: دراسة تطبيقية على المنشآت الخاصة في قطاعي التعليم والصحة بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية" ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد الثالث، العدد الأول.
٦. السهلاوي، خالد عبد العزيز(٢٠٠١م)، "معدل وعوامل انتشار المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المملكة العربية السعودية"، معهد الإدارة العامة، مجلة الإدارة العامة، المجلد الواحد والأربعون، العدد الثاني.
٧. السهلاوي، خالد عبد العزيز(٢٠٠٤م)، " دور المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة في خلق فرص عمل جديدة في المملكة العربية السعودية: دراسة قياسية"، مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي، العدد ٩٤، السنة الرابعة والعشرون.
٨. صندوق التنمية الصناعية السعودية (١٩٩٩م) " الصناعات الصغيرة في المملكة العربية السعودية" ، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم وطرق تمويلها، الرياض: وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
٩. العمار، سعد بن عبد الرحمن (١٩٩٩م) " واقع دور المنشآت الصغيرة والمتوسطة في توفير فرص العمل للمواطنين" ، ورقة عمل أعدتها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لندوة المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم وطرق تمويلها، الرياض: وزارة المالية والاقتصاد الوطني.

١٠. الغرفة التجارية الصناعية للمنطقة الشرقية (١٩٩٨م) "المشروعات الصغيرة والمتكررة: المشاكل والحلول"، الإدارة الاقتصادية والبحوث، الدمام، المملكة العربية السعودية.
١١. غرفة تجارة وصناعة وزراعة الفجيرة (١٩٩٨م)، "المشروعات الصغيرة : المفهوم والخصائص" دولة الإمارات العربية المتحدة.
١٢. مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية (١٩٩٤م) "واقع اقتصاديات الصناعات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة بدول مجلس التعاون الخليجي ودور الغرف التجارية الصناعية في تنميتها"، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة أساليب تنمية الصناعات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مسقط: سلطنة عمان.
١٣. منظمة الخليج للاستشارات الصناعية (١٩٩٤م). "نحو استراتيجية خليجية موحدة لتنمية الصناعات الصغيرة والمتوسطة"، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة أساليب تنمية الصناعات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مسقط: سلطنة عمان.
١٤. وزارة التجارة والصناعة، (١٤٢٤هـ)، دليل المصانع السعودية.
١٥. وزارة التخطيط (١٩٨٥م). خطة التنمية الرابعة، الرياض: وزارة التخطيط.
١٦. وزارة التخطيط (١٩٩٠م). خطة التنمية الخامسة، الرياض: وزارة التخطيط.
١٧. وزارة الصناعة والكهرباء والدار السعودية للخدمات الاستشارية (١٩٩٩م) " الصناعات الصغيرة والمتوسطة وطرق تمويلها"، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم وطرق تمويلها، الرياض: وزارة المالية والأقتصاد الوطني.
١٨. وزارة المالية والاقتصاد الوطني (١٩٩٩م) "دور المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم في التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية"، ورقة أعدت لندوة المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم وطرق تمويلها، الرياض: وزارة المالية والاقتصاد الوطني.

The Nature and Size of Investment of Small and Medium Size Enterprises in the Saudi Economy: Case Study of Small Industrial Firms in the Province of Makkah Almukarama

Khalid Abdulaziz Al-Sahlawi

College of Administration Studies and Planning, King Faisal University
Al-Ahasa, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This study analysis the key issues that influence the growth and development of small and medium firms in the area of Makkah Almukarama in Saudi Arabia. The study outlines the factors that are dominant in this sector and explore the effect it has on the Saudi economy. This study documented the striking changes in the size structure of small and medium firms in Makkah which have taken place over the past thirty years. On the basis of trends which is observed, the study concluded that: the small firm sector is in a state of long-term increase, both in size and in its importance of the Saudi economy.

Table of Contents

- Makkah Al-Mukarramah : The Importance of its Position, Significance of its Status and Sanctity of its Shrine Sulaiman S. Al-Qir'awi -----	1
- The Cultural Dimensions of Pilgrimage (Hajj) to Makkah Al-Mukarramah Ahmed bin Abdulaziz Al-Huleibi -----	41
- Major Special Characteristics of Makkah Al-Mukarramah Abdullah M. Al-Deirshawi -----	89
- Religious Reforms of King Abdulaziz in Makkah Al-Mukarramah Omima Ahmed Al-Jalahmah -----	157
- Declaration of Bahra and Hidda and its Political Demensions in the Bai'a of King Abdulaziz in Makkah Al-Mukarramah (1344a.h/1925a.d) Saeed A. Al-Amr -----	193
- Makkah Al-Mukarramah in the Old Period: A Reading in History and Poetry Zafer A. Al-Shihri -----	229
- The Project of Kingdom of Saudi Arabia for the Utilization of Hadi and Sacrificial Meat: Achievement and Solidarity Gassan F. Al-Tabri , Salah A. AL-Shami and Adel I. AL-Afaleq-----	261
- Determinants of Tourism in Makkah Al-Mukarramah Province Abdalmohsen Husein Al-Arfaj. -----	295
- Investment in Tourism Sector and its Importance to the Saudi Arabian Economy with a Concentration on the Tourism Activities in Makkah Al-Mukarramah Province Hassan R. Alhajhoj-----	333
- The Nature and Size of Investment of Small and Medium Size Enterprises in the Saudi Economy: Case Study of Small Industrial Firms in the Province of Makkah Al-Mukarramah Khalid Abdulaziz Al-Sahlawi -----	393

Executive Editorial Board

Editor - in - Chief

Prof. Adel I. Al-Afaleq

Members

Dr. Ali Ibrahim Al-Sultan

Prof. Abdullah Mousa Al-Gosaibi

Dr. Ahmed Abdul Aziz Al-Huleibi

Associate Editorial Board

Dr. Ahmed Abdul Aziz Al-Huleibi (Chairman)

Prof. Dhafir A. Al-Shihri

Dr. Abdulmohsen H. Al-Arfaj

Dr. Mahmoud Abd-alfattah I. Rizk

Prof. Ibrahim S. Al-Sabaty

Technical Editing

Fadel M. Al-Amer

Khaled Abdullah Al-Salman

Dr. Ahmed Al-Dakrury

Hosain M. Al-Hadlag

**Postal Address
Editor - in - chief
Scientific Journal of King Faisal University
P.O.Box 380 Al-AHssa 31982
Kingdom of Saudi Arabia
Tel. 966 (3) 5801275 ext. 215
Fax. 966 (3) 5801275 ext. 318
E.Mail : scijkfu@kfu.edu.sa**

L.D. NO 2303/18

ISSN 1319-6944

King Faisal University Press - Al-Ahssa

All Scientific articles in this issue are refereed.
All rights are reserved to Scientific Journal of King Faisal University.
No part of the journal may be reproduced or transmitted in any form
or by any means, electronic or mechanical, including photocopying,
recording or via storage or retrieval system without written permission
from Editor – in – chief.

All articles published in the journal represent the opinion of the
author(s) and do not necessarily reflect the views of editorial board of
the journal.

Scientific Journal

of King Faisal University

(Special issue)

A refereed scientific journal

**The journal is available on the following website
www.kfu.edu.sa/sjournal/ara/sja_index.asp**